

3/9/51

بِتَحْقِيقٍ وَشَرْحٍ
عبد الله بن محمد

مكتبة الحافظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الثاني

البيان والبيان

[الطبعة الثانية]

معارف مقابلة على نسخة مكتبة فيض الله
بإجازات هامة في الشرح والتحقيق والسقيح

الجزء الأول

الناشر
مكتبة الخزانة بمصر
مكتبة منى بغداد

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

القاهرة

مطبعة الجندل الشافعية والترجمة والنشر

١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م

إِهْدَاء

حَفِظَكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ وَأَمْتَعَ بِكَ ، وَجَعَلَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ
مِنْ وَدٍّ مَوْصُولًا أَبَدَ الدَّهْرِ ، فَقَدْ عَرَفْتُكَ صَدِيقًا .
لَا يَشُوبُ صِدَاقَهُ زَيْفٌ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا ، وَعَرَفْتُكَ عَلَى تَقَادُمِ
العَهْدِ وَتَطَاوُلِ الزَّمَانِ ، أَخَا ثَابِتِ الْإِخَاءِ وَثِقَ النَّفْسِ ،
لَيْسَ كَمَنْ يَدُورُ بِخُلُقِهِ بَيْنَ النَّاسِ مُلْتَمِسًا بِهَا الْغَنَمَ ، وَبَاغِيًا
بِهَا النَّفْعَ ، فَكَانَ ذَلِكَ ، أَيَّدَكَ اللَّهُ ، مِمَّا أَكْبَرَكَ فِي عَيْنِي ،
وَأَعْظَمَكَ فِي نَفْسِي ، وَلَبَسْتَنِي أَنْ أُقَدِّمَ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ الْخَالِدَ
لِرَى فِيهِ ، وَلَتَعْلَمَ أَيُّهَا السَّمِيُّ الْكَرِيمُ ، أَنِّي أَحْفَظُ لَكَ فِي نَفْسِي
مِثْلَ مَا تَحْفَظُ لِي مِنْ وَفَاءٍ ، وَأَطْوَى لَكَ صَدْرِي
عَلَى مِثْلِ مَا تَطْوِي مِنْ وِلَاءٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - عرص الكتاب

وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التي أخذت نفسى بإخراجها وجلائها على الناس ، وهو ، لا جرم ، أسير كتب أبي عثمان وأكثرها تداولاً ، وأعظمها نفعاً وعائدة ؛ فيه تخرج كثير من الأدباء ، واستقامت السُّننهم على الطريقة المثلى . فهو أستاذ أرهط متعاقبة من المتأدين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ، ممن صقلوا ذوقهم بصقال الجاحظ ، ورفعوا فئهم بالتأمل فى فنه وعبقريته .

٢ - بعض أقوال القدماء

فيه يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى^(١) فى الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ، مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتشرة فى أثنائه ، فهى ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير » .

وهو كلام رجل قد خبر الكتاب ورازه ، ولكنه لم يشأ أن يرسم لنا صورة مفصلة واضحة .

(١) توفى نحو سنة ٣٩٥ .

وابن رشيق القيرواني (٣٩٠ — ٤٦٣) في العمدة^(١) يقول : « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ — وهو علامة وقته — الجهد ، وصنع كتابا لا يُبلغ جودة وفضلا ، ثم ما ادعى إحاطته بهذا الفن ؛ لكثرتة ، وأن كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل » .

أما ابن خلدون المغربي (٧٣٢ — ٨٠٨) فيسجل لنا رأى قدماء العلماء في هذا الكتاب ؛ إذ يقول عند الكلام على علم الأدب^(٢) : « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الكتاب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها ، وفروع عنها » .

٣ — تفصيل الكتاب

إن دأب الجاحظ فى تأليفه أن يرسل نفسه على سجيّتها ، فهو لا يتقيد بنظامٍ محكم يترسّمه ، ولا يلتزم نهجاً مستقيماً يحذوه ، ولذلك تراه يبدأ الكلام فى قضية من القضايا ، ثم يدعها فى أثناء ذلك ليدخل فى قضية أخرى ، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل ، وقد كانت هذه سبيل كثير من علماء دهره ، كما أن علو سنه وجِدّة التأليف فى تلك الأبحاث التى طرّقها ، كل أولئك كان شفيعاً له فى هذا الاسترسال والانطلاق .

وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً ، فهو يقول عند الكلام على البيان^(٣) : « وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ، ولكننا أخرناه لبعض التدبير » .

(١) العمدة (١ : ١٧١) فى باب البيان .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٠٥ .

(٣) الجزء الأول ص ٧٦ .

وهو يَعدُّ في أواخر هذا الجزء^(١) أن يتكلم في الجزء الثاني على طعن الشعوبية على العرب في اتخاذ المِحصرة ، ثم يحاول الوفاء بما وعد ، في الجزء الثاني ، ولكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد ، فيعتذر بقوله : ولكننا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجللة من التابعين .
ويمضي الجزء الثاني بأكمله ، ولا يستطيع صاحبنا الوفاء بما وعد به إلا في صدر الجزء الثالث من الكتاب .

ونحن نستطيع أن نرد مباحث الكتاب وقضاياها إلى الضروب التالية :

(١) البيان والبلاغة (٢) القواعد البلاغية (٣) القول في مذهب الوسط (٤) الخطابة (٥) الشعر (٦) الأسجاع (٧) نماذج من الوصايا والرسائل (٨) طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم (٩) عَرَضٌ لبعض كلام النوكى والحقى ونواديرهم (١٠) ضروب من الاختيارات البلاغية .

البيان والبلاغة :

تحدث الجاحظ في تعريف البيان ، وساق في تفصيل أنواع الدلالات البانية من اللفظ ، والإشارة ، والعقد والنُصبة^(٢) . وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان^(٣) ، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضرين والبدويين^(٤) ، ونوه تنويعها بصحة لغة الأعراب في عصره^(٥) ، وروى مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم^(٦) . وتحدث في لكنة النبط والروم^(٧) ، وعَرَضَ نماذج من كلام الموالي^(٨) ، وعقد

(١) الجزء الأول ص ٣٨٣ . (٢) انظر ١ : ٧٥ .

(٣) ١ : ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٩٢ . (٤) ١ : ١٢٠ .

(٥) ١ : ١٥٧ . (٦) الجزء الثالث .

(٧) ١ : ٧٠ . (٨) ١ : ١٦١ - ١٦٥ .

في الجزء الثاني باباً للحن وأخبار اللحنين ، بعد أن تكلم في الجزء الأول^(١) على اللحن ومتى يستملح ومتى يستهجن . وفي الجزء الثاني عرض صوراً من صور العي والحصر ، وبسط مذهباً له في وجوب أداء القصص والنوادر كما هي ، إن معربةً فمعربةً ، أو ملحونة فملحونة ، زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين^(٢) .

ولم ينس أن يسوق في صدر كتابه طائفة من الآيات التي تنوه بشأن البيان والبلاغة ، ثم بعيد الكرة في الحث على البيان والتبيين^(٣) ، إذ يقول : « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ... » .

وهو لا يُغفل أن يتكلم في مخارج الحروف ، ويبين أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها في البيان^(٤) ، وكذلك أثر لحم اللثة^(٥) ، وكذا أثر سقوط الأسنان ، وينقل قول محمد الرومي^(٦) : « قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصاح في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها » . ويعقد باباً للحروف التي تدخاها اللثة ، ويبين أي لثة أشنع وأيها أظرف^(٧) . ولعل الذي دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لغة واصل بن عطاء المعتزلي ، الذي حاول أن يعتذر له ، وأن يجعل من هذا النقص الذي كان بتغلب عايه ، كمالاً وعبقرياً يسوق فيها الدليل إثر الدليل^(٨) .

وهو كذلك يروي طائفة صالحة من أخبار البغاء والخطباء والأئمة والفقهاء والأمراء^(٩) ، ومن جمع بين الخطابة والشعر^(١٠) ، ويعرض نماذج من كلام الرسول في صدر الجزء الثاني^(١١) ، كما عقد باباً للغز في الجواب في ذلك الجزء .

فإذا ما حاول الكلام في البلاغة ، وهي المرتبة التي فوق البيان ، ذهب

(١) ١ : ١٤٦ .	(٢) ١ : ١٤٥ .	(٣) ١ : ٢٠٠ .	(٤) ١ : ٥٨ .
(٥) ١ : ٦١ .	(٦) ١ : ٦١ .	(٧) ١ : ٦٤ .	
(٨) ١ : ١٤ .	(٩) ١ : ٩٨ .	(١٠) ١ : ٥١ .	

يسرد تعريفها عند الفرس والروم والهند والأعراب ، وأعلام البلغاء ، كالعتابي وسهل بن هارون ، وعمرو بن عبيد ، وابن المقفع^(١) . ثم لا يرضيه ذلك حتى يظفر بترجمة لصحيفة هندية ترسم حدود البلاغة وتبين أصولها^(٢) .

ولم يتعرض لمسائل البلاغة التي عرفت فيما بعد ، إلا ما قدّم من كلام في تنافر الحروف واثتلافها^(٣) ، وكذلك وجوب مراعاة مقتضى الحال^(٤) . وهو يتكلم في الإيجاز والإطناب ويعين المواضع الصالحة لكل منهما^(٥) ، ويروى لنا الشعر الذي يمدح فيه الشعراء الإيجاز^(٦) . ويتكلم في المشاكلة البديعية ، وبعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر^(٧) .

القول في مذهب الوسط :

يستطيع المتصفح لهذا الكتاب أن يلمح للجاحظ مجهوداً طريفاً ، فهو قد عقد باباً للصمت والحث عليه^(٨) ، ويحكي أقوال المعارضين لأصحاب الخطابة والبلاغة الذين يفضلون هذا الصمت^(٩) ، ويخصص باباً آخر يقذف فيه بطائفة من كلام المغربين وأصحاب التقعير^(١٠) ، وأبواباً أخرى في مديح اللسان وشدة العارضة^(١١) ولكنه لا يرضيه هؤلاء ولا أولئك ، بل يرى أن كلا منهما قد جنح إلى غير الصواب ، وأن الصواب والخير كله في إصابة القدر في الكلام^(١٢) ، وأن تكون الألفاظ والمعاني أوساطاً بينَ بين^(١٣) .

(١) : ٨٨ .	(٢) : ٩٢ .	(٣) : ٦٩ .
(٤) : ١٤٩ .	(٥) : ١٤٩ .	(٦) : ٢٧٦ .
(٧) : ١٥٢ .	(٨) : ١٩٤ .	
(٩) : ٢٦٩ .	(١٠) : ٣٧٧ .	
(١١) : ١٦٦ ، ٢١٢ ، ٢٣١ .	(١٢) : ٢٧٧ .	
(١٣) : ٢٥٥ .		

الخطابة :

وقد عني الجاحظ بهذا الفن عناية خاصة . ولا غرو ، فالخطابة دِعاة من دعائم الدعوة . وكان المعتزلة يلجئون إلى الخطابة والجدال في تأييد أمرهم ، وبيان مذاهبهم ومقالاتهم^(١) . فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر^(٢) ، ويبين ما ينبغي اتباعه في ضروب من الخطب ، كخطبة النكاح^(٣) ، وما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول وترفع الصوت ، ذاكرًا في ذلك الخبر والمثل^(٤) ومن عُرف بجهارة الصوت^(٥) ، وهو يسترسل فيذكر أن الروم أهل جهارة ، وينقل خبراً غريباً « لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعاً صوت وجوب القرص في المغرب^(٦) » . ويتكلم في الدمامة ومدى أثرها في قدر الخطيب والشاعر^(٧) ، ويتعرض للخلاف في تأثير حركة الخطيب وإشارته ، أو سكونه وهدوء جوارحه ، في سامعيه^(٨) . ويتكلم في استعمال المخاصر والعصى في الخطبة^(٩) وطقن الشعوبية على العرب في ذلك^(١٠) ، ويذكر أسماء الخطباء وقبائلهم وأنسابهم^(١١) وأخبار خطباء الخوارج خاصة^(١٢) ، كما عقد باباً لأسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان^(١٣) ، وكما نوه بخصلة إياد وتميم في الخطب^(١٤) . وهو في أثناء ذلك يسرد مختارات قوية من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، وكذا خطب رجالات الخوارج وأهل الدعوة .

- | | |
|--------------------|--|
| (١) : ١ : ١٤ . | (٢) : ١ : ١١٨ . |
| (٣) : ١ : ١١٦ . | (٤) : ١ : ١٢٠ . |
| (٥) : ١ : ١٢٣ . | (٦) : ١ : ١٣٣ . |
| (٧) : ١ : ٢٣٧ . | (٨) : ١ : ٩١ . |
| (٩) : ١ : ٣٧٠ . | (١٠) : ١ : ٢٨٣ ثم أول الثاني ، ثم أول الثالث . |
| (١١) : ١ : ٣٠٧ . | (١٢) الجزء الثالث . |
| (١٣) : ١ : ٣٥٨ . | (١٤) : ١ : ٥٢ . |

الشعر :

والشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة ، وله ميسم يبقى على الدهر في المدح والهجاء^(١) ، وله أوزان لا بد منها ولا بد من القصد إليها ؛ فمن جاء كلامه على وزن الشعر ولم يتعمد هو هذا الوزن فليس كلامه بشعر ، فقد ورد في القرآن وفي الحديث كلام موزون على أعاريض الشعر ولكنه لا يسمى شعرا^(٢) . ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل^(٣) . وليس ينبغي للقصيدة أن تكون كلها أمثالا وحكما ، فإنها إذا كانت كذلك لم تسر ولم تجر مجرى النواذر^(٤) . وفي المولدين شعراء مطبوعون^(٥) ، وللشعراء رسوم خاصة^(٦) ، وقد كان بعض أبيات الشعر سببا من أسباب تسمية الشاعر^(٧) . والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفنى ، « فما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشرة ، ولا ضاع من الموزون عشرة^(٨) » .

السجع :

وهذا الفن من البيان يثير خلافا بين العلماء والأدباء والديانين ؛ فهناك حديث : « أسجع كسجع الجاهلية ؟ ! » . فهو في ظاهره حجة لمن يرفض استعمال هذا الفن ويستهبجنه ، وهو عند التأويل محمول على السجع الذى يراد به إبطال الحق^(٩) . على أن من الأدباء من يرى أن السجع إنما كان منهيا عنه في

(٢) ١ : ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٤) ١ : ٢٠٦ .

(٦) ١ : ٩٣ .

(٨) ١ : ٢٨٧ .

(١) ١ : ١٥٦ .

(٣) ١ : ٤٥ .

(٥) ١ : ٥٠ .

(٧) ١ : ٣٧٤ .

(٩) ١ : ٢٨٧ .

نأناة الإسلام ، لقرب عهدهم بالجاهلية حيث كان السجع يجري في الكهانة والترجم بالغيب ، فلما زالت العلة زال التحريم^(١) . ولهذا شبيهه في النهي عن مرثية ابن أبي الصلت لقتلى أهل بدر في أول الأمر ، فلما زالت العلة زال النهي^(٢) . ويسوق الجاحظ من بعد ذلك ماثورا من متخير السجع وبديعه^(٣) .

الرسائل والوصايا :

ولقد كانت الرسائل والوصايا مظهرا من مظاهر البيان العربي ، فهو ينثر في تضاعيف كتابه قدراً صالحاً مختاراً منها^(٤) ، لتكون إماماً يحتذى ، وقالبا يُصاغ عليه القول .

النسك والقصاص :

والنسك حظ وافر من عناية الجاحظ في الكتاب . فهو لاء النسك الروحانيون قد نبغ منهم نوابغ في البيان ، فهم قوم قد لانت ألسنتهم ودق إحساسهم ، بما حفظوا كلام الله وحديث الرسول ، وهم قد تصدوا لوعظ العامة والتأثير فيهم ببلغ القول وحسن المحاضرة ، وكانت لهم جولات في مساجد البصرة والكوفة ، حيث كانت تؤثر عنهم الحكمة وتروى العظة ، ويُتناقل البيان الرفيع . وأما القصاص فقد كانت صناعتهم تقتضيهم العناية بقوة البيان وحسن الأداء وكانوا ذوي فصاحة وبلاغة ، فمنهم موسى بن سيار الأسواري « كان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرهما للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية ،

(٢) ١ : ٢٩١ .

(٤) انظر الجزء الثاني .

(١) ١ : ٢٩٠ .

(٣) ١ : ٢٧٤ ، ٢٩٧ .

فلا يُدرى بأيّ لسان هو أيّن^(١) .

لذلك ولهذا عقد الجاحظ باباً لذكر النساك والزهاد من أهل البيان^(٢)، وآخر لذكر القصاص^(٣) كما روى طائفة من كلام النساك^(٤) ومقطعات من كلام القصاص^(٥)، كما خصص في الجزء الثالث من الكتاب باباً كبيراً في الزهد ساق فيه مواعظ عيسى وداود عليهما السلام، ومواعظ الحسن وعمر وآخرين من النساك ومن زهاد البصرة والكوفة . وأتبع ذلك بمختارات من دعاء السلف الصالح، والأعراب والنساك .

النوكى والمحقى :

والجاحظ ذلك المرح الضاحك، لا يفتأ يعجب الناس من هذا الخلق الطريف، أولئك الذين شاء الله أن يكونوا مصدر عبرة وموعظة، كما شاء أن يكونوا مصدر عزاء وتسرية عن النفس . هؤلاء النوكى والمحقى قد يتفق لبعضهم من البيان الساخر، ومن التبيين العجيب، ما يكون في الصدر المقدم من حسن التعبير وجميل التعليل، كما يتفق لبعضهم أن يريد البيان فيخطئ خطأ ظاهراً أو خفياً، فيكون كلامه عواراً جديراً بأن ينبه الجاحظ على التحذير منه، وبأن يكشف عما به من خلل ومجانبة للصواب، كما صنع ذلك في باب الحمى . وهو يروى في الجزء الثانى وفى الجزء الثالث طائفة من أخبارهم وأقوالهم ؛ ليكون في ذلك ترويح عن نفس المتصفح، ونفع له في بيانه وعبارته، وهُدًى له أن يضل السبيل . ويستطرد الجاحظ فيما يستطرد فيلحق بهؤلاء النوكى والمحقى طائفة خاصة من المعلمين^(٦)، لا يلبث أن يستثنى منهم جماعة من جلة المعلمين والمؤدين .

(٢) ١ : ٣٦٢ .

(٤) ١ : ٢١٠ .

(٦) ١ : ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

(١) ١ : ٣٦٨ .

(٣) ١ : ٣٦٧ .

(٥) في الجزء الثانى .

الروايات :

والجاحظ بين القينة والأخرى يوشع كتابه بالجليد المتخير من النثر والشعر ، ولاسيما في الجزأين الثاني والثالث ، حيث تطالعك الأبيات الحسان والفقر المستمجة . فمنها ما يكون شاهداً لما ينبغي أن يدعمه ويؤيده من قضايا البيان ، ومنها ما يرويه ليكون للحفظ والمذاكرة . وقد روى طائفة من مختارات المرائي ، ومن الخمرات ومن هجاء البرامكة ومديحهم ، ومما قيل في الشيب ، ومما حوى الحكمة والزهد ، وروى كذلك كثيراً من أقوال الأعراب ونوادرهم ، وطائفة من أدب بني العباس ومجموعة من قصار الخطب وطوالها ، ومتنخل الرسائل والوصايا ، كما سبق القول . هذه صورة لست أراها كاملة التكوين مستوفية الوضوح ، ولكنها تقرب الكتاب إلى قارئه تقريباً ، وتخط له الخطوط الرئيسة التي يستطيع بها أن يتتبع ما يحوى الكتاب من فن .

٤ - أثر الكتاب

لعل من نافلة الكلام أن أردد القول في عظيم أثر هذا الكتاب . ويمكنني أن أقول في ثقة : إنه ليس يوجد أديب نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يُفد منه ، وقلما تجد أديباً من المحدثين لم يتمرّس بما فيه من أدب . كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدّها كبار المؤلفين القدماء في مؤلفاتهم كابن قتيبة^(١) في عيون الأخبار ، والمبرد^(٢) في الكامل ، وابن عبد ربه^(٣) في العقد ، والعسكري^(٤) في الصناعتين ، والخضرى^(٥) في زهر الآداب وجمع الجواهر ،

(١) سنة ٢١٣ - ٢٧٦ .

(٤) ٢٤٦ - ٣٢٨ .

(٥) توفي سنة ٤٥٣ .

(٢) سنة ٢١٠ - ٢٨٦ .

(٤) توفي بعد ٣٩٥ .

وابن رشيق^(١) في العمدة ، وعبد القاهر الجرجاني^(٢) في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأسامة بن منقذ^(٣) في لباب الآداب .

هـ - تاريخ تأليفه

ذكرت طرفاً من ذلك في مقدمة الحيوان^(٤)، وسقت الدليل على أن الجاحظ ألّفه في أخريات حياته ، حين علت به السن وقعد به المرض ، وذكرت أيضاً أنه ألّفه بعد كتاب الحيوان ؛ إذ أنتى عثرت على نصّ قاطع في البيان والتبيين يدل على ذلك ، وهو قوله : « كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورفات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرت من عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظّ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله » . ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبيين إلى القاضي أحمد بن أبي دواد^(٥) ، كما أهدى من قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيت المتوفى سنة ٢٣٣ ، وكتاب الزرع والنخل إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولي المتوفى سنة ٢٤٣ ، وأن كلا منهم أعطاه خمسة آلاف دينار^(٦) . والذي يعنيننا من هؤلاء هو القاضي أحمد بن أبي دواد . كان أحمد من بلغاء الناس وفصحائهم وشعرائهم ، وكان قد برع في الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلي ، فصار بذلك إلى الاعتزال ، وكان ذا حظوة عند المأمون ، وقد أوصى به أخاه المعتصم ، فلما صارت الخلافة إليه جعله قاضي القضاة بعد أن عزل يحيى بن أكثم . ولما مات المعتصم وتولى ولده الواثق حسنت

(١) ٣٩٠ - ٤٦٣ .

(٢) توفي سنة ٤٧١ .

(٣) ٤٨٨ - ٥٨٤ .

(٤) مقدمة الحيوان ص ٢٦ .

(٥) ١٦٠ - ٢٤٠ .

(٦) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .

حال أبي دواد في أول خلافته ، فقلد المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عُزل وقلد يحيى بن أكرم ثانية ، وتوفي أحمد سنة ٢٤٠ ، وكان بين محمد بن عبد الملك وبين أحمد بن أبي دواد منافسة شديدة ، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دواد للعداوة كانت بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ ف قيل له : لم هربت ؟ فقال : « خفت أن أكون ثانی اثنین إذ هما فی التنور ! » . يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير ، كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فعذب هو فيه حتى مات . و يروى ياقوت^(١) ، أنه بعد قتل ابن الزيات جيء بالجاحظ مقيداً إلى مجلس ابن أبي دواد ، فجرت بينه وبين القاضي محاورة انتصر فيها الجاحظ ، وكان من عاقبتها أن رضى عنه ابن أبي دواد وأجازه وقربه إلى نفسه . وهذا الخبر يعين لنا أن كتاب البيان والتبيين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ ، وهي السنة التي قتل فيها ابن الزيات .

٦ - نسخ الكتاب

النسخة الأولى والنسخة الثانية :

يذكر ياقوت^(٢) أن كتاب البيان والتبيين نسخان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود » . فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صُنع الله أنى حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض ، تبين لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلي ، هي أصح نسخة من أصول الكتاب

(١) إرشاد الأريب (١٦ : ٧٩) .

(٢) إرساد الأريب (١٦ : ١٠٦) .

ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات التي لا توجد في سائر النسخ ، أو توجد ولكن بعبارة أخرى مخالفة . كما أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق في ذكر نصوص وعبارات لا نجدها في نسخة كوبريلي ، أو نجدها ولكن بصورة أخرى . ومهما يكن من شيء فلا ريب عندي أن نسخة كوبريلي هي أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ، ونستطيع أن نترجم هذا بأن القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان : إحداهما نسخة كوبريلي ، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التي قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى^(١) .

وصف المخطوطات :

جعل الجاحظ كتابه هذا في ثلاثة أجزاء ، كما نص على ذلك في أول الجزأين الثاني والثالث . وقد توافر لي من نسخ الكتاب أربع مخطوطات :

(الأولى) : نسخة مكتبة كوبريلي^(٢) المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٧٠ أدب) ، المرموز لها بالرمز (ل) . وهذه النسخة المصورة في أربع مجلدات أصلها المخطوط جزءان اثنان ، ولكنها مع ذلك تنبّه في آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذي يليه . والجزء الأول في ٣٥٦ صفحة والثاني في ٣٥٥ ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً ، وبكل سطر نحو عشرين كلمة . وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق . وفي نهايتها : « كمل السفر الثاني ، وبتمامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه . والصلاة على

(١) تجد أيضاً أن افتتاح نسخة كوبريلي وحدها « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » أما سائر النسخ فسبق في أن افتتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد النبي الكريم وسلم ، عونك اللهم ويسيرك » .

(٢) نص خام وقف هذه المكتبة « هذا عما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد ، عرف بكوبريلي ، أقال الله عثاره ١٠٨٨ » .

سيدنا محمد وآله في الجمعة سابع المحرم من سنة أربع وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعري .

(الثانية) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) وهي المرموز لها بالرمز (ب) وهي في مجلد واحد يقع في ٧٠٠ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١٣ كلمة ، وهي مكتوبة بالخط الفارسي الجميل وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب « كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب في صدرها أيضاً « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الكتبخانة الخديوية . ومضاف فياه مايو سنة ١٨٨٢ » . وكلمة « فياه » مكونة من « في » العربية ، و « ماه » الفارسية التي بمعنى شهر ، فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية .

(الثالثة) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) وهي المرموز إليها بالرمز (ح) وهي في مجلد يقع في ٥٧١ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١١ كلمة . وهي مكتوبة بالخط المعتاد وليس بها ضبط ، ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ، وبعض كتابات ذاهبة في الندرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي ، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسية لمواضع متفرقة من الكتاب بخطه أيضاً . وفي خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب يوم الخميس المبارك الموافق ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلاثمائة وتسعة بعد الألف ، على يد كاتبها الفقير راجي عفو الكريم ، محمد سليم » .

(الرابعة) : نسخة المكتبة التيمورية المحفوظة برقم (٤٩٨ أدب) ، وهي في

مجلد واحد به ۵۸۸ صفحة مكتوبة بالخط الفارسي المعتاد ، وبكل صفحة ۱۹ سطراً وبكل سطر نحو ۱۷ كلمة ، وبهوامش هذه النسخة تعليقات كثيرة بخط الناسخ وكتب في صدرها : « من كتب الفقير عبد السلام المويلحي في ۲ رجب سنة ۱۲۸۵ » ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ ، وبها عدة أسقاط فَيَد مواضعها في أول الكتاب العلامة المغفور له أحمد تيمور باشا . وتبلغ هذه الأسقاط نحو ۲۰ صفحة من مواضع متفرقة .

الطبعات السابقة :

(۱) النشرة الأولى في مجلدين في ۲۲۲ صفحة و ۱۹۰ صفحة ، وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ۱۳۱۱ — ۱۳۱۳ ، عني بها حسن أفندي الفاكهاني إلى نهاية الكراسة السابعة من الجزء الأول ، وباقي الكتاب بعناية الشيخ محمد الزهري الغمراوي ، وهذه النشرة مجردة من الصبط ، وبها تعليقات يسيرة في الجزء الأول فقط .

(۲) النشرة الثانية في ثلاث مجلدات في ۲۱۸ صفحة ، ۱۹۶ صفحة ، ۲۳۶ صفحة . وذلك في مطبعة الفتوح ومطبعة الجمالية سنة ۱۳۳۲ . أشرف عليها الأستاذ الكبير السيد محب الدين الخطيب ، ونجد في نهاية الجزء الثالث : « وكتب بعض حواشي هذا الجزء إبراهيم بن محمد الدجواني الأزهرى^(۱) ، عني عنه » . وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق ، وتمتاز عن سابقتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة ، ومما يحذر ذكره أن نلك النسخ المخطوطة غير معينة .

(۱) كان عمر الله له من أعلام أدباء الأهر ؛ ومد تلمدت له عاما في الأزهر سنة ۱۳۴۰ ومن آثاره شرح ديوان الحماسة المنسوب للرافعي . ونسره من كامل المبرد .

(٣ ، ٤) النشرة الثالثة والرابعة ، صنع الأستاذ الجليل حسن السندوبى ١٣٤٥ و ١٣٥١ وكل منهما فى ثلاث مجلدات ، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم ، وألحق بهما بعض الفهارس .

هذا وقد طبع كتاب عنوانه « منتخبات من البيان والتبيين » يقع فى ثمانين صفحة ، وذلك بمطبعة الجوائب ١٣٠١ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ . وكتاب آخر عنوانه « مختار البيان والتبيين » باعته الأديبين خليل بيدس ، وشريف النشاشيبي ، وهو فى ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣ الميلادية .

٧ - تحقيق الكتاب

عندما فرغت من تحقيق تلك المعلمة الكبيرة ، أعنى كتاب الحيوان ، رأيت أن أتمس شيئاً من الهدوء والروح ، إثر ذلك المجهود العاتى ، ولكن تلك الرغبة الملحة فى بعث مكتبة الجاحظ ، وهى رغبة توشك أن تكون جهاداً ، حملتنى أن أدخل فى الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم أثير لدى ، هو الأستاذ « عبد السلام محمد الناظر » ، الذى سعدتُ بأخوته وزمالاته زهاء ربع قرن قضينا منها ثمانى سنين جنباً إلى جنب زمان الطلب بدار العلوم ، فقد أراذنى على أن أعجل بوفاء ما وعدت به من قبل ، فكان بتلك الرغبة الكريمة وبما أخذ على عاتقه من المشاركة فى نفقات الطبع ، صاحب فضل عظيم فى ظهور هذه النشرة الحديثة من البيان التى جعلت إهداءها إليه .

وكان الأدباء من قبلُ يجدون كثيراً من العسر ، ويلمسون كثيراً من الاستغلاق ، الناجم عن تحريف النصوص وتصحيفها ، وقلة التعرض لبيان ما بها



صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي

من إشارة ، وحل ما فيها من رموز ، فلما شرعت في تحرير هذا الكتاب هالني ما رأيت في الطبقات السابقة من تحريف وتشويه ، مع أن الذين تولوا هذه النشرات علماء فضلاء ، ذلك أنهم لم يعنوا بدراسة الأصول المخطوطة دراسة متصلة ، ولم يراعوها مراعاة تامة ، فلم يسعفهم فضلهم الواسع بإخراج النسخة القريبة من السلامة ، أما نسختنا هذه فقد عورضت على المخطوطات التي أسلفت وصفها في الفصل السابق ، وصنعت — فيما نرى — على ما تقتضيه أساليب النشر الحديث ، وأعدت لها الفهارس الكاشفة عن خباياها وما بها من خير كثير .

وقد اتخذت نسخة كوبريلي أصلاً لهذه النشرة ، منبهاً على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف . وما كان من زيادة في سائر النسخ على سائر النسخ لم أنبه عليه . وهو كثير ، وما كان من زيادة في سائر النسخ أضفته بين معقنين : [] ونبهت عليه . على أنني فيما بعد صفحة ٢٩٤ من هذا الجزء قد أضربت عن هذا التنبيه ؛ تجنباً للإسهاب ، وجعلت وضع الكلمة بين المعقنين دليلاً على أنها من سائر النسخ ، وقد أثبت أرقام نسخة الأصل على جوانب الصفحات مكتفياً بذكر الصفحات عن ذكر رقم الجزء ؛ فإن الجزء الثاني من الأصل إنما يبدأ في نحو منتصف الجزء الثاني من نشرتنا هذه ، وسأنبه على ذلك في حينه .

وعُني بضبط الكتاب محققاً ما به من الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والبصرية ونحوها ، كما عني خاصة بتحقيق الأعلام وترجمتها على ما في ذلك من عُسْر شديد وجهد جهيد ، فقد أُرِبت الأعلام المترجمة في هذا الجزء فقط على الأربعمائة والأربعين ، وبذلت العناية في تحقيق النصوص وتخريجها ، ونسبة الشعر إلى قائله ، منبهاً على المراجع من الدواوين وغيرها من كتب اللغة والأدب والتاريخ والسير والحديث والتفسير والقراءات .

وأما تقسيم الكتاب فقد أبقيته كما صنع الجاحظ ، ثلاث مجلدات ، لم أحدث فيه تغييراً ، ولم أضف إليه شيئاً من العناوين .

وقد شك بعضهم في التفسيرات اللغوية التي وردت في صلب الكتاب ، فظن أنها من زيادات القراء والناسخين ، وقد فاته أن الجاحظ قد عمد إلى تفسير كثير من لغات كتابيه : الحيوان ، والبيان . ويجد القارئ في ثنايا الحيوان كثيراً من التفسيرات والنصوص اللغوية التي تناقلها اللغويون ورووها عن الجاحظ . ولقد استطعت أن أستخرج فهرساً كبيراً للمواد اللغوية الجاحظية في كتاب الحيوان ، وقع في نحو ٢٧ صفحة^(١) ، لذلك حافظت على هذه النصوص وأبقيتها في مكانها من صلب الكتاب .

٨ - الفهارس

و تضاف إلى الكتاب فهارس تقتضيها طبيعته ، وهي :

- ١ - فهرس البيان والبلاغة .
- ٢ - » الخطب .
- ٣ - » الرسائل والوصايا .
- ٤ - » الأشعار والأرجاز .
- ٥ - » الأمثال .
- ٦ - » اللغات .
- ٧ - » الأعلام .
- ٨ - » القبائل والأرهاب والطوائف .

(١) انظر الحيوان (٧ : ٥٨٨ - ٦١٥) .

- ٩ — فهرس البلدان .
١٠ — « أيام العرب .
١١ — « معالم الحضارة .
١٢ — « الكتب .
ويلحق بها من بعدُ جريدةُ تعيين المراجع والمصادر ، وطائفةٌ من
الاستدراكات العامة للكتاب .
اللهم منك نستمدّ التوفيق ، وبك نستعين ، وعليك نعتمد . والحمد لله
رب العالمين ؟

منشئة الصدر في صبيحة الاثنين { ١١ شوال سنة ١٣٦٧
١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨

عبد السلام محمد هارون

مقدمة الطبعة الثانية

كنت قد أشرت في أواخر الجزء الرابع من الطبعة الأولى أنني عثرت على نسخة خامسة من أصول الكتاب ، جلبها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة (فيض الله) بالآستانة . ورقم هذه النسخة في المكتبة هو ١٥٨٠ ورقمها في المعهد ٨٨٧ وهي مخطوطة بخط أندلسي كتبها بخطه لنفسه محمد بن يوسف ابن محمد بن يوسف بن حجاج بن زهير اللخمي ، وهو نقلها من نسخة أبي ذر محمد ابن مسعود الخثني ، وعليها بخط أبي ذر ما يفيد أن نسخة أبي ذر منسوخة من نسخة أبي جعفر البغدادي . ونسخة أبي جعفر هذه كتبت في غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ . وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (هـ) .

فكان من حظ هذه النشرة الثانية أن تظهر بمقابلة كاملة على نسخة مكتبة (فيض الله) . وبذلك امتازت هذه الطبعة بكثير من التصحيحات ، وتعديل في الشروح والتعليقات ، وبيعض الإضافات الحديثة .

وقد وجدت اشتراكاً مسخى (ل) و (هـ) في كثير من الإضافات التي كنت قد وضعتها في النشرة الأولى بين علامتي الزيادة [] مقتبسة من نسخة (ل) فقط ، فلما وجدت هذا الاشتراك سارياً في الجمهور الأعظم من هذه المواضع أغفلت وضع علامتي الزيادة في كل ما اشتركا فيه ؛ لما وضح لي أنهما أصلاً عظيمان من أصول الكتاب .

وقد أدخلت في أصول الكتاب وحواشيه ما كان قد عن لي من تصحيحات ، وما ظهر لي من صواب أخطاء الطبع ، فجاءت هذه النشرة أصح من سابقتها وأدنى إلى السكال الذي ينبغي . والحمد لله وحده .

البيان والبيان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن محمد بن الجاحظ

الجزء الأول

بمحقق وشرح

عبد السلام محمد هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر ، رحمه الله :

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نُحسِن كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن ، ونعوذ بك من السَّلاطة والهذر^(١) ، كما نعوذ بك من العيِّ والحَصَر . وقديماً ما تَعَوَّذُوا بالله من شرِّها ، وتضرَّعوا^(٢) إلى الله في السلامة منهما .

وقد قال النمر بن تولب^(٣) :

يَإَيُّهَا أَعِزَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجُهَا عِلَاجًا
وقال الهذلي^(٤) :

وَلَا حَصْرٌ بِخُطْبَتِهِ إِذَا مَا عَزَّتِ الْخُطَبُ^(٥)
وقال مكِّي بن سُوادة^(٦) :

(١) السلاطة : حدة اللسان ، والصخب . والهذر : كثرة الكلام في خطأ .

(٢) كتب إزاهما في ل : « ورغبوا » إشارة إلى أنها كذلك في نسخة .

(٣) النمر بن تولب : شاعر محضرم ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً ، وروى عنه حديثاً . وكان أحد أجواد العرب ١٥ المذكورين وفرسانهم . الإصابه ٧٨٠٣ والسعر والشعراء لابن قتيبة ، والخزانه (٢٩١ : ١) .

ويقال « النمر » بكسر الميم ، وصحح ابن دريد في الاشتقاق ١١٣ أنه بفتح النون وسكون الميم .

(٤) هو أبو العيال الهذلي ، أحد الشعراء المحضرمين ، عمرو وعائش إلى خلافة معاوية ، وكان

هو وبدر بن عامر يسكنان مصر ، خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب ، الأغاني (٢٩ : ٢٠

١٦٧) والإصابة ٨٥٣ من باب الكنى .

(٥) البيت من أبيات في الأغاني ، والقصيدة في شرح أشعار الهذليين للسكري ١٣٧ ،

ومخطوطة الشنقيطي من الهذليين ٩٥ . وفي شرح السكري : « عزت : غلبت وقلت ، عند ملك أو في جمع » .

(٦) مكِّي بن سُوادة البرجمي البصري ، ذكره المرزباني في معجمه ٤٧١ .

حَصْرٌ مُسْتَهْبٌ جَرِيٌّ جَبَانٌ خَيْرُ عِيٍّ الرِّجَالِ عِيٍّ الشُّكُوتِ

وقال الآخر : مَلَى بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُنُونٍ وَفَتْلِ أَصَابِعٍ^(١)

ومما ذموا به العِيَّ قوله^(٢) : ^{بمعناه كحل} وما بِي مِنْ عِيٍّ وَلَا أَنْطَقُ الْخَنَا إِذَا جَمَعَ الْأَقْوَامَ فِي الْخُطْبِ تَحْفِلُ
وقال الراجز وهو يمتح بدلوه :

عَلَقْتُ يَا حَارِثُ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَابِيٍّ لَا رَفْلٍ التَّرْدِيَّ^(٣)
* وَلَا عِيٍّ بَابْتِنَاءِ الْمَجْدِ^(٤) *

وهذا كقول بشار الأعمى :
وَعِيٌّ الْفَعَالِ كَعِيٍّ الْمَقَالِ وَفِي الصَّمْتِ عِيٌّ كَعِيٍّ الْكَلِمِ
وهذا المذهب شبيه بما ذهب إليه شتيم بن خويلد^(٥) في قوله :

وَلَا يَشْعُبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمِ^{نحو} وَفِي رَفْقِ أَيْدِيكُمْ لَدَى الصَّدْعِ شَاعِبٌ^(٦)
ومثل هذا قول زبَّان بن سيار^(٧) :

وَلَسْنَا كَأَقْوَامٍ أَجْدُوا رِيَّاسَةً يُرَى مَا هَا وَلَا يُحَسُّ فَعَا هَا
يُرِيغُونَ فِي الْخُصْبِ الْأُمُورَ وَنَفْعُهُمْ قَلِيلٌ إِذَا الْأُمُورُ طَالَ هُزَاهَا^(٨)

(١) هذه رواية ل . وفي سائر النسخ والكامل ٢٠ ليسك : « الأصابع » .
(٢) هو يحيى بن سعيد ، كما في كتاب العقدة والبررة لأبي عبيدة . نوادر المخطوطات
(٣) الجابي : الذي يطلع فجأة . والرفل : الذي يجر ذبل ثوبه . والتردى : لبس الرداء .
(٤) ل : « فجاني » صوابه في سائر النسخ . والرجز في الحيوان (٣ : ٤١٩) .
(٥) شتيم بن خويلد : شاعر جاهلي ، كما في الخزائن (٤ : ١٦٤) . وشتيم بهيئة المصغير .
(٦) ل : « لدى الصدع » .

(٧) ه : « وهذا كقول » . وزبان بن سيار بن عمرو انفزاري ، شاعر جاهلي كان
٢٥ بينه وبين الحادرة الذيباني مهاجرة . الأغاني (٣ : ٧٩ - ٨٠) والاشتقاق ١٧٢ .
(٨) بريغون : يطلبون ويدبرون . الأموال : الإبل .

تجربكم

وقُلْنَا بَلَا عِيٍّ وَسُسْنَا بَطَاقَةً إِذَا النَّارُ نَارُ الْحَرْبِ طَالَ اشْتِعَالُهَا
لَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعَجْزَ وَالْعِيَّ مِنَ الْخُرْقِ ، كَانَا فِي الْجَوَارِحِ أُمٌّ فِي الْأَلْسِنَةِ .
وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيُّ : عَجِبَ - نَسَبٌ :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الْأَمْرِ (١)
وَقَالُوا فِي الصَّمْتِ كَقَوْلِهِمْ فِي الْمَنْطِقِ . قَالَ أَحْيَاةُ بْنُ الْجَلَّاحِ :

وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهُ (٢) كَيْبٌ مَعْنَاهُ -

وَالْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ مَدْرَسَةٌ -
وَقَالَ مُحَرَّرُ بْنُ عُلْقَمَةَ :

لَقَدْ وَارَى الْمَقَابِرُ مِنْ شَرِّكَ بَيْتَانِ قَرْنَانِ
صَمُوتًا فِي الْمَجَالِسِ غَيْرَ عِيٍّ كَثِيرَ تَحْلُمٍ وَقَلِيلَ عَابٍ (٣) ؟
جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ
وَقَالَ مَكِّيُّ بْنُ سَوَادَةَ :

تَسَلَّمَ بِالشُّكُوتِ مِنَ الْعُيُوبِ فَكَانَ السَّكْتُ أَجْلَبَ لِلْعُيُوبِ
وَيَرْتَجِلُ الْكَلَامَ وَلَيْسَ فِيهِ سَوَى الْهَذْيَانِ مِنْ حَشْدِ الْخَطِيبِ
وَقَالَ آخِرُ (٤) :

جَمَعْتَ صَنُوفَ الْعِيِّ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَكُنْتَ جَدِيرًا بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثَبٍ (٥) ١٥

(١) فِي هَامِشٍ ل : « تَدَبَّرَ هَاهُنَا مِنَ الْإِدْبَارِ » . وَفِي اللَّسَانِ : « وَعَرَفَ الْأَمْرَ تَدَبُّرًا ،
أَيَّ بَأْخَرَةٍ . قَالَ جَرِيرٌ :

وَلَا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّرًا »

(٢) فِيمَا عَدَال : « أَحْسَنُ بِالْفَتَى » . وَسَيَعَادُ الْبَيْتَانِ فِي (٢ : ٣٧) .

(٣) ل : « كَبِيرٌ تَحْلُمٌ » ، وَالْوَجْهَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخ . ٢٠

(٤) فِي الْكَامِلِ ٢٠ لَيْبَسَكَ : « وَقَالَ رَجُلٌ يَصِفُ رَجُلًا مِنْ إِيَادِ بِالْعِيِّ ، وَكَانَ أَبْرَهُ
خَطِيبًا وَخَالَهُ » .

(٥) فِيمَا عَدَال : « وَكُنْتَ حَرِيًّا » . وَفِي الْكَامِلِ : « وَكُنْتَ مَلِيًّا » .

ثُرَيْنَ مَوْرَدٍ - رُبَا
 ٢٠ * أبوك مُمِمْ في الكلام ومُخَوِّلٌ وخالك وثابُ الجرائم في الخطب ٤
 وقال حميدُ بن ثورٍ الهلالي^(١) :

أتانا ولم يعدلْهُ سحبانٌ وائلٌ بياناً وعلماً بالذي هو قائلٌ بسـ
 فما زال عنه اللقمُ حتى كأنه من العيِّ لما أن تكلمَ باقلٌ نـ
 سحبانٌ مثلٌ في البيان ، وباقلٌ مثلٌ في العيِّ ، ولهما أخبارٌ .

وقال الآخر :

مما ~~سبح~~
 ماذا رزينا منك أم الأسود من رَحْبِ الصِّدرِ وعقلٍ مُتَلَدٍ^(٢)
 وهي صناعٌ باللسانِ واليد *
 رزينا

وقال آخر^(٣) :

لو صَحَّبتُ شهرينِ دأباً لم تَمَلْ لِي وجَعَلْتَ تُكثِرُ من قولٍ وَبَلٍ^(٤) سَمَزَ بَانِكُنَا
 حُبُّكَ للباطلِ قَدْماً قد شغلَ كِسْبُكَ عن عِيالنا قلتُ أَجَلُ بَارِ
 تَضَجُّراً مِنِّي وَعِيّاً بِالْحَيْلِ *
 تَضَجُّراً

- (١) كذا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما في اللسان (بقل ٦٥) .
 وحميد الأرقط شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً للحجاج ، كما في الخزائن
 ١٥ (٢ : ٤٥٤) نقلاً عن الأنساب . وقد ذكر الحجاج في قوله من أبيات هذه القصيدة :
 يقول وقد ألقى المراسي للمرى ابن لي ما الحجاج بالناس فاعل
 وأما حميد بن ثور الهلالي فصحابي عاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ١٨٢٠ .
 (٢) يقال رحب رحباً ، كحسن حسناً ، ورحب رحباً كتعب تعباً . والمنلد : القديم .
 وفي اللسان (تلد) :

- ٢٠ ماذا رزينا منك أم معبد من سعة الحلم وخلق منلد
 (٣) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى البهلي ، شاعر كان في عصر هارون الرشيد ، كما
 في أمالي ثعلب ١٩٤ .
 (٤) تقرأ أيضاً « وبلى » كفرج ، كما أشير ذلك في هامش ل . وفي أمالي ثعلب :
 « من قول العليل » .

هـ

قال : وقيل لبزرجهر بن البختكان الفارسي^(١) : أي شيء أستر للعبي ؟ قال : عقلٌ يجمّله . قالوا : فإن لم يكن له عقلٌ . قال : فما يستره . قالوا : فإن لم يكن له مال . قال : فإخوانٌ يعبرون عنه . قالوا : فإن لم يكن له إخوانٌ يعبرون عنه . قال : فيكون عيياً صامتاً . قالوا : فإن لم يكن ذا صمت . قال : فموتٌ وحىٌ خيرٌ له من أن يكون في دار الحياة .

وسأل الله عز وجل موسى بن عمران ، عليه السلام ، حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن حجته ، والإفصاح عن أدلته ، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه ، والحُبسة التي كانت في بيانه : ﴿ وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ .

وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب ، واستراحته إلى كل شغب ، ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحدٍ معاند ، وكل مُحْتالٍ مكائد ، حين خبرنا بقوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَمْنُونٌ . وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ . وقال موسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ . فأرسله معي ردهً يُصَدِّقُنِي وقال : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ . رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة ، والمبالغة في وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع ، وإن كان قد يأتي من وراء الحاجة ، ويبلغ أفهامهم على بعض المشقة .

ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل ، ويبلو أخبارهم كيف أحب من المحبوب والمكروه . ولكل زمان ضربٌ من المصلحة ونوعٌ من المحنة ، وشكلٌ من العبادة .

٢٠

(١) بزرجهر بن البختكان ، حكيم فارسي ، وهو الذي قص تاريخ انتساخ كتاب كليله ودمنة وترجمته من كتب الهند . وتجد كثيراً من أقواله وحكمه منشورة في عيون الأخبار لابن قتيبة . و « بن البختكان » من هـ .

ومن الدليل على أن الله تعالى حلّ تلك العقدة ، وأطلق ذلك التعقيد والحبسة ، قوله : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ . فلم تقع الاستجابة^(١) على شيء من دُعائه دون شيء ، لعموم الخبر .

وسنقول في شأن موسى عليه السلام ومسألته ، في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

وذكر الله تبارك وتعالى جميلَ بلائه في تعليم البيان ، وعظيمَ نعمته في تقويم اللسان ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح ، وبِحسن التفصيل والإيضاح ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبداع ، وسماه فرقاناً كما سماه قرآننا . وقال : ﴿ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ .

وذكر الله عز وجلَ لنبيه عليه السلام حالَ قريش في بلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها^(٣) من الدَّهَاءِ والنَّكْرَاءِ والمُكْر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللِّدِّ عند الخصومة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ . وقال : ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وقال :

(١) ل : « الإجابة » .

(٢) في النحل ١٠٣ : « وهذا لسان عربي مبين » . وفي الشعراء ١٩٥ : « بلسان عربي مبين » .

(٣) ل : « وما فيهم » .

﴿إِلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ .
ثم ذكر خلاصة الستهم ، واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم ، فقال : ﴿وَإِنْ
يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ . ثم قال ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مع قوله : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ .

وقال الشاعر في قوم يحسنون في القول ويسيثون في العمل ، قال أبو حفص^(١)
أشدني الأصمى للمكعبير الضبي^(٢) :
م كسالى إذا لاقيتهم غير منطق^(٣) يلهى به المحروب وهو
وقيل لزوهمان^(٤) : ما تقول في خراعة ؟ قال : جوع وأحاديث !

وفي شبهه بهذا المعنى قال أفنون بن صريم التغلبي :
لو أننى كنت من عاد ومن إرم غدى قيل ولقمان وذى جدن^(٥) خرو
لما وقوا بأخيهم من مهولة^(٦) أخا السكون ولا حادوا عن السن^(٧) ،
أنى جزوا عامراً سوى بفعلهم^(٨) أم كيف يجزوننى الشوائى من الحسن^(٩) .

(١) أبو حفص ، كنية عمر بن أبي عثمان الشمرى .
(٢) المكعبير الضبي اسمه حريث بن عفوظ ، كما في حواشى الكامل ٤٨ ليبسك . ١٥
والبيت التالى من أبيات منسوبة إليه في الكامل . ولكنها في الحماسة (٢ : ١٩١ - ١٩٣)
منسوبة إلى ولده محرز بن المكعبير . وهو يهجو بالشعر بنى عدى بن جندب ، وكان استنجد
بهم ليستردوا له إبله التى اغتصبها بنو عمرو بن كلاب ، فلم يصنعوا شيئاً . و « المكعبير »
بكسر الباء . وفي اللسان : « ويقال كعبره بالسيف ، أى قطعه ، ومنه سعى المكعبير الضبي ،
لأنه ضرب قوماً بالسيف » . وضبط في الحماسة بالفتح ، وأجاز التبريزى الكسر أيضاً ، تبعاً
لابن جنى في المبهج ٣٦ .

(٣) ما عدال ، هـ : « لذوهمان » .

(٤) ما عدال ، هـ : « ربيت فيهم ومن لقمان أوجدن » . والأبيات مشروحة مفصلة في
المفضليات ٢ : ٦٢ وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) . وانظر أمالى الزجاجى ٣٥ والقالى
(٢ : ٥١) .

(٥) ل : « لما قدوا » وأشير فى هامشها إلى رواية « وقوا » . ل ، هـ : « ولا جاروا » . ٢٥

(٦) ل ، هـ : « سوا » وأشير فى هامشها إلى رواية : « سواى » .

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعُلُوقُ بِهِ رُثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ
رُثْمَانُ ، أَصْلُهُ الرِّقَّةُ والرَّحْمَةُ . والرَّيْومُ أَرْقُ مِنْ الرَّعُوفِ . فَقَالَ : « رُثْمَانُ
أَنْفٍ » ، كَأَنَّهَا تَبَرُّ وَلَدَهَا بِأَنْفِهَا وَتَمْنَعُهُ اللَّبَنُ .

وَلَأَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ الْحَدِيثَ وَالْبَسْطَ ، وَالتَّائِيْسَ وَالتَّلَقَّى بِالْبِشْرِ ، مِنْ حَقُوقِ
الْقِرَى وَمِنْ تَمَامِ الْإِكْرَامِ بِهِ . وَقَالُوا : « مِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةِ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ،
وَإِطَالَةِ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ » . وَقَالَ شَاعِرُهُمْ — وَهُوَ حَاتِمُ الطَّائِي (١) :
سَلَى الْجَائِعَ الْغَرَّانَ يَا أُمَّ مُنْذِرٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَجَزَرِي
هَلْ أَبْسَطُ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
وَقَالَ الْآخَرُ :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرُ فَتَى وَخَسِيرُهُمْ لَطَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَرُبَّ نَضْوٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرِّي سُرْصَادُفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى
* إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى *

وَقَالَ الْآخَرُ (٢) :

لَحَافِي لَحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ يَتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أَحَدْتُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ
وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ (٣) :

(١) لعل هذه العبارة من زيادة بعض القراء . وإلا فإن الشعر ليس لحاتم ، بل هو
لعروة بن الورد في ديوانه ٩٩ والحماسة (٢ : ٢٥٨) .

(٢) هو عروة بن الورد العبسي ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيتان في الحماسة (٢ : ٣٣٥)

٢٠ إلى عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمي . ونسباً مع غيرهما في الأغاني (١١ : ١٤٩) إلى
العجير السلولي ، وذكر أن من الناس من ينسبهما لعروة .

(٣) هو عمرو بن سنان — وهو الأثم — بن سمي بن سنان بن خالد ، كان سيداً من
سادات قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً جميلاً ، وكان يقال لشعره « الحلل المنشرة » . وقد
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم ، وسأله الرسول عن الزبرقان بن بدر =

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق^(١)

وقال آخر^(٢) :

« يا بني نال سيفي الخصب »

أضاحك ضيفي قبل إنزال رجليه ويخصب بعندي والحل جديب ثم
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكننا وجه الكريم خصيب ماضي

ثم قال الله تبارك وتعالى في باب آخر من صفة قريش والعرب : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ

أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ وقال : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ وقال : ﴿ انْظُرْ

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ . وقال : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ

مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ .

وعلى هذا المذهب قال : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَيْزِلِقُونَكَ

بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ . وقد قال الشاعر في نظر الأعداء بعضهم إلى بعض :

يتقارضون إذا التقوا في موقف نظراً يزِيلُ مَوَاطِئُ الْأَقْدَامِ^(٣)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ

لَهُمْ ﴾ ؛ لأن مدار الأمر على " البيان والتبيين " ، وعلى الإفهام والتفهم^(٤) . وكلما

كان اللسان أبين كان أحمد ، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد .

والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل ، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم^(٥)

فدحه ثم هجاه ، ولم يكذب في الحالين ، فقال رسول الله : « إن من الشعر حكماً وإن من

البيان سحراً » .

(١) البيت من قصيدة طويلة لعمر بن الأهتم في المفضليات (١ : ١٢٣ - ١٢٥)

برواية : « فهذا صبح راهن وصديق » .

(٢) هو الخريمي ، كما في عيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) . والخريمي هو إسحاق بن

حسان بن قوهي ، كما في الحيوان (١ : ٢٢٤) .

(٣) وكذا ورد إنشاده في اللسان (قرض) . وقد أشير في هامش ل إلى رواية : « يزل

مواقع الأقدام » في نسخة . وفيما عدل : « يزيل مواقع » .

(٤) ما عدل ، ه : « البين » . (٥) ما عدل ، ه : « والتفهم » .

وكذلك المعلم والمتعلم . هكذا ظاهرُ هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة ، إلا في الخاص الذي لا يُذكر ، والقليل الذي يُشهر .

وضرب الله عزّ وجلّ مثلاً لىّ اللسان ورداءة البيان ، حين ^(١) شبه أهله بالنساء والولدان : فقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . ولذلك قال النمر بن تولب :

وكل خليل عليه الرعا^{عما} ث^ث والحُبَلاتُ، ضعيفٌ مَلِيقٌ^(٢) ما يهر^ر
 مع^{بالي} كالحل^{بالي} الرعا^{بالي} : القِرْبَطَةُ . والحُبَلاتُ : كل ما تزيّنت به المرأة من حسن الحل^{بالي}،
 والواحدة حُبْلَةٌ .

والواحدة حُبْلَةٌ .
 (الزنى)
 وليس ، حَفِظَكَ اللهُ ، مَضْرُوءٌ سُلَاطَةُ اللِّسَانِ عِنْدَ الْمَنَازَعَةِ ، وَسَقَطَاتِ الْخَطَلِ
 ١٠ يَوْمِ إِطَالَةِ الْخُطْبَةِ ، بِأَعْظَمَ مِمَّا يَحْدُثُ عَنِ الْعِيِّ مِنْ اخْتِلَالِ الْحِجَّةِ ، وَعَنِ الْحَصْرِ
 مِنْ فُوتِ دَرَكِ الْحَاجَةِ . وَالنَّاسُ لَا يَعْثُرُونَ الْخُرْسَ ، وَلَا يَلُمُونَ مَنْ اسْتَوَلَى عَلَى
 بَيَانِهِ الْعِجْزُ . وَهُمْ يَذْمُونَ الْحَصْرَ ، وَيُؤَنِّبُونَ الْعِيَّ ، فَإِنْ تَكَلَّفَا مَعَ ذَلِكَ مَقَامَاتِ
 الْخُطْبَاءِ ، وَتَعَاطَيَا مَنَاظِرَةِ الْبُلْغَاءِ ^(٣) ، تَضَاعَفَ عَلَيْهِمَا الذَّمُّ وَتَرَادَفَ عَلَيْهِمَا التَّأْنِيبُ .
 ١١ وَبِمِائَتَيْنِ الْبَعَى الْحَصْرَ لِلْبَلِيعِ الْمِصْقَعِ ، فِي سَبِيلِ مِمَاتِنَةِ الْمُنْقَطَعِ الْفَجِّمِ لِلشَّاعِرِ
 ١٥ الْمَفْلُوقِ ^(٤) ؛ وَأَحَدُهَا الْيَوْمُ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَالْأُخْرَى إِلَيْهِ أَسْرَعُ .

وليس الأجلج والتتمام ، والألثغ والقافاء ، وذو الحُبسة والحُكلة والرُّتَّة^(٥) ،
وذو اللَّفَفِ والعجلة^(٦) ، في سبيل الحَصْرِ في خطبته ، والعِيَّ في مناضلة خصومه ،

(۱) ل : « حتی » .

(٢) البيت في اللسان (رعث) . والتفسير بعده ساقط من هـ .

(٣) ل : « مناضلة البغاء » .

(٤) ماتن فلان فلاناً ، إذا عارضه في جدل أو خصومة .

(٥) الحكلة : شبه العجبة ، لا يبين صاحبها الكلام . والرتة : عجلة في الكلام

وقلة أناة .

(٦) رجل ألف ، أى عيسى بطيء الكلام ، إذا تكلم ملأ لسانه فيه .

كما أن سبيلَ المُفَحِّمِ عند الشعراء ، والبكى عند الخطباء ، خلافُ سبيلِ المُشْتَهَبِ
 الثَّرَارِ ، والخطِطِ المِثْثَارِ .
 ثم اعلم - أبقاك الله - أن صاحب التشديق والتعقيب والتعقيب (١) من
 الخطباء والبغاء ، مع سِجَاة التكلّف ، وشُعْعة التزيّد ، أُعْذِرُ من عِيٍّ يتكلّف
 الخطابة ، ومن حَصِرٍ يتعرّض لأهل الاعتِيَادِ والذُّرْيَةِ . ومدارُ اللّائِمَةِ ومستقرُّ
 المذمّة حيث رأيت بلاغةً يخالطها التكلّف ، وبياناً يمازجه التزيّد . إلا أن تعاطيَ
 الحَصِرِ المنقوصِ مقامَ الدربِ التامِّ ، أقْبَحُ من تعاطيِ البليغِ الخطيبِ ، ومن
 تشادُقِ الأعْرَابِيِّ القُحِّ . وانتحالُ المعروفِ ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ ،
 وفي التعبير والارتجال ، لأنة البحرُ الذي لا يُنْزَحُ ، والغَيْرُ الذي لا يُسْبَرُ ، أيسرُ
 من انتحالِ الحَصِرِ المنخوبِ أنه في مسالِخِ التامِّ (٢) الموقرِ ، والجامع المحكِّك (٣) .
 وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : « إياي والتشادُق » ، وقال :
 « أبغضكم إلىَّ الثَّرَارُونَ المتفهبون » (٤) ، وقال : « مَنْ بدا جفا » ، وعاب
 الفدّادين (٥) والمزِيدِينَ ، في جَهَارَةِ الصَّوْتِ وانتحالِ سعة الأَشْدَاقِ ، ورُحْبِ
 الغلاصِمِ وهَدَلِ الشِّفَامِ ، وأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْوَبْرِ أَكْثَرُ ، وفي أَهْلِ الْمَدَرِ
 أَقَلُّ - فإذا عابَ المَدْرِيَّ بأكْثَرِ مَا عَابَ بِهِ الْوَبْرِيَّ (٦) ، فما ظَنُّكَ بِالْمَوْلِدِ الْقَرَوِيِّ ١٥
 والمتكلّفِ الْبَلَدِيِّ . فَالْحَصِرُ المتكلّفُ والعِيُّ التزيّدُ ، ألْوَمُ من البليغِ المتكلّفِ

- (١) التعقيب : أن يتكلم بأقصى قعره . والتعقيب في الكلام كالتعقيب فيه .
 (٢) المنخوب : الجبان الضعيف القلب . والمسلاخ ، الجلد ، أراد أنه في هيئته ومنزلته .
 (٣) المحكك : المنجد ، الذي جرب الأمور وعرفها .
 (٤) المتفهبون : الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء والاتساع .
 (٥) في الحيوان (٥ : ٥٠٧ - ٥٠٨) : « الفداد : الجاني الصوت والكلام » .
 وقد ساق في ذلك في خبراً وحديثاً .
 (٦) المَدْرِي : الحضري ، ومباني أهل الحضر بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس .
 والوَبْرِي : ساكن البادية ، والبداة يتخذون بيوتهم من الوبر .

لأكثر مما عنده . وهو أعذر ؛ لأنَّ الشبهة الداخلة عليه أقوى . فمن أسوأ حالا — أبقاك الله — ممن يكون ألوم من المتشدقين ، ومن الثرثارين المتفيهقين ، ومن ذكره النبي صلى الله عليه وسلم نصاً ، وجعل النهي عن مذهبه مفسراً ، وذكر مقتله له وبغضه إياه .

ولما علم واصل بن عطاء^(١) أنه ألغى فاحش اللغ ، وأن يخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالة ، ورئيس نحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنه لا بد له من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطوال وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ، وإلى ترتيب وريضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، (وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة ، كحاجته إلى الجزالة والفخامة)^(٢) ، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب ، وتثني به الأعناق^(٣) ، وتزين به المعاني ؛ وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام ، واللسان المتمكن والقوة المتصرفة ، كنعو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام من التوفيق والتسديد ، مع لباس التقوى وطابع النبوة ، ومع المحنة^(٤) والاتساع في المعرفة ، ومع هدى النبئين وسمت المرسلين ، وما يغشهم الله به من القبول

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي ، المعروف بالغزال ، وكان يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت : الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر - خرج واصل عن الفريقين ، وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد ، فقبل لهما ولاتباعهما معتزلون . ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٨١ . ابن خلكان ، ولسان الميزان (٦ : ٢١٤) .

(٢) فيما عدل : « إلى الجلالة والفخامة » .

(٣) فيما عدل ، هـ : « وتثني إليه الأعناق » .

(٤) المحنة : الامتحان والاختبار . فيما عدل : « المحبة » .

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثة شنيعاً ، وكان طويل العنق جداً ؛ ولذلك

قال بشار الأعشى :

مالي أشايح غزاً لا له عنق^(١) كينقنق الدؤ^(٢) إن ولي وإن مثلاً^(٣)
عنق الزرارة ما بالي وبالكُم أتكفرون رجالاً أكفروا رجلاً

فلما هجا واصل وصوب رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، وقال :
الأرض مظلمة والنار مشرقة^(٤) والنار معبودة مذ كانت النار
وجعل واصل بن عطاء غزاً لا ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول
صلى الله عليه وسلم ، ف قيل له : وعلى أيضاً ؟ فأنشد :

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^(٥) مزين

قال واصل بن عطاء عند ذلك : « أما لهذا الأعشى الملحد المشنف المكنى
بأبي معاذ من يقتله^(٦) . أما والله لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية ، لبعثت^(٧)
إليه من يبيع بطنه على مضجعه ، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله ، ثم كان
لا يتولى ذلك منه إلا عقيلي أو سدوسي^(٨) » .

قال إسماعيل بن محمد الأنصاري ، وعبد الكريم بن روح الغفاري : قال
أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمرى : ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا
وأتما للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف ،
مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام . ألا تريان أنه حين لم يستطع

(١) النمنق ، بكسر النونين : ذكر النعام . والدو والدوية والداوية : الفلاة .
(٢) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته . ل : « وما دون الثلاثة » وهي رواية غريبة .
٢ صبح القوم : سقايم الصبوح : والمراد به الخمر . ما عدا ه : « لا تصحبينا » .
(٣) المشنف : الذي لبس الشنف ، وهو بالفتح : القرط في أعلى الأذن . وفيما عدل .
« المكنتى » بدل « المكنى » . وانظر الكامل ٤٨٨ ه ليسك .
(٤) بشار بن برد من أصل فارسي ، وكان أبوه برد مولى لأم الأطباء العفيلية السدوسية ،
فادعى بشار أنه مولى بني عقيل لنزوله فيهم . الأغاني (٣ : ٢٠) .

أن يقول بشار ، وابن بُرد ، والمرعث ، جعل المشنف بدلا من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ؛ وقال : لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرة^(١) ؛ لمكان الرأ ؛ وقال : لبعثت إليه من يبيع بطنه ، ولم يقل : لأرسلت إليه ؛ وقال : على مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

وكان إذا أراد أن يذكّر البرّ قال : القمح أو الحنطة . والحنطة لغة كوفيّة . والقمح لغة شاميّة . هذا وهو يعلم أن لغة من قال برّ ، أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة . وقال أبو ذؤيب الهذلي^(٢) :

لا درّ درّى إن أطعمت نازلم قرف الحيتيّ وعندي البرّ مكنوز^(٣) .

وقال أميّة بن أبي الصلت في مديح عبد الله بن جدعان^(٤) :

له داع بمكة مشجّل^{وادي} وآخر فوق دارته يُنادي كمر^{وادي} من غار^{وادي} .

(١) المنصورية : إحدى فرق الغالية من الشيعة ، وهم أصحاب منصور العجلي ، وكان يزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء ، وأن أول ما خلق الله عيسى عليه السلام ، ثم على بن أبي طالب . انظر الملل (٢ : ١٤) ومفاتيح العلوم ٢٢ والمواقف ٩٢٥ والفرق بين الفرق ٢٣٤ . والمغيرة : فرقة من غلاة الشيعة أيضاً ، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي . وكان مولى نخلة بن عبد الله القسري ، ادعى النبوة لنفسه ، وغلا في حق علي خلوا ظاهراً . ١٥ انظر الملل (٢ : ١٣) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٢٤ والفرق بين الفرق ٢٢٩ والحيوان (٢ : ٢٦٧) .

(٢) وكذا نسبه الجاحظ في الحيوان (٥ : ٢٨٥) . وفيما عدال : « المنتخل الهذلي » وهذه النسبة الأخيرة في القسم الثاني من مجموعة أشعار الهذليين ص ٨٧ وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) . وانظر اللسان (٥ : ٣٦٥ / ١٨ : ١٧٩) وجمهرة الأمثال للعسكري ١٧٩ . ٢٠

(٣) القرف ، بالكسر : القشر . والحيتي : سويق المقل ، وقيل رديته ؛ وقيل يابسه .

(٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن ثيم ، أحد أجواد العرب في الجاهلية ، وكان ممدحاً لأمية بن أبي الصلت ، مدحه بقوله :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن نيمتلك الحياء

ثم بقوله :

٢٥

عطاؤك زبن لأمري إن حبوته يبذل وما كل العطاء يزبن

وكان له أمتان تسميان الجرادتين ، فوهبه إياهما . الأغاني (٨ : ٢ - ٤) .

(٢ - البيان - أول)

إلى رُدُحٍ / من الشَّيزَى عليها ^(١) لُبَابُ الْبُرِّ يُبَابُكَ بِالشَّهَادِ ^(٢)

وقال بعض القرشيين يذكرو قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة في كلمة له :

قيس أبو الأشعث بطريق اليمن لا يسأل السائل عنه ابن من ^(٣)

* أَشْبَعَ آلَ اللَّهِ مِنْ بُرٍّ عَدَنُ *

بني ربيعة

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أَتُرَوْنَ إِنِّي لَا أَعْرِفُ رَقِيقَ الْعَيْشِ ؟ »

لُبَابُ الْبُرِّ بِصَغَارِ الْمَغْزَى ^(٤) .

وسمع الحسن رجلاً يعيب الفالوذق ، فقال : « لُبَابُ الْبُرِّ ، بِأَعَابِ النَّحْلِ ،

بِخَالِصِ السَّمَنِ ، مَا عَابَ هَذَا مُسْلِمٌ ! » .

وقالت عائشة : « مَا شَبَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْبُرَّةِ .

بَدَأَ السَّيْرَ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا » .

وأهل الأبيصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك

تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .

حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لحمد بن

المناذر الشاعر ^(٥) : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة

١٠ (١) الردح : جمع رداح : كسحاب ، وهي الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود

تتخذ منه القصاع . واللباب : الخالص . والشهاد : بالكسر : جمع شهد ، وهو العسل . وقد

نسب البيت في اللسان (شيز) إلى ابن الزبيري ، وفي (ردح ، شهد) إلى أمية .

(٢) ل : « يا ابن من » . والسائل تقرأ بالرفع بمعنى أنه لا يحتاج إلى التعريف بأبيه ،

وبالنسب بمعنى أنه يعطى من يعرف ومن لا يعرف .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨١) .

(٤) هو محمد بن مناذر ، مولى بني صبر بن بربوع ، كان إماماً في علم اللغة وكلام العرب ،

وكان في أول أمره ناسكاً ملازماً للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن

هيد الوهاب الشنقى ، فتهنك بعد ستره ، وفتك بعد نسكه . وكان معاصراً للأصمعي وخلف

الأحر وأبي الغنمية وأبي نواس . ومناذر ، بضم الميم . لمحمد أخبار حسان في الأغاني

٢٠ (١٧ : ٩ - ٣٠) .

لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَجِفَانِ كَابُجُوا بِي وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ ^(١) 》 . وأتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت علية ^(٢) ، وتجمعون هذا الاسم على علالي ، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ 》 وقال : ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ 》 . وأتم تسمون الطلع الكافور ؟ ^(٣) والجور ^(٤) والإغريض ونحن نسميه الطلع . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ 》 . فعده عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلا هذا . ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من القُرُس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، ويسمون السميطة ^(٥) الرزديق ^(٦) ، ويسمون المصوص ^(٧) المزور ^(٨) ، ويسمون الشطرنج الأشرنج ، في غير ذلك من الأسماء . وكذلك أهل الكوفة ؛ فإنهم يسمون المسحاة بال ، وبال بالفارسية . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه ، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب .

١٥

(١) كالجوابي ، هذا ما في ل ، د : وهي فراءة ورش وأبي عمرو في الوصل ، وابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف . وقراءة سائر القراء : (كالجواب) وهي ما في سائر النسخ . وانظر الحيوان (٤ : ٦ / ٩١ : ١٦٣) .

(٢) العلية ، بكسر العين وضمها مع تشديد اللام المكسورة ، لغتان .

(٣) السميطة ، كشریف وبهيثة التصغير أيضاً : الآجر القائم بعضه فوق بعض . والرزديق ، فارسي معرب ، وأصله بالفارسية « رسته » ومعناه السطر والصف من النخل وغيره . وفي الأصول : « الرودق » محرف .

(٤) المصوص : لحم ينقع في الخل ويعطبخ .

ويسمى أهل الكوفة الخوكة الباذرُوج^(١) ، والباذرُوج بالفارسية ، والخوكة جمع خوكة كلمة عربية . وأهل البصرة إذ التقت أربع طرق يسمونها مربعة ، ويسمونها أهل الكوفة الجهارسوك ، والجهارسوك بالفارسية . ويسمون الشوق والسوية « وازار » ، والوازار بالفارسية . ويسمون القثاء خيارا ، والخيار بالفارسية . ويسمون المجذوم ويذى ، بالفارسية .

وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها غيرها أحق بذلك منها . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والمعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين . ألا تراهم لا يجمع الأرض أرضين ، ولا السمع أسماء . والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ ١٤ ١٥ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج .

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر ، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه ، وكذلك المثل السائر .

وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والثوية ٢٠ بعض من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أن العامة ابن القرية^(٢) عندها أشهر في

(١) الباذرُوج ، ذكر في المعجم ١٠ أنه ربحانة معروفة .

(٢) ابن القرية ، هو أبو سليمان أيوب بن زيد ، كان أعرابياً أمياً . وهو معدود في

جولة الخطباء المشهورين ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٤ . والقرية ، بكسر القاف وتشديد =

الخطابة من سبحان وائل . وعبيد الله بن الحر^(١) أذكرُ عندهم في القروسية من زهير بن ذؤيب . وكذلك مذهبهم في عنزة بن شداد ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب^(٢) . وهم يضربون المثل بعمر بن مَعْدِيكَرَب ، ولا يعرفون بسطام بن قيس^(٣) .

- وفي القرآن معان لا تكاد تفترق ، مثل الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرغبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس .
- قال قطرب : أنشدني ضرار بن عمرو^(٤) قول الشاعر في واصل بن عطاء :
ويجعل الرُّقْمَ قَمَحًا في تصرُّفه وجانبَ الرِّاءِ حتَّى احتال للشَّعرِ^(٥)
بِأَمَامِ

= الراء المكسورة : اسم لإحدى جداته . وذكر الأصبهاني في الأغاني أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أخبارهم ولا حفيضة لهم ولا وجود في الدنيا ، وهم مجنون ليلي ، وابن القرية ، وابن أبي العقب . انظر وفيات الأعيان والمعارف ٢٥٨ والأغاني (١ : ١٦٣) .

(١) عبيد الله بن الحر الجعفي : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب ابن الزبير منافسة ، صمد عبيد الله لرجال مصعب صموداً ، ولكن أصحابه نفرقوا عنه فخاف أن يؤسر فآلى بنفسه في الفرات فمات غرقاً . وكان عبيد الله شاعراً فحلاً . انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٨ والحيوان (١ : ١٠٣ - ١٠٤) .

(٢) كان فارس تميم ، وفيه يقول عمرو بن معديكرب : « ما أبالي أي ظليمة لقيت على ماء من أمواه معد ، ما لم يلفني دونها عبداها أوحراها » . يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة ابن الحارث ، وبالعبد بن عنزة والسايك بن السلكة . الأغاني (١٤ : ٢٧) .

(٣) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، سيد نيبان ، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة .

(٤) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية ، وكان في بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي ، ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق بين الفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أبي بن كعب ، ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد ابن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي ، فأمر بضرب عنقه ٢٥ فهرب ، وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) .

(٥) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء « السبد » بالتحريك ، و « الهلب » بالضم ، و « المسيحة » ، وجمعها مسائح . و « الجمة » : ما طال من الشعر ، و « اللمة » : ما زاد على الجمة . و « الخصلة » ، بالضم : ما اجتمع من الشعر ، كذلك . انظر المخصص (١ : ٦٢ - ٦٩) .

ولم يُطَقْ مطراً والقول يُعَجَّلُهُ فَعَاذَ بِالْغَيْثِ ^{خُرْ} إِشْفَاقًا ^{خُرْ} مِنَ الْمَطَرِ
 قال وسألت عُثْمَانَ الْبُرِّيَّ ^(١) : كيف كان واصلٌ يصنع في العدد ؛ وكيف كان
 يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؛ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء
 وشهر رمضان ، وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر
 وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قولٌ إلا ما قال صفوان :

مُلَقَّنٌ مَلَهُمْ ^{أَرَادَهُ كَرَامَةً} فِيمَا ^{تَدَابِيرُ} يَحَاوِلُهُ ^{أَرَادَهُ كَرَامَةً} جَمَّ خَوَاطِرُهُ جَوَابُ آفَاقٍ

وأنشدني دبسم ^(٢) قال : أنشدني أبو محمد اليزيدى :

وَحَلَّةٌ ^{وَحَلَّةٌ} الْفِظْ فِي الْيَاءَاتِ ^{وَحَلَّةٌ} إِنْ ذَكَرْتَ كَحَلَّةِ الْفِظْ فِي اللَّامَاتِ وَالْأَلْفِ ^(٣)

وَحَصْلَةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ فَاعْرِفْ مَوَاقِعَهَا فِي الْقَوْلِ وَالصَّحْفِ ^(٤)
 يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد . واعتبر
 ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ؛
 فإنك متى حصلت جميع حروفها ، وعددت كل شكل على حدة ، علمت أن
 هذه الحروف الحاجة إليها أشد .

(١) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البري الكندي البصري . قال السمعاني في الأنساب ١٥ ٧٧ : هذه النسبة إلى البر وهو الحنطة ، وهذه النسبة إلى بيعة ، والمشهور بهذا الانتساب أبو سلمة عثمان بن مقسم البري الكندي مولى لهم من أهل الكوفة يروى عن قتادة ، وابن أبي إسحاق ، وحماد بن أبي سليمان ، وجابر ، وعاصم بن أبي النجود . وكان قدريا معروفاً بالكذب ووضع الحديث . لسان الميزان (٤ : ١٥٥) .

(٢) هو دبسم العنزي أحد من هجأهم بشار . الحيوان (١ : ١٨٣) . وكان بشار ٢٠ كثير الولوع بدبسم العنزي ، وكان صديقاً له ، وهو مع ذلك يكثر هجاءه . الأغاني (٣ : ٢٧) .

(٣) الحلة ، بالفتح : الحصلة . فيما عدل : « إن فقدت » ؛ والمعنى يتجه بكل منهما .

(٤) أشير في هامش ه إلى رواية : « وحصة » في نسخة .

ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه :

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما خبرنا به الأصمعي قال : أنشدني المعتز بن

سليان ، لإسحاق بن سويد العدوي :

برئت من الخوارج لست منهم
ومن قوم إذا ذكروا علياً
ولكنني أحبُّ بكلِّ قلبي
رسول الله والصدِّيقَ حُبًّا
من الغزال منهم وابنِ باب^(١)
يردُّون السَّلامَ على السَّحابِ
وأعلمُ أنَّ ذاكَ من الصَّوابِ
به أرجو غداً حُسن الثَّوابِ^(٢)
وفي مثل ذلك قال بشار :

مالي أشايحُ غزَّالاً له عنق
كنيقي الدَّوَّ إن وليَّ وإن مثلاً^(٣)

ومن ذلك قول معدان الشُّميطي^(٤) :

← يوم تُشَفَّى النَّفوسُ من يَعْصُرِ اللُّؤْمُ
وعَـدِيّ وتَيمِها وثَقِيفٍ
لا حَرُّوراً ولا النَّواصِبُ تَنْجُو
لا ولا صَحْبُ واصلِ الغزَّالِ^(٥)
م ويثنى بِسَامَةِ الرِّحَالِ^(٦)
وأُمَيّ وتَغَلِبٍ وهلالٍ

(١) يعني بالغزال واصل بن عطاء . وابن باب ، هو عمرو بن عبيد ، من شيوخ المعتزلة ،
وأحد الزهاد المشهورين . توفي بمران سنة ١٤٤ ورثاه المنصور . قالوا : ولم يسمع بخليفة رثى
من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ . وانظر لتعليل تسمية المعتزلة بالخوارج
الفرق بين الفرق ٩٩ حيث أنشد البيتين . وفي اللسان (عزل ٤٦٧) : « من الغزال » بالعين
المهملة . وانظر الكامل ٥٤٦ .

(٢) فيما عدل : « حسن المآب » . (٣) سبق البيت في ص ١٦ .

(٤) هو أبو السري معدان الأعمى الشميطي المديري . ونسبته إلى الشميطية ، وهي
فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، تنتمي إلى أحر بن شميظ صاحب المختار . وقد قتلها معاً
مصعب بن الزبير . ما عدا هـ : « السميطي » تصحيف . انظر الفرق بين الفرق ٣٦ ، ٣٩ ،
ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٢٣٣ والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٥) يعصر : أبو قبيلة ، وهو يعصر - ويقال أعصر أيضاً - بن سعد بن قيس بن غطفان .
انظر الاشتقاق ١٦٤ والمعارف ٣٦ والقاموس (عصر) . وسامة ، هو سامة بن لؤي ، ولقبه
بالرحال لأن أخاه عامر بن لؤي توعده حين فقأ عينه ، فرحل إلى عمان هارباً حيث لقي حتفه
في الطريق . انظر سيرة ابن هشام ٦٣ جوتنجن .

(٦) النواصب ، والناصبية ، وأهل النصب : المتدينون بينضة على ؛ لأنهم نصبوا له ، =

وكان بشارٌ كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشارٌ بالرجعة ، ويكفر جميع الأئمة . وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان^(١) وشبيب بن شيبه^(٢) ، ١٦ والفضل بن عيسى^(٣) ، يومَ خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وإلى العراق :

أبا حذيفة قد أوتيت مُعْجِبَةً في خُطْبَةٍ بَدَّهَتْ من غير تقدير ١٧
وإنَّ قولاً يروق الخالدين معاً لَمْسِكْتَ مَخْرَسَ عن كلِّ تحبير^(٤)
لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الرأ^(٥) ، كانت مع ذلك أطول

من خطبهم . وقال بشار :

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلُوا وحَبَّرُوا خطباً نَاهِيكَ من خُطْبِ ١٨
فقام مَرَّجِلاً تَغْلَى بَدَاهَتُهُ كَرَجَلِ الْقَيْنِ لما حَفَّ بِاللَّهَبِ مَيُونِ
١٩ وجَانِبَ الرَّاءِ لم يَشْعُرْ بها أحدٌ قبل التَصَفُّحِ والإغراقِ في الطَّلَبِ^(٦)
وقال في كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهذا بديهة لا كتجبير قائل إذا ما أراد القول زوره شهرا^(٧)

= أى عادوه . فيما عدل ، هـ : « النوائب » تحريف ، صواب هذه « النوابت » كما في هـ . وقد أشير إلى هذه الرواية الأخيرة في هامش ل .

١٥ (١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهم ، كان قريباً لشبيب ، وعلما من أعلام الخطابة ، وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبي العباس ، وكان مطلقاً ، روى أنه قال : « ما من ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائي ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلى بنتي بسليمة فيها طعامي ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » . المعارف ١٧٧ . (٢) شبيب بن شيبه ، كان من رهل خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ،

٢٠ وهو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم . وسيرد ذكره فيما بعد .

(٣) في هامش هـ : « يعنى بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه » .

(٤) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، وسيترجم له في باب أسماء الخطباء والبلغاء .

(٥) خطبة واصل بن عطاء التي بجانب فيها الرأ محفوظة في مكتبة مدرسة النبی شیث

بالموصل . انظر مخطوطات الموصل ص ٢٠٨ . وقد عثرت على نسخة من الخطبة ملحقة بنهاية

٢٥ نسخة فيض الله من البيان ونشرتها محققة في نوادر المخطوطات ١ : ١١٧ - ١٣٦ .

(٦) فيما عدل : « لم يشعر به أحد » ، وهي رواية الأغاني (٣ : ٥٩) .

(٧) زور الكلام : أصلحه وهياه .

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لم ياديه ، هجوه ونفوه ، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبيد . وقال صفوان الأنصاري :

متى كان غزال له يا ابن حوشب (١)
أما كان عثمان الطويل ابن خالد (٢)
له خلف شعب الصين في كل ثغرة (٣)
رجال دعاة لا يفل عزيمتهم (٤)
إذا قال مرثوا في الشتاء تطوعوا (٥)
بهجرة أوطان وبذل وكلفة
فأنجح مساعهم وأثقب زندهم (٦)
ولأوتاد أرض الله في كل بلدة (٧)
وما كان سحبان يشق غبارهم (٨)
ولا الناطق النخار والشيخ دغفل (٩)

(١) عيسى بن حاضر ، أحد رجال المعتزلة ، وكان صاحب عمرو بن عبيد ، انظر الحيوان (١ : ٣٣٧ - ٣٣٨) .

(٢) حفص ، هو حفص الفرد ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ١٥ يسك ، وذكر أنه من الهجرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . والنية ، بالضم : غاية كل شيء ، كالنهاية . والمخاطر : الذي يخاطر غيره ، أي يراهنه .

(٣) السوس الأقصى : كورة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس الأدنى : بلدة بالأهواز .

(٤) العزيم والعزيمة والعزم والمعزم ، بمعنى . والتهكم : والتكبر ، ويقال تهكم عليه ، إذا اشتد غضبه .

(٥) تطاوع للأمر وتطوع به وتطوعه : تكلف استطاعته . فيما عدل : « تطاوعوا » و : « وإن كان صيفاً » .

(٦) أثقب الزند : قدحه فأخرج منه النار . وأورى الزند إيرا : أثقبه .

(٧) التشاجر : التنازع والاختلاف في الخصومات ، أراد النزاع الكلامي .

(٨) الشدق : جمع أشدق ، وهو المتفوه ذو البيان .

(٩) النخار ، هو النخار بن أوس العذري ، قال فيه صاحب القاموس « أنسب العرب » .

وكان معاصراً لخميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني (٧ : ٩٥) . وسيأتي قول الجاحظ في علة تسميته بالنخار ، أنه ربما جرى في الكلام فنخر . ودغفل ، هو دغفل بن حنظلة =

ولا القالة الأعْلُون رهط مكحل^(١) إذا طلقوا في الصلح بين العشائر^(٢)
 بجميع من الجفان راض وساخط وقد زحفت^(٣) بداؤهم للمحاضر^(٤)
 — الجفان : بكر وتميم . والروقان : بكر وتغلب . والغاران : الأرذ وتميم .
 ويقال ذلك لكل عمارة من الناس^(٥) ، وهي الجمع ، وهم العائر أيضاً : غار .
 والجلف أيضاً : قشر الطابعة — .

نلقب بالغزال واحد عصره فمن الليثي والقبيل المكائر^(٦)
 ومن لحروري وآخر رافص وآخر مرجي وآخر جابر^(٧)
 وأمر بمعروف وإنكار منكر وتحصين دين الله من كل كافر
 يصيبون فضل القول في كل موطن كما طبقت في العظم مدية جازية^(٨)
 تراهم كأن الطير فوق رؤوسهم على عمة معروفة في المعاش^(٩)
 وسياهم معروفة في وجوههم وفي المشي حجاجاً وفوق الأباغر^(١٠)
 وفي ركة تأتي على الليل كله وظاهر فول في مثال الضائر^(١١)
 وفي فص هذاب وإحفاء شارب وكور على شيب يضي لناظر^(١٢)
 وعنفقة مصـلومة ولنعلية قبالان في رذن رحيب الخواصر^(١٣)
 فنلك علامات تحيط بوصفهم وليس جهول القوم في علم خابر^(١٤)

السدوسي ، أدرك السى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية ومكة الأزارقة . انظر
 أمثال المداني : « أنسب من دعمل » والإصابة ٢٣٩٥ .

(١) مكحل ، هو عمرو بن الأهم المقرئ ، كما سيأتي في ص ٣٥٥ .

(٢) الداء جمع باد ، وهو ساكن النادية . والمحاصر : المناهل يجمعون عليها .

(٣) الحب ، والرو ، والعار : الجمع الكبير من الناس .

(٤) ه ، ب « حائر » .

(٥) الكور لوب العمامة ، أي لإدارتها على الرأس .

(٦) العنقة : ما بين السرة السلى والدق . قبال النعل . رماها .

(٧) ه ، ب : « في جرم خابر » .

وفي واصل يقول صفوان :

فما مسّ ديناراً ولا صرّ درهما ولا عرف الثوب الذي هو قاطعه
وفيه يقول أسباط بن واصل الشيباني : ^{وضع في القفزة}

وأشهد أنّ الله سمالك واصلا وأنك محمود النقية والشيم ^{الشمس}

ولما قام بشار بعذر^(١) إبليس في أنّ النار خير من الأرض ، وذكر واصلا

بما ذكره به ، قال صفوان :

زعمت بأنّ النار أكرم عنصراً وفي الأرض تحيا بالحجارة والزبد^(٢)

وتخلق في أرحامها وأرومها أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد^(٣)

وفي القعر من لجّ البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

كذلك سرّ الأرض في البحر كله وفي الفيضة الغناء والجبل الصلح

ولا بدّ من أرض لكل مطير وكلّ سبوح في الغائر من جد^(٤)

كذاك وما ينساح في الأرض ماشيا على بطنه مشى المجانب للقصد^(٥)

ويشري على جلد يقيم حوزة ^{الذي يري} تعمج ماء السيل في صلب حرد^(٦)

وفي قلل الأجيال خلف مقطم زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد^(٧)

(١) فيما عدل ، هـ : « بعدر » . ١٥

(٢) يعني أنّ النار كرامة في الحجارة والرند .

(٣) الأروم . جمع أرومه ، وهي الأصل . والعقد صرف من الحساب .

(٤) ما عدا هـ : « لكل مطهر » ولا يسعيم به المعنى ، وصوابه من هـ والعرق بين العرق ٤٠

حيث أنشد القصيدة . والغائر : جمع صغر ، وهو الماء الكثير . والجذ ، بالضم والفتح : شاطئ النهر ، أي لا بد لكل سائح من ساطى . ٢٠

(٥) ينساح : يمشى على بطنه . ل : « كذلك ما ينساح » .

(٦) التعمج : اللوى . والصلب : الموضع المنحدر . والحرد : المسحى المعتزل .

(٧) المقطم : جبل عمد من أسوان على ساطى النيل الشرقى حتى يكون منقطعه طرف

القاهرة . قال ناقوت : « وذكر قوم أنه جبل الزبرجد » . والأملاك : الملوك .

وفي الحرّة الرجلاء ^{نحت} تُنقى معادن
من الذهب الإبريز والفضة التي
كوكل فياز من نحاس وآئك
وفيها زرايخ ومكر ومرك
وفيها ضروب القار والشب والمها
ترى العرق منها في المقاطع لأثما
ومن إثمجد جون وكليس وفضة
وفي كل أغوار البلاد معادن
وكل ^{يوأقيت} الأنام وحليها
وفيها مقام الخلل والركن والصفاء
١٠

لهن مغارات تبجس ^(١) بالنقد
تروق وتبضي ذا القناعة والزهد
ومن زيتق ^{نوشادر} حتى ونوشادر ^(٢) يسدي
ومن مرقشينا غير كاب ولا مكدي ^(٣)
وأصناف كبريت مطولة ^(٤) الوقد ^(٥)
كما قدت الحسناء حاشية البرد
ومن توتياء في معادنه هندی
وفي ظاهر البيداء من مستو نجد ^(٥)
من الأرض والأحجار فاخرة المجد
ومستلم الحجاج من جنة الخلد

(١) الحرة : أرض حجارتها سوداء ، والرجلاء : التي لا استطاع المشي فيها حتى يترجل فيها ؛ لخشونتها وصعوبتها . تبجس بالنقد ، أي تنفجر بالذهب والفضة .
(٢) الفلز : جواهر الأرض كلها . والآئك : الأسرب ، وهو الرصاص القلبي . وقال كراع : هو القزدير . وجعل الزيتق حيا لسرعة حركته . والنوشادر ، بالذال المضمومة ، ويقال بالمهملة أيضاً : حجر صاف كالبلور . انظر حواشي الحيوان (٥ : ٣٤٩) . فيما عدل ، ه : « ونوشادر » . وفي الفرق بين الفرق ٤٠ : « ونوشادر سندي » نسبة إلى السند . قال داود « يكون بالبلاد الحارة » .

(٣) الزرنيخ : معدن له ألوان كثيرة ، منها الأصفر والأحمر والأخضر ، وأجودها الصفائح الذي يستعمله النفاثون الذي له لون كلون الذهب ، وكانت صفائح تنقش وكأنها مركبة بعضها فوق بعض . المعتمد لابن رسول ١٤٠ . وفي اللسان أنه لفظ أعجمي ، وضبط فيه وفي المغرب ١٧٤ بكسر الزاي . والمكر ، بالفتح : المغرة ، وهي طين أحمر يصبغ به . والمرتك : مبيض المر داسنج . والمر داسنج : رصاص غبيط وأسرنج أو رصاص محروق يسبك حتى يمتزج ، وتبيضه أن يلف في صوف ويطبخ بشول وكلما نضج غير الصوف والفول حتى يبيض . تذكرة داود . وهو فارسي معرب . والمرقشينا : صنف من الحجارة يستخرج منه النحاس . المعتمد .

(٤) انما : جمع مهابة ، وهي البلورة التي تبصر لشدة بياضها . فيما عدل ، ه : « النهي » . وهو بالفتح : صرب من الحرز .
(٥) النجد : ما غلط من الأرض وارتفع واستوى .

وفي صخرة الخضر التي عند حوتها . وفي الصخرة الصماء تُصدعُ آيةٌ^(١)
مفاخرُ للطَّينِ الذي كان أصلنا
فذلك تديرٌ ونفـمعٌ وحكمة
أجعلُ عمرًا والنطاسيَ واصلاً
وتفخرُ بالملاء والعليجِ عاصم
وتحكى لدى الأقوامِ شُنةَ رأيهم
وسميتَه الغزال في الشعرِ مطنباً
— يقول : إن مولاك ملاح ؛ لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادي —

فيا ابنَ حليفِ الطَّينِ واللومِ والعَمَى
أتهجوُ أبا بكرٍ وتخلعُ بعده
كأنك غضبانٌ على الدين كله
رجعتَ إلى الأمصارِ من بعد واصل
وأبعدَ خلقِ الله من طُرُقِ الرُّشدِ^(٢)
عليًا وتغزو كلَّ ذاكِ إلى بُردِ كَمَلٍ
وطالبُ دَخلٍ لا يلبث على حقدٍ
وكنتَ شريداً في التَّهائمِ والنَّجْدِ^(٣)
أرأيتهم .

(١) صخرة الخضر : التي نسي عندها الحوت . وفي سورة الكهف : (قال أرأيت
إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) . والخضر ، بكسر الخاء . ويقال فيه أيضاً خضر
ككتف . أمهي الحجر : ظهر ماؤه ، إشارة إلى ضرب موسى بعصاه الحجر .

(٢) إشارة إلى الصخرة التي ظهرت منها فاقة صالح عشاء ونتجت سقبا . والوخد ،
ضرب من سير الإبل . ب ، ج : « وجد » بالجم ، وأثبت ما في ل ، هـ ، والتمورية .
(٣) ديسان : صاحب الديصانية من المجوس الثنوية ، والقمش ، جمع قماش ، وهو
الردال من كل شيء .

(٤) الملاء ، هي حاضنة أبي منصور العجلي صاحب المنصورية . انظر الحيوان (٢) :
٢٦٦ ، ٢٦٨) . وأبو الجعد ، كنية لواصل بن عطاء ، وكنيته المعروفة « أبو حذيفة » .

(٥) في هامش هـ : « القصة : القطعة ترفع فيها الظلامة » .

(٦) في هامش ل : « إنما قال ابن حليف الطين ؛ لأن أباه كان فخاراً يصنع الجرار » .

(٧) التَّهائم : الأرض المنصوبة إلى البحر ، ومنه تهامة . والنجد بضمين ، وسكن
بلجم للشعر : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف واستوى .

أَتَجْمَعُ لَيْلَى النَّاعِظِيَّةِ نَحْلَةً وَكَلَّ عَرِيقٍ فِي التَّنَاسُخِ وَالرَّدِّ^(١)
عَلَيْكَ بِدَعْدٍ وَالصَّدُوفِ وَفَرَّتَنِي وَحَاضِنَتِي كِسْفٍ وَزَامِلَتِي هِنْدٍ^(٢)
تَوَائِبَ أَقْمَاراً وَأَنْتَ مُشَوِّوَةٌ وَأَقْرَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَبِّهِ الْقِرْدِ
وَلِذَلِكَ قَالَ فِيهِ حَمَادُ عَجْرَدٍ^(٣) بَعْدَ ذَلِكَ :

وَيَا أَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ
وَيَقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَجْزَعْ بَشَارَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ لِحِزْغِهِ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ^(٤) .

وَذَكَرَهُ الشَّاعِرُ وَذَكَرَ أَخُوهُ لِأُمِّهِ فَقَالَ :
لَقَدْ وَلَدْتُ أُمَّ الْأَكِيمِ أَعْرَجًا وَآخِرَ مَقْطُوعِ الْقَفَا نَاقِصَ الْعَضْدِ^(٥)
وَكَانُوا ثَلَاثَةً مُخْتَلَفِي الْأَبَاءِ وَالْأُمِّ وَاحِدَةً ، وَكُلُّهُمْ وَلِدَ زَمِنًا . وَلِذَلِكَ قَالَ
بَعْضُ مَنْ يَهْجُوهُ :

إِذَا دَعَاهُ الْخَالُ أَقْمَى وَنَكَّصَ وَهَيْجَنَةُ الْإِقْرَافِ فِيهِ بِالْحَصَصِ^(٦)
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَشْهَدَنَّ بِخَارِجِي مُطْرِفٍ حَتَّى تَرَى مِنْ نَجْلِهِ أَفْرَاسًا^(٧)

(١) لَيْلَى النَّاعِظِيَّةِ : إِحْدَى نِسَاءِ الْغَالِيَةِ ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى بَنِي نَاعِظَ ، بِالْظَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهِيَ
١٥ بَطْنٌ مِنَ الْعَرَبِ . انْظُرِ الْقَامُوسَ وَاللَّسَانَ وَالْجُمُورَةَ (٣ : ١٢١) . نَحْلَةٌ : أَيُّ صَاحِبَةِ
نَحْلَةٍ وَمَذْهَبٍ .

(٢) دَعْدٌ ، وَأَخْتَاهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الشَّائِعَةِ فِي غَزَلِ الْعَرَبِ . وَالْكَسْفُ ، هُوَ أَبُو مَنْصُورِ
الْعَجَلِي . انْظُرِ الْخَيَوَانَ (٢ : ٢٦٦ / ٦ : ٣٨٩) . وَالزَّامِلُ : مَنْ يَزْمِلُ غَيْرَهُ ، أَيُّ يَتَّبِعُهُ .
(٣) حَمَادُ عَجْرَدٍ ، بِالْإِضَافَةِ ، هُوَ حَمَادُ بْنُ عَمْرِ بْنِ يُونُسَ ، شَاعِرٌ مِنْ مَخْضَرِ الدُّوَلَتَيْنِ ،
٢٠ وَلَمْ يَسْتَهْرِ إِلَّا فِي الْعَبَّاسِيَّةِ . وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَشَارٍ مَهَاجَةٌ فَاحِشَةٌ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٦١ وَقِيلَ ١٦٨ .

(٤) انْظُرِ الْخَيَوَانَ (٤ : ٦٦ / ٦ : ٢٢٨) .

(٥) الْأَكِيمُ : مَصْغَرُ الْأَكَمِ ، وَهُوَ الَّذِي وَلَدَ أَعْمَى .

(٦) الْإِقْرَافُ : اخْجَنَةُ مِنْ قَبْلِ الْأَبِ ، عَنَى أَنَّهُ لَتَبِمِ الْأُمِّ الْأَبِ .

(٧) أَيُّ لَا تَشْهَدْ بِهِ الْمَخَافِلَ وَالْحُرُوبَ . وَالْخَارِجِيُّ مِنَ الْخَيْلِ : الَّذِي يُخْرِجُ بِنَفْسِهِ مِنْ

٢٥ غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ لَهُ عَرَقٌ فِي الْجُودَةِ . وَالْمُطْرِفُ كَالطَّافِ : الْمُسْتَحْدِثُ .

وقال صفوان الأنصاري في بشار وأخويه ، وكان يخاطب أمهم :

وَلَدْتُ خُلْدًا وَذِيخًا فِي تَشْتِهِ وَبَعْدَهُ خَزَزًا يَشْتَدُّ فِي الصُّعْدِ^(١) دِير بَدْرٍ
ثَلَاثَةً مِنْ ثَلَاثٍ فَرَّقُوا فِرْقًا فَأَعْرِفْ بِذَلِكَ عِرْقَ الْخَالِ فِي الْوَلَدِ

الخُلْدُ : ضربٌ من الجُرْذَانِ يُولَدُ أَعْمَى . وَالذِّيخُ : ذَكَرُ الضَّبَاعِ ، وَهُوَ أَعْرَجٌ . وَالخَزَزُ : ذَكَرُ الْأَرَانِبِ ، وَهُوَ قَصِيرُ الْيَدَيْنِ لَا يَلْحَقُهُ الْكَلْبُ فِي الصُّعْدِ^(٢) .
وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ سَلِيمَانُ الْأَعْمَى ، أَخُو مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاعِرِ^(٣) ،

فِي اعْتِدَارِ بَشَارٍ لِإِبْلِيسَ وَهُوَ يُخْبِرُ عَنْ كَرَمِ خِصَالِ الْأَرْضِ :

٢١ "لَا بَدْءَ لِلْأَرْضِ إِنْ طَابَتْ وَإِنْ خَبَّتْ مِنْ أَنْ تُحِيلَ إِلَيْهَا كُلَّ مَغْرُوسٍ
وَتُرْبَةُ الْأَرْضِ إِنْ جِيدَتْ وَإِنْ قُحِطَتْ فَحَمَلَهَا أَبْدًا فِي أَثَرِ مَنْفُوسٍ^(٤)
وَبَطْنَهَا بِفِلْزٍ مَهَارًا لِلْأَرْضِ ذُو خَبَرٍ بِكُلِّ ذِي جَوْهَرٍ فِي الْأَرْضِ مَرْمُوسٍ^(٥)
— الْفِلْزُ : جَوْهَرُ الْأَرْضِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنِّحَاسِ وَالْآنُكُ وَغَيْرِ ذَلِكَ —

وَكُلُّ آتِيَةٍ بَرَزَتْ مَرِاقِقُهَا وَكُلُّ مَبْتَدِئَةٍ فِيهَا وَمَلْبُوسٍ كُفْرٍ^(٦)
وَكُلُّ مَا عَوْنَهَا كَالْمِلْحِ مَرِاقِقُهُ^(٧) وَكُلُّهَا مُضْحِكٌ مِنْ قَوْلِ إِبْلِيسِ^(٨)
وَقَالَ بَعْضُ خُلَعَاءِ بَغْدَادَ^(٩) :

(١) التَّشْتَمُ ، أَرَادَ بِهِ الشَّتَامَةَ : وَهِيَ الْقُبْحُ . وَالصُّعْدُ : جَمْعُ الصُّعُودِ ، بِالْفَتْحِ ، ١٥
وَهِيَ الْعُقْبَةُ الشَّاقَّةُ .

(٢) انْظُرِ الْحَيَوَانَ (٥ : ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٦ : ٧ / ٣٧٥ : ١٣٢) .

(٣) وَكَذَلِكَ فِي الْحَيَوَانَ (٤ : ١٩٥) لَكِنْ يَأْقُوتًا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (١١ : ٢٥٥)
وَالصَّفْدَى فِي نَكْتِ الْهَمِيَانِ ١٦٠ قَدْ جَعَلَاهُ ابْنًا لِمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ . قَالَ يَأْقُوتُ : « وَهُوَ ابْنُ مُسْلِمِ
ابْنِ الْوَلِيدِ ، الْمَعْرُوفُ بِمَعْرِيعِ الْغَوَانِي ، الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ ، كَانَ كَأَبِيهِ شَاعِرًا مَجِيدًا » . ٢٠

(٤) جِيدَتْ : مَطَرَتْ بِالْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْغَرِيزُ . وَالْمَنْفُوسُ : الْمَوْلُودُ .

(٥) ل ، ٥ : « بِكُلِّ جَوْهَرَةٍ » . وَالْمَرْمُوسُ : الْمَدْفُونُ .

(٦) الْمَاعُونُ : كُلُّ مَا انْتَفَعَ بِهِ .

(٧) الْخُلَعَاءُ : جَمْعُ خَلِيعٍ ، وَهُوَ الْمُسْتَهْتَرُ بِالشَّرْبِ وَاللَّهُوِ ، وَالَّذِي أُعْطِيَ نَفْسَهُ هَوَاهَا .

فِيمَا عَدَا ل ، ٥ : « خُلَفَاءُ بَغْدَادَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَسَيَمَادُ الْبَيْتَانِ فِي (٣ : ١٥٢) الْأَصْلُ ، ٢٥
وَقَبْلَهُمَا : « وَقَالَ بَعْضُ الطِّيَابِ » . وَالطِّيَابُ ، بِالْكَسْرِ : جَمْعُ طَيْبٍ ، وَهُوَ الْفَكْهَةُ الْمَزَاحُ .

انْظُرِ سَبْيُوِيَه (٢ : ٢١١) وَالْحَيَوَانَ (٣ : ٢٧) .

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي كِبَرِهِ وَقُبْحِ مَا أَظْهَرَ مِنْ نَيْتِهِ^(١)
 دَنَاهُ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَادًا لَذُرِّيَّتِهِ^(٢)

وذكره بهذا المعنى سليمان الأعمى ، أخو مسلم الأنصاري^(٣) ، فقال :

يَأْتِي السَّجُودَ لَهُ مِنْ فَرْطِ نَخْوَتِهِ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي مِسْلَاحِ قَوَادٍ^{كامل}
 وَقَالَ صَفْوَانُ فِي شَأْنِ وَاصِلٍ وَبَشَارٍ ، وَفِي شَأْنِ النَّارِ وَالطِّينِ ، فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

وَفِي جَوْفِهَا لِلْعَبْدِ أَسْتَرُ مَنْزِلٍ وَفِي ظَهْرِهَا يَقْضَى فَرَائِضُ الْعَبْدِ

تَمَجُّ لُفَاظُ الْمِلْحِ تَجًّا وَتَصْطَفِي سَبَائِكَ لَا تَصْدَا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ

وَلَيْسَ بِمُحْصٍ كُنْهَ مَا فِي بَطُونِهَا حَسَابٌ وَلَا خَطٌّ وَإِنْ يُبْلَغَ الْجَهْدُ

فَسَائِلُ بَعْدَ اللَّهِ فِي يَوْمِ حَفْلِهِ وَذَاكَ مَقَامٌ لَا يَشَاهِدُهُ وَغَدُ^(٤)

أَقَامَ شَيْبٌ^(٥) وَابْنُ صَفْوَانَ قَبْلَهُ بِقَوْلِ خَطِيبٍ لَا يَجَانِبُهُ الْقَصْدُ^(٦)

وَقَامَ ابْنُ عَيْسَى ثُمَّ قَفَّاهُ وَاصِلٌ فَأَبْدَعَ قَوْلًا مَالَهُ فِي الْوَرَى زِدُّ بَرٍّ

فَمَا نَقَصَتْهُ الرَّاءُ إِذْ كَانَ قَادِرًا عَلَى تَرْكِهَا وَاللَّفْظُ مَطْرِدٌ سَرْدٌ

فَفَضَّلَ عَبْدُ اللَّهِ خُطْبَةً وَاصِلٍ وَضَوْعُ فِي قَسَمِ الصَّلَاتِ لَهُ الشُّكْدُ^(٦)

فَأَقْنَعَ كُلَّ الْقَوْمِ شُكْرُ حِبَائِهِمْ وَقَلَّ ذَاكَ الضَّعْفُ فِي عَيْنِهِ الزُّهْدُ

قد كتبنا احتجاج مَنْ زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا ، واحتجاج مَنْ

(١) ه ، ب : « وخبث ما أيداه » .

(٢) ل : « في سجدته » .

(٣) انظر ما سبق في ٣١ س ٦ .

(٤) يشير إلى ما كان من اجتماع شبيب وعالد بن صفوان والفضل بن عيسى وواصل ، عند عبد الله بن عبد العزيز . انظر ما سبق في ص ٢٤ .

(٥) القصص : المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط . ل ، ه : « أقام شيباً » .

(٦) الشكد ، بالضم : الجزاء والعطاء .

دفع ذلك عنه ، ويزعم هؤلاء أن قول الناس واصل الغزال ، كما يقولون خالد
الحداء^(١) ، وكما يقولون هشام الدستوائي^(٢) . وإنما قيل ذلك لأن الإباضية^(٣)
كانت تبعث إليه من صدقاتها ثياباً دستوائية ، فكان يكسوها الأعراب الذين
يكونون بالجناب^(٤) ، فأجابوه إلى قول الإباضية ، وكانوا قبل ذلك لا يزوجون
الُهجناء ، فأجابوه إلى التسوية وزوجوا هجيناً ، فقال الهجين في ذلك :
إنا وجدنا الدستوائيين الصائمين المتعبين دينا
أفضل منكم حسباً وديناً أخزى الإله المتكبر دينا
أففيكم من ينكح الهجين^(٥) *

وقال : إنما قيل ذلك لو اصل لأنه كان يكثر الجلوس^(٦) في سوق الغزالين ، إلى
أبي عبد الله ، مولى قطن الهلالي . وكذلك كانت حال خالد الحداء الفقيه . ١٠
وكما قالوا : أبو مسعود البدرى^(٧) ، لأنه كان نازلاً على ذلك الماء . وكما قالوا : أبو مالك

(١) هو خالد بن مهران ، ويكنى أبا المبارك ، مولى لقريش لآل عبد الله بن عامر بن
كريز . قيل إنما سمي حداء لأنه كان يتكلم فيقول : احذ على هذا الحديث . المعارف ٢١٩ .
وقيل إنه تزوج امرأة فنزل عليها في الحدائين فنسب إليها . السمعاني ١٦٠ .
(٢) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر - كجعفر - الدستوائي البصري البكري ، ١٥
وكان يرمى بالقدر ، روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ودستوا ، بفتح الدال والتاء ،
من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . معجم البلدان ، والمعارف
٣٢٣ ، وتهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٥) .
(٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، الخارج في أيام
مروان بن محمد . انظر آراءهم في الملل (١ : ١٨٠) والفرق بين الفرق ٨٢ والمواقف ٦٣٠ . ٢٠
(٤) الجناب ، بالفتح : موضع في أرض كلب في السهولة ، بين العراق والشام . ل :
« بالجناب » تحريف .

(٥) الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه .
(٦) فيما عدل : « لكثرة جلوسه » .
(٧) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدرى ، وشهرته بكنيته . صحابي ٢٥
شهد العقبة وبدر ، توفي سنة ٤٠ . الإصابة ٥٥٩٩ والسمعاني ٦٨ .

الشَّدْي (١) ؛ لأنه كان يبيع الخُمُر في سُدَّة المسجد (٢) .

وهذا الباب مستقصى في كتاب « الأسماء والكنى » ، وقد ذكرنا جملة منه في كتاب « أبناء السَّراري والمهيرات » .

ذكر الحروف التي تداخلها اللفظة وما يحضر في منها

- ٥ قال أبو عثمان : وهي أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء . ٢٣
- فأما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة ، وإنما هو مخرج من الخارج ، والخارج لا تحصى ولا يؤقف ؛
- عليهم . وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ؛ وليس ذلك في شيء لم يكثر منه في لغة الخوز . وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير ، كلامهم يشبه الصَّفير (٣) . فمن يستطيع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم الجوسي إذا ترك الإفصاح عن معانيه ، وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام ؟ !

- فالثَّغَّة التي تعرض للسين تكون ثاء ، كقولهم لأبي يكسوم (١) : أبي يكشوم ؛ وكما يقولون بُثْرَة ، إذا أرادوا بُشْرَة . وبثم الله ، إذا أرادوا بسم الله .
- ١٥ والثانية اللثغة التي تعرض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طأت له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لي ، قال : طال لي .

(١) في أنفاموسر (سدد) : « وإسماعيل السدي لبيعه المقانع في سدة مسجد الكوفة » ومثله في اللسان . وفي تهذيب التهذيب : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي ، أبو محمد الكوفي . مات سنة سبع وعشرين ومائة . وذكر السمعاني ٢٩٤ أنه مولى زينب بنت قيس بن مخرمة ، حجازي الأصل . سكن الكوفة .

(٢) السدة : بالضم : الباب ، أو ما حول المسجد من الرواق .

(٣) فيما عدل : « شبه بالصفير » .

(٤) أبو يكسوم : كنية أبرهة الملك الحبشي ، صاحب الفيل الذي وجه لهدم الكعبة ، وكان له ابن يسمى « يكسوم » ، وبه كان يكنى . انظر السيرة ٤١ جوتنجن .

وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتلك : اعتييت ، وبدل جمل : جمى . وآخرون يجعلون اللام كافاً ، كالذي عرض لعمر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا ، قال : مَكْعِكَة في هذا .

- وأما اللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يُضعف على عدد لثغة اللام ؛ لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمَى ، فيجعل الراء ياء . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمَغ ، فيجعل الراء غينا . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عمد ، فيجعل الراء ذالا . وإذا أنشد قول الشاعر^(١) :

← واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
قال :

واستبدت مدة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
فمن هؤلاء على بن الجنيدي بن فرّيدى .

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة ، فإذا أراد أن يقول :

- واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
يقول :

واستبدت مظّة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل * الراء غيناً معجمة ، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال :

واستبدت معة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

- كما أن الذي لُثغته بالياء ، إذا أراد أن يقول : « واستبدت مرة واحدة »

يقول « واستبدت مئة واحدة » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ، من قصيدة في ديوانه ٧٦ مطلعها :

ليت هذا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا بما تجدد

وأما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيد العدوي^(١) الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التي تعرض في السين^(٢) كـنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج ، كاتب داود بن محمد ، كاتب أم جعفر ؛ فإن تلك أيضاً ليست لها صورة في الخط ترى بالعين ، وإنما يصورها اللسان وتتأدى إلى السمع . وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين ، كنحو لثغة شوشى^{تسهد} ، صاحب عبد الله بن خالد الأموى ؛ فإنه كان يجعل اللام ياء والراء ياء . قال مرة : مويأى ويئأى . يريد مولأى ولأى الرأى . واللثغة التي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعهن لدى المروءة ، ثم التي على الظاء ، ثم التي على الدال . فأما التي على الغين فهي أيسرهن ، ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه جهده ، وأخذ لسانه^(٣) ، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها ، لم يك بعيداً من أن تحبب الطبيعة ، ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً .

وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، وكان إذا شاء أن يقول عمرو ، ولعمري ، وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيوء لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فليست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتنبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم .

فأما من تعثر به اللثغة في الضاد وربما اعتراه أيضاً في الصاد والراء ، حتى إذا أراد أن يقول مضر قال مضى ، فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى .

وقد زعم ناس من العوام أن موسى عليه السلام كان ألثغ ، ولم يقفوا من الحروف التي كانت تعرض له على شيء بعينه . فمنهم من جعل ذلك خيلة ، ومنهم من زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون :

(١) ذكره الجاحظ في الحيوان (٦ : ١٩١) وروى له القائل شعراً في (٣ : ٢٨) .

(٢) فيما عدل : « الشين » . (٣) هـ : « وأخذ لسانه » . .

« لا تَقْتُلْ طِفْلاً لا يعرف التَّمَر من الجمر ^(١) ». فلما دعا له فرعونُ بهما جميعاً تناول جَمْرَةً فأهوى بها إلى فيه ، فاعتراه من ذلك ما اعتراه .

وأما اللُّثْغَةُ في الرِّاء فتسكون بالياء والظاء والذال والغين ، وهي أَفْثُها قَبْحاً وأَوْجَدُها في ذَوِي الشَّرَفِ وكِبَارِ النَّاسِ وُبلغائهم وعلماهم .

وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، فإذا حَمَلَ على نفسه وقَوْمَ لسانه أخرج الرِّاء على الصَّحَّة فتأتَّى له ذلك . وكان يدَّعُ ذلك استثقالاً . أنا سمعت ذلك منه .

قال : وكان الواقدي ^(٢) يروى عن بعض رجاله ، أن لسان موسى كانت عليه شامة ^(٣) فيها شَعَرَات . وليس يدلُّ القرآنُ على شيء من هذا ^(٤) ؛ لأنَّه ليس في قوله : ﴿ وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ دليلٌ على شيء دون شيء . وقال الأصمعي : إذا تتعع اللسان في التاء فهو متمم ، وإذا تتعع في الفاء فهو فافاء . وأنشد لرؤبة بن العجاج :

يَا حَمْدُ ذَاتِ الْمُنْطَوِيِّ التَّمْتَامِ ^(٥) كَأَنَّ وَشْوَاسِكَ فِي اللَّهَامِ ^(٦)
* حَدِيثُ شَيْطَانِ بَنِي هِنَامِ ^(٧) *

- ١٥ (١) فيما عدل : « لا يفرق » بدل « لا يعرف » .
(٢) الواقدي ، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، مولى الأسلميين . كان من أهل المدينة ، وانتقل إلى بغداد ، وولى القضاء بها للمأمون . وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح والأخبار . ولد سنة ١٣٠ وتوفي سنة ٢٠٧ . الفهرست لابن النديم ١٤٤ وقاربخ بغداد (٣ : ٣ - ٢١) وابن خلكان (١ : ٥٠٦) والسمعاني ٥٧٧ .
٢٠ (٣) الشامة ، بالهمزة وبدونه : الحال في الجسد . فيما عدل : « شامة » .
(٤) فيما عدل : « بما قالوا » .
(٥) في الديوان ١٤٤ : « يا هال » مرخم هالة . والبيت مطلع أرجوزة له يمدح بها مسلمة بن عبد الملك .
(٦) يقال : ما يزورنا إلا لماما : أي إلا أحياناً على غير مواظبة .
(٧) في اللسان : « بنو هنام : حتى من الجن ، وقد جاء في الشعر الفصيح » . وفي الأصول : ٢٥ « بني همام » صوابه من الديوان .

وبعضهم ينشد :

* يا حَمْدَ ذاتِ المنطقِ النَّمَامِ *

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الزَّحَفِ ^(١) :

نست بقاءً ولا تَمَامَ ولا كثيرَ الهجرِ في الكلام

وأنشد أيضاً للخولاني في كلمة له :
 د د د

إنَّ السَّيِّطَ تَرَكَنْ لاسِتِكَ منطِقاً كمقالة التَّمَامِ ليس بِمُعَرِّبٍ دُخِ

فجعل الخولاني التَّمَامَ غيرَ مُعَرِّبٍ عن معناه ، ولا مفصحٍ بحاجته .

وقال أبو عبيدة : إذا أدخل الرَّجُلُ بعضَ كلامه في بعضٍ فهو أَلْفٌ ،

وقيل بلسانه لَفَفٌ . وأنشدني لأبي الزَّحَفِ الراجز :

كأنَّ فيه لَفَفًا إذا نطقَ من طُولِ تَحْيِيسٍ وَهَمٍّ وأرقَ بِأَنَّا فِي مَرَجٍ ١٠

كأنَّه لما جلس وحده ولم يكن له مَنْ يكلمه ، وطال عليه ذلك ، أَصَابَهُ ٢٦

لَفَفٌ في لسانه .

وكان يزيد بن جابر ، قاضي الأزارقة ^(٢) بعد المُقْعِطِل ، يقال له الصَّمُوت ؛

لأنَّه لما طال صمته ثَقُلَ عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوى ، ولا يكاد يبين .

وأخبرني محمد بنُ الجهم ^(٣) أنَّ مثل ذلك اعتراه أيامَ محاربة الزُّطِّ ^(٤) ، من ١٥

طول التفكير ^(٥) ولزوم الصَّمَتِ .

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطي - ابن عم جرير بن الخطي - وعمر أبو الزحف

حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس . انظر الشعراء لابن قتيبة .

(٢) الأزارقة : فرقة عن فرق الخوارج السبع : نسبة إلى نافع بن الأزرق . انظر آراءهم

٢٠ في الملل (١ : ١٦٠) ومفاتيح العلوم ١٩ والمواقف ٦٢٩ والفرق بين الفرق ٨٢ .

(٣) هو محمد بن الجهم البرمكي ، ولاء المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج في

الأغاني (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة في الأدب والشعر ، وجهها إليه المأمون فأعجبه جوابها ،

وكان هذا الاختبار مؤهلاً لحصوله على هذه الولايات .

(٤) الزط : جيل من الهند . انظر تحقيق اسمهم في حوائى الحيوان (٥ : ٤٠٧) .

٢٥ وقد كان «ولاء» من حاربهم المأمون . انظر حوادث سنة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من كتب التاريخ .

(٥) « : التفكير » .

لكِنَّةٌ ، إذا أدخل بعضَ حروفِ العجمِ في حروفِ العربِ ، وجذبت لسانَه العادةُ الأولى إلى المخرجِ الأوَّلِ . فإذا قالوا في لسانه حُكْلَةً فإنما يذهبون إلى نقصانِ آلةِ المنطقِ ، وعجزُ أداةِ اللفظِ ، حتى لا تُعرَفَ معانيه إلا بالاستدلالِ .

وقال رؤبة بن العجاج :

لو أننى أوتيتُ عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النملِ^(١)

وقال محمد بن ذؤيب^(٢) ، في مديح عبد الملك بن صالح .

ويفهمُ قولَ الحُكْلِ لو أن ذرَّةً تساوِدُ أخرى لم يَفُتْهُ سَوَادُهَا^(٣) ٢٧
أواز

وقال التيمي^(٤) في هجائه لبني تغاب :

ولكنَّ حُكْلًا لا تُبينُ رُودِينُهَا عِبَادَةُ أَعْلَاجٍ عَلَيْهَا البرانسُ^(٥)

قال : وأنشدني سُحَيْمُ بن حفص^(٦) ، في الخطيب الذي تعرِّض له النحنحة

والشعلة ، وذلك إذا انتفخَ سَخْرُهُ ، وكَبَا زَنْدُهُ ، ونَبَا حَدُّهُ ؛ فقال :

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ^(٧) وَمِنْ كِلَالِ الْغَرْبِ فِي الْمَقَالِ^(٨)

* وَمِنْ خَطِيبِ دَائِمِ الشَّعَالِ^(٩)

(١) وكذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١) :

١٥ ٤٥٤/٢ : ٨٥) والحيوان (٤ : ٨ ، ٢٣) . لكن قال ابن بري : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . والحكل : ما لا يسمع له صوت من الحيوان .

(٢) هو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي العماني الراجز ، وقيل له العماني وهو بصري ولم يكن من أهل عمان ، لأن دكيناً الراجز نظر إليه فقال : من هذا العماني ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا . وهو شاعر راجز من شعراء الدولة العباسية ، كان مقرباً من الرشيد . الأغاني

٢٠ (١٧ : ٧٨ - ٨٣) والشعراء لابن قتيبة .

(٣) السواد ، بالكسر : السرار . وانظر الحيوان (٤ : ٢٣) .

(٤) في الحيوان (٤ : ٢٤) : « وقال التيمي الشاعر المتكلم » .

(٥) أنشده في الحيوان برواية : « عجم وحكل لا تبين » .

(٦) ويقال أيضاً في اسمه « عامر بن حفص » ولقبه « سحيم » . وبلقبه هذا يذكره

٢٥ الجاحظ في مواضع كثيرة . والمدائني في كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست

لابن النديم ٩٤ ليبسك ١٣٨ . مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب ، ثقة

فيما يرويه . وتوفي سنة ١٩٠ .

وأنشدني ابن الأعرابي :

إنَّ زياداً ليس بالبكيِّ ولا بهَيَّابٍ كثيرٍ العيِّ ذُرِّيرٍ

وأنشدني بعض أصحابنا :

ناديتُ هَيْذَانِ والأبوابُ مغلقةٌ ومثلُ هَيْذَانِ سَنَى فتحةَ البابِ ^(١)
كالهِنْدُوَانِيٍّ لم تُفَلِّلْ مَضَارِبُهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرٌ وَجَابٍ ^(٢)
وقال آخرٌ : ^(٣)

* إذا الله سَنَى عقدَ شيءٍ تيسراً ^(٣) *

وقال بشر بن المعتمر ^(٤) ، في مثل ذلك :

وَمِنَ الْكِبَائِرِ مِقُولٌ مُتَعَتِعٌ جَمٌّ التَّنَحُّجِ مُتَعَبٌ مَبْهُورٌ ^(٥)
وذلك أنه شهد ريسان ، أبا بجير بن ريسان ، يخطب . وقد شهدت أنا هذه

الخطبة ولم أَر جباناً قطُّ أجراً منه ، ولا جريئاً قطُّ أجبن منه .

وقال الأشعث الأزرق — من بعض أحوالِ عمران بن حِطَّان الصُّفْرِيُّ القَعْدِيُّ ^(٦)

(١) سَنَى : فتح وسهل . والبيتان محرفان في العقد (٣ : ٢٩٠) .

(٢) الهِنْدُوَانِيٍّ ، بضم الدال مع ضم الهاء وكسرهما : السيف المطبوع من حديد الهند .

تفَلَّل : تثلَّم . والوجاب : الخفاق المضطرب من الخوف .

(٣) يروى صدره : * وأعلم علماً ليس بالظن أنه .

و : ، فلا تياسا واستغفرا الله إنه *

انظر اللسان (غور ، سنا) وأمالى القالي ١ : ٢٣٥ .

(٤) بشر بن المعتمر ، صاحب البشرية ، انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن

أصحابه المعتزلة في بعض مسائل أوردتها في كتابي « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاساً ٢٠

في الرقيق . توفي سنة ٢١٠ . انظر لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملال والنحل (١ : ٨١)

والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازي ٤٢ واللسان (ربح) .

فيما عدل ، ٥ : « بشر بن معمر » تحريف . ولبشر قصيدتان في الحيوان (٦ : ٦

٢٨٤ - ٢٩٧) . (٥) المقول : الكثير القول .

(٦) هو أبو سهاك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي ، رأس القعدة من الصفرية ، ٢٥

وخطيبهم وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشراسة فطلبه الحجاج

فهرب إلى الشام ، فطلبه عبد الملك ففر إلى عمان . ولما طال عمره قعد عن الحرب ، فاكتفى

بالتعريض والدعوة بشعره . توفي سنة ٨٤ . لإصابة ٦٨٦٩ .

— في زيد بن جندب الإيادي^(١) خطيب الأزارقة ، وقد اجتمعوا في بعض المحافل ، فقال بعد ذلك : الأشلُّ النكري^(٢) :

٢٨

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلَ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ الرُّمَّةُ
وَيْلُ امَّةٍ إِذَا ارْتَجَلَ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلَ
وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الإيادي ، الخطيب الأزرق^(٣) ، في سرثيته لأبي دؤاد بن حريز الإيادي^(٤) ، حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد ، فقال :

كَتَسَ إِيَادٌ أَوْ لَقِيطٌ بِنِ مَعْبِدٍ وَعُذْرَةٌ وَالنُّطِيقُ زَيْدٌ بِنِ جُنْدَبٍ
وزيد بن جندب هو الذي قال في الاختلاف الذي وقع بين الأزارقة :
أَقْلٌ لِمَحِلِّينَ قَدْ قَرَّتْ عِيُونُكُمْ بِفُرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ^(٥)
كُنَّا أَنَاسًا عَلَى دِينٍ فَفَرَّقَنَا طُولُ الْجِدَالِ وَخَلَطَ الْجِدُّ بِاللَّيْبِ^(٦)
ما كان أغنى رجالاً ضلَّ سعيهم عن الجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ
إِنِّي لَأَهْوَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرَبًا مَالِي سِوَى فَرَسٍ وَالرُّمَحِ مِنْ نَشِبِ
وأما عُذْرَةُ المذكور في البيت الأول فهو عُذْرَةُ بْنُ حُجَيْرَةَ^(٧) الخطيب
الإيادي . ويدل على قدره فيهم ، وعلى قدره في اللسن وفي الخطب ، قول شاعرهم :
وَأَيُّ فَتَى صَبَّرَ عَلَى الْأَيْنِ وَالظَّمَا إِذْ اعْتَصَرُوا لِلنُّوحِ مَاءً فِظَاطِهَا^(٨)
إِذَا ضَرَجُوهَا سَاعَةً بِدِمَائِهَا وَحُلٌّ عَنِ الْكُومَاءِ عَقْدُ شِظَاطِهَا^(٩)

(١) له شعر في الحيوان (٦ : ٢١٩) . (٢) « النكري » .

(٣) فيما عدل ، « بن جرير » تحريف . انظر سبط اللاكلى ٧١٨ .

(٤) فيما عدل : « قدقرت عيونكم » . ٢٠

(٥) فيما عدل : « قرع الكلام » .

(٦) فيما عدل ، « عذرة بن حجرة » .

(٧) النوح ، بالفصح والضم : العطش : والفظاظ : جمع فظ ، وهو ماء الكرش . وكانوا يعتصرون ماء الكرش إذ عز عليهم الماء في المغاوز .

(٨) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . والشطاط : العود الذي يدخل في عروة الجوالق . ٢٥

فإنك ضحّاكٌ إلى كلِّ صاحبٍ وأنطقُ من قسٍّ غداة عكاظها
 إذا شغبَ المولى مُشاغِبٌ مَعشَرٍ فعُدرةٌ فيها آخذٌ بِكِظاظِها^(١) .
 فلم يضرب هذا الشاعرُ الإياديَّ المثلَ لهذا الخطيبِ الإياديَّ ، إلا برجلٍ
 من خطباء إياد ، وهو قسُّ بن ساعدة . ولم يضرب صاحبُ مرثية أبي دُوادِ بن
 حَرِيزِ الإياديَّ^(٢) المثلَ إلا بخطباء إيادٍ فقط ، ولم يفتقر إلى غيرهم ، حيث قال في
 عُذرة بن حُجيرة^(٣) :

كُقسَّ إيادٍ أو لقيطٍ بن عَبَدٍ وعُدرة والمنطيقِ زِيدِ بن جُنْدَبِ
 وأول هذه المرثية قوله :

نَعَى ابْنَ حَرِيزٍ جَاهِلٌ بِمُصَابِهِ
 نَعَاهُ لَنَا كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ
 وَأَصْبَرَ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى
 وَأَذْرَبُ مِنْ حَدِّ السَّنَانِ لِسَانَهُ
 زَعِيمُ نَزَارٍ كُلُّهَا وَخَطِيبُهَا
 سَلِيلُ قُرُومٍ سَادَةٌ ثُمَّ قَالَهُ
 كُقسَّ إيادٍ أو لقيطٍ بن معبدٍ وعُدرة والمنطيقِ زِيدِ بن جُنْدَبِ^(٤)
 وَكَلْبَذِرٍ يُغَشِّي ضَوْؤُهُ كُلَّ كَوْكَبٍ
 مِنَ النُّجْمِ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبٍ^(٥)
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْفِ الْحَسَامِ الْمَشْطَبِ^(٦)
 إِذَا قَامَ طَاطَا رَأْسَهُ كُلُّ مِشْغَبٍ
 يُبْذَوْنَ يَوْمَ الْجَمْعِ أَهْلَ الْمُحْصَبِ^(٧)

(١) الكظاظ : ممارسة الشدة وملازمتها .

(٢) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدال ، هـ : « بن جرير » .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدال ، هـ : « ابن حجرة » .

(٤) التحوّب : البكاء في جزع وصياح . والبيت في سبط اللالي ٧١٨ .

(٥) العود ، بالفتح : الحمل المسن وفيه بقية . وفي أمثالهم : « زاحم يعود أودع » أي .
 استعن على حربك بأهل السن والمعرفة ، فإن رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

(٦) الذرب : الحدة . والحسام : القاطع . والمشطب : الذي فيه طرائق في مثنه .

(٧) أشير في هامش ل إلى رواية « ثم قادة » في نسخة . والمحصب : موضع رمى

الجمار بمنى .

في كلمة له طويلة . وإيّاهم عني الشاعر بقوله :

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَخَى الْمَلَا حِظْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ^(١)

ب
٦

قال : أخبرني محمد بن عباد^(٢) بن كاسب ، كاتب زهير ومولى بجيلة من سبي

دابق^(٣) ، وكان شاعراً راوية ، وطلّابة للعلم علامة ، قال : سمعت أبا دواد بن

حريز^(٤) يقول وقد جرى شيء من ذكر الخطب وتحير الكلام واقتضابه ،

وصعوبة ذلك المقام وأهواله ، فقال : « تلخيص المعاني رفق^(٥) » ، والاستعانة

بالغريب عجز ، والتشادق من غير أهل البادية بفض ، والنظر في عيون الناس

عي ، ومس اللحية هلك ، والخروج مما بُني عليه أول الكلام إسهاب^(٦) .

قال : وسمعت^(٧) يقول : « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها رواية .

الكلام ، وحليها الإغراب ، وبهاؤها تخير الألفاظ^(٨) . والحبة مقرونة بقلة

الاستكراه » . وأنشدني بيتاً له في صفة خطباء إياد :

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَخَى الْمَلَا حِظْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ

فذكر المبسوط في موضعه ، والمحدوف في موضعه ، والموجز ، والكناية

والوخي باللحظ ودلالة الإشارة . وأنشدني له الثقة في كلمة له معروفة :

الْجُودُ أَحْسَنُ مَسَا يَا بَنِي مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبْزُرَ كُمُومَ كَفِّ مُسْتَلِبٍ^(٩)

ما أعلم الناس أن الجود مدفعة^(١٠) للذم لكنه يأتي على النسب زهير

(١) عني بالملاحظ العيون ، لحظه لحظاً : نظرة بمؤخر عينه . والبيت منسوب إلى أبي

دواد بن حريز . وهو بهذه النسبة في زهر الآداب (١ : ٩٦) . (٢) ه : « عتاب » .

(٣) دابق ، بكسر الباء ، وروى بفتحها : قرية قرب حلب .

(٤) فيما عدل : « جرير » . وانظر ما مضى ص ٤٢ .

٢٥

(٥) التلخيص : التبيين والشرح والقريب .

(٦) فيما عدل : « اللفظ » .

(٧) بنو مطر : رطل معن بن زائدة الشيباني ، الجواد المعروف . وابن أخيه يزيد الشيباني

الممدوح بالكرم والشجاعة . انظر أخبارهما في وفيات الأعيان وغيرها . نزه التتبع : استلبه منه .

قال : ثم لم يحفل بها ، فادعاهما مسلم بن الوليد الأنصاري ، أو ادعيت له .
وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الخطب ^(١) .

وفي الخطباء من يكون شاعراً ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغاً
مفوهاً بليغاً ، وربما كان خطيباً فقط وبين اللسان فقط .

فمن الخطباء الشعراء ، الأئمة الحكماء : قس بن ساعدة الإيادي ، والخطباء
كثير ، والشعراء أكثر منهم ، ومن يجمع الشعر والخطابة قليل .

ومنهم : عمرو بن الأهتم المِنْقَرِيُّ ، وهو المَكْحَل ، قالوا : كأن شعره في
مجالس الملوك حالٌ منشورة ^(٢) . قيل لعمرو بن الخطاب رحمه الله : « قيل للأوسية
أي منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيص في حدائق خضر » ، فأنشد عند ذلك
عمرو بن الخطاب ، بيت عدى بن زيد العبادي :

١٠ رء كدَمِي العاج في المحاريب أو كال بَيْض في الرِّوض زَهْرُهُ مُسْتَنِيرٌ
قال : فقال قسامة بن زهير ^(٣) : « كلام عمرو بن الأهتم آتق » ، وشعره
أحسن . هذا ، وقسامة أحد أئمة العرب .

ومن الخطباء الشعراء : البعيث المجاشعي ، واسمه خدّاش بن بشر بن
بَيْبَةَ ^(٤) .

١٥ ٢ ومن الخطباء الشعراء : الكُمَيْتُ بن زيد الأسدي ^(٥) ، وكنيته أبوالمستهل .

(١) فيما عدل ، هـ : « الكلام » . (٢) هـ : « منشرة » .

(٣) قسامة بن زهير المازني ، له إدراك ، وكان من افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان ،
وكان رأساً في تلك الحروب . مات بعد الثمانين . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٤) في المؤلف ٥٦ ، أنه خدّاش بن بشر بن خالد بن بيبه بن قرط بن سفيان بن مجاشع .
دخل بين جرير وغسان السليطي ، وأعان غسان فلج الهجاء بينه وبين جرير والفوزدق ، وسقط
البعيث . فيما عدل : « لبيد » بدل « ببة » تحريف .

(٥) من يقال له الكبت من الشعراء ثلاثة ، كلهم أسدي ، من بني أسد بن خزيمه .
وأعرفهم وأتبرهم الكبت بن زيد ، وكان مكثراً جداً ، يعمل لإدخال الغريب في شعره ،
وله في أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهي أجود شعره . وهذا الكبت هو الكبت الأصغر = ٢٥

ومن الخطباء الشعراء : الطرمّاح بن حكيم الطائي^(١) ، وكنيته أبو تفرّ .
قال القاسم بن معن : قال محمد بن سهل رَاوِيَةُ السكيت : أنشدتُ السكيت
قولَ الطرمّاح :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَّاحِ أَخْلَقْتُ ^{كَمْ} عَرَمِي الْمَجْدُ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْقَصَائِدِ ^{دَقِيقُ}
قال : فقال السكيت : إى والله ، وعِنانُ الخطابة والرواية .

قال أبو عثمان الجاحظ : ولم يرَ الناسُ أعجبَ حالاً من السكيتِ والطرمّاح .
وكان السكيتُ عدنانياً عصبياً ، وكان الطرمّاح قحطانيا عصبياً . وكان السكيت
شيعياً من الغالية ، وكان الطرمّاح خارجياً من الصُفْرىة . وكان السكيت يتعصب
لأهل الكوفة ، وكان الطرمّاح يتعصب لأهل الشام . (وينهما مع ذلك من
الخاصّة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قطّ ، ثم لم يَجْرُ بينهما حُرْمٌ ولا جَفْوَةٌ
ولا إعراض ، ولا شىء مما تدعو هذه الخصالُ إليه) . ولم يرَ الناسُ مثلهما
إلا ما ذكروا من حالِ عبد الله بن يزيد الإباضى^(٢) ، وهشام بن الحكم
الرافضى^(٣) ؛ فإنّهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة^(٤) .

١٥ = وأما الأكبر فهو السكيت بن ثعلبة ، أحد الشعراء المخضرمين ، وهو جد السكيت الأوسط :
السكيت بن مروف بن السكيت بن ثعلبة ، شاعر مخضرم أيضاً . انظر المؤتلف ١٨٠ ومعجم
المرزبانى ٣٤٧ .

(١) الطرمّاح بن حكيم : ساعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، مولده ومنشؤه
بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام فاعقد مذهب الشراة
والأزارقة ، وكان فصيحاً يكثر فى شعره الغرب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى
٢٠ عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غربى سعر الطرمّاح فلم يعرف واحدة منها . انظر الشعراء
لابن قتيبة والأغانى (١٠ : ١٤٨) والخزانة (٣ : ٤١٨) .

(٢) فيما عدل : « بن زيد الإباضى » .

(٣) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ،
ومن المشبهه عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق .
٢٥ وكان يقول بالتجسيم والتشبيه . وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ - ٥٣ والملل والنحل (٢ :
٢١ - ٢٣) . وانظر الحيوان (٣ : ١١) .

(٤) الخلطة ، بالكسر : العشرة ؛ وبالضم : الشركة .

وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه ، الحال التي تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والمحاسدة ؛ للذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة ، فكان يُقال : لولا أنهما أحكمُ تميم لتباينا تباين الأسد والنمر . وكذلك كانت حال هشام بن الحكم الرضوي ، وعبد الله بن يزيد الإباضي^(١) ، إلا أنهما أفضلا^(٢) على سائر المتضادين ، بما صارا إليه من الشريرة في جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبه فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية^(٣) » ، فلم يعارضه شبيب . وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الأشراف .

٣٢ ومن الشعراء الخطباء : عمران بن حطان ، وكنيته أبو شهاب ، أحد بني عمرو بن شيبان إخوة سدوس .

١٠

فمن بني عمرو بن شيبان مع قتلهم من الخطباء والعلماء والشعراء عمران بن حطان رئيس القعد من الصفرية ، وصاحب فتياهم ، ومفزعهم عند اختلافهم . ومنهم : دغفل بن حنظلة النسابة ، الخطيب العلامة . ومنهم القعقاع بن شور^(٤) . وسند ذكر شأنهم إذا اتهمنا إلى موضع ذكرهم إن شاء الله .

ومن الخطباء الشعراء : نصر بن سيار^(٥) ، أحد بني ليث بن بكر ، صاحب

-
- (١) فيما عدل ، ه : « بن زيد » . وانظر ما سبق ص ٤٦ .
- (٢) فيما عدل ، ه : « فضلا » وهما سيان ، يقال فضل كنصر وعلم ، وأفضل عليه وعنه ، أي زاد .
- (٣) الخبر في الحيوان (٥ : ٥٩٢) .
- (٤) شور ، بفتح الشين المعجمة . وفي القاموس أن القعقاع بن شور نابي . وترجم له في لسان الميزان (٤ : ٤٧٤) ، وقال : من كبار الأمراء في دولة بني أمية . وفيه يقول الشاعر :
وكننت جليس قعقاع بن شور ولا بشقي بقعقاع جليس
- (٥) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ولاء هشام بن عبد الملك . ثم غزا ما وراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ، وأقام بمرور . وقد انتبه إلى اسفحال الدعاة العباسية ، فكذب إلى بني مروان بالشام فلم يأبهوا بالخطر ، وظل يكافح حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج قصر من مرور إلى قومس ، واستمر في كفاحه إلى أن لحقه المرض في مفازة بين الري وهمدان . ومات بساوة سنة ١٣١ .

خراسان ، وهو يُعَدُّ في أصحاب الولايات والحروب ، في التدبير ، وفي العقل
وشِدَّة الرأي .

ومن الخطباء الشعراء العلماء : زيد بن جندب الإيادي ، وقد ذكرنا
شأنه (١) .

ومن الخطباء الشعراء : عجلان بن سحبان الباهلي ؛ وسحبان هذا هو
سحبان وائل ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ، وعن قد تنافر إليه الأشراف : أعشى همدان .

ومن الشعراء الخطباء : عمران بن عصام العنزي (٢) ، هو الذي أشار على

عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه ، والبيعة للوليد بن عبد الملك ، في خطبته المشهورة

١٠ وقصيدته المذكورة . وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له

قال : ولم قتله ، وإله ؟ ألا رعى له قوله فيه :

وَبَعَثَ مَنْ وَلَدَ الْأَغْرَ مَعْتَبٍ ، صَقْرًا يَلُودُ حَمَامِهِ بِالْعَرْفَجِ (٣)
فَإِذَا طَبَخْتَ بِنَارِهِ أَنْضَجْتَهَا ، وَإِذَا طَبَخْتَ بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر إذا أراد فريسة لم يُنْجِهْ مِنْهُ صِيَا حُ مَهْجِه (٤)

١٥ (١) انظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) عمران بن عصام العنزي : شاعر خطيب ذو لسان وذو جلد وشجاعة ، عرفه الحجاج

فبعه إلى عبد الملك بن مروان لينزع الولاية من أخيه عبد العزيز بن مروان ، ويجعلها لابنه الوليد

ابن عبد الملك ، فقام بذلك ، ولم يلبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان

ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج ، فأق به حين قتل ابن الأشعث فقتله . الأغاني

٢٠ (١٦ : ٥٨ - ٥٩) . والعنزي : نسبة إلى عنزة ، بالتحريك ، إحدى قبائل بني أسد .

فيما عدل ، هـ : « العنزي » تعريف . وهو معدود في رجال عنزة . انظر الاشتقاق ١٦٩ ،

والطبري (٧ : ٢٥) .

(٣) معتب ، بكسر التاء المشددة : جد من أجداد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل

ابن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي ،

٢٥ وهو ثقيف .

(٤) هجج بالسبع : صاح به وزجره . ما عدا هـ : « المهجج » ، تعريف .

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم : بشار الأعمى ، وهو بشار ابن بُرْد ، وكنيته أبو مُعَاذ ، وكان من أحد موالى بنى عُقَيْل . فإن كان مولى أمّ الظَّباء على ما يقول بنو سدوس ، وعلى ما ذكره حمّادُ عَجْرَدٍ ، فهو من موالى بنى سدوس . ويقال إنه من أهل خراسان نازلاً فى بنى عُقَيْل . وله مديحٌ كثيرٌ

• ٣٣ فى " فرسانِ أهلِ خُراسانَ ورجالِهم . وهو الذى يقول :

مِنْ خُراسانَ ويَتى فى الذُّرى وَلدى السَّيِّعةِ فَرعى قد بَسَقَ منهم .
وقال :

وإِنِّى لِمِنْ قَوْمِ خُراسانَ دارُهم كرامٍ وفَرعى فيهمُ ناضِرٌ بَسَقَ
وكان شاعراً راجزاً ، وسَجاعاً خطيباً ، وصاحب منشورٍ ومزدوج . وله رسائلٌ معروفة .

١٠

وأنشد عُقْبَةُ بْنُ رُوْبَةَ ، عَقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ^(١) ، رَجْزاً يمتدحه به ، وبشارٌ حاضر ، فأظهرَ بشارٌ استحسانَ الأُرجوزة ، فقال له عُقْبَةُ بْنُ رُوْبَةَ : هذا طرازُ يا أبا مُعَاذٍ لا تُحسِنُه . فقال بشارٌ : المِثْلِي يُقال هذا الكلام ؟ أنا والله أَرَجْزُ منك ومن أهلكَ ومن جدِّك . ثم غدا على عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ بأُرجوزته التى أولها :

يا طَلَلِ الحى بذاتِ الصَّمَدِ باللهِ خَبَّرَ كيف كُنْتَ بَعْدِي
وفيها يقول :

اسلَمْ وَحَيَّتْ أبا المِلدِّ اللهُ أَيامُكَ فى مَعْدٍ
وفيها يقول :

(١) عَقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٩٢ : « ومن بنى هناة فى الإسلام عَقْبَةُ ابنِ سَلَمٍ ، صاحب دار عَقْبَةَ بالبصرة ، ابن نافع بن هلال بن أهبان بن هراب بن عائد بن خنزير بن أسلم بن هناة » . والخبر مفصل فى الأغاني (٣ : ٣٦ - ٣٧) وزهر الآداب (٢ : ١٢١) .

الحُرُّ يُلَحِّي والعَصَا لِلْعَبْدِ وليس للمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ^(٢)
وفيها يقول :

وصاحب كالدَّمَلِ المِدُّ حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي
* وما دَرَى ما رَغِبْتِي مِنْ زُهْدِي *

أى لم أَرِهْ زُهْداً فِيهِ وَلَا رَغْبَةً^(١) . ذهب إلى قول الأَعْرَ الشَّاعِرِ^(٢) :

لَقَدْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِحَّةٌ بنفسك ، لَوْلا أَنَّ مَنْ طَاح طَاحُ
يَوَدُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وهلْ يَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفُوسُ الشَّحاحُ^(٣)

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي ، والسيد الحميري .
١٠ وأبو العتاهية ، وابن أبي عيينة^(٤) . وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل
وسلم الخاسر ، وخلف بن خليفة^(٥) . وأبان بن عبد الحميد^(٦) اللاحق^(٧) أولى ٣٤
بالطبع من هؤلاء ، وبشار أطبعهم كلهم .

(١) قال أبو الفرج : وذكر لي أبو دلب هاشم بن محمد الخزازي هذا الخبر عن الجاحظ ،
وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر إلى سوء أدب عقبة بن ربيعة وقد أجل بشار محضه وعشرته
١٥ فقابل به هذه المقابلة القبيحة .

(٢) كلمة « الأعر » من ل فحط . وفي المؤلف ص ٤٠ شاعران من بني يشكر بن وائل ،
يقال لكل منهما « الأعر » .

(٣) انفردت ل هذه الرواية وكتب فيها فوق « هل » : « لا » إشارة إلى أنهما
روايتان . وفيما عدل وكذا زهر الآداب (٢ : ١٢١) : « ولا » .

٢٠ (٤) هو أبو عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة بن المهلب بن أبي صفرة ، من شعراء الدولة العباسية
وساكني البصرة ، أنه قد أكثر أشعاره في هجاء ابن عمه خالد . انظر الأغاني (١٨ : ٨ - ٢٩) .

(٥) من شعراء الحماسة ، وكان يقال له « الأقطع » لأنه قطعت يده في سرقة ، فاستعاض
عنها بأصابع من جلود ، وكان من معاصري جرير والفرزدق ، دخل يوماً على يزيد بن عمر
ابن هيرة ، في يوم مهرجان ، وقد أهديت له هدايا وهو يفرقها في الناس ، وكان إذاك أميراً
٢٥ على العراق ، فوقف ثم قال :

كأنا سماميس في بعة تقسس في بعض عيدياتها
وقد حضرت رسل المهرجان وصفوا كريم هدياتها =

ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد ، ويصنع المناقلات الحسان
ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة ، مع بيان عجيب ورواية كثيرة ، وحسن دل
وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأب ، أحد بني ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد .
ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة
مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتّابي ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى الفاظه وحذوه .
ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين ، كنعجو
منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد الأنصارى وأشباههما .
وكان العتّابي يحتذى حذو بشار في البديع . ولم يكن في المولدين أصوب
بديعاً من بشار ، وابن هرمة .

١٠ والعتّابي من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :
إني امرؤ هدم الإقبار ماثرتي واجتاح ما بنت الأيام من خطري .
أيام عمرو بن كلثوم يسوده حياً ربيعة والأفناء من مضر^(١) .
مرأرومة عطّلني من مكارمها كالقوس عطّلها الرّامي من الأثر^(٢) .
ودل في هذه القصيدة على أنه كان قصيراً بقوله^(٢) :

١٥ نهى ظراف الغواني عن مواصلي ما يفجأ العين من شبي ومن قصرى

علوت برأى فوق الروس وأستخصته فوق هاماتها
لأكسب صاحبتى مصفحة تغيظ بها بعض جاراتها
وكان بين يديه جامات من ذهب وفضة ، فأمر له منها بعشرين جاماً ، وأقبل يقسم
الباقى ويقول :

٢٠ لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فليس تبق وباقى شكرها خلف
انظر الشعراء لابن قتيبة .

(١) الأفناء : الأخلاط من القبائل ، واحداً فنو ، بالكسر ، وفنا ، كعصا .

(٢) هـ : « بقوله » .

ومن الخطباء الشعراء الذين قد جَمَعُوا الشُّعْرَ والخطبَ ، والرسائلَ الطُّوَالَ والقصارَ ، والكتبَ الكبارَ المجلدة^(١) ، والسِّيرَ الحِسانَ المدوّنةَ ، والأخبارَ المولدةَ بِمُسْهِلُ بنِ هارون بنِ رَاهِيُونِي^(٢) الكاتبَ ، صاحبَ كتابِ ثعلبة وعفّرة ، في معارضةِ كتابِ كلية ودمنة ، وكتابِ الإخوان^(٣) وكتابِ المسائلَ ، وكتابِ المخزوميِّ والهلذلية ، وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء علي بن إبراهيم بن جبلة بن نخرمة ، ويكنى أبا الحسن^(٤) وسند كر كلام قس بن ساعدة * وشان لقيط بن معبد ، وهند بنت الخس ، وجُمعة بنت حابس ، وخطباء إياد ، إذا صِرْنَا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحدٍ من العرب ؛ لأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هو الذي رَوَى كلامَ قس بن ساعدة وموقفه على جملة بعكاظ وموعلته ، وهو الذي رَوَاهُ لقريش والعرب ، وهو الذي عَجَّبَ من حُسْنِهِ وأظهر من تصويبه . (وهذا إسنادٌ تعجزُ عنه الأمانى ، وتَنقُطعُ دونه الآمالُ) . وإنما وفقَّ اللهُ ذلكَ الكلامَ لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبةً .

- (١) فيما عدل ، هـ : « المجلدة » .
 (٢) فيما عدل ، هـ : « راهيوني » . وقد ضبطت الهاء في هـ بالفتح والكسر معا . وفي الفهرست ١٠ ليسك « راهيون » . وسهل بن هارون ، فسبته إلى دستميسان ، كورة بين واسط البصرة والأهواز . كان سهل متحققا بالأمون ، وصاحب بيت الحكمة ، وهو فارسي الأصل ، شعوبي المذهب ، شديد العصبية على العرب وله في ذلك كتب كثيرة . عمل للحسن ابن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغبه فيه ويستميحه في خلال ذلك ، فأجابه الحسن بكلام جاء فيه : « قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معنالك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا » . انظر الفهرست ١٢٠ ليسك ١٧٤ مصر وشرح العيون بهامش لامية العجم (١ : ٢٦١ - ٢٧٢) .
 (٣) عند ابن النديم « كتاب اسباسيوس في اتخاذ الإخوان » .
 (٤) فيما عدل : « ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن » .

وكذلك ليس لأحدٍ في ذلك مثلُ الذي لبنى تميم ؛ لأنَّ النبيَّ عليه السلام لما سأل عمرو بنَ الأَهم عن الزُّبرقان بن بدر^(١) قال : « مانعٌ لحوزته ، مطاعٌ في أذنيه^(٢) » . فقال الزُّبرقان : « أما إنَّه قد علِمَ أكثرُ مما قال ، ولكنه حسدني شرفي » . فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيقَ الصدر^(٣) ، زَمِرَ المروءة^(٤) لثيم الخال ، حديث الغنى » ، فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الأوَّل ، ورأى الإنكار في عيني رسول الله قال : « يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ ما علمتُ ؛ وما كذبتُ في الأولى ولقد صدقتُ في الآخرة » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : « إنَّ من البيان لسحرا » .

فها تان الخصلتان خُصَّت بهما إيادُ وتميم ، دون جميع القبائل^(٥) .
ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ بنِ سفيان^{الجبلي} ، فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : وما منعك يا أحنفُ من الجلوس على الوساد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ فيما أوصى به قيسُ بنُ عاصمٍ

-
- (١) عمرو بن الأَهم ، هو عمرو بن سنان بن سمي التيمي ، والأَهم لقب أبيه سنان .
وقد عمرو إلى رسول الله في وفد تميم ، وكان سيداً خطيباً شاعراً . انظر الإصابة ٦٧٦٥ ومعجم المرزباني ٢١٢ . والزبرقان بن بدر ، هو الحصين بن بدر ، ولقب الزبرقان لحسن وجهه . وهو وعمرو بن الأَهم من نادوا الرسول الكريم من وراء الحجرات حين وفدوا في بني تميم ، وله شعر في كتاب الحيوان (٣ : ١٠٣ / ٦ : ٩٨) والسيرة ٩٣٥ جوتنجن . وانظر الإصابة ٢٧٧٦ والمؤتلف ١٢٨ وزهر الآداب (١ : ٦ - ٧) .
(٢) فيما عدال ، هـ : « أذنيه » تحريف . ويروى : « مطاع في عشيرته » . وانظر القصة ٢٠ في زهر الآداب (١ : ٥) ولباب الآداب ٣٥٤ - ٣٥٥ وأول أمثال الميداني .
(٣) في زهر الآداب والأمثال : « ضيق العطن » . والعطن : مناخ الإبل حول الماء ، وهو كناية عن البخل .
(٤) زمر المروءة : قليلها ، يقال هو زمر بين الزمارة والزمورة . وفي زهر الآداب : « زمن » محرف .
(٥) فيما عدال ، هـ : « دون سائر القبائل » .

الْمِنْقَرِيُّ وَلَدَهُ أَنْ قَالَ : « لَا تَغْشَ السُّلْطَانَ حَتَّى يَمَلَّكَ ، وَلَا تَقْطَعَهُ حَتَّى يَنْسَاكَ ،
وَلَا تَجْلِسَ لَهُ عَلَى فِرَاشٍ وَلَا وِسَادٍ ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ أَوْ رَجُلَيْنِ ؛
فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنْكَ فَتُقَامَ لَهُ ، فَيَكُونَ قِيَامُكَ
زِيَادَةً لَهُ ، وَنُقْصَانًا عَلَيْكَ ^(١) » . حَسْبِيَ بِهَذَا الْمَجْلِسِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَعَلَّهُ أَنْ
يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنِّي ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : « * لَقَدْ أُوتِيَتْ تَمِيمٌ ^{٣٦}
الْحِكْمَةُ ، مَعَ رِقَّةٍ حَوَاشِي الْكَلِمِ ^(٢) » . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَمَّا مَضَى وَعِلْمُ هَذَا الزَّمَنِ الْعَائِبِ ^(٣)
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبٍ
فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِسُكَّانِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ

* * *

١٠

وَذَهَبَ الشَّاعِرُ فِي مَرثِيَّةِ أَبِي دُوَادٍ فِي قَوْلِهِ :

وَأَضْبَرَ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا مَرَى مِنْ النَّجْمِ فِي دَاغٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبٍ ^(٤)
إِلَى شَبِيهِهُ يَقُولُ جَبَّارٍ بِنِ سُلْمَى ^(٥) بِنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، حِينَ
وَقَفَ عَلَى قَبْرِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ لَا يَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ ،
وَلَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ ، وَلَا يَهَابُ حَتَّى يَهَابَ السَّيْلُ ، وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ
مَا يَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا ^(٦) » .

(١) فِيمَا عَدَالَ : « وَنُقْصَا عَلَيْكَ » .

(٢) فِيمَا عَدَالَ : « الْكَلَامُ » .

(٣) ل ، هـ : « الْعَائِبُ » .

(٤) انْظُرْ مَا سَبَقَ ص ٤٣ س ١١ .

٢٠

(٥) سُلْمَى ، بَضْمُ السَّيْنِ ، وَقِيلَ بَفَتْحِهَا ، كَمَا نَصَّ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ ١٠٥١ . ب :
« سُلْبَانٌ » تَحْرِيفٌ . وَجَبَّارٌ ، أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْفَرَسَانِ ، أَسْلَمَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَرْ مَعُونَةَ ، لِسَبَبِ
طَرِيفٍ ، بَعْدَ مَا كَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ . انْظُرِ السَّيْرَةَ ٦٥٠ ، ٩٣٩ جَوْتَنْجَن .

(٦) انْظُرِ الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٨١) وَشُرُوحَ سَقَطِ الزُّنْدِ ٥٠٠ . هـ : « مَا كَانَ يَكُونُ » .

وكان زيد بن جندب أشغى أفلج^(١) ، ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة . وقال عبيدة بن هلال اليشكري^(٢) في هجائه له :

أشغى عقنباة وناب ذو عصّل^(٣) وفلج باد وسن قد نصّل^(٤) .
وقال عبيدة أيضا فيه :

ولفوك أشنع حين تنطق فاغرا^(٥) من في قريح قد أصاب بريرا^(٦) .
وقد قال الكمي :
^{أشغى} ^{أشغى}

تُشبه في الهام آثارها مشافر قرحى أكلن البريرا^(٦) .
وقال النمر بن تولب في شنة أشداق الجمل :

كم ضربة لك تحكي فاقراسية^(٧) من المصاعب في أشداقه شنع^(٨) .
القراسية : بعير أضجم^(٨) . والضجم : راعوجاج في الفم ، والفقم مثله .
والرؤوق : ركوب السن الشفة .
^{بهمزة}

وفي الخطباء من كان أشغى ، ومن كان أشدق ، ومن كان أرؤوق ، ومن
٣٧ كان أضجم ، ومن كان أفقم . وفي كل ذلك قد روينا الشاهد والمثل .

(١) الشغا : اختلاف نبتة الأسنان بالطول وانقصر ، والدخول والخروج . والفلج : شق في الشفة العليا ، فإذا كان في العليا فهو علم . ل : « أفلج » بالهمزة ، تحريف .
(٢) ذكره الأمدى في المؤلف ١٥٤ . وفي الاشتقاق ٢٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطري بن الفجاءة ثم ولي بعده أمر الخوارج . وهو الذي يقول في حصارهم لما حاصروهم سفيان بن الأبرد الكلبى :

إلى الله أشكو ما نرى من جياننا تساوك هزلى نحن قليل » .

(٣) العقنباة : العقاب الحديدية المخالب . والعصّل : الالتواء .

(٤) ل : « وفلج » تحريف . نصّل : خرج وظهر .

(٥) القريح : المصاب بالقرحة ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك .

(٦) عجز البيت في الحيوان (٣ : ٦ / ٣١٠ : ٤١٢) .

(٧) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وانظر الحيوان (٣ : ٣١٠) . والتفسير

السالى ساقط من هـ .

(٨) الذى في المعاجم أنه البعير الضخم الشديد .

وروى الهيثم بن عدي^(١) عن أبي يعقوب الثقفى ، عن عبد الملك بن عمير^(٢) ، قال : قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفة ، مع المصعب بن الزبير ، (فما رأيتُ خَصْلَةً تَذَمُّ في رَجُلٍ إِلَّا وقد رأيتها فيه) : كان صَعْلُ الرأس أحجَنَ الأنفِ ، أغضَفَ الأذن^(٣) ، متراكب الأسنان ، أشدق^(٤) ، مائل الذقن ، ناتي الوَجْنة ، باخق العين^(٥) ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، ولكنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضاً لمنعه . ولولا أنه لم يجد بُدًّا من أن يجعل له شيئاً على حالٍ لما أقرَّ بأنه إذا تكلم جلى عن نفسه^(٦) . وقوله^(٧) في كلمتهم هذه كقول هند بنت عتبة ، حين أتاها نعيُّ يزيد بن أبي سفيان ، فقال لها بعضُ المعزِّين : إنا لندرجو أن يكون في معاوية خلفٌ من يزيد ، فقالت هند : « ومثلُ معاوية لا يكونُ خلفاً من أحد ، فوالله أن لو جُمعت العربُ من أقطارها ثم رُميَ به فيها ، لخرَجَ من أيِّ أعراضها شاء » . ولكننا نقول : المثلُ الأحنف يقال : « إلا أنه كان إذا تكلم جلى عن نفسه » ؟

* * *

١٥ (١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الأخباري ، كان ممن جالس المنصور والمهدى والهادي ، وفيه يقول أبو نواس :

إذا نسبت عديا في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب

وله تصانيف كثيرة . ولد قبل ١٣٠ وتوفي سنة سبع ومائتين . ابن خلكان .

(٢) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي - ويقال القرشي - أبو عمرو

٢٠ الكوفي ، المعروف بالقبطي ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ،

والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش ، توفي سنة ١٣٦ .

انظر تهذيب التهذيب .

(٣) صعل الرأس : دقيقه . أحجن : مقبل الروثة نحو الفم . أغضف ، مسترخ .

(٤) الأشدق : الواسع الشدق المائله .

(٥) البخق : أن تخسف العين بعد العور .

٢٥

(٦) هذه الفقرة ليست في ل . والكلام في الخبر لعبد الملك بن عمير ، لا الهيثم بن عدي .

(٧) في النسخ : « وقولنا » .

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعتري اللسان من ضروب الآفات . قال ابن الأعرابي : طلق أبو رمادة^(١) امرأته حين وجدها لشغاء ، وخاف أن تبيته بولد الشغ ، فقال :

لشغاء تأتي بحيفس^{مذكر} الشغ .
الحيفس : الولد القصير الصغير^(٢) .

وأنشدني ابن الأعرابي كلمة جامعة لكثير من هذه المعاني ، وهي قول الشاعر :

اسكت ولا تنطق فانت حباب^(٣) ، كلك ذو عيب وأنت عياب
إن صدق القوم فانت كذاب^{مذكر} أو نطق القوم فانت هياب
أو سكت القوم فانت قبقاب^(٤) أو أقدموا يوما فانت وجاب^(٥)
وأنشدني في هذا المعنى أيضاً :

ولست بدميجة في الفراش وجابة يحتمى أن يجيبا^(٦)
ولا ذي قلازم عند الحياض إذاما الشريب أراب الشريبيا^(٧)
الدميجة : الثقيل عن الحركة^(٨) . والقلازم : كثرة الصياح . وأنشدني :

- (١) ل : « أبو زمعة » . وفي عيون الأخبار (٤ : ٨) : « طلق زياد » .
- (٢) الحيفس ، كهزبر وصيقل . وقيل في تفسيره : الدميم الخلقة . والتفسير ساقط من ١٥ .
- (٣) الحباب : الصغير الجسم المتداخل العظام . ل : « خبخاب » تحريف . وأنشده في أمالي ثعلب ٢٦٢ من المخطوطة واللسان (خيب) : « غياب » ، وهو القداح الذي لا يورى . والقداح والقاحاة : حجر القدح . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٥) .
- (٤) قبقاب : كثير الكلام مخلطه .
- (٥) الوجاب . الجبان الفرق . وأنشده في اللسان (قدم) : « أو قدموا » شاهدأ على ٢٠ أن قدم ، بالتشديد ، بمعنى تقدم .
- (٦) الدميجة ، بالدال المهملة . وفي الأصول : « بزميجة » تحريف صوابه في اللسان (دمج ، وجب) ونوادر أبي زيد ٢٤٢ . حيث أنشد البيت . والوجابة : الفرع الفرق . ورواية النوادر : « هيابة » .
- (٧) البيت في اللسان (وجب ، قلزم) .
- (٨) فسر في اللسان (دمج) بأنه المتداخل ، وفي (وجب) بأنه الذي يندمج في الفراش . وفي النوادر : « ابن الأعرابي : رجل دميجة ، إذا كان ملازماً لفراشه » .

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ الْجَيْبِ وَابْنِ أَبِي مُتَّهِمِ الْغَيْبِ^(١)
وَرُبَّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلٌ الثَّوبِ عَلَى الْعَيْبِ^(٢)
وَأُنْشِدْنِي أَيْضًا :
وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ بَظْهَرٍ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذُو الْعُيُوبِ^(٣)

وقال سهل بن هارون : « لو عَرَفَ الزَّيْجِيُّ فَرَطَ حَاجَتِهِ إِلَى ثَنَائِهِ فِي إِقَامَةِ
الْحُرُوفِ ، وَتَكْمِيلِ آلَةِ الْبَيَانِ^(٤) ، لَمَا نَزَعَ ثَنَائِهِ » .
وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في سَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو الْخَطِيبِ^(٥) : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
انْزِعْ ثَنِيَّتَيْهِ الشُّفْلَيْنِ حَتَّى يَدْلَعَ لِسَانُهُ ، فَلَا يَقُومَ عَلَيْكَ خَطِيبًا أَبَدًا^(٦) » .
وإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَهِيلًا كَانَ أَعْلَمَ مِنْ شَفْتِهِ الشُّفْلَى^(٧) .
وقال خَلَادُ بْنُ يَزِيدَ الْأَرْقَطِ^(٨) : خُطِبَ الْجَمْحِيُّ خُطْبَةً نِكَاحٍ أَصَابَ فِيهَا
مَعَانِيَ الْكَلَامِ ، وَكَانَ فِي كَلَامِهِ صَفِيرٌ يَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعِ ثَنَائِهِ الْمَنْزُوعَةِ ، فَأَجَابَهُ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بِكَلَامٍ فِي جُودَةِ كَلَامِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ فَضَّلَهُ بِحُسْنِ الْخُرُجِ

- (١) رجل ناصح الجيب : نقي الصدر ، ناصح القلب ، لا غش فيه .
(٢) البيتان في عيون الأخبار (٢ : ١٤) برواية : « وكل عياب » .
(٣) كأنه مأخوذ من قول المستورد حين قال له رجل : أريد أن أرى رجلا عيابا . قال
١٥ « النمسه بفضل معايب فيه » . الكامل ٥٧٩ ليسك . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٤) .
(٤) هـ ، ح : « وتكمل جميل البيان » .
(٥) هو أبو زيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، خطيب قريش ، وهو الذي تولى أمر
الصلح بالحديبية ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون
سنة ثمان عشرة . الإصابة ٣٥٦٦ وصفة الصفوة (١ : ٣٠٧) والسيرة ٤٧٦ جوتنجن .
(٦) في الإصابة : « قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم
٢٠ علينا خطيبا . فقال : دعها فلعلها أن تمرك يوما . فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم قام سهيل
ابن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإلهه حي لا يموت » .
(٧) كذا . وإنما أعلم مشقوق الشفة العليا . ومشقوق الشفة السفلى يقال له الأفلح .
(٨) خلاد بن يزيد الأرقط ، أحد الرواة للنبائل . والعارفين بالقبائل والأشعار .
ابن النديم ١٧ ليسك ١٥٦ مصر .

والسَّلامَة من الصَّفير ، فذكر عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، سلامَة
نظ زيدٍ لسلامَة أسنانه ، فقال في كلمة له :

قَلَّتْ قَوَادِحُهَا وَتَمَّ عَدِيدُهَا ۖ فَلِهْ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لَا تَنْكَرُ^(١)
ويروى : « صحت مخارجُها وتمَّ حروفُها » . المزيَّة : الفضيلة .

وزعم يحيى بن نُجَيْم بن معاوية بن زَمْعَة ، أحدُ رواةِ أهلِ البصرة^(٢) ، قال :
قال يونس بن حبيب ، في تأويل قول الأحنف بن قيس :

أَنَا ابْنُ الزَّافِرِيَّةِ أَرْضَعْتَنِي ۖ يَثْدِي لَا أَجَدَّ وَلَا وَخِيمَ^(٣) ۖ
أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي ۖ وَلَا صَوْتِي إِذَا جَدَّ الْخُصُومُ^(٤)

قال : إنما عني بقوله عظامي أسنانه التي في فيه ، وهي التي إذا تَمَّتْ تَمَّتْ
الحروفُ ، وإذا نقصت نقصت الحروف .

وقال يونس : وكيف يقول مثله : « أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي » وهو يريد
بالمظام عظامَ اليدين والرجلين وهو أحنفُ من رجليه جميعاً ، مع قول الخُتات
له^(٥) : « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَضَبِيلٌ » ، وإن أمَّك لَوَرْهَاءُ^(٦) . وكان أعرف بمواقع العيوب
وأبصرَ بدقيقها وجليها . وكيف يقول ذلك وهو نُصْبُ عِيُونِ الأعداء والشُّعراء

- ١٥ (١) القادح : أكل يقع في الأسنان .
(٢) ذكره ابن النديم في الفهرست ١٧٠ ليسك ٢٤٢ مصر ، مع أصحاب القصائد التي
قيلت في الغريب .
(٣) الزافرية ، لم أجد في قبائلهم ما يحتمل هذه النسبة . وأم الأحنف ، هي حبة بنت
عمرو بن قرط بن ثعلبة الباهلية ، كما في الإصابة ٤٢٦ . والأجد : اليابس الذي ذهب لبنه .
٢٠ (٤) فيما عدال : « اصطك الخصوم » . وفي البيت إقواء .
(٥) الختات ، كفراب ، هو الختات بن يزيد بن علقمة التميمي الدارمي الهجاسمي ، وكان
الرسول قد آخى بينه وبين معاوية ، فمات في خلافته فورثه بالأخوة . الإصابة ١٦٠٧ . وهو
أحد من وفد من بني تميم على رسول الله . السيرة ٩٣٣ - ٩٣٤ .
(٦) الورهاء : الحمقاء التي لا تمالك حمقا .

والأَكْفَاءُ ، وهو أنفٌ مُضَرَّ الذي تَعَطَّسَ عنه ، وأَبَيَّنُ العربِ والعجم قاطبة .
قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثنياه في الطست .
قال أبو الحسن وغيره : لما سَقَّ على معاوية سقوطُ مَقَادِمٍ فيه قال له يزيدُ
ابن معنٍ السُّلَمي : « والله ما بلغ أحدٌ سِنِّكَ إلا أبغض بعضه بعضاً ، ففُوكَ أَهْوَنُ
علينا من سمعك وبصرِكَ » . فطابت نفسه .

وقال أبو الحسن المدائني : لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانه بالذهب قال : « لولا
المنابر والنساء ، ما باليت متى سقطت » .

قال : وسألتُ مباركا الزنجيَ الفاشكار^(١) ، ولا أعلم زنجياً بلغ في
الفشكرة مبلغه ، فقلت له : لِمَ تنزع الزنج ثنياه ؟ ولم يحدّد ناسٌ منهم
أسنانهم ؟ فقال : أمّا أصحاب الحديد فللقِتال والنَّهْشِ ، ولأنّهم يأكلون لحومَ
الناس ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذه أسيراً أو قتيلاً أكله ، وكذلك إذا
قاتل بعضهم بعضاً أكل الغالبُ منهم المغلوب . وأمّا أصحاب القلَع فإنّهم قالوا :
نظرنا إلى مَقَادِمِ أفواهِ الغنم فكبرهنا أن تشبه مَقَادِمُ أفواهنا مَقَادِمَ أفواهِ الغنم ،
فكم تظنّهم — أكرمَكَ الله — فقدّوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنياه .
وفي هذا كلامٌ يقع في كتاب الحيوان .

وقال أبو الهندي في اللّغ :
سَقَيْتُ أبا المطرَح إِذْ أَتَانِي وَذُو الرِّعَائَاتِ مُنْتَصِبٌ بِصِيحٍ^(٢)
شَرَاباً تَهْرُبُ الذِّبَانُ مِنْهُ وَيَلْتَمِعُ حِينَ يَشْرِبُهُ الْفَصِيحُ^(٣)

(١) الماشكار : لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكاري » الفارسية ، بمعنى
٢٠ الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر اسديجاس ١٨٩ . وفي هامش ه :
« الفاشكار هو الملاح . والفشكرة : العلاحة » .

(٢) فيما عدل ، ه : « إذا تأق » بحريف . والرعة ، بالضم والتحرير : عنون الديك .

(٣) الذبان تسقط على النيذر الحلو ولا تسقط على الحارز . انظر الحيوان (٣ : ٣٦٠ ،

(٣٨٠) . ه : « الذبان عنه » .

وقال محمد بن عمرو الرُّومى ، مولى أمير المؤمنين : قد صَحَّت التجربة وقامت العبرة على أن سقوطَ جميع الأسنان أصلحُ في الإبانة عن الحروف ، منه إذاً ، سقط أكثرها ، وخالف أحدُ شطريها الشَّطر الآخر .

وقد رأينا تصديقَ ذلك في أفواه قومٍ شاهدَهم النَّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانهم ، وبعد أن بقي منها * الثلث أو الرَّبْع .

فمن سقطت جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوماً : الوليدُ بن هشام القَحْذَمى ^(١) صاحبُ الأخبار . ومنهم أبو سفيان بن العلاء بن ليبدٍ التَّغْلَبى ^(٢) ، وكان ذا بيانٍ ولسن .

وكان عبيد الله بن أبي غَسَّان ظريفاً يصرفُ لسانه كيف شاء ^(٣) ، وكان الإلحاح على التَّقى ^(٤) قد برَدَ أسنانه ، حتَّى لا يرى أحدٌ منها شيئاً إلا إن تطلَّعَ في لحم اللِّثة ، أو في أصول منابتِ الأسنان .

وكان سفيانُ بن الأبرد الكلبي ^(٥) كثيراً ما يجمع بين الحارِّ والقارِّ ، فتساقطت أسنانه جُمع (وكان في ذلك كلُّه) خطيباً بَيِّناً . «جُمع» ما ألجم وما عناه

وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذى فيه مغارزُ الأسنان تشميرٌ ^(٦) وقصرٌ سَمَكٌ ^(٦) ، ذهبت الحروفُ وفسدَ البيان . وإذا وجدَ اللسانُ من جميع

(١) الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وروى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجهمى . توفى سنة ٢٢٢ . لسان الميزان وأنساب السمعاني ٤٤٣ .

(٢) ذكره الجاحظ في (١ : ١٩١) من الأصل ، فيمن كنيته اسمه ، قال : « وأبو سفيان بن العلاء بن ليبد التَّغْلَبى ، خليفة عيسى بن شيب المازنى على شرط البصرة » .

(٣) فيما عدال : كيف أحب .

(٤) ما عدال ، هـ : القيسى « تحريف » .

(٥) سفيان بن الأبرد الكلبي : أحد قواد بني أمية ، كان ذا ضلع كبيرة في حرب الخوارج ، وهو آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاءة وقتله سنة ٧٨ ، وكان المباشر لقتله سودة بن أبجر . انظر ما سياتى في (٣ : ٢٦٤) ، وابن خلكان في ترجمة قطرى .

(٦) التشمير : التقليص . والسَمَك ، بالفتح : الارتفاع .

١٠٧١ -

جهاته شيئاً يقرعه ويصكه ، ولم يمر في هواء واسع المجال ، وكان لسانه يملأ
جوبة فيه ، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المعتفر ، والجزء المحتمل . ويؤكد
ذلك قول صاحب المنطق^(١) ، فإنه زعم في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع
والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما
يُلَقَّن ولما يسمع ، كنعو البيغاء والغداف وغراب البين^(٢) ، وما أشبه ذلك ؛

وكالذي يتهياً من أفواه السنابير إذا تجاوبت ، من الحروف المقطعة المشاركة لخارج
حروف الناس . وأما الغنم فليس يمكنها أن تقول إلا « ما » . والميم والباء أول
ما يتهياً في أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان من عمل
اللسان ، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شيء من الحروف أدخل في

١٠ باب النقص والعجز من فم الأهم ، من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة .
فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن ، إلا أن يكون المتكلم أعسر
يسراً^(٣) ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ؛ فإنه كان يخرج الضاد من أي
شديقه شاء . فأما الأيمن والأعسر والأضبط^(٤) ، فليس يمكنهم ذلك إلا
بالاستكراه الشديد .

١٥ وكذلك الأنفاس مقسومة على المنخرين ، فحالا يكون في الاسترواح^(٥) ودفع
البخار من الجوف من الشق الأيمن ، وحالا يكون من الشق الأيسر ،

(١) صاحب المنطق ، هو أرسطوطاليس ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من
سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب
بصاحب المنطق » . القفطي ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ - ٣٤٩ .

٢٠ (٢) انظر الحيوان (٥ : ٢٨٨) . وجاء في الحيوان (٢ : ٣١٥) : « وغراب البين
نوعان : أحدهما غرابان صغار معروفة بالضعف واللؤم ، والآخر كل غراب يتشام به » .

(٣) رجل أعسر يسر : يعمل بيديه جميعاً .

(٤) الأعسر : الذي يعمل بيده اليسرى خاصة . والأضبط ، تفسره المعاجم بأنه الأعسر
اليسر الذي يعمل بكلتا يديه . وتأمل .

٢٥ (٥) الاسترواح : التشميم .

وابنه ، في نسقي واحد ، يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف آنفهم .
وتقول الهند : لولا أن القيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر
يتها في لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة^(١) .

وقد ضرب الذين زعموا أن ذهاب جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن
الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين ، في ذلك مثلاً ، فقالوا : الحمام المقصوص
جناحاه جميعاً أجدر أن يطير من الذي يكون جناحاه أحدهما وافراً والآخر
مقصوصاً . قالوا : وعلة ذلك التعديل والاستواء ، وإذا لم يكن ذلك كذلك ارتفع
أحد شقيه وانخفض الآخر ، فلم يجذف ولم يطر^(٢) .

والقطا من الطير قد يتها من أفواهها أن تقول : قطا قطا . وبذلك سميت^(٣)
١٠ ويتها من أفواه الكلاب العيئات والفاءات والواوات ، كنعوقوها : وو وو ،
وكنعوقوها : عف عف .

قال الهيثم بن عدي : قيل لصبي : من أبوك ؟ فقال : وو وو ؛ لأن أباه كان
يسمى كلباً^(٤) .

قال : ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنعوق استعمال الرثوم
١٥ للسین . واستعمال الجرامقة للعین^(٥) .

= مجود من أهل ایمامة ، قدم بغداد ومدح المهدي والرشد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء
العلوية في شعره ، وله في معن بن زائدة مدائح ومراث عجيبة . ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٨٢ .
وفيات الأعيان وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) انظر الحيوان (١ : ٧/٣١٠ : ١٠٣ : ١٩٢) .

٢٠ (٢) جذف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجذافاه :
جناحاه . يقال بالذال والذال جميعاً . انظر الحيوان (١ : ٣/٢٦٢ : ٢٣٠) .

(٣) ل : « ولذلك سميت » .

(٤) الخبر في الحيوان (٢ : ٥/٦٨ : ٢٨٨) .

(٥) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، أي السريانيين . قال المسعودي في التنبيه
٢٥ والإسراف ٦٨ : « وكانوا شعوباً وقبائل ، منهم النونويون ، والأثوريون ، والأرمان ،
والأردوان ، والجرامقة ، ونيط العراق ، وأهل السواد » .

- وقال الأصمعيّ : ليس للروم ضادّ ، ولا للفرس ثاء ، ولا للشريانيّ ذال .
قال : ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً في بيت شعريّ
لم يستطع المنشدُ إنشادها إلاّ ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :
وقبرٌ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربَ قبرٍ حربٍ قبرٍ^(١)
ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت^(٢) ثلاثَ
مرّاتٍ في نسقٍ واحدٍ فلا يتتبعُ ولا يتلجّجُ ، وقيل لهم إنّ ذلك إنما اعتراه
إذ كان من أشعار الجنّ ، صدّقوا بذلك .
ومن ذلك قول ابن يسير^(٣) في أحمد بن يوسف^(٤) حين استبطأه : ويرى بمن
هلّ مُعينٌ على البكا والعويلِ أم مُعزٌّ على المصاب الجليلِ
ميّتٌ مات وهو في ورق العيش مقيمٌ به وظلّ ظليّ^(٥)
في عِدَادِ الموتى وفي عامري الدُّنْ يا أبو جعفرٍ أخى وخليلي^(٦)

- (١) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبه إلى بعض الجنّ ، وصنعوا في ذلك قصة .
انظر الحيوان (٦ : ٢٠٧) ومعهامه التنصيص (١ : ١٢) وقد روى بلفظ : « وما بقرب
قبر حرب قبر » .
(٢) البيت السابق من السريع . فيما عدل : « هذين البيتين » تحريف .
(٣) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه كان مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن
الفرج الرياشي الأخباري الأديب ، وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين متقلداً ، لم يفارق
البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجماً ، ولا جاوز بلده ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً من
بجلاء الناس . انظر أخباره في الأغاني (١٢ : ١٢٤ - ١٣٦) . وله أخبار وأشعار شتى
في كتاب الحيوان . وفي الأصول : « ابن بشير » تحريف . وفي القاموس (يسر) . « وأبو جعفر »
وهو محمد بن يسير ، شاعر . وجاء في ترجمته من الأغاني (١٢ : ١٣٢) أن الخليفة المعتصم
تفادى باسمه وقال : « أمر محمود ، وسير سريع » .
(٤) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، كان كاتب ديوان الرسائل
زمان المأمون ، وكان فصيح اللسان يقول الشعر في الغزل والمدح والهجاء ، وله أخبار مع
إبراهيم بن المهدي ، وأبي العنافة ، ومحمد بن يسير وغيرهم . توفي سنة ٢١٣ . تاريخ بغداد ٢٥
٢٦٩٢ والأغاني (٢٠ : ٥٦ - ٥٨) . والأبيات في العقد (٦ : ١٩٢) .
(٥) ورق العيش : نضرته وحداثته . (٦) ما عدا هـ : « عامر » .

لَمْ يُمْتْ مِيتَةَ الْوَفَاةِ وَلَكِنْ مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلٍ
 « لَا أُذِيلُ الْأَمَالَ بِعَدِكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ حَقٌّ بِخَيْلٍ
 « كَمْ لَهَا وَقْفَةً يَبَابِ كَرِيمٍ رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ ^(١)
 ثُمَّ قَالَ :

لَمْ يَضِرْهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، شَيْءٌ وَانْتَنَتْ نَحْوَ عَزْفٍ نَفْسٍ ذَهُولٍ ^(٢)
 فَتَفَقَّدَ النِّصْفَ الْآخِرَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ : فَإِنَّكَ سَتَجِدُ بَعْضَ أَلْفَاظِهِ يَتَبَرَأُ
 مِنْ بَعْضٍ .

وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْعَاصِي قَالَ : أَنْشَدَنِي خَلْفُ الْأَحْمَرِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :
 وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَالَةٍ يَكْغُذُّ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ ^(٣)
 وَقَالَ أَبُو الْعَاصِي : وَأَنْشَدَنِي فِي ذَلِكَ أَبُو الْبَيْدَاءِ الرِّيَّاحِيُّ ^(٤) :
 ١٠ وَشِعْرُ كَبْهَرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلٍ ^(٥)
 أَمَا قَوْلُ خَافٍ :

« وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَالَةٍ »
 فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِذَا كَانَ الشَّعْرُ مُسْتَكْرَهًا ، وَكَانَتْ أَلْفَاظُ الْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ
 ١٠ لَا يَتَمَعُّ بَعْضُهَا مِمَّا تَأْتِي بَعْضُ ، كَانَ بَيْنَهَا مِنَ التَّنَافُرِ مَا بَيْنَ أَوْلَادِ الْعَالَتِ . وَإِذَا

(١) المعنى : الإخلاء وترك الشيء ضياعاً . فِيمَا عَدَال : « مَوْقِعاً بِبَابِ كَرِيمٍ » .
 (٢) فِي الْمَسَاءِ : « عَزَفْتُ نَفْسِي عَنْ الشَّيْءِ تَعَزُّفٌ وَتَعَزُّفٌ عَزْفًا وَعَزُوفًا : تَرَكْتُهُ بَعْدَ
 إِعْجَابِيهَا وَزَهَدِي فِيهِ » . وَالذَّهُولُ ، مِنَ الذَّهْلِ . بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ تَرَكْتُكَ الشَّيْءَ تَنَاسَاهُ عَلَى عَمْدٍ ،
 أَوْ يَسْمَعُ مِنْهُ شَيْءٌ . مِمَّا عَدَل : هـ : « نَحْوُ عَرَفَ » تَعْرِيفٌ .
 ٢٠ (٣) أَنْشَدَ عَالَةً : بَنُو رَجَرٍ وَاحِدٌ مِنْ أُمَهَاتِ شَتَّى . وَالْبَيْتُ فِي الْعَمْدَةِ (١ : ١٧٢) .
 (٤) دَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيمِ فِي الْمَهْرَسْتِ ٦٦ وَقَالَ إِنَّهُ زَوْجُ أُمِّ أَبِي مَالِكٍ عَمْرِو بْنِ كُرْكُرَةَ .
 وَمَا « قَوْمُ رَاوِيهِ فِي الْبَيْدَاءِ » وَاسْمُ أَبِي الْبَيْدَاءِ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي عَصَمَةَ ، وَهُوَ أَعْرَابِي نَزَلَ
 الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ يَوْمَ أَصْدِيَانِ بَأْرَةَ .
 (٥) أَنْشَدَ الْعَمْدَةَ (١ : ١٧٢) .

كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرَضِيًّا موافقا ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء ، سهل الخارج ، فتعلم^(١) بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان .

وأما قوله « كبر الكبش » ، فإنما ذهب إلى أن بحر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلَسّاً وليّنة المعاطف سهلة ؛ وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشقُّ على اللسان وتكيدُه ، والأخرى تراها سهلة ليّنة ، ورطبة مواتية ، سلسلة النظام ، خفيفة على اللسان ؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، ١٠ وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

وقال سحيم بن حفص^(٢) : قالت بنت الحطيئة للحطيئة : « تركت قوماً كراماً ونزلت في بني كليب بحر الكبش » . فعابتهم بتفرق بيوتهم .
ف قيل لهم : فأنشدونا بعض ما لا تتباين ألفاظه ، ولا تتنافر أجزاءه . فقالوا :
قال الثقي^(٣) : مَتر

من كان ذا عضدٍ يدرك ظلامته إنَّ الدليل الذي ليست له عضدٌ
* تنبؤ يده إذا ما قلَّ ناصرُه ويأنف الضيم إنَّ أثرى له عددٌ
وأنشدوا^(٤) :

(١) فيما عدل : « فيعام » وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٤٠ .

٢٠ (٣) هو الأجرد الثقي ، كما في الشعراء ٧١٢ . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢) ، والحيوان (٣ : ٤٥) . وفي ل : « فأنشدوا » فقط .

(٤) الأبيات التالية لأبي حية النخعي ، كما في الكامل ١٩ لبسك والحماسة (٢ : ١١٠) .
وانظر الحيوان (٣ : ٤٩) .

رَمَتْنِي وَسِترُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ يَتِيهَا
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا
وَأَنْشَدُوا :
عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ^(١)
ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يَهُيمُ^(٢)
وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ^(٣)

٤٤

وَنَسْتُ بِدُمُيْجَةٍ فِي الْفَرَا
ش وَجَابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجَيِّبَا^(٤)
وَلَا ذِي قَلَازِمٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ إِذَا مَا الشَّرِيبِ أَرَابَ الشَّرِيَا
وَقَالَ أَبُو نُوفَلٍ بْنُ سَالِمٍ^(٥) لِرُؤْبَةَ بْنِ الْعِجَاجِ : يَا أَبَا الْجَحَّافِ ، مِتْ إِذَا
شُنْتُ^(٦) . قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ رُؤْبَةَ يَنْشُدُ رَجْزاً أُعْجِبُنِي .
قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ ، لَوْ كَانَ لِقَوْلِهِ قِرَانٌ^(٧) ! وَفَالَ الشَّاعِرُ :

مَهَادِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ مَنَادِبَةٌ كَأَنَّهُمُ الْأُسُودُ
وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

وَبَاتَ يَدْرُسُ شِعْراً لَا قِرَانَ لَهُ قَدْ كَانَ تَقَّحَهُ حَوْلًا فَمَا زَادَا
وَقَالَ الْآخَرُ ، بَشَارُ :

فَهَذَا بَدِيَّةٌ لَا كِتْحَبِيرَ قَائِلِي إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوْرَهُ شَهْرًا^(٨)

• • •

١٥

(١) رَمَتْنِي : تَى بِطَرَفِهَا . سَمَرَاتُهَا : الْإِسْلَامُ أَوْ الشَّيْبُ . وَآرَامِ الْكِنَاسِ ، رَوَى فِيهَا : ، بِأَحْجَارِ الْكِنَاسِ ، وَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ . وَرَمِيمٌ : أُمُّ خَلِيلَتِهِ .
(٢) بَصَحَ فِي « أَنْ » أَنْ تَكُونَ نَاصِبَةً . أَوْ خَفَّفَهُ مِنَ الثَّقَلَةِ يَرْفَعُ بَعْدَهَا الْفِعْلُ .
(٣) قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي تَفْسِيرِهِ : « أَوْ كَمِثْ شَابَا لِرَمِيَتْ كَمَا رَمِيَتْ ، وَفَتَنْتْ كَمَا فَتَنْتْ ، وَلَكِنْ فَدَ تَعَاوَلْ عَهْدِي بِالشَّابِ » .

(٤) سَبَقَ الْبَيْتَانِ وَالْكَاسِمُ عَلَيْهِمَا فِي ٥٧ . وَفِي الْأَصُولِ : « وَلَسْتُ بِزُمَيْجَةٍ » تَحْرِيفٌ .

(٥) فِيهِمَا عَدَالٌ ، هـ : « قَالَ نُوفَلُ بْنُ سَالِمٍ » .

(٦) فِيهِمَا عَدَالٌ : « مِتْ شُنْتُ » . وَكَبِ فَوْقَهَا فِي هـ : « إِذَا » .

(٧) فِي دُمُيْجَةٍ هـ : « الْقِرَانُ : تَشَابُهُ وَالْمُوَافَقَةُ » .

(٨) سَقَى " يَتِ فِي ٢٤ .

فهذا في اقتران الألفاظ . فأما في اقتران الحروف ^(١) فإن الجيم لا تقارن
الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزاي لا تقارن الطاء
ولا السين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير . وقد
يُكتفى بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يُجرى .

وقد يتكلم المغلاق ^(٢) الذي نشأ في سواد السكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون
لفظه متخيرًا فاخرًا ، ومعناه شريفًا كريمًا ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه
ونحارج حروفه أنه نبطي . وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة ، فإنك
تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في تخرج كلامه ، أنه خراساني . وكذلك إن كان
من كتاب الأهواز .

ومع هذا إننا نجد الحاكية من الناس ^(٣) يحكي ألفاظ سُكان اليمن مع
نحارج كلامهم ، لا يُفادر من ذلك شيئًا . وكذلك تكون حكايته للخراساني
والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك ^(٤) . نعم حتى تجد أنه
أطبع منهم ، فإذا ما حكي كلام الفأفاء فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل
فأفاء في الأرض في لسان واحد . وتجد يحكي الأعمى بصور ينشئها لوجه وعينه
وأعضائه ، لا تكاد تجد من ألف أعمى واحدًا يجمع ذلك كله ، فكأنه قد جمع
جميع طرف ^(٥) حركات العميان في أعمى واحد .

٤٠ * ولقد كان أبو دَبُوبَة الزنجي ، مولى آل زياد ، يقف بباب الكرنج ،

(١) فيما عدل : « افتراق » في هذا الموضع وسابقه .

(٢) المغلاق : الذي يستعصى عليه الكلام .

(٣) الحاكية ، أراد به الذي يحكي كلام الناس ويفعل مثلهم في الحديث . وهذا اللفظ لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٤) ما عدل : « والأجناس وغير » تحريف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « طرق » بالقاف .

بمضرة المكارين^(١) ، فينهيق ، فلا يبقى حمارٌ مريض ولا هَرم حسيّرٌ ،
ولا مُتَعَبٌ بهيرٌ إلا نهيق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة ، فلا تنبعث —
لذلك ، ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دُبُوبَة يحركه . وقد كان جمعُ
جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد . وكذلك كان في نباح
الكلاب . ولذلك زعمت الأوائل أن الإنسان إنما قيل له العالم الصغير سليلُ
العالم الكبير ، لأنه يصور بيديه كل صورة ، ويحكى بفمه كل حكاية^(٢) ،
ولأنه يأكل النبات كما تأكل البهائم ، ويأكل الحيوان كما تأكل السباع
وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا .

وإنما تهيأ وأمكن الحاكية لجميع مخارج الأم ، لِمَا أعطى الله الإنسان
١٠ من الاستطاعة والتمكين ، وحين فضله على جمع الحيوان بالمنطق والعقل
والاستطاعة (فبطول استعمال التكلف ذلت جوارحه لذلك . ومتى ترك شمائله
على حالها ، ولسانه على سجيته ، كان مقصوراً بعبادة المنشأ على الشكل الذي
لم يزل فيه). وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ ، وصور
الحركات والشكون . فأمّا حروف الكلام فإن حُكْمَهَا إذا تمكنت في الألسنة
١٥ خلاف هذا الحكم . ألا ترى أن السندى إذا جُلبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن
يجعل الجيم زايًا ولو أقام في عليا تميم ، وفي سُفلى قيس ، وبين عَجْز هوازن ،
خمين عامًا . وكذلك النبطي القح ، خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ؛
لأن النبطي القح^(٣) يجعل الزاي سينًا ، فإذا أراد أن يقول زورق قال سوزق ،
ويجعل العين همزة ؛ فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلٌ ، قال مُشْمِلٌ .

٢٠ (١) المكارين : جمع مكار . وهو من يكريك دابته تنتفع بها بالكراء ، وهو الأجر .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وانظر الحيوان (١ : ٢١٣) .

(٣) ما بعد « القح » الأولى إلى هنا ليس في ل .

والنَّخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنَّ أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة
بأن تقول ناعمة ، وتقول شمس ، ثلاث مرَّات متواليات .

والذى يعترى اللسان ممَّا يمنع من البيان أمور : منها اللُّغْة التى تعترى
الصُّبَّيان إلى أن ينشئُوا ، وهو خلافُ ما يعترى الشيخ الهرم الملاج^(١) ، المسترخى
الحنك ، المرتفع اللُّغَة ؛ وخلافُ ما يعترى أصحاب اللُّسكن من العجم ، ومن يُنشأ^(٢) .
٤٦ من العرب مع العجم ، فمن اللُّسكن ممَّن كان خطيباً ، أو شاعراً ، أو كاتباً داهياً^(٣)
زيادُ بن سلمى أبو أمانة ، وهو زيادُ الأعجم^(٤) . قال أبو عبيدة : كان يُنشد قوله :
فَتَّى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ^(٥)
قال : فسكان يجعل السِّنَّ شيناً والطاء تاءً ، فيقول : « فتَّى زَادَهُ السُّلْطَانُ » .
ومنهم سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ^(٦) ، قال له عمرُ بن الخطاب رحمه الله :
وأُنشد قصيدته التى يقول أولها :

بِـ عُمَيْرَةٍ وَدَّعَ إِن تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كُنَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا
سَمْعُ مَعْمُورٍ .

- (١) الملاج : الهرم الذى يمج ريقه ولا يستطيع حبسه .
(٢) ل : « خطيباً وشاعراً وكاتباً داهياً » . (٣) هـ : « نشأ » .
(٤) زياد الأعجم : من شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى الأشعرى ، وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضاً زياد بن سليمان . انظر الخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣ والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني (١٤ : ٩٨ - ١٠٥) .
(٥) فى الحيوان (٧ : ١٥١) أن يزيد بن المهلب كان يعد هذا الشعر أحسن ما مدح به . وفى الكامل ٣٦٦ أنه يمدح بالشعر المهلب بن أبى صفرة .
(٦) سحيم من المخضرمين ، قد أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد يرتضع لكنه حبشية . وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد ابتمت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان : لا حاجة بي إليه فاردده ؛ فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شيع أن يشبب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم . فردده عبد الله . قتل ٢٥ سحيم فى خلافة عثمان . انظر الأغاني (٢٠ : ٢) والخزانة (١ : ٢٧٢ - ٢٧٤) .

فقال له عمر^(١) : لو قدّمتَ الإسلامَ على الشَّيب لأجزتُكَ . فقال له : ما سَعَرْتُ .
يريد ما شَعَرْتُ ، جعلَ الشَّيبَ المعجزةَ شيئاً غيرَ معجزة .

ومنهم عُبيد الله بن زياد^(٢) ، وإلى العراق ، قال لهاني بن قبيصة : أَهْرُورِيٌّ
سائرَ اليوم ! يريد أحرُورِيٌّ .

ومنهم صُهَيْب بن سِنان النَّمَرِيّ^(٣) ، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول : إِنَّكَ لَهَانٌ ، يريد إِنَّكَ لَحَائِنٌ^(٤) . وصُهَيْب بن سنان يرتضخ لُكنةً
روميةً ، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنةً فارسيةً ، وقد اجتمعا على جعل الحاء هاءً .
وأزداقاً ذار لُكنته لُكنةً نبطيّةً ، وكان مثلُهما في جعل الحاء هاءً .
وبعضُهم يَروِي أَنَّهُ أَمَلِي على كاتبٍ له فقال : اكتب : «الهاصل ألفُ كُرٍّ»^(٥)
فكتبها الكاتب بالهاء كاللفظ بها^(٦) فأعاد عليه الكلامَ ، فأعاد الكاتب . فلما
فَطِنَ لاجتماعهما على الجهل^(٧) قال : أنت لا تُهَسِّنُ أن تكتب ، وأنا لا أَهَسِّنُ أن
أُمَلِي ، فا كُتِبْ : «الجاصل ألفُ كُرٍّ» : فكتبها بالجيم معجزة .

(١) بدل هذه العبارة فيما عدل : « لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتكَ . هكذا وقع
في جميع نسخ "كتاب . والحكاية روية عن عمر رضى الله تعالى عنه في غير هذا الموضع كما وقعت
داخل كتاب . وهو كلام مقحم من زيادة قارئ أو ناسخ . والقصة في الكامل ٣٦٦ .

(٢) في مكمل ٣٣٦ : « وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنة فارسية ، وإنما أتته
من قبل زوج أمه : شيرويه الأسواري » . وسيأتي في كلام الجاحظ نحو هذا .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك النمرى الرومى ، قبل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً ،
فنشأ فيهم فصار أُلكن . وكان ممن عذب في بدء الإسلام . توفي سنة ٣٨ .

(٤) حائِن : أى هائِك . ما حاداه : « لحائن » والسياف يأباه .

(٥) الكُر ، بالضم : مكبال لأهل العراق ستون قفيزاً ، قال ابن سيده : يكون
بالمعصرى أربعين أردباً .

(٦) فيما عدل : « كما لفظ بها » .

(٧) ل : « بجمعهم » الخفاء .

ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة^(١) ، وكان حسنَ الألفاظ جيّد المعاني ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُنت لك . فشارك في تحويل القاف كافاً عبید الله بن زياد . كذلك خبرنا أبو عبيدة .

قال : وإنما أتى عبید الله بن زياد في ذلك أدّه نشأ في الأساورة^(٢) عند شيرويه الأسواري ، زوج أمّه مرجانة .

وقد كان في آل زياد غير واحد يسمى شيرويه . قال : وفي دار شيرويه عاد علي بن أبي طالب زياداً من علة كانت به .

فهذا ما حضرنا من لُكنة البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء . فأما لُكنة العامة ومن لم يكن له حظ في المنطق فمثل فيل مولى زياد^(٣) فإنه قال مرّة لزياد « أهدوا لنا همار وهش » . يريد حمار وحش . فقال زياد : ما تقول ويحك ! قال : « أهدوا إلينا أيراً » . يريد عيراً . فقال زياد : الأول أهون ! وفهم ما أراد^(٤) . وقالت أم ولد لجري بن الخطفي ، لبعض ولدها : « وقع الجرذان في عجان أمكم^(٥) » ، فأبدلت الذال من الجرذان^(٦) دالاً وضمت الجيم ، وجعلت العجين عجانا . وقال بعض الشعراء في أم ولد له ، يذكر لُكنتها : أول ما أسمع منها في السحر^(٧) تذكرها الأثني وتأنيت الذكر ١٥

✽ والسوءة السواء في ذكر القمر ✽ ١

(١) هو أبو مسلم الخراساني ، الذي قام بالدعوة إلى الدولة العباسية . واسمه عبد الرحمن ابن مسلم ، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . انظر الحيوان (٥ : ٣٤٠) .

(٣) كان مولى زياد وحاجبه . انظر الحيوان (٧ : ٨٢ - ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٣) .

(٤) هذه الجملة في ل فقط .

(٥) الجرذان ، بالضم : قضيب ذوات الخوافر ، أو هو عام . والعجان : ما بين السواتين .

(٦) الجرذان ، بكسر الجيم وضمتها : جمع جرذ ، وهو ضرب من القار .

(٧) فيما عدل : « أكثر ما أسمع » . وسيميده الجاحظ فيما بعد برواية : « أول » . ٢٥

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر ، قالت : الكَمَر .
 وقال ابنُ عَبَّاد^(١) : رَكَبْتُ عَجُوزَ سِنْدِيَّةٍ جَمَلًا ، فلما مضى تحتها متخلِّعًا
 اعتراها كهينة حركة الجماع ، فقالت : هذا الذَّمْل يَذْكَرُنا بالسَّرِّ . تريد أنه
 يذكرها بالوطء ، فقلبت الشين سينًا والجيم ذالا . وهذا كثير .
 • وباب آخر من اللكنة . قيل لنَبْطِيٍّ : لِمَ ابْتَعْتَ هذه الأتان ؟ قال :
 « أَرَكِبُها وتَلْدُ لي » فجاء بالمعنى بعينه ولم يُبَدِّل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها
 ولا نقص ، ولكنّه فتح المكسور حين قال وتلد لي ، ولم يقل تلد لي .
 قال : والصَّقْلِيُّ^(٢) يجعل الذال المعجمة دالًّا في الحروف .

(١) هو محمد بن عبّاد بن كاسب ، كما في الحيوان (٣ : ٢٩٢) ، حيث ساق القصة
 ١٥ بعبارة أخرى .

(٢) الصقلبي : نسبة إلى صقلب ، وهي بلاد بين بلغاريا وقسطنطينية كما ذكر ياقوت .
 فيما ، ل : ، الصقل « تحريف ؟ فإن الذين يعنيهم الجاحظ عند ذكر الأمم هم الصقالبة .
 انظر الحيوان (١ : ١١٣ ، ١١٨ - ١٢٠ / ٣ : ١٤٦ ، ٢٤٥ / ٤ : ٧١ ، ١٠٩ / ٥ :
 ٢٣٦ : ٧ / ٣٦) .

باب البيان^(١)

قال بعضُ جهابذة الألفاظِ ونُقَّادِ المعاني : المعاني القائمةُ في صدور الناسِ^(٢) المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورةٌ خفيةٌ ، وبعيدةٌ وحشيةٌ ، ومحجوبةٌ مكنونةٌ ، وموجودةٌ في معنى معدومةٌ ، لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ،
 ٤٨ ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره ، وعلى ما لا يبلغه من حاجاتٍ نفسه إلا بغيره . وإنما يُحيى تلك المعاني ذكرهم لها^(٣) ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها . وهذه الخصالُ هي التي تقرَّبها من الفهم ، وتَجَلَّيها للعقل ، وتجعل الخفي منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخص الملتبس^(٤) ، وتحلُّ المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوحشي مألوفاً ،
 والفُعل موسوماً ، والموسوم معلوماً . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحثُّ عليه . بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصنافُ العجم^(٥) .

(١) كلمة « البيان » ليست في ل ، ه ؛ وهي في سائر النسخ .

(٢) فيما عدل : « العباد » .

(٣) فيما عدل ، ه : « وإنما يحيى تلك المعاني في ذكرهم لها » .

(٤) التلخيص : التبيين والتفسير . وفي حديث علي « أنه قعد لتلخيص ما التبس ٢٠

على غيره » .

(٥) فيما عدل ، ه : « الأعجام » .

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يُغضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محموله كأننا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

ثم اعلم — حفظك الله — أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ؛ لأن المعاني مبسطة إلى غير غاية ، وممتدة إلى غير نهاية ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة .

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء ١٤ لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقْد^(١) ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة^(٢) . والنصبة هي الحال الدالة ، التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ؛ وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقذارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السار والصار ، وعمّا يكون منها لغواً ١٥ ١٤ بَهْرَجًا^(٣) ، وساقط مطرَحًا .

قال أبو عثمان : وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أوّل هذا الكتاب ، ولكننا أخرناه إبعاض التدبير .

(١) العقْد : صرب من احساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد ٢٠ في الحديث أنه « عند عتد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة (٣ : ١٤٧) والحيوان (١ : ٣٣) .

(٢) كذا ضبطت في بكسر النون ، ضبط اسم الهيئة .

(٣) لغواً : أي لا يعتمد به ولا يحصل منه على فائدة . ل : « لغواً » تحريف . والبهرج : باطل .

وقالوا : البيان بَصَرٌ والعِي عَمَى ، كما أن العلم بَصَرٌ والجهل عَمَى . والبيان من نتائج العلم ، والعِي من نتائج الجهل .

وقال سهل بن هارون^(١) : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم^(٢) .

وقال صاحب المنطق : حَدُّ الإنسان : الحىُّ الناطق المبين .
وقالوا : حياة المروءة الصدق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحليم العلم ، وحياة العلم البيان .

وقال يونس بن حبيب : ليس لعبيّ مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حَكَّ بياض فوْخِه أَعْنَانُ السَّمَاءِ^(٣) .

وقالوا : شِعْرُ الرَّجُلِ قِطْعَةٌ من كلامه ، وظَنُّهُ قِطْعَةٌ من علمه ، واختيارُهُ قِطْعَةٌ من عقله .

وقال ابنُ التَّوَّامِ^(٤) : الروح عِمَادُ البدن ، والعلم عِمَادُ الروح ، والبيان عِمَادُ العلم .

قد قلنا في الدلالة باللفظ . فأما الإشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب والسيف . وقد يتهدد رافع السيف^{١٥} والسوط ، فيكون ذلك زاجراً ، ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً .

(١) سبقت ترجمته في ٢٥ .

(٢) الترجمان ، كزعفوان وعنفوان ، وبفتح التاء وضم الجيم : اللسان .

(٣) أعنان السماء : فواحيها ، واحدها عنان . وفيما عدال : « عنان » . وقد

روى صاحب اللسان قول يونس هذا ثم قال : « والعامة تقول عنان السماء » . لكنهم قالوا : عنان

السماء : ما على كمنها . وقد ضبط في اللسان ضبط قلم بالفتح ، وفي القاموس ضبط تعيين بالكسر .

(٤) أورد له الجاحظ في البيان ، وكذا ابن فنيبة في عيون الأخبار ، أخباراً تنبئ عن

حكمه وصواب رأيه . ولعله « صبار بن النوام اليسكري » ، الذي ذكره الجاحظ في الحيوان

(٧ : ٤٢١) .

والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه .
وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تُغني عن الخط . وبعد فهل تعدو الإشارة
أن تكون ذات صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها
ودلالاتها . وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفق
كبير^(١) ومَعُونَة حاضرة ، في أمور يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها
من الجليس وغير الجليس . ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ،
ولجَهِلوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسر هذه الكلمة يدخل في باب صناعة
الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر في دِلالات الإشارة :

أشارت بطرف العين خيفة أهيأ إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم^(٢) .
وقال الآخر^(٣) :

وللقاب على القلب دليل حين يلقاه
وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه
وفي العين غنى المرء أن تنطق أفواه

وقال الآخر في هذا المعنى :

ومعشر صيد ذوى تجده ترى عليهم للندى أدله
وقال الآخر :

ترى عينها عيني فتعرف وحيها وتعرف عيني ما به الوحي يرجع
وقال آخر :

٢٠ (١) لما في ، بدح ، ثم والعاء : وتذكر ومجس : ما اسعين به .
(٢) « » . وه أثبت من سائر النسخ يوافق ما في العمدة (١ : ٢١٢) .
(٣) هو أبو مازن . فسر عدو ، لأخبار (٢ : ١١٢) .

وعينُ الفتى تُبْدِي الذي في ضميره وتعرفُ بالنجوى الحديثَ المَعْمَسَا^(١)

وقال الآخر :

العينُ تُبْدِي الذي في نفسِ صاحبها من المحبة أو بُغْضٍ إذا كانا
والعينُ تنطق والأفواه صامتةٌ حتى ترى من ضمير القلب ثبائنا
هذا ومبالغُ الإشارة أبعدُ من مبلغ الصوت . فهذا أيضاً باب تتقدّم فيه
الإشارة الصوت .

والصوتُ هو آلةُ اللَّفْظِ ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع ، وبه يُوجَدُ
التأليف^(٢) . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً
إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحُسْنُ
الإشارة باليدِ والرأسِ ، مِن تمام حُسْنِ البيانِ باللسان ، مع الذي يكون مع الإشارة
نَعْرَمُ من الدَّلِّ والشَّكْلِ^(٣) والتَّقْتُلِ والتَّثْنِي^(٤) ، واستدعاء الشهوة ، وغير ذلك
من الأمور .

قد قلنا في الدلالة بالإشارة . فأما الخطُّ ، فما ذكر الله عز وجل في كتابه
من فضيلة الخطِّ والإنعامِ بمنافع الكتاب ، قوله لنبيِّه عليه السلام : ﴿ إقرأ ﴾
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . وأقسم به في
كتابه المنزل ، على نبيِّه المرسل ، حيث قال : ﴿ ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ،
ولذلك قالوا : القلمُ أحدُ اللسانين . كما قالوا : قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . وقالوا :
القلمُ أبقى أثراً ، واللسانُ أكثرُ هذراً .

(١) المعمس ، بالعين المهملة وكسر الميم المشددة وفتحها : الغامض المظلم .

(٢) الكلام من هنا إلى كلمة « التأليف » التالية ساقط من ل .

(٣) الشكل ، بالكسر وبالفتح : دل المرأة وغنجها وغزلها .

(٤) التقتل ، بالقاف : الاختيال والتثني والتكسر في المشي . ما عدا هـ : « التقتل » ، تحريف .

وقال عبد الرحمن بن كيسان^(١) : استعمال القلم أجدرُّ أن يحضَّ الذَّهن ٥١
على تصحيح الكتاب ، من استعمال اللسان على تصحيح الكلام .

وقالوا : اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلم مطلقٌ في الشاهد
والغائب ، وهو للغابر الحائن^(٢) ، مثله للقائم الراهن .

والكتاب يُقرأ بكلِّ مكان ، ويُدرَّس في كلِّ زمان ؛ واللسان لا يَعْدُو
سامعه ، ولا يتجاوزُه إلى غيره .

وأما القول في العقد ، وهو الحسابُ دونَ اللفظ والخط ، فالدليلُ على
فضيلته ، وعِظَمَ قَدْرِ الانتفاع به ، قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ
الَّيْلِ^(٣) سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ^(٤) . وقال جلَّ
وتقدَّس : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
مَحْسَبَانِ^(٥) . وقال جلَّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ
مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ^(٦) . وقال :
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
مُبْصَرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ^(٧) .

١٥ والحسابُ يشتمل على معاني كثيرةٍ ومنافعٍ جليلةٍ ، ولولا معرفةُ العبادِ بمعنى
الحسابِ في الدنيا لما فهموا عن الله عزَّ وجل معنى الحسابِ في الآخرة . وفي عدم
اللفظِ وفساد الخطِّ والجهلِ بالعقد فسادُ جُلِّ النِّعم ، وفقدانُ جُهورِ المنافع ،
واختلالُ كلِّ ما جمعه الله عزَّ وجلَّ لنا قواماً ، ومصلحةً ونظاماً .

(١) ذكره الجاحظ في الحيوان (٤ : ٢٠٥) وروى عنه .

(٢) الحائن : الهالك . وفي الأصول : « الكائن » .

(٣) قرأ الكوفون : (وجعل) ، وباقي السبعة : (وجاعل) . انظر تفسير أبي حيان

(٤ : ١٨٦) .

وأما النُّسبة^(١) فهي الحالُ النَّاطقة بغير اللَّفظ ، والمشيئةُ بغير اليد . وذلك ظاهرٌ في خَلْق السموات والأرض ، وفي كلِّ صامتٍ وناطق ، وجامدٍ ونامٍ ، ومقيمٍ وظاعنٍ ، وزائدٍ وناقص . فالدَّلالة التي في المواتِ الجامد ، كالدَّلالة التي في الحيوانِ الناطق . فالصَّامتُ ناطقٌ من جهة الدَّلالة ، والعجاءُ مُعْرِبةٌ من جهة البرهان . ولذلك قال الأوَّل^(٢) :

« سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثِمَارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تَجِبْكَ حِوَاراً ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَاراً » .

وقال بعضُ الخطباء : « أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَاتٌ^(٣)

٥٢ وشواهدُ قائمات ، كُلُّهُ يُوَدِّى عَنْكَ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ^(٤) » موسومةٌ ^{أب}

بِأَثَرِ قُدْرَتِكَ ، وَمَعَالِمِ تَدْيِيرِكَ ، الَّتِي تَجَلَّيْتَ بِهَا خَلْقَكَ ، فَأَوْصَلْتَ إِلَى الْقُلُوبِ ١٠ تَبَيَّرَتْ مِنْ مَعْرِفَتِكَ مَا أَنْسَاهَا مِنْ وَحْشَةِ الْفِكْرِ ، وَرَجَمَ الظَّنُّونَ . فَهِيَ عَلَى اعْتِرَافِهَا لَكَ ، وَافْتِقَارِهَا إِلَيْكَ^(٥) ، شَاهِدَةٌ بِأَنَّكَ لَا تُحِيطُ بِكَ الصِّفَاتُ ، وَلَا تُحَدِّثُكَ الْأَوْهَامُ ، وَأَنْ حَظَّ الْفِكْرُ فَيْكَ ، الْاعْتِرَافُ لَكَ » .

وقال خطيبٌ من الخطباء ، حين قام على سَرِيرِ الْإِسْكَندَرِ وَهُوَ مَيِّتٌ^(٦) :

١٠ « الْإِسْكَندَرُ كَانَ أَمْسٍ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسٍ » .

ومتى دلَّ الشَّيْءُ عَلَى مَعْنَى فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ صَامِتًا ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ وَإِنْ

(١) انظر ما سبق في حواشي ص ٧٦ .

(٢) هو الفضل بن عيسى بن أبان ، كما في الحيوان (١ : ٣٥) . وانظر عيون الأخبار

(٢ : ١٨٢) وما سياتي في ص ٣٠٨ .

(٣) ل : « ودلالات » . ٢٠

(٤) فيما عدال : « ويعرب عنك بالربوبية » .

(٥) فيما عدال : « وذها إليك » .

(٦) القول البالي ينسب أيضاً إلى المويذ حين قام يرثى قباذ الملك . الكامل ٣٢٠ ليسك

والعقد (٢ : ١٥٦) ومروج الذهب (٢ : ٣١٨) والمنظوم (٢ : ٢٩٤) والحيوان

(٦ - ٥٠٥) والصناعتين ١٤ - ١٥ . ٢٥

(٦ - البيان - أرل)

كان ساكتاً . وهذا القول شائع في جميع اللغات ، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات .

وقال عنتر بن شداد العبسي وجعل نقيب الغراب خبراً للزاجر :
حرق الجناح كأن لحني رأسه جلمان بالأخبار هش مولع^(١)
الحرق : الأسود . شبه لحييه بالجلمين ، لأن الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان^(٢) . وأنشدني أبو الرثديني العسكلي^(٣) ، في تنشم الذئب الرّيح واستنشائه^(٤) واسترواحه :

يستخير الرّيح إذا لم يسمع^(٥) بمثل مقراع الصفا الموقع
المقراع : الفأس التي يكسر بها الصخر . والموقع : الحدد . يقال وقعت الحديدة إذا حددتها . وقال آخر ، وهو الراعي :

إن السماء وإن الرّيح شاهدة والأرض تشهد والأيام والبلد
لقد جزيت بني بدر ببغيتهم يوم الهباءة يوماً ماله قود^(٦)
وقال نصيب في هذا المعنى ، يمدح سليمان بن عبد الملك :
جاءهم يوم

(١) انظر الحيوان (١ : ٢/٣٤ : ٣١٦) .

(٢) الإنشاد التالي والتعليق عليه . هو فيما عدل سابق لذلك الإنشاد المتقدم .

(٣) أبو الرديني العسكلي هو الدلم بن شهاب ، أحد بني عوف بن كنانة ، من عكل ، ويروي الجاحظ فيما سيأتي أنه هجا بني نمر فتوعده بالقتل فقال :

أنوعدني لتقتلني نمر متى قتلت نمر من هجاها

فشده عليهم منهم رجل فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد

٢٠ شعراء الدولة العباسية . انظر الأغاني (٢٠ : ١٨٣) والحيوان (٥ : ٦/١٥٩ : ٤٦٣) والخزانة (٣ : ١٠٥) .

(٤) الاستنشاء : الشم . فيما عدل : « واستنشاقه » ، وهما بمعنى .

(٥) انظر الحيوان (١ : ٤/٣٤ : ٧/١٣٣ : ١٤) . وفي اللسان (نحر ، قرع) :

« يستمخر » .

٢٥ (٦) يوم الهباءة ، كان لعيس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر ، وأخوه حمل . انظر

معجم البلدان والكامل لابن الأثير (١ ، ٣٥٢) والعقد (٣ : ٣١٦) والعمدة (٢ : ١٦١) ،

وأمثال الميداني (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣/٣٠٣ : ٤/٥٣٨ : ٥٨٥) .

أقول لركب صادرين لقيتهم قنأ ذات أوشال ومولاك قارب^(١)
 قفوا خبرونا عن سليمان إني لمعروفه من أهل ودان طالب^(٢)
 فعاजूوا فأتنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
 وهذا كثير جداً .

وقال علي^(٣) رحمه الله : « قيمة كل امرئ ما يحسن^(٤) » . فلولم تقف
 من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ، ومجزئة مغنية ؛
 بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، وغير مقصرة عن الغاية . وأحسن الكلام
 ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل
 قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى
 قائله . فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من
 الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف ، صنع في القلوب صنع
 الغيث في التربة الكريمة . ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت
 من قائلها على هذه الصفة ، أصبحها الله من التوفيق ومنحها من التأيد ، ما لا يمتنع
 معه من تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجملة .
 وقد قال عامر بن عبد قيس^(٥) : « الكلمة إذا خرجت من القاب وقعت في

(١) القارب : طالب الماء . وأراد بالمولى نفسه . ه ، ب : « لاغب » وكتب في هامش
 ل : « خ : لاغب » . وانظر الكامل ١٠٤ ليسك وزهر الآداب (٢ : ٤١ ، ٤٢)
 والعمدة (١ : ٤٤) .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الحفة . قال ياقوت : « وقد أكثر
 نصيب من ذكرها في شعره » . وأنشد هذه الأبيات . ه ، ج : « آل ودان » وكذا ياقوت .
 (٣) فيما عدل : « بسم الله الرحمن الرحيم وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه » .
 (٤) فيما عدل : « قيمة كل إنسان » . وفي زهر الآداب (١ : ٤١) : « كل امرئ » .
 (٥) هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي ، ويقال له أيضاً عامر بن عبد الله . تابعي
 ثقة من كبار التابعين وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في
 حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ وصفة الصفوة (٣ : ١٢٦ - ١٣٥) . وكان من
 الأبيناء الفصحاء ، كما سترى في مواضع كثيرة . توفي في خلافة معاوية .

القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ^(١) .

وقال الحسن رحمه الله ، وسميع رجلاً ^(٢) يعِظ ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ، ولم يرقَّ عندها ، فقال له : « يا هذا ، إن بقلبك لشرًّا أو بقلبي » .

وَمِنْهُ

وقال علي بن الحسين بن علي رحمه الله ^(٣) : لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في صواب التبيين ، لأعربوا عن كل ما تَخَلَّجَ في صدورهم ، ولو جدوا من برِّد اليقين ما يُعنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم . وعلى أن درّ ذلك كان لا يُعديهم في الأيام القليلة العدة ^(٤) ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغموٍ بالجهل ، ومفتون بالعُجب ، ومعدول بالهوى عن باب الثبوت ، ومصرفٍ بسوء العادة عن فصلِ التعلُّم .

١٠ وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شئ الدنيا بخدافيرها في كلمتين ، فقال : « صلاح شأن جميع الثعالب والتعاسر ، ميل مكيال ثلثاه فطنة ، وثلثه تغافل » . فلم يخفَ غير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً في الصلاح . لأن ٥
الإسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له وعرفه .

وذكر هذه الثلاثة الأخبار إبراهيم بن داود ، عن محمد بن عمير . وذكرها ١٥
صالح بن علي الأرقم ، عن محمد بن عمير . وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشيعة ، وكان ابن عمير أئمة .

وأخبرني إبراهيم بن السندي ، عن علي بن صالح الحاجب ، عن العباس بن محمد قال : قيل لعبد الله بن عباس : أتى لك هذا العلم ؟ قال : « قلب عقول » ،

(١) نسر الخصال (٤ : ٢١٠) .

(٢) فيما رواه . . . وسميع مكيمة . ٢٠

(٣) كنز علم علي بن أبي طالب (١ : ٥٩) .

(٤) من : أعلمه الله

(٥) في مجلس . . . في مله مكال ، وفي زهر الآداب (١ : ٧١) : « وهو

مكة .

ولسان سؤول . وقد رَوَوْا هذا الكلامَ عن دغفل بن حنظلة العلامة^(١) .
وعبدُ الله أُولَى به منه . والدليل على ذلك قولُ الحسن : إِنْ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَ = نَم - نَم
بالْبَصْرَةِ ابنُ عَبَّاسٍ ، صَعِدَ المنبرَ فقرأ سورةَ البقرة ، ففسَّرَهَا حرفاً حرفاً ، وكان
مِثْجاً يسيل غَرَباً^(٢) .

المِثْجُ : السائل الكثير ، وهو من الشَّجَاج . والغَرَبُ ، هاهنا : الدَّوام .
هشام بن حسان وغيره ، قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إِنْ قَوْمًا زَعَمُوا
أَنَّكَ تَذُمُّ ابنَ عَبَّاسٍ . قالوا : فبكي حَتَّى اخْضَلَّتْ لَحِيَّتُهُ ، ثم قال : إِنْ ابنَ عَبَّاسٍ
كَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَكَانٍ ، إِنْ ابنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَانٍ^(٣) ، وَكَانَ وَاللَّهِ
لَهُ لِسَانٌ سَوْوَلٌ ، وَقَلْبٌ عَقُولٌ ، وَكَانَ وَاللَّهِ مِثْجًا يسيل غَرَبًا .

قالوا : وقال عليُّ بن عبد الله بن عباس : مَنْ لَمْ يَجِدْ مَسَّ الْجَهْلِ فِي عَقْلِهِ ،
وَذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فِي قَلْبِهِ ، وَلَمْ يَسْتَبِنْ مَوْضِعَ الْخَلَّةِ فِي لِسَانِهِ ، عِنْدَ كَالَالِ حَدِّهِ عَنِ
حَدِّ خَصْمِهِ ، فَلَيْسَ مِمَّنْ يَنْزِعُ^(٤) عَنْ رِيْبَةٍ ، وَلَا يَرْغَبُ عَنْ حَالٍ مَعْجَزَةٍ ،
وَلَا يَكْتَرِثُ لِفَضْلِ مَا بَيْنَ حُجَّةٍ وَشُبْهَةٍ .

قالوا : وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، بِإِلَافَةٍ بَعْضِ أَهْلِهِ فَقَالَ :
إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَقْدَارُ لِسَانِهِ فَاضِلًا عَلَى مَقْدَارِ عِلْمِهِ ، كَمَا أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ
مَقْدَارُ عِلْمِهِ فَاضِلًا عَلَى مَقْدَارِ عَقْلِهِ .

(وهذا كلامٌ شريفٌ نافع ، فاحفظوا لفظه وتدبرُوا معناه ، ثُمَّ اعلمُوا أَنَّ
المعنى الحَقِيرَ الْفَاسِدَ ، وَالدُّنْيَى السَّاقِطَ ، يَعِشُّ فِي الْقَلْبِ ثُمَّ يَبْيِضُ ثُمَّ يَفْرُخُ ، نَبْرُونٌ

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٨٩) وعيون الأسماء (٢ : ١١٨) . ودغفل بن حنظلة

مَنْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ سُبْحًا ، وَوَفِدَ عَلَى مَعَاوِنِهِ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسَائِلَ فَأَجَابَهُ وَكَانَ مِنْهَا هَذَا
السُّؤَالُ . انظر الميداني (٢ : ٢٧٣) .

(٢) الخبر في اللسان (بجج ، غرب) . وفي حواشي هـ : « معني عرف بالبصرة : فعل

فعل الحاح بعرفة في جمع الناس للذكر والدعاء » .

(٣) فيما عدل : « كان من العلم بمكان » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « ينزع » .

برهان: ارسطو كما ذكرنا في كتابه

المنطق. غير مبرر انه: ارسطو في المنطق

المنطق: ارسطو - وهو مذكور في كتابه المنطق

المنطق: ارسطو - وهو مذكور في كتابه المنطق

فإذا ضَرَبَ بِجِرَانِهِ وَمَكَنَ لَعْرُوقَهُ، اسْتَفْحَلَ الفسادَ وَبَزَلَ، وَتَمَكَّنَ الجَهْلُ
وَقَرَحَ^(١)، فعند ذلك يقوى دأؤه، ويمتنع دواؤه؛ لأنَّ اللفظَ المهجينَ الرديَّ،
والمستكرهَ الغيبيَّ، أعلقُ باللسانِ، وآلفُ للسمعِ، وأشدُّ التحاماً بالقلبِ^(٢)،
من اللفظِ النَّبيهِ الشريفِ، والمعنى الرَّفيعِ الكريمِ. ولو جالستَ الجُهَّالَ
والتَّوَكِّيَّ، والشُّخفاءَ والحمقى، شهراً فقط، لم تنقُ من أَوْضارِ كلامِهِمْ، وخَبالِ سَمْعِهِمْ
معانيهِمْ، بمجالسةِ أهلِ البيانِ والعقلِ دهرًا؛ لأنَّ الفسادَ أسرعُ إلى النَّاسِ،
وأشدُّ التحاماً بالطبائعِ. والإنسانُ بالتَّعلُّمِ والتَّسَكُّفِ، وبطُولِ الاختلافِ إلى
العلماءِ، ومدارسةِ كُتُبِ الحكماءِ، يَجُودُ لفظُهُ ويَحْسُنُ أدبُهُ، وهو لا يحتاجُ في
الجهلِ إلى أكثرَ من تركِ التَّعلُّمِ، وفي فسادِ البيانِ إلى أكثرَ من تركِ التَّخَيُّرِ.
ومما يؤكِّدُ قولَ مُحَمَّدَ بنِ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ، قولُ بعضِ الحكماءِ
حين قيلَ له: متى يكونُ الأدبُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ؟ قال: إذا كَثُرَ الأدبُ،
ونَقَصَتِ القُرْبَى.

وقد قال بعضُ الأوَّلِينَ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالَ الْخَيْرِ عَلَيْهِ، كَانَ
حُتْفُهُ فِي أَغْلَبِ خِصَالَ الْخَيْرِ عَلَيْهِ». وهذا كَلِمَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ بَعْضِهِمْ.
وذكرُ المَغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَطْلًا: «كَانَ وَاللَّهِ أَفْضَلَ
مَنْ أَنْ يَخْدَعَ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ».

وقال مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ: «كَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ أَنْ تَعْرِفَ
مَا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ، وَكَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ أَنْ تَرَوِيَ الشَّاهِدَ وَالْمَثَلَ».
وكانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي يروى عن جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ بنِ سَلَمَةَ،

٢٠ (١) بزل: بلغ سن البزول، وهو السابعة. وقرح: بلغ سن القروح، والقارح من
ذئبٍ أحمرٍ بمنزلةِ ابزولٍ من الإبل. كنى بها عن القوة.

(٢) من «وأشدُّ» - قص من ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على محمدٍ خاصّة ، وعلى أنبيائه عامة .

خبرني أبو الزبير كاتبُ محمد بن حسان^(٢) ، وحدثني محمد بن أبان —
• ولا أدري كاتب من كان — قال :

قيل للفارسيّ : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفَصل من الوصل .

وقيل لليونانيّ : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للروميّ : ما البلاغة ؟ قال : حسن الانتصاب عند البداهة ، والغزارة
يَوْمَ الإِطَالَةِ .

وقيل للهنديّ : ما البلاغة ؟ قال : وُضوح الدلالة ، واتهاز الفرصة ،
وحسن الإشارة .

وقال بعض أهل الهند : جِماع البلاغة البَصَر بالحِجّة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحِجّة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، أن تدع الإفصاح

بها إلى الكماية عنها ، إذا كان الإفصاح أَوْعَى طريقة . وربما كان الإضرابُ

• عنها صريحاً ، أدخَلَ في الدر . وأحق بالظفر .
٥٦

قال : وفي مرّة : جِماع البلاغة اتّماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات

القول ، وفي خبرٍ من التماس من المعاني أو غمض^(٣) ، وبما شَرَدَ عليك من

اللفظ أو تعذر .

(١) هذه ما ل .

٢٠ (٢) وهو (٣) ١٤٩ .

(٣) مرق تحريف .

ثم قال : وزين ذلك كله ، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشائيلُ
موزونةً ، والألفاظُ معدلةً ، واللهجة نقية^(١) . فإن جامع^(٢) ذلك السنُّ والسمتُ
والجمالُ وطولُ الصَّمْتِ ، فقد تمَّ كلُّ التمام ، وكلُّ الكمال .
وخالفَ عليه سهلُ بنُ هارونَ في ذلك ، وكان سهلٌ في نفسه عتيقَ الوجه ،
حسنَ الشارةِ ، بعيداً من القدامة ، معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يُقضى له
الحكمة قبل الخبرة ، وبرقة الذهن قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب قبل الامتحان ،
وبالتُّبَل قبل التَكشُّف . فلم يمنعه ذلك أن يقول ما هو الحقُّ عنده وإن أدخلَ
ذلك على حاله النقص .

قال سهلُ بنُ هارون : لو أنَّ رجلينِ خطبَا أو تحدَّثَا ، أو احتجَّبا أو وصفا
كان أحدهما جميلاً بجليلاً بهياً ، ولَبَّاساً نبيلاً^(٣) ، وذا حَسَبٍ شريفاً ، وكان
الآخر قليلاً قميئاً ، وباذاً الهيئة دميماً ، وخاملاً الذِّكر مجهولاً ، ثم كان كلامُهما في
مقدارٍ واحدٍ من البلاغة ، وفي وزنٍ واحدٍ من الصواب ، لتصدَّعَ عنهما الجمعُ
وعامَّتْهم تقضى للقليل الدِّمِيم على النَّبيل الجسيم ، وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ،
ولشغلهم التعجبُ منه عن مساواة صاحبه به ، ولصار التعجبُ منه سبباً للتعجب به ،
ولصار الإكثارُ في شأنه علة للإكثار في مدحه ، لأنَّ النفوسَ كانت له أحقر ،
ومن حسدِه أبعد . فإذا هَجَمُوا منه على ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَه ،
يظهرَ منه خلافُ ما قدَّروه ، تضاعفَ حُسْنُ كلامه في صدورهم ، وكبر في
ميوَنهم ؛ لأنَّ الشَّيء من غير معدنه أغرب ، وكلِّما كان أغربَ كان أبعدَ في
لوهم ، وكلِّما كان أبعدَ في الوهم كان أطرف ، وكلِّما كان أطرفَ كان أعجب ،

(١) ل : « والألفاظُ معتدلة ، واللهجة نقية » ، وفيها تحريف .

(٢) فيما عدا : « جاء مع » .

(٣) ل فقط : « وليساً » والمعروف في المعاجم المداولة « لباساً » كما في سائر النسخ .

وكما كان أعجب كان أبداع . وإنما ذلك كنوادر كلام الصبيان ومُلح المجانين ؛
فإن ضحك السامعين من ذلك أشدُّ ، وتعجبهم به أكثر . والناس مُوَكَّلُونَ
بتعظيم الغريب ، واستطراف البعيد^(١) ، وليس لهم في الوجود الرّاهن ، وفيما تحت ٥٧
قُدْرَتهم من الرّأى والهوى ، مثلُ الذي لهم في الغريب القليل ، وفي النادر الشاذ ،
وكلُّ ما كان في ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم ، والأصحاب في
الفائدة من صاحبهم . وعلى هذا السبيل يستطرفون القادم عليهم ، ويرحلون إلى
النّازح عنهم ، ويتركون من هو أعمُّ نفعاً وأكثر في وجوه العلم تصرفاً ، وأخفُّ
مؤثراً وأكثر فائدة . ولذلك قدّم بعضُ الناس الخارجيّ على العريق^(٢) ،
والطّارف على التّليد .

- ١٠ . وكان يقول^(٣) : إذا كان الخليفةُ بليغاً والسّيّد خطيباً ، فإنّك تجدُ جمهورَ
الناس وأكثَرَ الخاصّة فيهما على أمرين : إمّا رجلاً يُعطى كلامهما من التعظيم
والتّفضيل ، وإمّا كباراً والتّبجيل ، على قدر حالهما في نفسه ، وموقعهما من قلبه ؛
وإمّا رجلاً تعرّض له التّهمة لنفسه فيهما ، والخوفُ من أن يكون تعظيمُهُ لهما
يُوهِمُهُ من صواب قولهما ، وبلاغة كلامهما ، ما ليس عندهما ، حتّى يُفِرط في
الإشفاق ، ويُشرف في التّهمة . فالأوّلُ يزيد في حَقِّه للذي له في نفسه ، والآخر
ينقصه من حَقِّه اتّهمته لنفسه ، ولإشفاقه من أن يكون مخدوعاً في أمره . فإذا
كان الحبُّ يُعَمِّي عن المساوى فالْبَغْضُ أيضاً يُعَمِّي عن المحاسن . وليس يَعْرِفُ
حقائق مقادير المعاني ؛ ومحصولَ حدود لطائف الأمور ، إلّا عالمٌ حكيم ، ومعتدلُ
الأخلاق عليم ، وإلّا القويّ المنة ، الوثيق العُقْدة ، والذي لا يَمِيلُ مع ما يستميل
٢٠ . الجمهورَ الأعظم ، والسّوادَ الأكبر^(٤) .

(١) فيما عدل . هـ : « واستطراف البديع » .

(٢) الخارجيّ : الذي يخرج بنفسه من غير أن يكون له قديم .

(٣) أيّ سهل بن هارون . انظر ص ٨٩ س ٩ . وفيما عدل : « وكانوا يقولون » .

(٤) هـ : « الأكثر » .

وكان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة ،
وبالحلاوة والفتخامة ، وجودة اللهجة والطلاوة .

وإذا صرنا إلى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بني هاشم ، وبلغاء رجال
القبائل ، قلنا في وصفهما على حسب حالهما ، والفرق الذي بينهما ؛ ولأننا عسى
أن نذكر جملة من خطباء الجاهليين والإسلاميين ، والبدويين والحضرين ،
وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق .

ثم رجع القول بنا إلى ذكر الإشارة .

وروى أبو شير^(١) عن معمر أبي الأشعث^(٢) ، خلاف القول الأول في
الإشارة والحركة عند الخطبة ، وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء .

وكان أبو شير إذا نازع لم يحرّك يديه ولا منكببيه ، ولم يقلّب عينيه ، ولم
يحرّك رأسه ، حتّى كأنّ كلامه إنما يخرج من صدع صخرة . وكان يقضى على
صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك ، وبالعجز عن بلوغ إرادته . وكان يقول :
ليس من حقّ المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتّى كلمه إبراهيم بن سيار النظام
عند أيوب بن جعفر^(٣) ، فاضطرّ بالحجة ، وبالزيادة في المسألة ، حتّى حرّك - البر
يديه وحلّ حُبوتّه ، وحبّا إليه حتّى أخذ بيديه . وفي ذلك اليوم انتقل أيوب من
قول أبي شير إلى قول إبراهيم . وكان الذي غرّ أبا شير وموّه له هذا الرأي ، أن
أصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلمون له ويميلون إليه ، ويقبلون كلّ ما يُورده

(١) أبو شير هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . انظر السمعاني . وتجد آراءه في الفرق

١٩٠ - ١٩٤ .

(٢) هو معمر بن عباد السلمي ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة ، وكان من تلاميذه
أبو الحسن المدائني ، وحفص الفرد ، وأبو شير ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم
ابن روح . انظر ابن النديم ١٤٧ ، والمواقف ٦٢٣ طبع بولاق . ومعمر بتشديد الميم ، كما
في لسان الميزان (٦ : ٧١) . توفي سنة ٢١٥ .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلام الناس بقريش ، وبالدولة وبرجال
الدعوة كما سيأتي . وذكر الجاحظ في الحيوان (٦ : ٧٨) أنه كان لا يغيب أكل الفسياب . ٢٥

عليهم ، ويُثَبِّتَهُ عِنْدَهُمْ . فلما طَالَ عَلَيْهِ تَوْقِيرُهُمْ لَهُ ، وَتَرَكَ مُجَادِبَتَهُمْ إِيَّاهُ ، وَخَفَّتْ
مُؤَوَّنَةُ الْكَلَامِ عَلَيْهِ — نَسِيَ حَالَ مَنَازَعَةِ الْأَكْفَاءِ وَمُجَادِبَةِ الْخُصُومِ . وَكَانَ شَيْخًا
وَقُورًا ، وَزِمِّيًّا رَكِينًا ^(١) ، وَكَانَ ذَا تَصَرُّفٍ فِي الْعِلْمِ ، وَمَذْكُورًا بِالْفَهْمِ وَالْحِلْمِ .
قَالَ مَعْمَرٌ ، أَبُو الْأَشْعَثِ : قُلْتُ لِبَهْلَةِ الْهِنْدِيِّ أَيَّامَ اجْتِلَابِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
أَطْبَاءَ الْهِنْدِ ، مِثْلَ مَنْكَةِ وَبَازِيكَرٍ ^(٢) وَقَلْبِرَقْلٍ ^(٣) وَسِنْدَبَازٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ :
مَا الْبَلَاغَةُ عِنْدَ الْهِنْدِ ؟ قَالَ بَهْلَةُ : عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةٌ مَكْتُوبَةٌ ، وَلَكِنْ لَا أَحْسَنَ
تَرْجُمَتِهَا لَكَ ^(٤) ، وَلَمْ أَعَالِجْ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ فَاتَّقِ مِنْ نَفْسِي بِالْقِيَامِ بِمُخَصَّصَتِهَا ، وَتَلْخِصِ
لَطَائِفَ مَعَانِيهَا .

قَالَ أَبُو الْأَشْعَثِ : فَلَقِيتُ بِتِلْكَ الصَّحِيفَةِ التَّرَاجِمَةَ فَإِذَا فِيهَا ^(٥) :

- ١٠ أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ . وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجَأْشِ ، دِ
سَاكِنَ الْجَوَارِحِ ، قَالِيلَ الْأَحْظِ ، مَتَخَيِّرَ اللَّفِظِ ، لَا يَكْلُمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ .
وَلَا الْمُلُوكَ بِكَلَامِ الشُّوْقَةِ . وَيَكُونُ فِي قَوَاهُ فَضْلُ التَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ ،
وَلَا يَدَقُّ الْمَعَانِيَ كُلَّ التَّدْقِيقِ ، وَلَا يُنْقَحُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ ، وَلَا يُصَفِّيهَا كُلَّ
التَّصْفِيَةِ ، وَلَا يَهْذِبُهَا غَايَةَ التَّهْذِيبِ ، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَصَادِفَ حَكِيمًا ،
- ١٥ أَوْ فِيلَسُوفًا عَلِيمًا ، وَمَنْ قَدْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فَضُولِ الْكَلَامِ ، وَإِسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ
الْأَلْفَاظِ ، وَقَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ ، لَا عَلَى جِهَةِ
الْإِعْتِرَاضِ وَالتَّمْصِيحِ ، وَعَلَى وَجْهِ الْإِسْطِطْرَافِ وَالتَّظَرُّفِ . قَالَ : وَمِنْ عِلْمِ حَقِّ

(١) بَرَمِيَّتٌ : أَحَدُ سَائِلِي تَحْلِيلِ الْكَلَامِ ، كَمَا سَمِعْتُ . وَالرُّكْنُ : الرُّزْنُ . مُبَرَّرٌ

(٢) كَمَا صَدَقَتْ هَذِهِ الْبَلَاغَةُ الْهِنْدِيَّةُ لَ ، هـ . لَكِنْ سَبَّحْتَ « سِنْدَبَاد » فِي هـ بَضْمِ السَّيْنِ .

٢٥ وَفِي الْحَيَوَانِ (٦١٣ . ١) أَنَّ « مَنْكَةَ » كَأَنَّهَا صَحِيفَةٌ بِمَعْنَى هـ .

(٣) لَ . وَفِي مَوْقِعِ بْنِ دُرٍّ ، « أَتَمَّ » فِي سَائِلِي سَبَّحْتَ .

(٤) وَمَا عَدَالَ . هـ . « مَكْتُوبَةٌ لَا أَحْسَنَ تَرْجُمَتِهَا لَكَ » . وَكَلِمَةُ « لَكَ » سَافِطَةٌ مِنْ هـ .

(٥) دَنَّثَرُ مَسْدُورِيٍّ فِي مَصْنُوعَاتِهِ ١٩ هَذِهِ سَبَّحْتَ . وَفَسَّرَهَا . وَكَذَلِكَ ذَكَرَهَا ابْنُ

قَتَّانٍ ، فِي عَوْنِ بَعْضِهِمَا (١١٣ . ٢)

المعنى^(١) أن يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحال له وفقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلاً
 [ولا مفضولاً^(٢)] ، ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضتناً ، ويكون مع ذلك
 ذا كراً لما عَقَدَ عليه أوَّلَ كلامه ، ويكون تصفُّحه لمصادره ، في وزن تصفُّحه
 لموارده ، ويكون لفظه مُونِقاً ، ولهُوَل تلك المقامات معاوداً^(٣) . ومدارُ الأمر
 على إفهام كلِّ قومٍ بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وأن تواتيته
 آلاته ، وتتصرف معه أدواته ، ويكون في التَّهْمَة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظنِّ
 بها مقتصداً ؛ فإنه إن تجاوزَ مقدارَ الحقِّ في التَّهْمَة لنفسه ظَلَمَها ، فأودَعها ذِلَّةَ
 المظلومين ، وإن تجاوزَ الحقَّ في مقدار حُسْنِ الظنِّ بها ، آمنها فأودَعها تهاوُنَ
 الآمنين . ولكل ذلك مقدارٌ من الشُّغل ، ولكل شغلٍ مقدارٌ من الوهن ،
 ولكل وهنٍ مقدارٌ من الجهل .

١٠

وقال إبراهيم بن هاني^(٤) ، وكان ماجناً خليعاً ، وكثير العَبَثِ متمرِّداً .
 ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخلُ في باب الجِدِّ ، لَمَّا جعلته صِلَةً
 الكلام الماضي . وليس في الأرض لفظٌ يسقط البتَّة ، ولا معنى يبور حتى
 لا يصلح لمكانٍ من الأماكن .

قال إبراهيم بن هاني : من تمام آلة القصص أن يكون القاصُّ أعمى ،
 ويكون شيخاً بعيدَ مدى الصوت . ومن تمام آلة الزَّمْر أن تكون الزَّامِرَةُ

(١) فيما عدل : « وقال من علم حق المعنى » وفي الصناعتين : « قال واعلم أن
 حق المعنى » .

(٢) هذه بما عدل .

(٣) بدله في الصناعتين : « ومعناه نيراً واضحاً » . وهو يدل أن الترجمة التي حصل
 عليها العسكري غير التي حصل عليها الجاحظ .

(٤) إبراهيم بن هاني : أحد معاصري الجاحظ ، روى عنه أخباراً في الحيوان ، وخبراً
 في البغلاء ١٠٦ .

سوداء . ومن تمام آلة المغنى أن يكون فارة البرذون ، براق الثياب ^(١) ، عظيم
الكبر ، سيئ الخلق . ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذمياً ، ويكون اسمه أذين
أو شلوماً ، أو مازيار ، أو أزدانقازار ، أو ميثا ، ويكون أرقط الثياب ،
مختوم العنق . ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً ، ويكون الداعي
إلى الله صوفياً . ومن تمام آلة الشؤدد أن يكون السيد ثقیل السمع ، عظيم
الرأس . ولذلك قال ابن سنان الجديدي ^(٢) ، لراشد بن سلمة الهذلي : « ما أنت
بعظيم الرأس [ولا ثقیل السمع] ^(٣) فتكون سيّداً ، ولا بأرسح فتكون فارساً » .
وقال شبيب بن شيبّة الخطيب ، لبعض فتيان بني منقر : « والله ما مِطَلت
مِطْلُ الفُرسان ، ولا فُتِقت فتق السادة » .

١٠ وقال الشاعر :

فَقَبِلْتُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَكُنَّا كَكَفِّ الضَّبِّ أَوْ هِيَ أَحَقَرُ ^(٤)
فَعَابَ صِغَرُ رَأْسِهِ وَصِغَرُ كَفِّهِ ، كَمَا عَابَ الشَّاعِرُ ^(٥) كَفَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَطِيعٍ
الْعَدَوِيَّ ، حِينَ وَجَدَهَا غَلِيظَةً جَافِيَةً ، فَقَالَ :

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبَيْاعِ فَجِئْتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آفٍ
فَنَاوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا كُنْتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الْخَلَائِفِ ١٥

وهذا الباب يقع (في كتاب الجوارح) مع ذكر البرص والعرج والعُسر

(١) فيما عدل ، هـ : « النيا » . ولكل وجه . وفي حواشي هـ : « خ : الثياب » .

(٢) كذا ضبط في ل . وهو إما نسبة إلى « جديد » ، وهي خطة لبي جديد بالبصرة ،
أو لـ « الجديدة » وهي قلعة في كورة بين النهرين بين نصيبين والموصل .

(٣) هذه مما عدل . ٢٠

(٤) فيما عدل . هـ : « تعلب رأساً » .

(٥) هو فضاله بن شريك . وكذا عبد الله بن الزبير قد ولي عبد الله بن مطيع بن الأسود
الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبي عبيد القن ، فقال فضالة هذا الشعر في هجائه . انظر
الأغاني (١٠ : ١٦٤) . وسعيد الجاحظ إنشاده فيما بعد .

والأذر والصلع^(١) [والحذب والقرع^(٢)] ، وغير ذلك من علل الجوارح . وهو
وارد عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن هاني : من تمام آلة الشيعة أن يكون وافر الجمّة ، صاحب
بازيكند^(٣) . ومن تمام آلة صاحب الحرس أن يكون زميتاً قطوباً أبيض
اللحية ، أفتى أجنى^(٤) ، ويتكلم بالفارسية^(٥) .

وأخبرني إبراهيم بن السندي قال : دخل العمانى الراجز على الرشيد ، لينشده
شعراً ، وعليه قلنسوة طويلة ، وخف سادج ، فقال : إياك أن تُنشدني
إلا عليك عمامة عظيمة الكور ، وخفان دمالقان^(٦) .

قال إبراهيم : قال أبو نصر : فبكر عليه من الغد وقد تزياً بزى الأعراب ،
فأنشده ثم دنا فقبل يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدت مروان^{١٠}
ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت يزيد بن الوليد وإبراهيم
ابن الوليد ورأيت وجوههما وقبّلت أيديهما وأخذت جوازرها ، وأنشدت
السفاح ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المنصور ورأيت
وجهه وقبّلت يده وأخذت جائزته ، وأنشدت المهدي ورأيت وجهه وقبّلت
يده وأخذت جائزته ، وأنشدت الهادي ورأيت وجهه وقبّلت يده وأخذت
جائزته . هذا إلى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء ، والسادة الرؤساء ، ولا الله

(١) فيما عدل ، ه : « والفالج » . (٢) هذه بما عدل .

(٣) في هامش ل : « بازيكند : نوع من الثياب ، فارسية » . وقد ضبطت الكلمة في
المتن والتعليق ، بفتح الزاي وضم الياء وفتح الكاف .

(٤) الأفتى : المرتفع أعلى الأنف المحدود بوسطه . والأجنى : تسهيل الأجناً ، وهو ٢٠
الأحذب الظهر .

(٥) فيما عدل ، ه : « صاحب تكلم بالفارسية »

(٦) الدمالق : المستدير الأملس . ل : « ذلقان » صوابه في سائر النسخ . وانظر الشعر

والشعراء ٣٧١ وعيون الأخبار (١ : ٩٣ - ٩٤) .

إن رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أنعمَ كفّاً ، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين . والله لو ألقى في روعي أني أتحدثُ عنك ما قلتُ لك ما قلت . قال : فأعظمَ له الجائزة على شعره ، وأضعفَ له على كلامه ، وأقبل عليه فبسطه ، حتى تمتنى والله جميعُ مَنْ حضرَ أنهم فأموا ذلك المقام .

*** مفعول به مفعول به مفعول به

ثم رجع بنا القولُ إلى الكلام الأول . قال ابنُ الأعرابي : قال معاوية ابن أبي سفيان لصُحارِ بن عَياشِ العبدى^(١) : ما هذه البلاغةُ التي فيكم ؟ قال : شيءٌ تجيئُ به صدورنا فتقدِّفه على ألسنتنا . فقال له رجلٌ من عُرُضِ القومِ^(٢) : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبشر والرُّطَب ، أبصرُ منهم بالخطب . فقال له صُحار : أجالُ والله ، إنا لنعلمُ إنَّ الرِّيحَ لتأفِّحه^(٣) ، وإنَّ البردَ ليعقِّده ، وإنَّ القمرَ ليضْبِغه ، وإنَّ الحرَّ لِيُنْضِجه .

وقال له معاوية : ما تعدُّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صُحار : أن تُجيبَ فلا تبطِئَ ، ونقولَ فلا تخطِئَ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صُحار ؟ قال صُحار : أقنِ يا أمير المؤمنين ،
١٥ ألا تبطِئَ ولا تخطِئَ^(٤) .
وشن عبد القيس عجبٌ ، وذلك أنهم بعد مُحاربةٍ إيَّاهِ تفرَّقوا فرقتين : ففرقةٌ وقعت بعمانَ وشقَّ عُمانَ ، وهم خطباءُ العرب ؛ وفرقةٌ وقعت إلى البحرَينِ

(١) هو صُحار بن عياش - ويقال ابن عباس - بن شراحيل بن منعة العبدى ، من بني عبد اسبس ، حطيب مفوه ، كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان علامة
٢٠ نسائه . توفي نحو سنة ٤٠ . انظر الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

(٢) من عرض القوم ، بضم العين ، أى عامتهم .

(٣) فى الأصول : « لشفحه » صوابه فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٢) .

(٤) فى بعض النسخ : « لا تبطِئَ ولا تخطِئَ » . وفى الحيوان (١ : ٩١) : « لا تخطِئَ ولا تبطِئَ » .

وفى الصناعات ٣٢ : « هو ألا تخطِئَ ولا تبطِئَ » .

[وشرق البحرَين^(١)] ، وهم من أشعر قبيل في العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سُرّة البادية^(٢) وفي معدن الفصاحة . وهذا عجب .

ومن خطبائهم المشهورين : صَعَصعة بن صُوحان ، وزيد بن صُوحان ، وسَيحان بن صُوحان^(٣) . ومنهم صُحار بن عِيّاش . وصحار من شيعة عثمان ، وبنو صُوحان من شيعة عليّ .

ومنهم مَصْنَعلة بن رَقبة ، ورقبة بن مَصْنَعلة ، وكرب بن رَقبة . وإذا صِرنا إلى ذكر الخطباء والنسّابين ، ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا ، وبالله التوفيق .

قال لي ابنُ الأعرابي : قال لي المفضل بن محمد الضبي : قلت لأعرابي منّا : ما البلاغة ؟ قال لي : الإيجازُ في غير عَجْزٍ ، والإطناب في غير خَطَلٍ . قال ١٠ ابنُ الأعرابي * : فقلتُ للمفضل : ما الإيجاز عندك ؟ قال : حَذَفَ الفضول^(٤) ، وتقريب البعيد .

قال ابنُ الأعرابي ، قيل لعبد الله بن عمر : لو دعوت الله لنا بدعواتٍ . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزُقنا ! فقال له رجل : لو زدّتنا يا أبا عبد الرحمن . فقال : نعوذ بالله من الإسهاب . ١٥

(١) هذه بما عدل .

(٢) ل : « في هذه البادية » .

(٣) ذكرهم ابن دريد في الاشتقاق ١٩٩ . وقال : « بنو صُوحان بن حجر بن الحارث ابن الهجرس . وسَيحان فعلان من السيج ، ، ساح الماء يسبح سبيحاً » . فيما عدل : « شَيخان » تحريف . ٢٠

(٤) ل : « ما الإيجاز عندكم ؟ قال : ترك الفضول » .

(٧ - البيان - أول)

باب

ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأيناء والفقهاء والأمراء

ممن كان لا يكاد يسكت مع فلة الخطأ والزلل

منهم : زيد بن صوحان . ومنهم : أبو وائلة إياس بن معاوية المزني^(١) ،
القاضي القائف ، وصاحب الزكك ، والمعروف بمحوذة الفراسة . وليكثرة كلامه
قال له عبد الله بن شبرمة^(٢) : « أنا وأنت لا تنفق . أنت لا تشتهي أن تسكت
وأنا لا أشتهي أن أسمع » .

وأتي حلقه من حاق قريش في مسجد دمشق ، فاستولى على المجلس ، ورأوه
أحمر دميماً باذ الهيئة ، قشفاً ، فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا له :
الذنب مقسوم بيننا وبينك : أتيتنا في زي مسكين ، تكلمنا بكلام الملوك .
ورأيت ناساً يستحسنون جواب إياس بن معاوية حين قيل له : ما فيك
عيب غير أنك معجب بقولك . قال : أفأعجبكم قولي ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا
أحق بأن أعجب بما أقول ، وبما يكون مني منكم^(٣) .

والناس ، حفظك الله ، لم يضعوا ذكر العجب في هذا الموضع . والمعيب
عند الناس ليس هو الذي لا يعرف ما يكون منه من الحسن . والمعرفة لا تدخل
في باب التسمية بالعجب ، والعجب مذموم . وقد جاء في الحديث : « إن المؤمن

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ، من مزينة مضر ، ولده عمر بن عبد العزيز
قضاء البصرة . وكان صادق الطبع لطيفاً في الأمور ، وكان لأم ولد : ومنزله عند السي ،
ومات بها سنة ١٢٢ . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩) وأنساب السمعاني .
(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن الفضل بن حسان الغساني ، أبو شبرمة الكوفي القاضي .
ولاه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة . توفي سنة ١٤٤ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) ل : ١ : ١٠٠ : ١٠٠ .

مَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ . وقيل لعمر : فلان لا يعرف الشر . قال : « ذاك أجدر أن يقع فيه » . وإنما العجب إسراف الرجل في الشرور بما يكون منه والإفراط في استحسانه ، حتى يظهر ذلك في لفظه وفي شمائله . وهو الذي وصّف به صَعَصَةُ بْنُ صُوحَانَ^(١) ، المُنْذَرُ بْنُ الْجَارُودِ^(٢) ، عند عليّ بن أبي طالب رحمه الله ، فقال : « أما إنّه مع ذلك لَنَظَّارٌ فِي عِطْفِيهِ ، تَقَالٌ فِي شِرَاكِيهِ ، تَعْجِبُهُ حُمْرَةُ بُرْدِيهِ^(٣) » .

قال أبو الحسن : قيل لإياس : ما فيك عيبٌ إلا كثرة الكلام . قال : فتسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا : لا ، بل صواباً . قال : « فالزيادة من الخير خير » . وليس كما قال ؛ لكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستئصال والمآل ، فذلك الفاضل هو الهذر ، وهو الخطل ، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيرونه^(٣) .

وذكر الأصمعي أن عمر بن هبيرة لما أراحه على القضاء قال : إنني لا أصلح له . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني عيى ، ولأنني دميم ، ولأنني حديد . قال ابن هبيرة : أمّا الحدة فإن السوط يقومك ، وأما الدمامة فإنني لا أريد أن أحاسن بك أحداً ، وأمّا العيى فقد عبرت عما تريد .

فإن كان إياس عند نفسه عيياً فذاك أجدر بأن يهجر الإكثار .

وبعد فما نعلم أحداً رمى إياساً بالعيى ، وإنما عابوه بالإكثار .

وذكر صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال

(١) هو صَعَصَةُ بْنُ صُوحَانَ العبدي ، كان مسلماً في عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلي ، وشهد صفين مع علي ، وكان خطيباً فصيحاً . مات بالكوفة في خلافة معاوية . ٢٠ الإصابة ٤١٢٥ . وصوحان ، بضم الصاد . انظر الاشتقاق ١٩٩ .

(٢) المنذر بن الجارود العبدي ، ولد في عهد النبي ، ولأبيه محبة ، وشهد الجمل مع علي وولاه عبيد الله بن زياد الهند في إمرة يزيد بن معاوية فمات هناك سنة ٦١ . انظر الإصابة ٨٣٢٨ .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨) والبيان (٣ : ١١٢) .

ما رأيتُ عقولَ النَّاسِ إِلَّا قَرِيباً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْحَبَّاجِ
ابنِ يُوسُفَ ، وَإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : فَإِنَّ عَقُولَهُمَا كَانَتْ تَرْجَحُ عَلَى عَقُولِ النَّاسِ
كَثِيراً .

وَقَالَ قَائِلٌ لِإِيَّاسَ : لِمَ تَعْجَلُ بِالْقَضَاءِ ؟ فَقَالَ إِيَّاسُ : كَمْ لَكَفَّكَ مِنْ إِصْبَعٍ ؟
قَالَ : خَمْسَ . قَالَ : عَجِلْتَ . قَالَ : أَمْ يَعْجَلُ مَنْ قَالَ بَعْدَ مَا قَتَلَ الشَّيْءَ عُلماً
وَيَقِيناً . قَالَ إِيَّاسُ : فَهَذَا هُوَ جَوَابِي لَكَ ^(١) .

وَكَانَ كَثِيراً مَا يُنْشِدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنْتَى امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ ^(٢)

قَالَ : وَمَدَحَ سَلَمَةَ بْنَ عَيَّاشٍ ^(٣) ، سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(٤) ، بِمِثْلِ مَا وَصَفَ بِهِ ^{سَمِيحٌ}
١٠ إِيَّاسُ نَفْسَهُ حِينَ قَالَ :

وَأَوْقَفَ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْنَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِياً ^(٥)

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، إِلَى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةٍ : إِنَّ قَبْلَكَ
رَجُلَيْنِ مِنْ مَزَيْنَةٍ ، فَوَاحٍ أَحَدَهُمَا قَضَاءُ الْبَصْرَةِ . يَعْنِي بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزَنِيَّ ^(٦)
وَأِيَّاسَ بْنَ مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ بَكْرٌ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ الْقَضَاءَ ، فَإِنْ كُنْتُ صَادِقاً فَمَا
٦٤

١٥ (١) ل : « فهذا جوابي » .

(٢) أَنَشَدَهُ فِي الْخَيَّوَانِ (٣ : ٤٩٥) وَقَالَ : « لَيْسَ يَرِيدُ أَنَّهُ فِي حَالَةِ تَبَيُّنِهِ غَيْرُ
مَرْتَبٍ ، وَنَحْنُ يَعْنِي أَنَّ بَصِيرَتَهُ لَا تَمِيرُ » . لَمْ أَرْتَبْ ، بَفُتِحَ الْهَاءُ مِنَ الرَّيْبَةِ ، وَبِضْمِهَا أَيْضاً
مِنْ الرُّتُوبِ ، وَهُوَ الْوَقْفُ .

(٣) سَلَمَةُ بْنُ عَيَّاشٍ : شَاعِرٌ بَصْرِيُّ مِنْ خُضَيْرَى الْهَوَلِيِّينَ ، كَانَ مُنْقَطِعاً إِلَى جَعْفَرٍ وَمُحَمَّدٍ
٢٠ وَلَدَيْ سَبِيحَةَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَّاسٍ يَمْدَحُهُمَا . تَرَجَّمَهُ أَبُو الْفَرَجِ فِي (٢١ : ٨٤ - ٨٦) .

(٤) أَبُو عِيَّاشٍ سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَدَامَةَ الْعَنْبَرِيِّ الْبَصْرِيِّ ،
قَالَ يَهُدَى وَوَلَّى بِهِ قُضِيَّةً رُصَافَةً . وَكَانَ فِدِيًّا فَصِيحاً ، أَدِيباً شَاعِراً . وَقَدْ وَثَّقَهُ كَثِيرُونَ
مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَبِيبٍ . تَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٥ . بَصْرَةَ رَجُلٌ بِفَتْحٍ ٤٦٨٨ .

(٥) بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزَنِيُّ ، قَسْبَةُ بْنُ مَرْثَدَةَ . أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ ، ثِقَةٌ جَلِيلٌ ،
٢٥ تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٦ . نَهْذِيْبٌ تَهْدِيْبٌ .

يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَوَلِّينِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا إِنَّهَا لِأَحْرَاهَا ^(١) .

وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا : شيخها الحسن ، وفتاها بكر .

وقال إياس بن معاوية : لستُ يُحِبُّ وَالحِبُّ لَا يَخْدَعُنِي . وقال : الحِبُّ ^(٢)

لَا يَخْدَعُ ابْنَ سِيرِينَ ، وَهُوَ يَخْدَعُ أَبِي وَيَخْدَعُ الْحَسَنَ .

وَدَخَلَ الشَّامَ وَهُوَ غَلَامٌ ، فَتَقَدَّمَ خَصَمًا لَهُ ، وَكَانَ الْخَصَمُ شَيْخًا كَبِيرًا ، إِلَى

بَعْضِ قُضَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَتَقْدُمُ شَيْخًا كَبِيرًا ؟ قَالَ

الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ . قَالَ : اسْكُتْ . قَالَ : فَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي . قَالَ : لَا أَظُنُّكَ

تَقُولُ حَقًّا حَتَّى تَقُومَ . قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، [أَحَقًّا هَذَا أَمْ بَاطِلًا] ^(٣) ؟ فَقَامَ الْقَاضِي مُرًّا ،

فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَخَبَّرَهُ بِالْخَبَرِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اقْضِ حَاجَتَهُ

السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ ، لَا يُفْسِدُ عَلَى النَّاسِ .

فَإِذَا كَانَ إِيَاسٌ وَهُوَ غَلَامٌ يُخَافُ عَلَى جَمَاعَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ وَقَدْ

كَبُرَتْ سُنَّتُهُ ، وَعَظِمَتْ عَلَى نَاجِيَتِهِ .

وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِي إِيَاسٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ مَفَاخِرِ مُضَرَ ، وَمِنْ مُقَدَّمِي الْقَضَاةِ ،

وَكَانَ فَقِيهَ الْبَدَنِ ^(٤) ، دَقِيقَ الْمَسَلِكِ فِي الْفِطَنِ ، وَكَانَ صَادِقَ الْحَدْسِ نِقَابًا ^(٥) ،

وَكَانَ عَجِيبَ الْفِرَاسَةِ مُلْهُمَا ، وَكَانَ عَفِيفَ الطَّعْمِ ^(٦) ، كَرِيمَ الْمَدَاحِلِ وَالشَّيْمِ ،

وَجِيهًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، مُقَدَّمًا عِنْدَ الْأَكْفَاءِ . وَفِي مَرْيَنَةِ خَيْرٍ كَثِيرٍ .

(١) أَيْ هَذِهِ الْحَالَةُ أَجْدَرُ الْحَالَيْنِ بِإِقْصَائِي عَنِ الْوَلَايَةِ . ل : « فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَمَا يَحِلُّ

لَكَ أَنْ تَوَلِّينِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَمَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَوَلِّينِي » .

(٢) الْحِبُّ ، بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ : الْخِدَاعُ . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي قَبْلُهَا فِي ل فَقَطْ ، وَلِبَسًا

فِي الْحَيَوَانِ (٢ : ٢٧٩) . (٣) التَّكْمِلَةُ مِنْ هـ .

(٤) فِي هَامِش هـ : « أَيْ كَانَ بَدَنُهُ مُطْبُوعٌ عَلَى الْفَقْهِ لِدَكَانِهِ وَلِنُفُوزِهِ فِيهِمَا أُنْشَلُ مِنْهُ

أَوْ نَعْمُضُ » . وَانْظُرْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ فِي تَرْجُمَةِ بَشْرِ بْنِ الْمَفْضَلِ .

(٥) الْحَدْسُ ، بِالْفَتْحِ : الظَّنُّ وَالتَّخْمِينُ . وَالنِّقَابُ ، كَكِتَابِ : الرَّجُلُ الْعَلَامَةُ الْفِطْنِ .

قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

بِحَيْجِ جَسَوَادِ أَخُو مَاقِطِ نِقَابٍ يَحْسُدُ بِالْغَائِبِ

(٦) فِي حَوَاشِي هـ : أَيْ إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ حَلَالٍ . مَا عَدَا هـ : « الْمَطْعَمُ » .

ثم رجعنا إلى القول الأول .

ومنهم ربيعة الرأي^(١) ، وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلم يوماً فأكثَرَ وأعجبَ بالذي كان منه ، فالتفت إلى أعرابي كان عنده فقال : يا أعرابي : ما تعدُّون العيَّ فيكم ؟ قال : ما كنتَ فيه منذُ اليوم .

بلغاء وخلفاء

وكان يقول : السَّاکت بين النَّائم والأخرس .

ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي^(٢) . ومحمد بن حفص هو ابن

عائشة : ثم قيل لعبيد الله ابنه : ابن عائشة . وكان كثيرَ العلم والسمع ، متصرفاً في

الخبر والأثر . وكان من أجواد قريش^(٣) ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو في ذلك

كثيرُ الفوائد . وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن ، كثير العلم ، بعث إليه

١٠ يَنْخَاب^(٤) خليفته في بعض الأمر ، فأتابه في جَلَّتْهُ في المسجد ، فقال له في بعض

كلامه : أبو مَنْ أصلحك الله ؟ فقال له : هَلَّا عَرَفْتَ هذا قبل مجيئك ! وإن

كان لا بدَّ لك منه فاعترضْ مَنْ شئتَ فسأله . فقال له : إنني أريد أن تُخَلِّينِي .

قال : أفي حاجة لك أم في حاجة لي ؟ قال : بل في حاجة لي . قال : فالتفتي في المنزل

قال : فإنَّ الحاجة لك . قال : ما دون إخواني ستر .

١٥ ومنهم محمد بن مسعر العقيلي ، وكان كريماً كريماً المجالسة ، يذهب مذهب

(١) ويمال له ربيعة صاحب الرأي . انظر انكدام على أصحاب الرأي في المعارف لابن

قتيبة ٢١٦ - ٢١٩ . وهو أبو عمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنذر البجليين ، وكان أبو العباس السفاح قد قدمه للتضياء فلم ينع . ومات بالأندلس سنة ١٣٦ . انظر المعارف ٢١٧ وصفة الصفوة (٢ : ٨٣ - ٨٦) .

٢٠ (٢) هو عبيد الله بن محمد بن حمص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر البجلي ، يقال له ابن عائشة والعائسي ، والعيشي : نسبة إلى عائشة بنت طلحة ؛ لأنه من ذريتها . توفي بجزيرة سنة ٢١٨ . انظر المعارف لابن فنيبة ٢٢٨ ، وتهذيب التهذيب ، والأنساب ٣١٩ وحمود (٢ : ١٢) .

(٣) أجواد : جمع جواد . نعت من عدا : « من أجواد قريش » .

٢٥ (٤) يَنْخَاب : جمع نَخَاب . نَخَاب : زبد . زبد : منحة . ه : « نخباب » . بدل

النَّسَّاءُ ، وكان جواداً . مرَّ صديقٌ له من بني هاشم بقصرٍ له وبُستانٍ نفيسٍ ، فبلغه أنه استحسنه ، فَوَهَبَهُ لَهُ بِجَدَّةٍ رِيَّةً .

ومنهم أحمد بن المُعَدَّل بن غِيلان^(١) ، كان يذهب مذهب مالكٍ رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ في المعاني ، وتصرُّفٍ في الألفاظ .

ومن كان يُكثر الكلام جدًّا الفضل بن سهل ، ثم الحسن بن سهل^(٢) . في أيامه .

وحدَّثني محمد بن الجهم ودُّوَاد بن أبي دُّوَاد قالا : جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة ، لنعيم بن حازم^(٣) ، فأقبل نعيمٌ حافياً حاسراً وهو يقول : ذنبي أعظم من السماء ، ذنبي أعظم من الهواء ، ذنبي أعظم من الماء ! قالا : فقال له الحسن بن سهل : على رِسْلِكَ ، تقدَّمت منك طاعةٌ ، وكان آخرُ أمرِكَ إلى توبةٍ ، وليس للذنوب بينهما مكان ، وليس ذنبُكَ في الذُّنوب بأعظمٍ من عَفْو أمير المؤمنين في العفو .

ومن هؤلاء عليُّ بن هشام ، وكان لا يسكت ، ولا أدري كيف كان كلامه . قال : وحدَّثني مهديُّ بن ميمون ، قال : حدَّثنا غِيلان بن جرير ، قال : كان مطرّف بن عبد الله^(٤) يقول : « لا تُطْعِم طعامَكَ مَنْ لا يشتهيهِ » . يقول : ١٥

(١) هو أخو الشاعر المشهور عبد الصمد بن المعدل بن غيلان ، كلاهما كان من شعراء الدولة العباسية . قال أبو الفرج في أثناء ترجمة عبد الصمد : « وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين ونقد في المعترضة » . الأغاني (١٢ : ٥٤) .

(٢) استوزر المأمون الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . قتل الفضل سنة ٢٠٢ . أما الحسن فقد توفي سنة ٢٣٦ . وهو والد بوران زوج المأمون ، التي فيها يقول الباهلي : ٢٠

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا ابن هارون قد ظفرت ولكن ببنت من

(٣) فيما عدل ، ه : « ابن حازم » بالحاء المهملة .

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير ؛ أحد التابعين ، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان لأبيه صحبة . وكان يقص في مكان أبيه بمسجد البصرة . توفي سنة ٩٥ . الإصابة ٨٣١٨ والمعارف ١٩٣ وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) وتهذيب التهذيب .

لا تُقْبِلْ بِمَدِيَّتِكَ عَلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ عَلَيْهِ وَجْهَهُ . ^{تَرْجِيحٌ عَلَى دِيْنِهِ}
 وقال عبدُ الله بنُ مسعود : « حَدَّثَ النَّاسَ مَا حَدَّجُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَأَذِنُوا
 لَكَ بِأَسْمَاعِهِمْ ، [وَلَحْظُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ ^(١)] ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ فَتْرَةً فَامْسِكْ » .
 قال : وجعل ابنُ السَّمَاكِ ^(٢) يوماً يتكَلَّمُ ، وجاريةٌ لَهُ حَيْثُ تَسْمَعُ كَلَامَهُ ، فَلَمَّا
 انصَرَفَ إِلَيْهَا قَالَ لَهَا : كَيْفَ سَمِعْتَ كَلَامِي ؟ قَالَتْ : مَا أَحْسَنَهُ ، لَوْلَا أَنَّكَ تَكْثُرُ
 تَرْدَادَهُ . قَالَ : أَرَدُّدُهُ حَتَّى يَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ . قَالَتْ : إِلَى أَنْ يَفْهَمَهُ مَنْ
 لَا يَفْهَمُهُ قَدْ مَلَّهَ مِنْ فِهْمِهِ ^(٣) .

عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ ، عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ : « لَا يَعَادُ
 الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ ^(٤) » .

١٠ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٥) ، عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : « إِعَادَةُ الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ
 نَقْلِ الصَّخْرِ ^(٦) » .

(١) هَذِهِ بِلَا عَدَالٍ .

(٢) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ صَبِيحٍ مَوْلَى بَنِي عَجَلٍ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّمَاكِ ، سَمِعَ هِشَامَ
 ابْنَ عُرْوَةَ ، وَالْعَوَّامَ بْنَ حَوْشَبٍ ، وَسَفِيَّانَ الثَّوْرِيَّ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ
 حَنْبَلٍ . وَهُوَ كُوفِيٌّ قَدِمَ بَغْدَادَ زَمَنَ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَكَانَ يَبْكِي هَارُونَ مِنْ قُوَّةِ مَوْعِظَتِهِ .
 وَمَكَتَ بِبَغْدَادِ مِائَةَ ثَمَنٍ رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ فَتَبَّهَا سَنَةَ ١٨٣ . قَارِئُ بَغْدَادَ ٢٨٩٥ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ
 (٣ : ١٠٥) .

(٣) ل : يَفْهَمُهُ . . وَأَنْطَرُ الْخَبَرَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ١٧٨) .

(٤) لُ فَنَطَ : لَا يَعْدُ ، وَأُثْبِتَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخِ وَعَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ١٧٩) .
 (٥) سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ مَيْمُونٍ الْأَدَلِيُّ ، الْكُوفِيُّ الْمَكِّيُّ ، ثَنَّةٌ حَافِلٌ . سَمِعَ الزُّهْرِيَّ
 وَحَبِيبَ اللَّهِ بْنَ دُبَّارٍ وَغَيْرَهُمَا . وَحَدَّثَ عَنْهُ الْأَعْمَشُ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَشُعْبَةُ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
 وَغَيْرُهُمْ . وَفِيهِ بِمَوْلَى الشَّافِعِيِّ : « لَوْلَا أَنَّكَ وَسَفِيَّانُ لَمْ تَهْبِطَا عِلْمَ الْحِجَازِ » . وَكَانَ يَحْدُثُ فِي
 مَوْسَمِ الْحَجِّ ، وَقَدْ حَجَّ سَبْعِينَ سَنَةً . وَلِدَ سَنَةَ ١٠٧ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٩٨ . تَذَكُّرَةُ الْحَفَافِ
 (١ : ٢٤٢) وَتَهْذِيبُ أَتَهْذِيبِ .

٢٠ (٦) فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ١٧٩) : « مَنْ وَقَعَ الصَّخْرَ صَوَابَ هَذِهِ : « مَنْ
 رَفَعَ الصَّخْرَ » .

وقال بعض الحكماء : « مَنْ لَمْ يَنْشِطْ لِحَدِيثِكَ فَارْفَعْ عَنْهُ مَوْوَنَةَ الاستماع منك » .

وجملة القول في الترداد ، أنه ليس فيه حدٌّ يُنتهى إليه ، ولا يُؤتنى على وصفه^(١) . وإنما ذلك على قدر المستمعين ، ومن يحضره من العوام والخواص . قد رأينا الله عز وجل ردّد ذكر قصّة موسى وهود ، وهارون وشعيب ، وإبراهيم ولوط ، وعاد وثمود . وكذلك ذكر الجنّة والنار وأمور كثيرة ؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم ، وأكثرهم غيبي غافل^(٢) ، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب .

وأما أحاديث القصص والرقّة فإنّي لم أر أحداً يعيب ذلك .

وما سمعنا بأحدٍ من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيّا ، إلا ما كان من النّخار بن أوس العذري ؛ فإنه كان إذا تكلم في الجهالات^(٣) جرّاءه العذري^{١٠} . وفي الصّفح والاحتال ، وصّلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التّفاني والبوار — كان ربّما ردّد الكلام على طريق التّهويل والتّخويف ، وربّما حجّى فنخز . برأيه .

وقال ثُمّامة بن أُشرس^(٤) : كان جعفر بن يحيى^(٥) أنطق الناس ، قد جَمَعَ ١٥

(١) فيما عدل ، ه : « يؤتى إلى وصفه » تحريف .

(٢) ل : « عى غافل » .

(٣) الجهالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . ل : « الجهالات » تحريف .

(٤) ثُمّامة بن أُشرس النميري مولى بني نمير ، كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق ؛ وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق بين الفرق ١٥٧ . وروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ؛ من ذلك أنه رأى الناس يوم جمعة يتعبدون إلى المسجد الجامع لخوفهم من فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر ! ثم قال : ما صنع ذلك العربي بالناس . تأويل مختلف الحديث ٦٠ . قتل ثُمّامة في زمان الواثق الذي تولى الخلافة من ٢٢٧ — ٢٣٢ . وقيل مات في ٢١٣ . انظر الفرق ١٥٩ ولسان الميزان (٢ : ٨٤) وكذا معجم الفرق الإسلامية (رسم الثُمّامة) .

(٥) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد .

الهدوء والتمهل ، والجزالة والحلاوة ، وإفهاماً يُغنيه عن الإعادة . ولو كان في الأرض ناطقٌ يستغني بمنطقة عن الإشارة ، لاستغني جعفرٌ عن الإشارة ، كما استغني عن الإعادة .

وقال مرة : ما رأيتُ أحداً كان لا يتحبس ولا يتوقف ، ولا يتلجلج ولا يتنحرج ، ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بُعد ، ولا يلتبس التلخيص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أقلَّ تكلفاً ، من جعفر بن يحيى .
وقال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بمعناك ، ويحلى عن مغزائك ، وتخرجُهم عن الشرِّكة ، ولا تستعين عليه بالفكرة .
والذي لا بدَّ له منه ، أن يكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل ^(١) .

وهذا " هو تأويل قول الأصمعي " : « البليغ من طبق المَفصل ^(٢) » ، وأغناك ١٧ عن المفسر » .

وخبّرني جعفر بن سعيد ^(٣) ، رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه ^(٤) ، قال :
ذُكرت لعمر بن مسعدة ^(٥) ، توقيعات جعفر بن يحيى ، فقال : قد قرأت

١٥ (١) كلام جعفر هذا في عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .
(٢) طبق المَفصل : أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو ، ثم جعل لحسن الإصابة بالقول . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٧٤) .
(٣) جعفر بن سعيد هذا ، أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ .
وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٩) .

٢٠ (٤) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة . وكان أول أمره على مذهب أبي شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم ابن سار الزناعم ، كما سيأتي .

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب في زمان المأمون ، ذكره أحمد . في تاريخ بغداد ٦٦٢ أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر . وكان إبراهيم قد
٢٥ ثم قال : فيه عمرو مالا . فكتب إليه إبراهيم :

... تراخي مني أبدي ثم تمنن وإن هي جات =

لأم جعفرٍ توقيعاتٍ في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجودَ اختصاراً ،
وأجمعَ للمعاني .

قال : ووصف أعرابي أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال : « كان والله يضع
الهِنَاءَ مواضعَ النَّقَبِ ^(١) » . يظنُّون أنه نقل قولَ دريدِ بن الصِّمَّةِ ^(٢) ، في الحسناء
بنتِ عمرو بن الشَّريد ، إلى ذلك الموضع ، وكان دريدٌ قال فيها ^(٣) :

ما إنْ رأيتُ ولا سمِعتُ به في النَّاسِ طالىَ أَيْنُقِي جُرْبِ
متبذِّلاً تبدو محاسِنُهُ يضع الهِنَاءَ مواضعَ النَّقَبِ

ويقولون في إصابة عينِ المعنى بالكلام الموجز : « فلان يقلُّ المحَزَّ ، ويصيبُ
المَفْصِلَ » . وأخذوا ذلك من صِفَةِ الجزَّار الحاذق ، فجعلوه مثلاً للمصيب الموجز .
وأُشْدِنِي أَبُو قَطَنٍ الغَنَوِيَّ ، وهو الذي يقال له شهيد الكَرَمِ ^(٤) ، وكان ١٠
أُبَيِّنَ مَنْ رَأَيْتُهُ من أهل البدو والحضر :

= فني غير محبوب الفنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النمل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت فنى عينيه حتى تجلت

ومسعدة ، بفتح الميم والعين ، كما ضبطه ابن خلكان . توفي سنة ٢١٧ . وبعض الناس
يعده في الوزراء . انظر التنبيه والإشراف ٣٠٤ .

١٥ (١) الهناء ، بالكسر : ضرب من القطران تطل به الإبل . والنقب ، بسكون القاف
وضمها : جمع نقبة ، بالضم ، وهي أول ما يبدو من الحرب .

(٢) دريد بن الصمة كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم ، غزا مائة غزاة ما أخفق
في واحدة منها ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهراً للمشركين ، وقتل على
شركه . الأغاني (٩ : ٢) .

٢٠ (٣) كان دريد بن الصمة قد خطبها فردته ، وكان رأها تنهاً بعيداً فقال :

حيوا تماضر واربعوا صحبى وقفوا فإن وقوفكم حسبى
أحناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تيل من الحب
وبعدهما البيتان التاليان . انظر الأغاني (١٣ : ١٣٠) .

(٤) روى الجاحظ عنه أيضاً في الحيوان (٣ : ٩٤) . والشعر التالي من روايته ٢٥
وليس له ، بل هو لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما في الحماسة (٢ : ٢٧٤) .

فلو كنتُ مولى قيس عيلان لم تجِدْ عَلَى الخلقِ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا
ولكنني مولى قضاة كَأَمَّا فليستُ أباي أن أدينَ وتَغَرَّمَا
أولئك قومٌ بَارَكَ اللهُ فِيهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا عَفَّ وَأَكْرَمَا
جُفَاءَ الْحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخْذُمًا^(١)
يقول : هم ملوك وأشباهُ الملوك ، ولهم كُفَاءَةٌ فهم لا يحسنون إصابة المَفْصِلِ .

وأنشدني أبو عبيدة في مثل ذلك :

وَصُلَعَ الرَّءُوسِ عِظَامُ الْبُطُونِ جُفَاءَ الْحَزِّ غِيَاظُ الْقَصْرِ^(٢)
وذلك قال الراجز^(٣) :

ليس براعي إبل ولا غَنَمَ وَلَا بِحَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍ
وقال الآخر ، وهو ابنُ الزُّبَيْرِ^(٤) :

وفتيانٍ صِدْقِ حِسَانِ الْوُجُوهِ لَا يَجِدُونَ لَشَيْءٍ أَلَمَ
مِنْ آلِ الْمُغِيرَةِ لَا يَشْهَدُونَ عِنْدَ الْمَجَازِرِ لَحْمَ الْوَضَمِ

وقال الراعي في المعنى الأول :

فَطَبَّقْنَ عَرْضَ الْفَبِّ ثُمَّ جَزَعْنَهُ كَمَا طَبَّقْتَ فِي الْعِظِ مُدْيَةَ جَازِرٍ^(٥)

١٠ (١) قال ابن رنزي في شرح الحاشية : « أي لا يئنفون في فصل اللحم كعمل الجزار »

أي يسهو بخراير ، ولا يملك من سديهم . واخدم : سرعه القطع ، وفي التخضم زيادة
تدب ، يدو : « تكبوا لحمي » لم يتولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان .

(٢) مصرورة . بنحريك ، وهي أصل العنق . وقرئ : (برمي بشرر كالقصر) .

(٣) أي يتيد من رمض الغزى . امر المسان (حطم) . ورشيد هذا من أدرك

٢٠ الإسماء من ٢١٣٣ .

(٤) هو ابن الزبير . كان من أسعد فرس ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم

في فتح مكة ثم . وعذر عن يده المسلمين والرسول . الإصابت ٦٤٧٠ والمؤتلف ١٣٢ .

(٥) عرض : د . تقم : د . وسطه : د . جزعته : د . فبما عدل :

« حتى » . ك : د . : د .

وأنشد الأصمعي :
وكف فتى لم يعرف السِّلخَ قَبْلَهَا تَجُورُ يَدَاهُ فِي الْأَدِيمِ وَتَجْرَحُ
وأنشد الأصمعي :

لَا يُسِيكُ الْعُرْفُ إِلَّا رَيْثَ يُرْسِلُهُ وَلَا يُلَاطِمُ عِنْدَ اللَّحْمِ فِي الشُّوقِ^(١)
وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة ، وبَيَّنَّه وضرب به المثل ، حيث قال في الحكم
بين عامر بن الطفيل ، وعَلَقْمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ^(٢) :

يَا هَرِمَ بْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا^(٣) إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُفْجِبًا

* فَطَبَّقَ الْمَفْصِلَ وَاغْتَمَّ طَبِّيًا *
يقول : احكم بين عامر بن الطفيل وعَلَقْمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ بكلمة فصل ، وبأمر
قاطع ، فنُفْصِلَ بها بين الحقِّ والباطل ، كما يَفْصِلُ الْجَزَارُ الْحَازِقَ مَفْصِلَ الْعَظْمَيْنِ .
وقد قال الشاعر في هَرِمَ :

قَضَى هَرِمٌ يَوْمَ الْمُرَيْرَةِ بَيْنَهُمْ قَضَاءُ أَمْرِي بِالْأَوَّلِيَّةِ عَالِمٌ^(٤)
قَضَى ثُمَّ وَلَّى الْحُكْمَ مَنْ كَانَ أَهْلَهُ وَلَيْسَ ذُنَابِي الرِّيشِ مِثْلَ الْقَوَادِمِ^(٥)
ويقال في الفحل إذا لم يُحْسِنِ الضَّرَابُ : جمل عَيَايَاءَ ، وجمل طَبَاقَاءَ . وقالت
امرأة في الجاهلية تشكو زوجها « زَوْجِي عَيَايَاءُ طَبَاقَاءَ ، وَكُلُّ دَاوِلَةٍ دَاوِلَةٌ^(٦) » . ١٥

(١) ل : « إلا ريث يبعثه » .

(٢) انظر لمناخره عامر وعَلَقْمَةَ ، الأغاني (١٥ : ٥٠ - ٥٥) .

(٣) هَرِمٌ هَذَا ، هُوَ هَرِمُ بْنُ قُطَيْبَةَ بْنِ سَنَانِ بْنِ عَمْرِو الْفَزَارِيِّ ، أَحَدُ حُكَّامِ الْعَرَبِ .
وهُوَ غَيْرُ هَرِمِ بْنِ سَنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّي ، مَدُوحُ زُهَيْرٍ . انظر الأغاني والاستقفاق ١٧٢ .

(٤) الْأَوَّلِيَّةُ : مَفَاخِرُ الْأَبَاءِ . قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

وَمَا فُخِرَ مِنْ لَيْسَتْ لَهُ أَوَّلِيَّةٌ تَعْدُ إِذَا عَدَّ الْعَدِيمُ وَلَا ذَكَرَ

(٥) ذُنَابِي الرِّيشِ : رِيشَاتُ أَرْبَعٍ فِي جَنَاحِهِ بَعْدَ الْخَوَافِي . وَالْخَوَافِي : رِيشَاتُ أَرْبَعٍ

بَعْدَ الْقَوَادِمِ .

(٦) مَا عَدَاهُ : « لَهُ دَوَاءٌ » تَحْرِيفٌ . انظر اللسان (طَبَقٌ ، عَيْسَى ، دَوَاءٌ) . أَيْ

كُلُّ عَيْبٍ يَكُونُ فِي الرِّجَالِ فَهُوَ فِيهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ . انظر بلاغات النساء ٢٥
لابن طيفور ٧٩ - ٨٧ والمزهر (٢ : ٥٣٢ - ٥٣٥) .

حَتَّى جَعَلُوا ذَلِكَ مَثَلًا لِلْعَيِّ الْقَدَمِ ، وَالَّذِي لَا يَتَّبِعُهُ لِلْحَبَّةِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :

طَبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَقْدُ رِكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تُفَكِّفُ ^(٢)

وَذَكَرَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ الْخَطَلَّ فَعَابَهُ فَقَالَ : *نَرْجُو أَنْ نَمُوتَ*

٦٩

وَذَى خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يَلِمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ ^(٣)

عَبَّاتٌ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

وَقَالَ غَيْرُهُ ^(٤) :

شُمْسٌ إِذَا خَطِلَ الْحَدِيثُ أَوَّانِسٌ يَرْقُبُنَ كُلَّ مَجْدَرٍ تَنْبَالٍ

الشُّمْسُ ، مَاخُودٌ مِنَ الْخَلِيلِ ، وَهِيَ الْخَلِيلُ الْمَرِحَّةُ الضَّارِبَةُ بِأَذْنَانِهَا مِنَ النَّشَاطِ .

وَالْمَجْدَرُ : الْقَصِيرُ . وَالتَّنْبَالُ : الْقَصِيرُ الدَّنِيُّ .

١٠ وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْمَقْدَمِينَ فِي الْعِلْمِ ، وَاسْمُ أَبِي الْأَسْوَدِ

ظَالِمُ بْنُ عَمْرٍو :

وَشَاعِرٍ سَوَاءٌ يَهْضِبُ الْقَوْلَ ظَالِمًا كَمَا اقْتَمَّ ^{انحما} أَعَشَى مُظْلِمُ اللَّيْلِ حَاطِبُ

يَهْضِبُ : يُكْثِرُ . وَالْأَهَاضِيبُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . اقْتَمَّ : افْتَعَلَ مِنْ

الْقِيَامَةِ . وَأَنْشَدَ :

١٥ أَعُوذُ بِاللَّهِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ مِنْ قَوْلِي الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ أَعْلَمْ ^(٥)

* تَجَبُّطِ الْأَعْمَى الضَّرِيرِ الْأَيْهَمِ ^(٦) *

(١) هُوَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ . كَمَا فِي اللِّسَانِ وَمَقَايِيسِ اللَّفْظِ (طَبَق) .

(٢) الْكُورُ ، بِالْقَصَمِ : الرَّحْلُ بِأَدَانِهِ . تَعَكَّفُ : تَحْبَسُ .

(٣) مَا يَلِمُ بِهِ ، أَيْ مَا يَحْضُرُهُ . وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَطَابِقُ رِوَايَةَ الدِّيَوَانِ ١٣٩ . وَكُتِبَ

٢٠ فِي لَفْظٍ « يَلِمُ » : « يَهْمُ » ، وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى رِوَايَةٍ . وَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ ثَعْلَبٍ وَالشَّنْتَمَرِيِّ .

(٤) نَسَبَ فِي ص ٢٧٩ إِلَى الْأَحْمَدِ .

(٥) « قَوْلِي » كُتِبَ فَوْقَهَا فِي ل : « قَوْلِي » إِشَارَةٌ إِلَى رِوَايَةٍ أُخْرَى . وَالْقَوُوفُ : التَّنْبِيعُ .

(٦) الْأَيْهَمُ : الْأَعْمَى . وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا فَهْمَ . وَفِي هَاشِمٍ : « فِي الْعَيْنِ :

الْأَيْهَمُ مِنَ الرِّجَالِ : الْأَصَمُ » .

وقال إبراهيم بن هرمة^(١) ، في تطبيق الفصل — وتلحق هذه المعاني بأخواتها قبل^(٢) :

وَعَمِيْمَةٌ قَدْ سَقَتْ فِيهَا عَائِرًا غَفْلًا وَمِنْهَا عَائِرٌ مَوْسُومٌ^(٣) — ؟
طَبَّقَتْ مُفَصِّلَهَا بَغِيرَ حَدِيدَةٍ فَرَأَى الْعَدُوَّ غَنَائِي حَيْثُ أَقُومُ^(٤) بل ينادي

وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس ، فوصف بها جعفر بن يحيى^(٥) ،
كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهل عصره
وما علمت أنه كان في زمانه قروى ولا بلدى ، كان بلغ من حسن الإفهام
مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ، ما كان بلغ من
بلغه . وكان لفظه في وزن إشارته ، ومعناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى ١٠

سمعتك بأسرع من معناه إلى قلبك .

قال بعض الكتاب^٧ : معاني ثمامة الظاهرة في ألفاظه ، الواضحة في مخارج

كلامه ، كما وصف الخرمي شعر نفسه في مديح أبي ذلف ، حيث يقول :

لَهُ كَلِمٌ فِيكَ مَعْقُولَةٌ إِزَاءَ الْقُلُوبِ كَرْكَبٌ وَقُوفٌ^(٦) — ؟

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الفهرى ، كان من الشعراء المعاصرين لحرير . ١٥
وكان الأصمعي يقول : « ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل
الكناني ، ودكين المذرى » . وفي الأغاني (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ،
وأشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها :

إن الغواني قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جني في المبهج ٥٥ اشتقاق اسمه من الهرم ، بالفتح ، ٢٠
وهو ضرب من النبات .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٠٧ - ١٠٩ . هـ : « وتلحق هذه بمعاني أخواتها قبل » .

(٣) عيمة ، أراد بها الخطبة الطويلة . والمهم العائر : الذي لا يدرى من وماه .

(٤) أراد أنه أصاب مفاصل المعاني بكلامه الصائب ، فبهر بذلك الأعداء .

(٥) يشير إلى ما سبق في ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٦) روى البيت في زهر الآداب (٤ : ٤٩) محرفا .

وأول هذه القصيدة قوله :

أبا دُلْفٍ دَلَفْتِ حاجتي إليك وما خِلْتُها بالدُّلُوفِ^(١)
ويظنون أن الخُرَيْمِيَّ إنما احتذى في هذا البيت على كلام أيُّوب بن القُرَيْبِ^(٢)
حين قال له بعضُ السَّلاطينِ^(٣) : ما أعددتَ لهذا الموقِفِ ؟ قال : « ثلاثة حروفٍ^(٤) »
كأنهنَّ ركبٌ وقوف : دنيا ، وآخرة ، ومعروف^(٥) .

وحدثني صالح بن خاقان ، قال : قال شبيب بن شيبه^(٦) : « النَّاسُ
موكَّلون بتفضيل جودة الابتداء ، وبمدح صاحبه ، وأنا موكَّل بتفضيل جودة
القطع ، وبمدح صاحبه . وحظُّ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة ، أرفعُ من
حظِّ سائر البيت » . ثم قال شبيب : « فإن ابتليتَ بمقامٍ لا بدَّ لك فيه من
الإطالة ، فقدَّم إحكامَ البلوغ في طلب السلامة من الخطأ ، قبل التقدُّم في
إحكام البلوغ في شرف التجويد . وإياك أن تعدِّلَ بالسلامة شيئاً ؛ فإن قليلاً
كافياً خيراً من كثير غير شاف » .

ويقال إنهم لم يَرَوْا خطيباً قطَّ بليداً إلا وهو في أول تكلفه لتلك المقامات
كان مُسْتَشْقِلاً مستصفاً أيَّامَ رياضته كلها ، إلى أن يتوقَّح وتستجيب له المعاني ،

لحماء ، أو بغيره من

(١) بدل هذا ثبت في ل :

١٥

ألا من دعاني ومن داني على رائتي ورسولي خروفي

(٢) سبنت ترجمته في ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) هو الحجاج بن يوسف ، وكان قد أسره فيمن أسره من أصحاب عبد الرحمن بن
الأسعد . انظر زهر الآداب (٤ : ٤٩) وابن خلكان (١ : ٨٣) .

٢٠ (٤) ل : « حروف » . وفي هامش ل : « الصرف : الحيلة » . والمراد بالحروف
هذه الكلمات .

(٥) راد في زهر الآداب : « فقال له الحجاج : بشئ منيت به نفسك يا ابن القرية .
أترى من سمع بكلامك وخطبك . وأنه لأنك تُقرب إلى الآخرة من موضع نعل هذا . قال :
نعم . هرق . وأسعني . يعني : لا بد للجواد من كبوة ، والسيف من ذبوة ، والحليم من
٢٥ سوء . وال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو » .

(٦) سبنت ترجمته في ص ٢٤ .

ويمكن من الألفاظ ، إلا شبيب بن شيبه ؛ فإنه كان قد ابتدأ بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ؛ فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره ^{في بعض}

قالوا : ولما مات شبيب بن شيبه أتاهم صالح المري^(١) ، في بعض من أتاهم للتعزية ، فقال : «رحمة الله على أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخي المساكين» . وقال الرّاجز^(٢) :

إذا غدت سعدٌ على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

٧١ حدثني صديق لي قال : قلت للعنّابي : ما البلاغة ؟ قال : كل من

أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت ١٠ اللسان الذي يرُوق الألسنة^(٣) ، ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق . قال : فقلت له : قد عرفتُ الإعادة والحُبسة ، فما الاستعانة ؟ قال : أمّا ترّاه إذا تحدّث^{نثر} قال عند مقاطع كلامه : يا هنّاه ، ويا هذا ، وياهيّه ، واسمع مني واستمع إليّ ، وافهم عني ، أولست تفهم ، أولست تعقل . فهذا كله وما أشبهه عي^ن وفساد^{نثر} ، ١١

(١) هو صالح بن بشير بن وادع المري ، أبو بشر البصري ، القاضي الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء ، كان مملوكا لامرأة من بني مرة بن الحارث فأعتقته . توفي سنة ١٧٢ أو ١٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٦٥) .
(٢) هو أبو نخيلة الراجز ، كما في الحيوان (٥ : ٥٩٢) والأغانى (١٨ : ١٣٩) .
ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبه ، فسأله إياها ٢٠ فوعده فطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا سببا الخائن ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الديبة إلا الذيبا

قال . فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فدحه بهذا الرجز .

(٣) راق عليه : زاد عليه فضلا . وقد عداه هنا بغير الحرف . وأنشد في اللسان : ٢٥
راقت على البيض الحسا ن بحسنا وبهائسا

(٨ - البيان - أول)

قال عبد الكريم بن رَوْح الغِفَارِيُّ ، حدثني عُمَرُ الشَّمْرِيُّ ، قال : قيل لعمر بن عُبيد^(١) : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَغَ بك الجنة ، وعدَلَ بك عن النار ، وما بَصَرَكَ مواقع رُشْدِكَ وعواقب غَيِّكَ . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : مَنْ لم يُحَسِّنْ أن يسكُتَ لم يُحَسِّنْ أن يَسْتَمِعْ ، وَمَنْ لم يُحَسِّنِ الاستماع لم يُحَسِّنِ القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعْشَرَ الأنبياءِ بَكَاءٌ » رأى قليلو الكلام . ومثله قيل رجل بَكَى^(٢) . وكانوا يَكْرَهُونَ أن يزيد منطقُ الرجل على عقله . قال : قال السائل : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون مِن فِتْنَةِ القول ، ومن سَقَطَاتِ الكلام ، مالا يخافون من فِتْنَةِ السكوت ومن سَقَطَاتِ الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : ١٠ فكَأَنَّكَ إِنَّمَا تَرِيدُ تَحْيِيرَ اللَّفْظِ^(٣) ، في حسن الإِفْهَام ، قال : نعم . قال : إِنَّكَ إِن أُوتِيتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ في عَقُولِ الْمَكَلِّفِينَ^(٤) ، وتَخْفِيفَ الْمَوْثِقَةِ عَلَى الْمُسْتَمْعِينَ وتَزْيِينَ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ اسْتِجَابَتِهِمْ ، وَنَفْيَ الشَّوَاغِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ فَصْلَ الْخِطَابِ وَاسْتَوْجِبْتَ^(٥) ١٥ عَلَى اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ . قات لعبد الكريم مَن هذا الذي صَبَرَ لَهُ عَمْرُؤُ هَذَا الصَّابِرُ ؟ قال : قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال : ومن كان يجترئ عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم .

قال عُمَرُ الشَّمْرِيُّ : كان عمرو بن عُبيدٍ لا يكاد يتكلم ، فإذا تكلم لم يكذ ٢٢

(١) مَبْقِيَةٌ تَرْجُمَتُهُ فِي ص ٢٣ . وَافْتَرَى كَلَامَ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ هَذَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ

٢٠ (٢ : ١٧٠) .

(٢) فِيمَا عَدَالَ ، هـ : « تَحْيِيرُ اللَّفْظِ » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « الْمُنْكَامِينَ » ، صَوَابُهُ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ١٧١) .

(٤) وَكَذَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « وَاسْتَوْجِبْتَ » . وَفِي ل : « وَاسْتَحَقَّقْتَ » .

يُطِيل . وكان يقول : لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه .
وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التشكك ، ولا خير في شيء يأتيك
به التشكك .

وقال بعضهم — وهو من أحسن ما اجتبتناه ودوننا — لا يكون الكلام
يستحق اسم البلاغة حتى يسبق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى
سمك أسبق من معناه إلى قلبك .

وكان موسى بن عمران^(١) يقول : لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ،
ويحيى بن خالد .

وكان ثمامة يقول : لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد .
وكان سهل بن هارون يقول : لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين .
وقال ثمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه : « إن استطعتم أن يكون
كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا » . بازر براسك ، نين برمانا ، نين دود .
وسمعت أبا العتاهية يقول : « لو شئت أن يكون حديثي كله شعراً موزوناً
لكان » .

وقال إسحاق بن حسان بن قوهي^(٢) : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع^{١٥}
أحد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة .

(١) موسى بن عمران : معاصر للجاحظ ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج للبخل .
سئل عنه أبو شعيب القلال فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك
على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمسه . انظر البخلاء ٥٨ . وفي
القاموس : « ومويس ، كأويس ، ابن عمران : متكلم » .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الحريري ، قال الخطيب في تاريخ بغداد
٣٣٦٩ : وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلاً بخريم بن عامر المري وآله ،
فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بعمان بن خريم ... وأبوه خريم الموصوف بالناعم . ثم قال :
« وله مدائح في محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما » . وما سيرة الجاحظ
من كلام ابن المقفع ، أورده العسكري في الصناعتين ١٤ وفسره تفسيراً .

فمنها ما يكون في الشكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعمامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى ^(١) ، والإيجاز ، هو البلاغة . فأما الخطب بين السامعين ، وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير خطب ، والإطالة في غير إملال لم وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير آيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته . كأنه يقول : فرّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح وخطبة التواهب ^(٢) ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على مجزئه ؛ فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناه ، ولا يشير إلى مغزاه ، وإلى العمود الذي إليه قصدت ، والغرض الذي إليه نزلت . قال : فقليل له : ١ فإن ملّ السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف ؟ قال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فإنه لا يرضيهما شيء . وأما الجاهل فليست منه وليس منك . ورضاً جميع الناس شيء لا تنال . وقد كان يقال : « رضا الناس شيء لا يُنال » .

محمّد بن عبد الله

ابن السكيت

قال : والشئ في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب ويقصر المصحب . ألا ترى أن قيس بن خارجة بن سنان ^(٣) ، لما ضرب بصفحة سيفه مؤخرة راحلتي الحاملتين في شأن حمالة داحس والغبراء ^(٤) ، وقال : مالي فيها أيها

(١) في الصناعتين : « والإشارة إلى المعنى أبلغ » .

(٢) فيما عدل : « المواهب » .

(٣) ضرب الجاحظ في الحيوان (٦ : ١٦١) بخطبة سنان المثل في الطول .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . وانظر لحرب داحس والغبراء ، =

العَشْمَتَانِ^(١) ؟ قال له : بل ما عندك ؟ قال : عندي قري كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لئن تطلع الشمس إلى أن تغرب ، أمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع . قالوا ^{لعله} : نخطب يوماً إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى فقيل لأبي يعقوب^(٢) : هلاً اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهى عن التقاطع ؟ أوليس الأمر بالصلة هو النهى عن القطيعة ؟ قال : أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف^(٣) .

قال : وسئل ابن المقفع عن قول عمر رحمه الله : « ما يتصعدني كلام كما تصعدني خطبة النكاح »^(٤) . قال : ما أعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ، ونظر الحداق من قرب في أجواف الحداق . ولأنه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنهم نظرائه وأكفلاء ، فإذا علا المنبر صاروا سُوقَةً ورعيةً . ١٠

وقد ذهب ذاهبون إلى أن تأويل قول عمر يرجع إلى أن الخطيب لا يجد بداً من تزكية الخطيب ، فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه ، فيكون قد قال زوراً وغرّ القوم من صاحبه ^{لعله} ولمرى إن هذا التأويل ليجوز إذا كان الخطيب موقوفاً على الخطابة . فأمّا عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، وأشباهه من الأئمة الراشدين ، فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك إلا فيمن يستحق المدح . ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥

١ - الأغاني (٧ : ١٤٣) والعقد (٣ : ٣١٣) ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٤٣) ، وأمثال الميداني (١ : ٢/٣٥٩ : ٥١) .

(١) العشمة ، بالتحريك : الشيخ الهرم الذي تقارب خطوه وانحنى ظهره .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، الذي سبقت ترجمته في ص ١١٥ .

(٣) فيما عدل : « والتكشف » . ٢٠

(٤) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ، كتصاعده به . وانظر ص ١٣٤ .

وروى أبو مخنف^(١) ، عن الحارث الأعور^(٢) ، قال : « والله لقد رأيتُ علياً وإنه ليخطبُ قاعداً كقائم ، ومحارباً كمُسلم » . يريد بقوله : قاعداً ، خطبة النكاح .

وقال الهيثم بن عديّ : لم تكن الخطباءُ تخطبُ قعوداً إلا في خطبة النكاح . ٧٤

وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطبِ يومَ الحفل ، وفي الكلام يومَ الجمعِ آىٌ من القرآن ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرفقة ، وسلس مصدر الموقع^(٣) . ^(٤) رغبه بـ

قال الهيثم بن عديّ : قال عمران بن حطان : إن أولَ خطبةٍ خطبتها ، عند زياد — أو عند ابن زياد^(٤) — فأعجبَ بها الناس ، وشهدها عمي وأبي . ثم إنني مررتُ ببعض المجالس ، فسمعتُ رجلاً يقولُ لبعضهم : هذا الفتى أخطبُ العربَ لو كان في خطبته شيءٌ من القرآن .

وأكثرُ الخطباءِ لا يتمثلون في خطبهم الطوالِ بشيءٍ من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل ، إلا أن تكونَ إلى الخلفاء .

١٥ وسمعتُ مؤملاً بنَ خاقانَ ، وذكر في خطبته تميمَ بنَ مرٍّ ، فقال : « إنَّ

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي ، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفي ، ومجالد . روى عنه المدائني ، وعبد الرحمن بن مغراء . ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان وابن النديم ١٣٦ - ١٣٧ .

٢٠ (٢) كان الحارث الأعور من رجال على في حرب صفين ، وكان جهير الصوت . انظر وقعة صفين ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) فيما عدال : « وحسن الموقع » .

(٤) فيما عدال : « أو قال عند ابن زياد » .

تمياً لها الشرفُ العود^(١)، والعزُّ الأقس، والعدد الهيفل^(٢). وهي في الجاهلية
القدّام، والذروة والسّنام. وقد قال الشاعر :

فقلتُ له وأنكرَ بعضَ شأني ألمَ تعرِفَ رقابَ بني تميم رتبة /

وكان المؤمل وأهله يخالفون جمهور بني سعد في المقالة، فليشدة تحدّثه على

سعدٍ وشفقته عليهم، كان يناضل عند السلطان كلّ من سعى على أهل مقاتتهم،
وإن كان قوله خلاف قولهم؛ حدّثاً عليهم. ^{بغلي كمان ستن بزمنا}

وكان صالح المرّي، القاصُّ العابد، البليغ، كثيراً ما ينشد في قصصه وفي

مواعظه، هذا البيت :

فباتَ يروّى أصولَ الفسيل فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرَّجلُ^(٣) /

وأنشد الحسن في مجلسه، وفي قصصه وفي مواعظه :

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميت ميت الأحياء^(٤)

وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، الخطيب القاصُّ

السّجاج، إمّا في قصصه، وإمّا في خطبة من خطبه، رحمه الله :

أرضٌ تحيّرُها لطيبٌ مقيلاً كعبُ بن مامة وابنُ أمّ دُوادِ^(٥)

جرتِ الرّياحُ على محلّ ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعادِ ١٥

فأرى النعيمَ وكلّ ما يُلهى به يوماً يصيرُ إلى بلى ونفادِ^(٦)

(١) في هامش ٥ : « خ : العد ». والشرف العود، بفتح العين : القديم. قال الطرماح :

هل المجد إلا السوود العود والندي ورأب النأي والصبر عند المواطن

(٢) العز الأقس : الثابت المنبع. والعدد الهيفل : الكثير.

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٨).

(٤) البيت لعنّى بن الرعلاء الغساني، كما في الخزانة (٤ : ١٨٧) وحامسة ابن الشجري.

٥١ وانظر الحيوان (٦ : ٥٠٨).

(٥) الأبيات للأسود بن يعفر من قصيدة في المفضليات (٢ : ١٦ - ٢٠). والثاني

والأخير منها ليس في ل.

(٦) الرواية المعروفة كما في المفضليات : « فإذا النعيم ».

وقال أبو الحسن : خطب عبيد الله بن الحسن^(١) على منبر البصرة في العيد ٧٥

وأشدد في خطبته :

أين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقها
تلك المدائن بالآفاق خالية أمست خللاء وذاق الموت بانيتها

قال : وكان مالك بن دينار^(٢) يقول في قصصه : « ما أشد فطام الكبير » .
وهو كما قال القائل :

وتروض عرسك بعدما هربت ومن العناء رياضة الهرم^(٣)

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القدوس :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمنيه^(٤)

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى نكسه
وقال كلثوم بن عمرو العتابي :

وكنت امرأة لو شئت أن تبلغ المدى بلغت بأدنى نعمة تستديمها
ولكن فطام النفس أثقل حملاً من الصخرة السماء حين ترومها

١٥ وكانوا يمدحون الجهير الصوت ، ويذمون الضئيل الصوت ؛ ولذلك تشادقوا
في نفاذ كونه

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري البصري ، كان من قضاة
البصرة وفقهاؤها العالمين بالحديث . توفي بالبصرة سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب والسماعاني ٤٠٠ .
وسياقي في قول الجاحظ : « وولي منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء ، بلال
ابن أبي بردة ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن أبي رباح » . فيما عدال ، ه : « عبد الله
ابن الحسن » تحريف .

(٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، كان مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي ، وكان من
كبار الزهاد الوعاظ ، وكان يكتب المصاحف . روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار
التابعين كالحسن وابن سيرين . وتوفي نحو سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة
(٣ : ١٩٧ - ٢٠٩) حيث روى ابن الجوزي كثيراً من أقواله .

٢٥ (٣) انظر الحيوان (١ : ٤١ / ٣ : ١٠٢) . (٤) انظر الحيوان (٣ : ١٠٢) .

في الكلام ، ومدحوا سعة الفم ، وذموا صغر الفم .

قال : وحدثنى محمد بن يسير الشاعر قال : قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال :
طُولُ القامة وضِخَمُ الهامة ، ورُحْبُ الشُّدْق ، وبُعْدُ الصَّوْت .

وسأل جعفر بن سليمان أبا المِخْش عن ابنه المِخْش ، وكان جَزَع عليه جزعاً
شديداً ، فقال : صِفْ لي المِخْش . فقال : كان أشدق خرطمانياً^(١) ، سائلاً لعابه ،
كأنما ينظر من قَلَتَيْن^(٢) ، وكان تَرْقُوتُهُ بُوانٌ أو خالِفةٌ^(٣) ، وكان منسكبه
كِرْكِرَةٌ جَلِيٌّ ثَقَالٌ^(٤) . فقال الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله^(٥) .

قال : وقلت لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : « غُوْر العَيْنَيْن ، وإشراف
٧٠ الحاجبين ، ورُحْبُ الشُّدْقَيْن » .

وقال دَعْفَل بن حنظلة النسابة ، والخطيب العلامة ، حين سألهم معاوية عن ١٠
قبائل قريش ، فلما انتهى إلى بني مخزوم قال : « مِعْزَى مَطِيرَةٍ^(٦) » ، علَّتها
قُشْعَرِيَّة ، إلا بني المغيرة ، فإن فيهم تشادق الكلام ، ومصاهرة الكرام^(٧) .

وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالٍ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وَكُلُّ خَطِيبٍ لَا أَبَالَكَ أَشْدَقُ

وَأُنْشِدُ أَبْرَعِيْدَةً :

١٥

(١) الخرطمانى ، بضم الخاء والطاء : الكبير الأنف .

(٢) القلت ، بالفتح : النقرة في الجبل تمسك الماء .

(٣) الترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر . والبوان بالضم والكسر : عمود في الجباه
في مقدمه . والخالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره .

(٤) الكركرة : صدر كل ذى خف . والثفال ، كسحاب : البطيء .

(٥) الخبر في الكامل ١٣٦ ليسك وأمالى ثعلب ٦١٦ . وسيعيده الجاحظ في
(٢ : ٢٧١) .

(٦) المعزى توثت وتذكر ، ففيها التنوين وعدمه . مطيرة : قد أصابها المطر .

(٧) الخبر في الحيوان (٦ : ٤٦٠) .

٢٠

وصلع الرُّؤوس عِظام البُطون رِحاب الشُّداق غلاظ القَصَر^(١)
قال : وتسكلم يوماً عند معاوية الخطباء فأحسنوا ، فقال : والله لأرْمينهم
بالخطيب الأشدق ! قم يا يزيد فتكلم .

وهذا القولُ وغيره من الأخبار والأشعار ، حُجَّة لمن زعم أن عمرو بن سعيد
لم يُسمَّ الأشدقَ للفقم ولا للَقوهِ . ^{نه} ^ش ^د ^ك
وقال يحيى بن نوفل ، في خالد بن عبد الله القسري^(٢) :

بَلَّ السَّراويلَ مِن خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ ^{كبر} ^{كبر} ^{كبر} واستطعمَ الماءَ لما جدَّ في الهَرَبِ
وألحنُ النَّاسَ كلَّ النَّاسِ قاطِبةً ^ن ^ن ^ن وكان يُولعُ بالتَّشديقِ في الخطبِ

ويدلُّك على تفضيلهم سعةَ الأشداقِ ، وهجائهم ضيقَ الأفواه ، قول الشاعر :
لجى الله أفواهَ الدَّبى من قبيلةٍ ^ن ^ن ^ن إذا ذُكرت في النَّائباتِ أمورُها
وقال آخر :

وأفواهُ الدَّبى حامواً قليلاً وليس أخو الحماية كالضَّجورِ ^س ^س ^س
وإنما شَبَّهَ أفواههم بأفواه الدَّبى ، لصغر أفواههم وضيقها .

وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطيب^(٣) حَيَّ بن هَزَّالٍ وابنيه ، فقال :

تَدْعُو بُنَيَّكَ عَبَّاداً وَحَذِيمَةً ^{١٥} ^{١٥} ^{١٥} فَأَفَارَةٌ شَجَّهَا فِي الْجَحْرِ مَحْفَارُ^(٤) ^ر ^ر ^ر

(١) القصر ، بالتحريك : أصول الأعناق ، واحدها قصرة . هـ : « طوال القصر » .
(٢) كان خالد القسري قد خرج عليه المغيرة بن سعيد العجلي صاحب المغيرة ، ففزع
لذلك . ويروى الجاحظ في الحيوان (٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٢٩٠) أنه اضطرب وقال : « أطمعوني
ماء » لشدة ذهوله . وانظر ما سياتي في (٢ : ٢١٦) .

(٣) عبدة ، بسكون الباء ، وهو عبدة بن الطيب - واسم الطيب يزيد - بن عمرو
ابن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد نهمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام
فأسلم ، وشهد مع المشي بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي
حارب الفرس بالمدائن .

(٤) انظر هذا البيت في أبيات رواها في الحيوان (٥ : ٢٦٣ - ٢٦٤) . شجها ، أى
٢٥ شج الفأرة : كسر رأسها . والمحفار والمحفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

وقد كان العباس بن عبد المطلب [جهيراً^(١)] جهير الصوت . وقد مدح
 ٧٧ بذلك ؛ وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين ، حين ذهب الناس عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنادى العباس : يا أصحاب سورة البقرة^(٢) ؛
 هذا رسول الله . فتراجع القوم ، وأنزل الله عز وجل النصر^(٣) وأتى بالفتح .
 ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان قيس بن
 مخزومة بن المطلب بن عبد مناف^(٤) ، يمشي حول البيت ، فيسمع ذلك من حراء .
 قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ ،
 فالتصديّة : التصفيق . والمكاء : الصّفير أو شبيهه بالصّفير . ولذلك قال عنتره :
 وَحَامِلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجْدَلًا مَتَكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ عَمَلًا
 وقال العجّير السّلولي^(٥) في شدة الصوت :
 وَمِنْهُمْ قَرَعِي كُلَّ بَابٍ كَأَنَّمَا بِهِ الْقَوْمُ يَرْجُونَ الْأَذِينَ نُسُورُ^(٦)
 فَجِئْتُ وَخَصْمِي يَصْرِفُونَ نِيوبَهُمْ كَمَا قُصِبَتْ بَيْنَ الشَّفَارِ جَزُورُ^(٧)
 لَدَى كُلِّ مَوْثُوقٍ بِهِ عِنْدَ مِثْلِهَا لَهُ قَدَمٌ فِي النَّاطِقِينَ خَطِيرُ^(٨)
 جَهِيرٌ وَمَمْتَدُّ الْعِنَانِ مُنَاقِلُ بِصِيرٍ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ خَبِيرُ^(٨)

- (١) الجهير : ذو المنظر والهيئة الحسنة . وهذه التكملة بما عدل .
 (٢) كذا . والمعروف « يا أصحاب السمرة » . والسمرة هي الشجرة التي كانت عندها
 بيعة الرضوان . انظر (غزوة حنين) في كتب التاريخ والسيرة .
 (٣) فيما عدل ، هـ : « النصر » .
 (٤) قيس بن مخزومة : أحد الصحابة ، وكان من المؤلفة قلوبهم . ولد عام الفيل عام ولد
 الرسول الكريم . الإصابة ٧٢٢٩ .
 (٥) العجير ، ويقال أيضاً « العجير » بفتح العين : شاعر من شعراء الدولة الأموية
 مقل . وقد عده ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . انظر الخزانة (٢ : ٢٩٨)
 والأغاني (١١ : ١٤٦ - ١٥٤) .
 (٦) الأذنين والآذن : الحاجب صاحب الإذن . وانظر الأبيات في الحيوان (٤ : ٣٩١) ،
 وأمالى ثعلب والأغاني (١١ : ١٤٦ - ١٥٤) .
 (٧) الخصم يقال للواحد والجمع . صرف نابه : حرفه فسمع له صوتاً . قصبت : قطعت .
 (٨) المناقلة : تبادل الحديث .

فَظَلَّ رِدَاهُ الْعَصْبَ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرَّجَالِ عَقِيرٌ^(١)
لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَاتَنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورٌ^(٢)
الصَّلَقُ : شدة الصوت . وفُطُور : شقوق .

وقال مهلهل :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلُ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرَّعُ بِالذَّكُورِ^(٣) ذَرَّةً .

والصَّريف : صوت احتكاك الأنياب ، والصَّلِيل صوت الحديد هاهنا .

وفي شِدَّةِ الصَّوْتِ قال الأعشى^(٤) في وصف الخطيب بذلك :

فِيهِمُ الْخِصْبُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْدُ دَدَةٌ جَمْعًا وَالْخَاطِبُ الصَّلَاقُ^(٥)

وقال بشار بن برد في ذلك يهجو بعض الخطباء :

٧٨

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْ قَمَتَ نَاطِقًا وَأَنْتَ ضَيْلُ الصَّوْتِ مُنْتَفِخِ السَّحَرِ

ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهيرز المطران كلامٌ ، فقال له الفتى :

مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ وَاحِدٌ أَجْهَلُ مِنْكَ ! وَكَانَ ابْنُ فِهْرِيزَ^(٦) فِي

نَفْسِهِ أَكْثَرَ النَّاسِ عِلْمًا وَأَدَبًا ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى الْجَثْلَقَةِ . فقال للفتى : وكيف

(١) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . والسلى : الجلدة التي يكون فيها الولد .

١٥ وفي البيت إقواء . (٢) الأعراض : الجوانب والنواحي .

(٣) حجر ، بالفتح : قصبة البمامة . والبيض ، بالكسر : السيوف ، جمع أبيض . وبالفتح جمع بيضة الحديد التي تقي الرأس . وانظر نقد الشعر لعدامة ٨٤ والموشح ٧٤ ومعجم المرزبانى ٣٣١ والحيوان (٦ : ٤١٨) والعمدة (٢ : ٥٠) والأغاني (٤ : ١٤٦) فيما عدل ، هـ : « أهل نجد » وقد أشير إلى هذه الرواية في هامش ل .

(٤) فيما عدل : « يقول الأعشى » .

٢٠ (٥) الصلاق : الشديد الصوت . ويروى : « المصلاق » و « السلاق » و « المسلاق »

انظر اللسان (سلق ، صلق) وديوان الأعشى ١٤٤ .

(٦) ابن فهيرز ، أو ابن بهريز ، اسمه عبد يشوع ، كان مطران حران ثم صار مطران الموصل ، وله رسائل وكتب ذهب فيها إلى إبطال وحدة القنوم التي يقول بها اليعقوبية والملكية ، وكانت له حكمة قريبة من حكمة الإسلام . وقد نقل من كتب المنطق والفلسفة شيئاً

٢٠ كثيراً . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٣٢٩ ليسك والحيوان (١ : ٧٦) مع الاستدراكات الملحقه بالجزء السابع منه .

حَلَلْتُ عِنْدَكَ هَذَا الْمَحَلَّ ؟ قَالَ : لَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَتَّخِذُ الْجَائِلِيَّ (١) إِلَّا مَدِيدَ الْقَامَةِ ، وَأَنْتَ قَصِيرُ الْقَامَةِ ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا جَهْرَ الصَّوْتِ جَيِّدَ الْخَلْقِ ، وَأَنْتَ دَقِيقُ الصَّوْتِ رَدِيءُ الْخَلْقِ (٢) ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا وَهُوَ وَافِرُ اللَّحْيَةِ عَظِيمُهَا وَأَنْتَ خَفِيفُ اللَّحْيَةِ صَغِيرُهَا ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَخْتَارُ لِلجَنَّةِ إِلَّا رَجُلًا زَاهِدًا فِي الرِّيَاسَةِ ، وَأَنْتَ أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْهَا كَلْبًا ، وَأَظْهَرُهُمْ لَهَا طَلِبًا . فَكَيْفَ لَا تَكُونُ أَجْمَلَ النَّاسِ وَخِصَالُكَ هَذِهِ كُلُّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ فِي طَلِبِهَا بِأَلَاكَ ، وَأَسْهَرْتَ فِيهَا كَيْلَكَ .

وَقَالَ أَبُو الْحَجَنَاءِ (٣) فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ :

إِنِّي إِذَا مَا زَبَبَ الْأَشْدَاقُ (٤) وَالتَّجَّ حَوْلِي النَّعْمُ وَاللَّقْلَاقُ (٥)

* ثَبَتُ الْجَنَانَ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ * بِأَنَّهُ مَالِيٌّ ، ثُمَّ لَا يَزِيدُ فِيهِ شَيْئًا

الْمِرْجَمُ : الْحَاقِظُ بِالْمِرَاجَةِ (٦) بِالْحَجَارَةِ . وَالْوَدَّاقُ : الَّذِي يُسِيلُ الْحَجَارَةَ كَالْوَدْقِ مِنَ الْمَطَرِ .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وُقِيَ شَرٌّ لَقَلِقَهُ وَقَبِقَبَهُ وَذَبَذَبَهُ وَوُقِيَ الشَّرُّ » . يَعْنِي

لِسَانَهُ وَبَطْنَهُ وَفَرْجَهُ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي بَوَاكِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ [بِابْنِ الْمَغِيرَةِ (٧)] : « وَمَا عَلَيْهِنَّ

(١) فِي هَامِشٍ هـ : « الْجَائِلِيُّ عِنْدَهُمْ : الْقَيْسِيُّ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَقْطَعُ الْأَمْرَ دُونَهُ . ١٥ وَالْمَطْرَانُ دُونَ ذَلِكَ » .

(٢) فِي النُّسخِ : « الْخَلْقُ » بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، تَصْغِيفٌ . وَفِي الْخَوَانِ (٣ : ٤٣٥) : « وَفِي السُّنَنِ حُلُوقٌ جَيَادٌ » . وَفِي رِسَائِلِ الْجَاحِظِ ١١٨ : « وَهُنَّ مَفَاخِرُ الزَّنْعِ حَسَنُ الْخَلْقِ وَجُودَةُ الصَّوْتِ » .

(٣) أَبُو الْحَجَنَاءِ ، هُوَ نَصِيبُ الْأَصْغَرِ ، مَوْلَى الْمُهَدِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُ بَنَاتٌ تَسْمَى « حَجَنَاءَ » . ٢٠ وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ
الْأَغَانِي (٢٠ : ٢٥ - ٣٤) .

(٤) زَبَبَتِ الْأَشْدَاقُ : ظَهَرَ عَلَيْهَا الزَّبَدُ . وَالرَّجَزُ فِي اللِّسَانِ (زَبَبٌ ، لَقَقٌ) .

(٥) اللَّقْلَاقُ وَاللَّقْلَقَةُ : الصَّوْتُ وَالْجَلْبَةُ . ٢٥

(٦) ل : « بِالْمُؤَاجَهَةِ » صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ . (٧) هَذَا مِمَّا عَدَالَ .

أَنْ يُرَقِّنَ مِنْ دُمُوعِهِمْ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ مَا لَمْ يَكُنْ نَقَعَ أَوْ لَقَلَقَهُ^(١) .
وجاء في الأثر : « ليس منا مَنْ حَلَقَ أَوْ صَلَقَ ، أَوْ سَلَقَ ، أَوْ شَقَّ^(٢) » .

ومما مَدَحَ به العُمَانِيُّ هَارُونَ الرَّشِيدَ ، بالقصيد دون الرجز ، قوله :
جَهِيرُ الْعُطَّاسِ شَدِيدُ النَّيَاطِ جَهِيرُ الرَّثَوَاءِ جَهِيرُ الذَّنَمِ مَعْرُوبُ
وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ وَيَعْلُو الرِّجَالَ بِجَسَمٍ عَمِّ نَفْعَةٍ
* النِّيَاطُ : معاليق القلب . والأَيْنُ : الإعياء . والظَّلِيمُ : ذكر النعام . ويقال ٧٩
إنه لَعَمَّ الجسم ، وإن جَسَمَهُ لَعَمَّ ، إذا كان تامًّا . ومنه قيل نبت عَمِّ . واعتمَّ
الذَّيْبُ ، إذا تَمَّ .

وكان الرَّشِيدُ إذا طَافَ بِالْبَيْتِ جَعَلَ لِإِزَارِهِ ذَنْبَيْنِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، ثُمَّ
١٠ طَافَ بِأَوْسَعِ مِنْ خَطْوِ الظَّلِيمِ ، وَأَسْرَعَ مِنْ رَجْعِ يَدِ الذَّيْبِ .
وقد أخبرني إبراهيم بن السُّنْدِيِّ بِمَحْصُولِ ذَرْعِ ذَلِكَ الْخَطْوِ ، إِلَّا أَنِّي أَحْسِبُهُ
فَرَاخًا فِيمَا رَأَيْتُهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ .

وقال إبراهيم : وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فِي تِلْكَ الْحَالِ [وَالْهَيْئَةِ^(٣)] فَقَالَ :

جَمْرٌ * خَطْوُ الظَّلِيمِ رِيحٌ مُمَسَّى فَاَنْشَمَرُ *

١٥ رِيحٌ : فُزَّعٌ . مُمَسَّى : حِينَ الْمَسَاءِ . انشمر : جَدَّ فِي الْهَرَبِ .

وحدَّثني إبراهيم بن السُّنْدِيِّ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ صَالِحٍ وَفَدَّ الرُّومَ
وَهُوَ فِي بِلَادِهِمْ^(٤) ، أَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ رِجَالًا فِي السَّمَاطِينَ لَهُمْ قَصَرٌ وَهَامٌ ، وَمَنَاكِبُ
وَأَجْسَامٌ ، وَشَوَارِبُ وَشَعُورٌ ، فَبَيْنَاهُمْ قِيَامٌ يَكْلُمُونَهُ وَمِنْهُمْ رَجُلٌ وَجْهُهُ فِي قَفَا

(١) فسر « النقع » في اللسان (١٠ : ٢٤١) بأنه رفع الصوت ، أو أصوات الحدود

٢٠ إذا ضربت ؛ أو وضعهن النقع ، وهو الغبار ، على رءوسهن ؛ أو شق الجيوب . وفي حواشي ه :

« ليس في الحديث أو سلق بالسين ، وإنما جاء به ليعلم أنهما لغتان بمعنى » .

(٢) الصلق : الصياح والولولة . والصلق مثله ، أو خمش الوجوه عند المصيبة .

(٣) هذه بما عدل . (٤) فيما عدل : « في البلاد » .

البطريق إذ عطس عطسة ضئيلة ، فلحظه عبد الملك ، فلم يدر أى شيء أنكر منه ، فلما مضى الوفد قال له : ويلك ، هلا إذ كنت ضيق المنخر كز الخيشوم ، أتبعته بصيحة تخلع بها قلب العليج ؟ !

وفي تفضيل الجهارة في الخطب يقول شبة بن عقال^(١) بعقب خطبته عند سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس :

ألا ليت أمّ الجهم والله سامعٌ ترى ، حيث كانت بالعراق ، مقامى
عشيّة بدّ الناس جهري ومنطقي وبذّ كلام الناطقين كلامي به ^{تألفه في}
وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة :

رَكُوبُ النّابِرِ وَثَابُهَا مِعْنٌ بِخُطْبَتِهِ مَجْهَرُ
تَرِيعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ إِذَا ضَلَّ خُطْبَتَهُ الْمَهْذَرُ ١٠

مِعْنٌ : تعين له الخطبة فيخطبها مقتضياً لها . ترّيع : ترجع إليه . هوادى
٨. الكلام : أوائله ؛ فأراد أن معاوية يخطب في الوقت الذي يذهب كلام
المهذرفيه . والمهذر : المكثّر .

وزعموا أن أبا عطية عفيفاً النصرى ، في الحرب التي كانت بين ثقيف^{١٠}
وبين بني نصر ، لما رأى الخليل بعقوته يومئذ دوائس^(٢) نادى : يا صباحاه ! ١٠
أتيتم يا بني نصر . فألقت الحبالى ولادها من شدة صوته . قالوا : فقال ربيعة^{١١}
ابن مسعود^(٣) يصف تلك الحرب وصوت عفيف^(٤) :

(١) هو شبة بن عقال المجاشعي ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق ، كما في التقياض ٨٥٥ . وروى ابن سلام ١٥٩ أنه بعث بدراهم وحلّان وكسوة وخر إلى الأختل ، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير وبسبه .

(٢) العقوة : ما بين الدار والمحلة . دوائس : جمع دئس . فيما عدل ، هـ : « وأيس » .

(٣) في نهاية الجزء الأول من كامل ابن الأثير : « ربيعة بن سفيان » .

(٤) بضم العين وفتح الفاء ، كما ضبطه ابن الأثير . وضبط في هـ بفتح العين .

الرب

عُقَامًا ضَرُوسًا بَيْنَ عَوْفٍ وَمَالِكٍ شَدِيدًا لَطَافًا تَتَرَكَ الطُّفْلَ أَشْيَبَا
بَعْدَ وَكَانَتْ جُعِيلٌ يَوْمَ عَمْرِو أَرَاكَةَ أَسْوَدَ الْغَضَى غَادَرْنَ لَهَا مَتَرًا^(١)
وَيَوْمَ يَمَسْكُرُونَ شَدَّتْ مُعْتَبٌ بِغَارَاتِهَا قَدْ كَانَ يَوْمًا عَصَبَصَا^(٢)
فَأَسْقَطَ أَحْبَالَ النِّسَاءِ بَصْوَتَهُ عَفِيفٌ وَقَدْ نَادَى بِنَصْرِ فَطَرًا^(٣)
وَكَانَ أَبُو عَرُوةَ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَبُو عَرُوةَ السَّبَاعِ^(٤) ، يَصِيحُ بِالسَّبْعِ وَقَدْ
احْتَمَلَ الشَّاةُ ، فَيُخَلِّبُهَا وَيَذْهَبُ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ^(٥) . فَضْرَبَ بِهِ الشَّاعِرُ
الْمَثَلَ — وَهُوَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ — فَقَالَ :

وَأَزْجُرُ الْكَاشِحَ الْعَدُوَّ إِذَا اغْتَابَكَ عِنْدِي زَجْرًا عَلَى أَضْمٍ^(٦) فَذِي
زَجْرٍ أَبِي عَرُوةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبِشْنَ بِالْفَنَمِ رَائِي
وَأَنشَدَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ يَصِفُ صَيْحَةَ شَيْبٍ بَنِ يَزِيدٍ^(٧)
ابْنُ نَعِيمٍ^(٨) . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَبُو الْحَسَنِ^(٩) : كَانَ شَيْبٌ يَصِيحُ فِي جَنَابَاتِ

(١) عمرو وأراكة : موضعان .

(٢) مكروثاء ، بفتح أوله : موضع . والعصيب : الشديد .

(٣) الإحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة . هـ : « لدن نادى » .

(٤) كذا ولم أجد من ذكر هذا غيره . وفي النيمورية فقط : « السباح » .

(٥) في اللسان : « وأبو عروة رجل زعموا كان يصيح بالسبع فيموت ، ونزجر الذئب فيموت مكانه ، فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وخرج من غشائه ! » .

(٦) الأضم : الغضب . وفي اللسان (١٩ : ٢٨٠) : « على وضم » تحريف .

(٧) شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي ، خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد

٢٠ فقتلهم واحداً بعد واحد . وفي إحدى حروبه قفر به فرسه على نهر دجيل — دجيل الأهواز

لا دجيل بغداد — ففرق فيه . وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة في مقاومة

الحجاج . ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج في الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه

قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان — وكان الحجاج قد لج في طلبه — :

أَسَدٌ عَلَى وَفَى الْحَرْبِ نَعَامَةٌ رِبْدَاءُ تَجْفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

٢٥

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفي سنة ٧٧ . المعارف ١٨٠ والأعاني (١٦ : ٢١ / ١٤٩ : ٨)

ووفيات الأعيان .

(٨) هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني الأخباري .

الجيش إذا أتاه ، فلا يلوي أحدٌ على أحد . وقال الشاعر فيه :
 إن صاح يوماً حِبتَ الصَّخرَ مُنْجِدِراً والريِّحَ عاصفةً والموجَ يلتطم
 قال أبو العاصي : أنشدني أبو محرز خلفُ بنُ حَيَّانَ ، وهو خلفُ الأحر^(١)
 مولى الأشعريين ، في عيب التشادق :

له حَنْجَرٌ رَحْبٌ وقولٌ مَنْقَحٌ وفَصْلٌ خطابٍ ليس فيه تشادق^(٢)
 إذا كان صوتُ المرءِ خَلْفَ لَهَاتِهِ وأنحَى بأشداقٍ لهنَّ شقاشقُ من^(٣)
 ٨ * وقَبَقَ يَحْكِي مُقَرَّمًا في هَبَابِهِ فليس بمسبوقٍ ولا هو سابق^(٤)
 وقال الفرزدق :

* شقاشقُ بين أشداقٍ وهام^(٥) بنزير^(٦) منكم بدم

وأنشد خلفُ :
 وما في يديه غيرُ شِدْقٍ يُمِيلُهُ وشِقْشِقَةٍ خَرَسَاءٍ ليس لها نَقْبٌ = ^{١٠} ~~لأنها كذا~~
 متى رامَ قولاً خالفتَه سَجِيَّةٌ وخِرْسٌ كَقَعْبِ الْقَيْنِ ثَلَمَةُ الشَّعْبِ = ^{١٠} ~~بأن ينسجها ردة~~
 وأنشد أبو عمرو وابنُ الأعرابي :
 وجاءت قريشُ قريشُ البِطَاحِ هي العُصْبُ الأولُ الدَّاخِلَةُ

(١) هو أبو محرز خلف بن حيان ، المعروف بالأحر البصري ، مولى أبي بردة بلال
 ابن أبي موسى الأشعري ، وهو معلم الأصمعي وأهل البصرة ، وأستاذ أبي نواس . توفي في حدود
 ١٨٠ . إنباه الرواة وإرشاد الأريب (١١ : ٦٦) .

(٢) الحنجر : جمع حنجرة ، وهي رأس الغلصمة .

(٣) المقرم : الفعل المكرم . والهاب ، بالكسر : النشاط .

(٤) عجز بيت له من أبيات في ديوانه ٨٤٨ يمدح بها مالك بن المنذر بن الجارود ، وهي : ^{٧٠}

تمتلك قروم أولاد المعلى وأبناء المسامعة الكرام

تخبط في ربيعة بين بكر وعبد القيس في الحسب اللهام

إذا سمعت القروم لهم علمهم شقاشق بين أشداق وهام

(٩ - البيان - أول)

يقودهمُ الفَيْسَلُ والزَّندِيلُ وذو الضَّرْسِ والشَّفَّةِ المائِلَةُ^(١)

ذو الضرس وذو الشفة ، هو خالد بن سلمة المخزومي الخطيب . والزنديل
أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان . يعنى دُخُولهم على ابن هبيرة .
والزنديل : الأثني من الفيلة ، فيما ذكر أبو اليقظان سحيم بن حفص . وقال
غيره : هو الذَّكر . فلم يَقِفُوا من ذلك على شيء .

وقال الشاعر في خالد بن سلمة المخزومي :

فما كان قائلهم دَغْلٌ ولا الحيقُطان ولا ذو الشَّفَّةِ
قوله « دَغْلٌ » يريد دَغْلٌ بن يزيد بن حنظلة الخطيب النَّاسِبُ .
والحيقُطان : عبدُ أسود ، وكان خطيباً لا يُجَارَى .
وأنشد بعض أصحابنا^(٢) :

وقافية لجأجتُها فرددتها لذي الضرس لو أرسلتها قطرت دما
وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ العرب ، ولربما كان نزعُ ضرسٍ أيسرَ
علىَّ من أن أقول بيتَ شعر .
قال : وأنشدنا منيع :

فجئتُ ويوهبُ كالخلاة يضئها إلى الشَّدق أنيابُ^(٣) لهنَّ صريفُ^(٤)
فَقَعَقَعْتُ^(٥) لَحْيِي خَالِدٍ وَاهْتَضَمْتُ^(٦) بِحُجَّةِ خَصْمٍ بِالْخَصُومِ عَنيفِ^(٧)
أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير ، قال : سئل [الحارث] بن أبي ربيعة^(٨)

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأقطع ، يذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة .
انظر الحيوان (٧ : ٨١) . (٢) هـ : « وأنشد أصحابنا » .

(٣) الخلاة : واحدة الخل ، وهو الرطب من النبات . والصريف : الصوت .

(٤) كلمة « الحارث » ، ما عدال . وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ،
وكان يلقب بالقباع ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كان رجلاً صالحاً ديناً من
سروات قریش ، وكان حاول أن يعصد أخاه عن قول الشعر فلم يفلح . انظر الأغاني (١ : ٤٧) .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : كم كان له ماشئت من خرسٍ
قاطع في العلم بكتاب الله ، والفقه في السنة ، والهجرة إلى الله ورسوله ، والبسطة في
العشيرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون .

وقال الآخر :

ولم تُلفني فها ولم تُلف حُجَّتِي مَلْجَلَجَةً أبغى لها مَنْ يُقِيمُهَا^(١)
ولا بتُزجِها قَضِيْبًا وتَلْتَوِي أُرَاوِغُهَا طَوْرًا وطَوْرًا أَضِيْمُهَا^(٢)
وأنشدني أبو الرُّدَيْنِي العُكْلِي :
فَمَنْ كَانَ يَلُو مَفْرَقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ إِذَا الْخَطِيْبَاءُ الصَّيْدَ عَضَّلَ قِيلُهَا^(٣)
وقال الخُرَيْمِيُّ فِي تَشَادُقِ عَلِيٍّ بْنِ الْهَيْثَمِ :

يَا عَلِيُّ بْنُ هَيْثَمٍ يَا سَمْبَاقًا قَدْ مَلَأْتَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا نِفَاقًا^(٤)
خَلَّ لَحْيَيْكَ يَسْكُنَانِ وَلَا تَضْرِبْ عَلَى تَغْلِبِ بَلَحْيَيْكَ طَاقًا^(٥)
لَا تَشَادُقْ إِذَا تَكَلَّمْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَشْدَاقًا

وكان علي بن الهيثم جواداً ، بليغ اللسان والقلم .

وقال لي أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ^(٦) : ما رأيت كثرًا من رجالٍ يأكلون الناس

أَكْلًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا ثَلَاثَةَ رِجَالٍ ذَابُوا كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ ، وَالرَّصَاصُ فِي
النَّارِ : كَانَ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٧) عَلَامَةً نَسَابَةً ، وَرَاوِيَةً لِلْمَثَالِبِ عَيَّابَةً ، فَإِذَا رَأَى عَسَ

(١) الفه : العي الذي لا يبين . والمَلْجَلَجَةُ : المضطربة المختلطة . وانظر اللسان (قرن) .

(٢) أزجها : أسوقها . والقضيب : المقتضبة ليس لها حسن . أضيمها : أنتقصها .

(٣) الصيد . جمع أصيد ، وهو الذي يرفع رأسه كبراً . عضل ، هو من قولهم : عضلت

الحامل ، إذا صعب خروج ولدها . وكتب فوقها في هـ : « عضة » ، رواية أخرى .

(٤) سباق : لقب علي بن الهيثم ، كما في حواشي هـ . فيما عدل ، هـ : « علينا بقاقا » .

(٥) الطاق : ما عطف من الأبنية .

(٦) الخبر في الأغاني (٢١ : ١٥٧) منقولاً عن الجاحظ .

(٧) قيساً عدل ، وكذا في الأغاني : « هشام بن الكلبي » .

الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص في النار . وكان علي بن الهيثم^(١) مفقعا نيا^(٢) صاحب تفقيع وتقدير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفل بشاعر ولا بخطيب ، فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان علويه المغني^(٣) * واحد الناس في الرواية وفي الحكاية ، وفي صنعة ٨٣ الغناء وجودة الضرب ، وفي الإطراب وحسن الحلق ، فإذا رأى مخارقا^(٤) ذاب كما يذوب الرصاص عند النار .

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبعده الصوت .

قال أبو عبيدة : كان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، رديفاً للملوك^(٥) ، ورحلاً إليهم ، وكان يقال له عروة الرحّال ، فكان يوم أقبل مع ابن الجون ، يريد بني عامر ، فلما انتهى إلى واردات مع الصبح^(٦) ، قال له عروة : إنك

(١) في الأصول : « الهيثم بن عدى » صوابه من الأغاني . ولأجل « علي بن الهيثم » ساق الجاحظ الخبر .

(٢) كذا وردت مضبوطة في ل . وضبطت في ه بفتح الميم ، ولعلها من لغة أهل البصرة ، مأخوذة من التفقيع ، وهو التشديق . وزاد قبل هذه الكلمة في الأغاني : « حريفاً »^٢ .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن يوسف ، وكان جده من السفند الذين سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان ، واشتهر بعلويه ، وكنيته أبو الحسن . كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً ، وضارباً متقدماً ، وكان إبراهيم علمه وخرجه وعنى به جداً فرع ، وغنى للأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلي بمديدة يسيرة ، الأغاني (١٠ : ١١٥ - ١٢٥) .

(٤) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات في الضرب ، ونشأ في المدينة ، وقيل بل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزاراً مملوكاً ، وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى فأخذته الرشيد منه ثم أعنقه . الأغاني (٢١ : ١٤٣) .

(٥) المعروف في هذا « الردف » بالكسر ، واحد الأرداف ، وهم الذين يخلفون الملوك في القيام بأمر المملكة ، بمنزلة الوزراء في الإسلام . وأما الرديف فهو الراكب خلف صاحبه . وعروة الرحال قتله البراض بن قيس . الحيوان (١ : ١٦٦) .

(٦) واردات ، قال ياقوت : موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها .

قد عَرَفْتَ طَوْلَ صَحْبَتِي لَكَ ، وَنَصِيحَتِي إِيَّاكَ ، فَأُذِّنْ لِي فَأَهْتِفَ بِقَوْمِي هَتَفَةً .
قال : نَعَمْ ، وَثَلَاثًا . فقام فنادى : يَا صَبَاحَاهُ ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قال : فَسَمِعْنَا شِيوْخَنَا
يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَسْمَعَ أَهْلَ الشَّعْبِ ، فَتَلَبَّبُوا لِلْحَرْبِ ، وَبَعَثُوا الرِّبَايَا^(١) ، يَنْظُرُونَ
مَنْ أَيْنَ يَأْتِي الْقَوْمُ .

قال : وَتَقُولُ الرُّومُ : لَوْلَا ضَجَّةُ أَهْلِ رُومِيَّةٍ وَأَصْوَاتُهُمْ ، لَسَمِعَ النَّاسُ
جَمِيعًا صَوْتَ وَجُوبِ الْقُرْصِ فِي الْمَغْرِبِ^(٢) .

وَأُعْيِبُ عَنْهُمْ مِنْ دَقَّةِ الصَّوْتِ وَضِيقِ مَخْرَجِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ ، أَنْ يَعْتَرِيَ
الْخَطِيبَ الْبُهْرُ وَالْارْتِعَاشُ ، وَالرَّعْدَةُ وَالْعَرَقُ .

قال أبو الحسن : قال سفيان بن عيينة : تَكَلَّمَ صَعْصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ،
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ الْقَوْلُ ! فَقَالَ صَعْصَعَةٌ : « إِنَّ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالمَاءِ » . *يُحْمِلُ الْفَرَسُ إِذَا كَانَ فِي الْمَاءِ*
وَالْفَرَسُ إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْعَرَقِ ، وَكَانَ هَشًّا ، كَانَ ذَلِكَ عَيْبًا . وَكَذَلِكَ هُوَ
فِي الْكَثْرَةِ ، فَإِذَا أَبْطَأَ ذَلِكَ وَكَانَ قَلِيلًا قِيلَ : قَدْ كَبَا ؛ وَهُوَ فَرَسٌ كَابٌ . وَذَلِكَ
عَيْبٌ أَيْضًا . *بِحَمَارٍ كَبِيرٍ* .

وَأُنْشَدَنِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، لِأَبِي مِسْمَارٍ الْعُكْلِيِّ ، فِي شَبِيهِ بِذَلِكَ قَوْلَهُ :
لِلَّهِ دَرٌّ عَامِرٌ إِذَا نَطَقَ فِي حَفْلِ إِمْلَاكٍ وَفِي تِلْكَ الْحَلَقِ^(٣) ١٥
لَيْسَ كَقَوْمٍ يُعْرِفُونَ بِالسَّرِقِ^(٤) مِنْ خُطَبِ النَّاسِ وَمَا فِي الْوَرَقِ
يَلْفُقُونَ الْقَوْلَ تَلْفِيقَ الْخَلْقِ^(٥) مِنْ كُلِّ نَضَّاحِ الذَّفَارِيِّ بِالْعَرَقِ

✽ إِذَا رَمَتْهُ الْخَطِيبُ بِالْحَدَقِ ✽ *ذَلِكَ الرَّبِّيُّ وَهُوَ*

(١) الرِّبَايَا : جَمْعُ رِبِيَّةٍ ، وَهُوَ الْعَيْنُ وَالطَّلِيعةُ وَهَذَا مَا فِي ل . وَفِي هـ : « وَعَبُوا » .
وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « وَعَسَبُوا » ، وَهَذِهِ مَحَرَفَةٌ .

٢٠ (٢) وَجِبَ قُرْصُ الشَّمْسِ : وَقَعَ وَاخْتَفَى فِي مَكَانِ الْغُرُوبِ . وَانْظُرِ اللِّسَانَ (سُفَر ٣٦) .
(٣) الْإِمْلَاكُ : التَّزْوِيجُ وَعَقْدُ النِّكَاحِ . وَحَلَقَةُ الْقَوْمِ ، تُقَالُ بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ ،
وَبِالْكَسْرِ ؛ وَجَمْعُهَا حَلَقٌ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَبِالْكَسْرِ فَفَتْحٌ .

(٤) السَّرِقُ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَبِفَتْحٍ فَكَسْرٌ ، هُوَ السَّرَقَةُ . فِيمَا عَدَالٌ ، هـ :

٢٥ « بِالشَّدَقِ » تَحْرِيفٌ . (٥) ل : « الْخَرَقُ » .

[والذِّفَارَى هنا : يعنى بدن الخطيب . والذِّفْرِيَانِ للبعير ، وهما اللَّحْمَتَانِ فى قفاه^(١)] .

* وإنما ذكر خطب الإِمْلاَكِ لأنَّهم يذكرون أنَّه يَعْرِضُ للخطيب فيها من ٨٤ الحَصَرِ أَكْثَرُ ممَّا يَعْرِضُ لصاحب المنبر . ولذلك قال عمرُ بن الخطَّابِ رحمه الله : « ما يتصعَّدُنِي كلامٌ كما تتصعَّدُنِي خُطْبَةُ النِّكَاحِ^(٢) » .

وقال العُمَانِيُّ :

لا ذِفْرٌ هَشٌّ ولا بَكَابِي ولا بِلْجَلَجٍ ولا هَيَّابٌ مَـمَّابٍ
الهشُّ : الذى يَجُودُ بعرقه سريعاً ؛ وذلك عَيْبٌ . والذِّفْرُ : الكثير العرق .
والكبابي : الذى لا يكاد يَعرَقُ ، كالزُّندِ الكابِي الذى لا يكاد يُورِي . فجعل له م
العُمَانِيُّ حالاً بين حالين إِذَا خَطَبَ ، وخَبَّرَ أَنَّهُ رابطُ الجأشِ ، معاوِدٌ لتلك المقامات .
وقال السَّمِيتُ بن زَيْدٍ — وكان خطيباً — : « إِنَّ للخطبة صَعْدَاءَ^(٣) ، وهى على ذِي اللَّبِّ أَرْمَى » .

وقولهم : أَرَمَى وَأَرَبَى سِوَاهُ ، يقال : فلان قد أَرَمَى على المائة وَأَرَبَى .

ولم أَرِ السَّمِيتَ أَفْصَحَ عن هذا المعنى ولا يَخْلُصُ إلى خاصَّته . وإنما يجترى
على الخطبة الغَرَمُ^(٤) الجاهل الماضى ، الذى لا يثنيه شىءٌ ، أو المطبوعُ الحاذقُ ،
الواثقُ بغَزَارَتِهِ واقتداره ، فالثِّقَةُ تنفِي عن قلبه كلَّ خَاطِرٍ يُورِثُ اللَّجْلَجَةَ
والنَّحْنَحَةَ ، والانقطاعَ والبُهْزَ والعَرَقَ .

وفال عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيَادٍ ، وكان خطيباً ، على لُكْنَةٍ كانت فيه : « نِعمَ الشَّيءُ
عَبْدُ اللهِ »

(١) هذه التكملة مما عدل .

(٢) تصعده الأمر وتصاعده به : شق عليه . وانظر ما سبق فى ص ١١٧ .

(٣) الصعداء ، بالفتح : المشقة . وأما الصعداء بفتح فعم ، فالتنفس الممدود .

(٤) فيما عدل : « العمر » .

الإمارة ، لولا قعقة البرد^(١) ، والتشزن للخطب^(٢) .

وقيل لعبد الملك بن مروان : عَجِّلْ عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين ! قال :
« وكيف لا يعجلُ عليَّ وأنا أعرضُ عقلي على الناس في كلِّ جُمعة مرَّةً
أو مرتين » . يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور .

وقال بعض الكلابيين^(٣) :

فإذا خطبت على الرجال فلا تكن خطالَ الكلام تقوله مُختالاً^(٤)
واعلم بأن من الشكوت إبانة ومن التكلم ما يكون خبالاً^(٥)

كلام بشر بن المعتمر
بشر بن المعتمر

مرَّ بشر بنُ المعتمر^(٦) بإبراهيم^(٧) بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب ،
وهو يعلمُ فتيانهم الخطابة ، فوقف بشرٌ فظنَّ إبراهيمُ أنه إنما وقفَ ليستفيد
أو ليكون رجلاً من النظارة ، فقال بشر : اضربوا عما قالَ صَفِحا^{١٠} وإطووا عنه
كشحا . ثم دَفَعَ إليهم صحيفةً من تحبيره وتنسيقه ، وكان أولُ ذلك الكلام :
خُذْ من نفسك ساعةَ نشاطك وفراغِ بالك وإجابتها إياك ، فإنَّ قليلَ تلك
الساعةِ أكرمُ جوهرًا ، وأشرفُ حسبا ، وأحسنُ في الأسماع ، وأحلى في
الصدور ، وأسلمُ من فاحش الخطاء ، وأجلبُ لكلِّ عينٍ وغرَّةٍ ، من لفظٍ ١٥

(١) البرد : جمع بريد ، وأصل البريد : الدابة ، ثم جعل للرجل . وفي هامش آل :
« خ : البريد » إشارة إلى ما في نسخة أخرى . وفي هامش التيمورية ، ه : « وإنما قال هذا لأن
الوالى لا يدري بما يأتيه من خير أو شر ، فهو يحزع لرؤيته ويخاف » .

(٢) التشزن : التأهب والتهيؤ والاستعداد . والخبر في نهاية (شزن) في اللسان .

(٣) ب والتيمورية : « الكلابيين » : « الكلابيين » . ٢٠

(٤) ل : « الرحال » بالخاء المهملة .

(٥) ل ، ه : « التكلف » وكتب إزاهما : « خ : التكلم » . وهي رواية سائر النسخ .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٤١ . وبعدها في ب والتيمورية : « حين مر » .

(٧) ح : « لإبراهيم » .

شريف ومعنى بديع . وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك إلا طول ،
 بالكد والمطاولة^(١) والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاناة . ومهما أخطأك لم يُخطئك .
 أن يكون مقبولا قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا ؛ وكما خرج من ينبوعه ونجم
 من معدنه . وإياك والتوغر ، فإن التوغر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى
 يستهلك معانيك ، ويشين الفاظك . ومن أراغ معنى كريما فليتمس له لفظا
 كريما ؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حققهما أن تصونها عما
 يفسدُهما ويُهجنُهما ، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن
 تلتبس إظهارها ، وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما . فكن في ثلاث
 منازل ؛ فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون
 ١٠ معنك ظاهرا مكشوفاً ، وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ،
 وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يشرف بأن يكون من
 معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وإنما مدار
 الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام
 من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى . فإن أمكنك أن تبلغ من بيان
 ١٥ لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مدارك ، واقتدارك على نفسك ، إلى أن تفهم
 العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسطة^(٢) التى لا تلتطف عن الدِّهَاء ،
 ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام^(٣) .
 قال بشر : فلما قرئت على إبراهيم قال لى : أنا أحوج إلى هذا من
 هؤلاء الفتيان .

(١) ل : « والمكابرة » .

(٢) ل : « المبسطة » .

(٣) وقع في سائر النسخ اضطراب في صحيفه بشر . ففيما عدل ، ه قد وردت الصحيفة

متتابعة لا يفصل بين فقرها شيء مما يل . ولا إخال ذلك إلا من عمل قارئ أو ناسخ .

قال أبو عثمان : أما أنا فلم أرقطُ أمثلَ طريقةً في البلاغة من الكتاب ؛ فإنهم
 ٨٦ قد التمسوا من * الألفاظ ما لم يكن متوقراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً . وإذا
 سمعتموني أذكرُ العوامَّ فإنِّي لستُ أعني الفلاحين والحشوة^(١) والصُّنَّاعَ والباعة ،
 ولستُ أعني أيضاً الأكرادَ في الجبال ، وسُكَّانَ الجزائرِ في البحار ، ولستُ أعني
 من الأمم مثلَ البير^(٢) والطيلسان^(٣) ، ومثلَ موقانَ وجيلان^(٤) ومثلَ الزنجِ وأشباه
 الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب ، وفارسٌ ، والهند ،
 والروم . والباقون همجٌ وأشباهُ الهمج . وأما العوامُ من أهلِ ملتنا ودعوتنا ، ولغتنا
 وأدبنا وأخلاقنا^٥ ، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوقَ تلك الأمم ولم يبلغوا منزلةَ
 الخاصة منّا^٦ . على أن الخاصة تتفاضل في طبقاتٍ أيضاً^(٥) . ^٥ ^٦ ^٧
 ثم رجع بنا القولُ إلى بقية كلامِ بشرِ بنِ المعتز ، وإلى ما ذكر
 من الأقسام^(٦) .

قال بشرٌ : (فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تهتريك ولا تسمَح^(٧))
 بِمُرْسَاكَ عَمْرُؤُكَ

- (١) الحشوة بالضم والكسر : رذال الناس وأسقاطهم .
 (٢) ل : « البير » مع عدم نقط الحرف الثاني . وجاء في تاريخ الطبري (٥ : ٤٥) :
 « فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان » . وضبطت في ه بفتح أولها وكسره معا .
 (٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر ، افتتحه
 الوليد بن عقبة في سنة ٣٤ . معجم البلدان .
 (٤) قال ابن الكلبي : موقان وجيلان ، وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشج بن يافث بن
 نوح . قال ياقوت في موقان : « ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعى ،
 فأكثر أهلها منهم » . وقال في جيلان : « اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان . . . وليس في
 جيلان مدينة كبيرة ، إنما هي قرى في مروج بين جبال » .
 (٥) الكلام من « قال بشر : فلما قرئت » إلى هنا ، موضعه فيما عدل ، ه قبل :
 « وقال : وينبغي للمتكلم أن يعرف » وبذلك يختلط كلام بشر بكلام الجاحظ . وما أثبت من
 النسختين هو الصحيح .

لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك ، وتجد اللَّفْظَةَ لم تقع موقعها ولم تَصِرْ إلى قرارها ^{الغاية} إلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت ^{بمركزها} قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا ينكرها على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها ؛ فإنك إذا لم تتعاط ^{حواص} قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور ، لم يعبك بترك ذلك أحد . فإن أنت تكلفتها ^(١) ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك ^(٢) ، بصيراً بما عليك وما لك ، عابك من أنت أقل عيباً منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك ؛ فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتعاطى الصنعة ، ولم تسمع لك الطباع في أول وهلة ^(٣) ، وتعاصى عليك بعد إجاله الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه يبيض يومك وسواد ليلتك ، وعوده عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعة ، أوجريت من الصناعة على عرق . فإن تمتع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمرحلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشبه ولم تنزع إليهم إلا ويكاً نسب ، والشئ لا يحسن إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات ؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرغبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة . فهذا هذا . ^{فمنه من دونه} ^{بمنه من دونه}

وقال : ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل

٢٠ (١) فيما عدل : « وإن أنت تكلفتها » . (٢) ما عدا هـ : « لسانك » .
 (٣) الطباع ، يكون مفرداً كالطبيعة ، ويكون جمع طبع أيضاً ، وهو في القول بإفراده يذكر ويؤنث . وفي اللسان : « والطباع كالطبيعة مؤنثة » . وقال أبو القاسم الزجاجي : الطباع واحد مذكر ، كالتعاس - بكسر النون فيهما - قال الأزهري : ويجمع طبع الإنسان طباعاً .

حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام ^{بند} على أقدار المعاني ، ويقسم
 أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .
 فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبر عن شيء من
 صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً ، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين ؛ إذ
 كانوا ^{مواهباً إن كان الحمير} تلك العبارات أفهم ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحن وبها أشغف ؛
 ولأن كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من
 كثير من البلغاء . وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام
 العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم ،
 فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف ، وقدوة لكل تابع . ولذلك قالوا العراض
 والجوهر ، وأيس وليس ، وفرقوا بين البطلان والتلاشي ، وذكروا الهذية
 والهوية ^(١) والماهية ^(٢) . وأشبه ذلك . وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد
 وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب ،
 وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، كما ذكر الطويل ، والبسيط ، والمديد ، والوافر ،
 والكامل ، وأشبه ذلك ، وكما ذكر الأوتاد والأسباب ، والخرم والزحاف . وقد
 ذكرت العرب في أشعارها السناد والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع بالإيطاء . وقالوا
 في القصيد والرجز والسجع والخطب ، وذكروا حروف الروى والقوافي ، وقالوا
 هذا بيت وهذا مصراع . وقد قال جندل الطهوي ^(٣) حين مدح شعره :

* لم أقو فيهن ولم أسانِد *

وقال ذو الرمة :

٨. وشعر قد أرقْتُ له غريب أجنبه المسانِد والمَحَالا ^(٣) ٢٠

(١) نسبة إلى هذا ، وهو ، وما هو .

(٢) هو جندل بن المثنى الطهوي .

(٣) ديوان ذي الرمة ٤٤٠ . فيما عدل : « أجانبه » .

عن أبي حنيفة وهو وزير

وقال أبو حزام العكلى^(١) :

بيوتنا نصبنا لتقويمها جذول الرّيبين في المربّاه حيران
بيوتنا على الها لها سجة^٢ بغير السناد ولا المكفاه^٣

وكما سمي النحويون ، فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك ؛ لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو . وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم . قالوا : وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد أو يوم السّماطين ، أو على منبر جماعة ، أو في سدة دار الخلافة ، أو في يوم جمع وحفل ، إمّا في إصلاح بين العشائر ، واحتمال دماء القبائل ، واستلال تلك الضغائن والسيخائم ، فيقول^(٢) كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشان ، رفيع المكان : « ثم إن الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلق وسوّاهم ومكّن لهم ، لاشاهم فتلاشوا^(٣) » . ولولا أن المتكلم افتقر إلى أن يلفظ بالتلاشي لكان ينبغي أن يؤخذ فوق يده . وخطب آخر في وسط دار الخلافة ، فقال في خطبته : « وأخرجه الله من باب اللدسية ، فأدخله في باب الأيسية^(٤) » .

وقال مرّة أخرى في خطبة له : « هذا فرق ما بين السار والضار ، والدفاع والنّفاع » .

عن أبي حنيفة وهو وزير

وقال مرّة أخرى : فدلّ ساتره على غامره ، ودلّ غامره على منحلّه .

(١) أبو حزام العكلى ، اسمه غالب بن الحارث ، كان أعرابياً فصيحاً يفد على أبي حنيفة الله وزير المهدي . قال الخوارزمي : « وشعره عويص ؛ لأنه أكثر فيه من الغريب فلا يقف عليه إلا العلماء ، وكان يؤخذ عنه اللغة ، أدركه الكسائي واستشهد ببعض شعره . انظر شروح سقط الزند ١٤٦٥ - ١٤٦٧ .

(٢) بدلها في ل : « أن يكون » .

(٣) يراد بالملاشاة الإقناء ، كأنه جعلهم كلاً شيء .

(٤) نسبة إلى ليس وأيس . وفي اللسان : « أيس وليس ، أي من حيث هو وليس هو » .

فكاد إبراهيم بن السندي^(١) يطير شققاً^(٢) ، وينقد غيظاً^(٣) . هذا وإبراهيم من المتكلمين ، والخطيب لم يكن من المتكلمين .

وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني . وقد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قالوه على وجه التظرف والتملح ، كقول أبي نواس :

٨٩ وذات خدرٍ مُورِّد قُوْهيَّةَ المُتَجَرِّدِ^(٤) بربِّه
تأملُ العَيْنُ منها محاسناً ليس تنفذ
فبعضها قد تنأهى وبعضها يتولد
والحسن في كل عضو منها مُعادٌ مُردِّد
بلغ غاية
وكقوله^(٥) :

١٠ يا عاقدَ القلبِ مِنِّي هَلَّا تذكُرتَ حَلَّا / رزاً
تركتَ مِنِّي قليلاً من القليل أَقْلاً
يكد لا يتجزأ أقلُّ في اللفظ مِن لا

وقد يتملح الأعرابي بأن يُدخل في شعره شيئاً من كلام الفارسيَّة ، كقول العُمانيِّ للرَّشيد ، في قصيدته التي مدحه فيها :

١٥

(١) هو إبراهيم بن السندي بن شاهك ، يروي الجاحظ عنه كثيراً . وأبوه السندي ابن شاهك ، كان يلي الحميرين ببغداد للرَّشيد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسي .

(٢) هذه عبارة عن المبالغة في الغضب . وفي حديث عائشة : « فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض » . هو مبالغة في الغضب والغيط ، كما في اللسان . ب ، ح : « شغفاً » ل : « شغفاً » صوابهما ما أثبت في التيمورية .

(٣) ينقد : ينشق . ل : « وينقد غيظاً » بمعنى يشتعل .

(٤) الأبيات يمتثلها في نعت « جنات » جارية آل عبد الوهاب الثقفي . انظر ديوانه ٣٧١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ١٣ . قوهية ، أراد بيضاء ، والقوهى : ضرب من الثياب بيض ، منسوبة إلى قوهستان . وفي الديوان : « فتانة المتجرد » .

(٥) أخبار أبي نواس ١٣ . وانظر فيه أشعاراً أخرى فيها دليل معرفته بالألفاظ المتكلمين .

٢٥

مَنْ يَلْقَاهُ مِنْ بَطْلٍ مُسْرِنْدٍ^(١) فِي زَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بِالسَّرْدِ^(٢) تَارِ
* تجول بين رأسه و « الكرد » *^(٣)

مُسْرِنْدٍ
٧

يعنى العُنُق . وفيها يقول أيضاً^(٤) :

لَمَّا هَوَى بَيْنَ غِيَاضِ الْأُسْدِ وَصَارَ فِي كَفٍّ الْهَزْبَرِ الْوَرْدِ
رَمَحْنِي * آتَى يَذُوقُ الدَّهْرَ آبِ سَرْدٍ^(٥) *

كُرْصِي

وكقول الآخر :

وَدَلَّهْنِي وَقَعُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا وَكَافِرْ كُوبَاتٍ لَهَا عُجْرٌ قَفْدٌ^(٦) مَرْدٍ
بَأَيْدِي رَجَالٍ مَا كَلَامِي كَلَامُهُمْ بِسُومُوتِي مَرْدًا وَمَا أَنَا وَالْمَرْدُ^(٧) آ

ومثل هذا موجود في شعر [أبي] العذافر الكندي^(٨) وغيره ، ويكون أيضاً
١٠ أن يكون الشعرُ مثل شعرِ بَحْرِ وَشَاذٍ^(٩) ، وأسود بن أبي كريمة . وكما قال يزيد

(١) المسرندى : الذى يغلب ويعلو .

(٢) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والسرد : سمر الزرد .

(٣) أصله في الفارسية « كردن » كما في المغرب ٢٧٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٠ .
وأقدم من قول الهامى هذا قول الفرزدق :

١٥ وكنا إذا القيسى نب عتوده ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٤) فيما عدل : « ويقول فيه أيضاً » .

(٥) آب سرد : ماء بارد . آب : ماء ، ويكسر آخر الموصوف المتقدم على صفته في
الفارسية . وسرد : بارد .

(٦) المدله : الساهى القلب الزاهب العقل . فيما عدل ، هـ : « ووطئى » . والوله :
٢٥ الحزن ، وذهاب العقل حزناً . وفي هامش ل : « كافر كوب هي المقرعة » . والعجر : جمع
عجرة ، وهي العقدة في الخشبة ونحوها . والقفد : جمع أقفد ، وهو في أصله الغليظ العنق .
(٧) سامه الشيء : كلفه إياه وجشمه وأراده عليه . ومرد ، بالفتح : رجل ،
بالفارسية . ومن معانيه في الفارسية البطل ، والشجاع . استينجاس ١٢١١ . وفي هامش ل :
المرد الرجل ، بالفارسية .

(٨) ذكره المرزبانى في معجمه في ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء الجاهليين
والأعراب المغمورين . وفي الأصول : « العذافر الكندي » .

(٩) هذا ما في هـ . وفي ل : « بحر وشار » وسائر النسخ : « الحر وشاذ » .

بمحرره خربت

ابن ربيعة بن مفرغ^(١) :

آبَ اسْتُ نَبِيذَ اسْتُ عَصَارَاتِ زَيْبِ اسْتُ

٩٠

* سُمِّيَهُ رُوسَيْدِ اسْتُ^(٢) * زَانِيَةً = يروس كورس

وقال أسود بن أبي كريمة :

فرض بـ / لَزِمَ الْغُرَامُ ثَوْبِي بُكْرَةً فِي يَوْمِ سَبْتِ^(٣)

فَتَمَايَلْتُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ زَنْكِي بِمَسْتِي^(٤)

قَدْ حَسَا الدَّادِي صِرْفًا أَوْ عُقَارًا بَايَخَسْتِ^(٥)

بـ / ان زابيه

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، وكان مولعا بهجاء بني زياد ، وتعدى ذلك إلى أبي سفيان فقتله بالزنا ، وأمر يزيد بن معاوية بطلبه فظل ينتقل من بلد إلى بلد ويستجير حتى وقع في يد عبيد الله بن زياد فأمر به فسقى نبيذاً حلوا قد خلط معه الشبرم ، فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون « اين چيست » لما يسيل منه . أي هذا ماذا ؟ وهو يجيبهم بالأبيات التالية . انظر الأغاني (١٧ : ٥١ - ٧٣) والحزافة (٢ - ٢١٠ - ٢١٦) والاشتقاق ٣٠٩ - ٣١٠ والشعراء لابن قتيبة ، وتاريخ الطبري (٦ : ١٧٧) .

(٢) آب : ماء . واست : فعل من أفعال الكينونة في الفارسية . أراد أن النبيذ ما هو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هي أم زياد بن أبيه ، أو ابن أبي سفيان . انظر الإصابة ٦١١ من قسم النساء . وروسيد ، أي مشهورة . رو ، هو الوجه بالفارسية ؛ ويقال له أيضاً « روى » . وسيد ، بفتح السين ، أي أبيض . في حواشي ه : « روسيد : زانية » .

(٣) الغرام : جمع غريم ، وهو المطالب بالدين ، وهو جمع عزيز ؛ لأن فعلا لا يجمع على فعال . وأجاز ابن سيدة أن يكون جمع غارم على النسب ، أي ذو لغرام أو تغريم . انظر اللسان (١٥ : ٣٣٢) .

(٤) ل : « عليه مثل زنكي » تحريف . والزنكي : الزنجي ، بالفارسية . مستي ، بالفارسية ، أي السكر وإدمان الشراب .

(٥) الداذي : نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في الفرق فتعقب رائحته ويجود إسكاره . هذا ما في اللسان . وفي القاموس : « الداذي شراب للفساق » . والعقار بالضم : الخمر . بايخست ، كتب إزاءها في هامش ه ، ح : « بايخست الشراب على الريق بالفارسية » . وكتب المحقق الفاضل الدكتور إبراهيم أمين في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية (ديسمبر سنة ١٩٣٦) : بايخست أو پای خست ، بمعنى موطوءة بالأقدام .

ثم كُفَّتْ دُور باد ويحكم أن خَرِ كُفَّتْ^(١)
 إن جِلْدِي دَبَغْتُهُ أَهْلُ صَنْعَاءَ بِجَفَّتِ^(٢) مُر
 وأبو عمرة عندي أن كُور بَدُ نَمَسَتْ^(٣)
 جالس أندر مكناد أيا عمد يهشت^(٤)

وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًّا ، وساقطًا سُوقِيًّا ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًّا ؛ إلا أن يكون المتكلم بدويًّا أعرابيًّا ؛ فإن الوحشيَّ من الكلام يفهمه الوحشيُّ من الناس ، كما يفهم الشوقي رِطَانَةَ الشوقي . وكلامُ الناس في طبقاتٍ كما أن الناس أنفسهم في طبقات . فمن الكلام الجزلُ والسَّخِيفُ ، والمليحُ والحسنُ ، والقبيحُ والسَّجُّ ، والخفيفُ والثقيلُ ؛ وكلُّه عربيٌّ ، وبكلِّ قد تكلموا ، وبكلِّ قد تماذحوا وتعايوا . فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضلٌ ، ولا بينهم في ذلك تفاوتٌ ، فلم ذكروا العيبَ والبكى ، والخصرَ والمفحمَ ، والخطلَ والمسهبَ^(٥) ، والمتشذِّقَ ، والمتفهيِّقَ ، والمهمَّارَ ، والثَّرَّارَ^(٦) ، والمكثَّارَ والمهمَّارَ^(٧) ، ولم ذكروا الهجرَ والهذرَ ، والهديانَ والتخليطَ

بهرادر

زبان
عجمی

(١) كُفَّتْ ، أى قلت . دور باد ، أى معاذ الله ، وفى ل : « ذوزياد » . . . أن : اسم إشارة معناه ذلك . وخَرِ ، معناه الحمار ، أو البليد ، أو الأحمق . وكُفَّتْ ، بمعنى قال .

(٢) معجم استينجاس ٣٦٥ : « جفت بلوط ، أى ثمرة البلوط » .

(٣) أبو عمرة : كنية الجوع . كور ، أى أعمى أو أعور . بد أو بود بمعنى كان . نمس ، أى ليس ثملا ، فعناه كان أعمى وليس ثملا .

(٤) هذا البيت لم يرد فى ل . فى ه : « حابس آذر مكناد أباعد » . وقال الدكتور إبراهيم أمين : « هذا البيت مضطرب ، وبه تحريف . الكلمات الفارسية التى به هى اندر بمعنى فى . ومكناد بمعنى لا تجعل . يهشت ، أى فى الجنة » .

(٥) الخطل : ذو الخطل ، وهو الكلام الفاسد الكثير . والمسهب ، بضم الميم وكسر الهاء ومسحها : الكثير الكلام .

(٦) رجل مهمار : كثير الكلام ، كما فى اللسان (همر) . وفيما عدا ه : « المهماز » تحريف . يفان رجل همار ومهمار ومهمر ، أى مكثَّار للكلام .

(٧) فيما عدا ه : « الهماز » وانظر التنبيه السابق .

وقالوا : رَجُلٌ تِلْقَاءَ ^(١) ، وفلان يتلهميع في خطبته ^(٢) . وقالوا : فلان يُخْطِئُ في جوابه ، ويُحِيلُ في كلامه ، ويناقِضُ في خبره . ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لَمَا سَمِيَ ذلك البعض البعض الآخر بهذه الأسماء . وأنا أقول : إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتعُ ولا آتقُ ، ولا أَلَدُّ في ^{٩٠} الأسماع ، ولا أَشَدُّ اتصالاً بالعقول السليمة ^(٣) ، ولا أَفْتَقُ للسان ، ولا أجودُ تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلغاء . وقد أصاب القومُ في عامَّةٍ ما وَصَفُوا ، إلا أني أزعمُ أن سَخِيفَ الألفاظ مشاكِلٌ لسَخِيفِ المعاني . وقد يُحتَاجُ إلى السَّخِيفِ في بعض المواضع ، ورُبَّمَا أمتعُ بأكثر من إمتاع الجزلِ الفخم من الألفاظ ، والشرِيفِ الكريم من المعاني . كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيبَ من النادرة الحارة جداً . وإنما الكربُ الذي يَخْتِمُ على القلوب ^(٣) ، يأخذُ بالأنفاس ، النادرةُ اليافرة التي لا هي حارة ولا باردة ، وكذلك الشعرُ الوَسَطُ ، والغناءُ الوَسَطُ ؛ وإنما الشأن في الحارَّ جداً والباردِ جداً .

وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقلُ من مغنٍ وَسَطٍ ، وأبغضُ من ظريفٍ وَسَطٍ .

ومتى سمعتَ — حفظك الله — بنادرةً من كلام الأعراب ، فيأياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ؛ فإنك إن غيرتها بأن تُلحَنَ في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك

(١) اللقاعة والتلقاع ، بكسر الباء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام .

(٢) تلهميع في كلامه : أفرط فيه .

(٣) الختم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء ، كأنه قد طبع . فيما عدل ،

هـ : « يحتم » بحريف .

فضلٌ كبير. وكذلك إذا سمعتَ بنادرةً من نوادر العوام ، ومُلحة من مُلح الحشوة والطعام ، فأياك وأن تستعملَ فيها الإعراب ، أو تتخيرَ لها لفظاً حسناً ، ^{حرماناً} أو تجعلَ لها من فيك مخرجاً سرياً ؛ فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويُخرجها من صورتها ، ومن الذي أريدتَ له ، ويُذهب استطابتهم إياها واستملايحهم لها ^(١) . ثم اعلم أن أقبحَ اللحن لحنُ أصحاب التّعير والتّعيب ، والتّشديق والتّطيط والجهورة والتّفخيم ^(٢) . وأقبحُ من ذلك لحنُ الأعراب النّازلين على طُرُق السّابلة ، وبُقرَب تجماع الأسواق .

ولأهل المدينة ألسنٌ ذلّة ، وألفاظٌ حسنة ، وعبارةٌ جيّدة . واللّحن في غللى عوامهم فاش ، وعلى من لم ينظر في النّحو منهم غالب .

واللّحن من الجوارى الظّراف ، ومن الكواعب النّواهد ، ومن الشّوابّ الملاح ، ومن ذوات الخلدور الفرائر ، أيسر . وربما استملح الرّجل ذلك منهنّ ما لم تكن الجارية صاحبةً تكلف ، ولكن إذا كان اللحن على سجيّة سُكّان البلد . وكما يستملحون اللّغواء إذا كانت حديثة السن ، ومقدودةً مجدولة ، ٩٢ فإذا أُسّتْ واكتهلتَ تغيّرَ ذلك الاستملاح .

سأله من دعه يتر

وربما كان اسمُ الجارية غليماً أو صبيّةً أو ما أشبه ذلك ، فإذا صارت كهلةً جزلةً ، وعجوزاً شهلةً ، وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم ، وصار بنوها رجالاً وبناتها نساءً ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : يا غليماً كيف أصبحت ؟ ويا صبيّة كيف أمسيت .

ولأمر ما كنّت العربُ البناتِ فقالوا : فعلت أمّ الفضل ، وقالت أمّ عمرو

(١) انظر هذا الرأى أيضاً في الحيوان (١ : ٢٨٢) .

(٢) الجهورة : مصدر جهور : رفع الصوت وأعلته . ل : « والجهورية » .

فوقَّني الرَّحْمَنُ لَمَّا لَقِيْتُهُ وَلِلْبَابِ مِنْ دُونِ الْخَصُومِ صَرِيرُ
قُرُومٌ غِيَارَى عِنْدَ بَابٍ مُتَمَعٍ تَنَازِعُ مَلَكًا يَهْتَدِي وَيَجُورُ^(١)
فَقُلْتُ لَهُ قَوْلًا أَصَابَ فُؤَادَهُ وَبَعْضُ كَلَامِ النَّاطِقِينَ غُرُورُ^(٢)
وفي شبيه ذلك يقول عبدُ الرحمن بنُ حسان حيث يقول :

رجالٌ أَصْحَاءُ الْجُلُودِ مِنْ الْخُلَا وَالسَّنَةُ مَعْرُوفَةٌ أَيْنَ تَذْهَبُ^(٣)
وفي إصابة فَصِّ الشَّيْءِ وَعَيْنِهِ ، يقول ذو الرُّمَّة في مديح بلال بن أبي بردة
الأشعري : *سَمِعْتُهُ يَخْلُصُ الْخُلَا مِنْ الْخُلَا بِبَيْتِهِ* -

١ - تَنَاحِي عِنْدَ خَيْرٍ فَتَى يَمَانٍ ذُرَّ إِذَا النَّكْبَاءُ عَارَضَتْ الشَّمَالَ^(٤)
وَحَيْرِهِمْ مَآثِرَ أَهْلِ بَيْتٍ وَأَكْرَمِهِمْ وَإِنْ كَرُمُوا فَعَالَا
وَأَبْعَدِهِمْ مَسَافَةً غَوْرٍ عَقْلٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الشُّبُهَاتِ عَالَا^(٥)
وَلُبَّسَ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلٌّ^(٦) أَعَدَّ لَهُ الشَّغَاظُ وَالْمِحَالَا^(٧)
وَكَلَّهُمُ الْأَلْدُ لَهُ كِظَاطٌ^(٨) أَعَدَّ لِكُلِّ حَالٍ الْقَوْمِ حَالَا^(٩)
فَصَلَّتْ بِحِكْمَةٍ فَأَصْبَتْ مِنْهَا ٧٦ فُصُوصَ الْحَقِّ فَانْفَصَلَ انفِصَالًا^(١٠) مِنْ عَرِيدٍ
وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الرَّأْيِ ، وَهُوَ شَرِيفُ الْمَدْنِيِّ^(١١) يَعِيبُ أَبَا حَنِيفَةَ ، فَقَالَ الشَّاعِرُ :

١٥ (١) الغيارى ، بفتح الغين وضمتها جمع غيور . بجور ، في هاءش ل : « خ : أى هو
من البشر يجوز أن يجوز على الغلط » . فيما عدل : « وتجاوز » أى القروم . وهذا البيت
لم يروه ابن حجر .

(٢) أى قد صحت وبرئت من الخنا .

(٣) انظر ديوان ذى الرمة ٤٤٢ - ٤٤٣ ثم ٤٤٥ . والنكباء : كل ريح تهب
٢٠ بين ريحين .

(٤) عال : عظم وتفاقم . ل : « غالى » ، وفيما عدل : « غالا » صوابهما من الديوان .
(٥) الشغازب : جمع شغزبية وشغزبى ، وهو ضرب من الحيلة فى الصراع . والمحال ،
بالكسر : الحيلة .

(٦) الألد : الشديد العداوة . والكظاظ : تجاوز الحد فى العداوة .

(٧) كذا ورد اسمه مضبوطاً فى الأصل . ولم أعثر له على ترجمة . ٢٥

عِنْدِي مَسَائِلُ لَا شَرَّ شَرِّهِ يُحْسِنُهَا عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا أَصْحَابُ شَرِّ شَرِّهِ
وَلَا يُصِيبُ فَصُوصَ الْحَقِّ نَعْلَهُ إِلَّا حَنِيفِيَّةٌ كَوْفِيَّةٌ الدُّورِ^(١)
وَمَا قَالُوا فِي الْإِيْجَازِ ، وَبَلُوغِ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ ، قَوْلُ ثَابِتِ
قُطْنَةَ^(٢) :

مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ يَجِيْشُ بِهِ صَدْرِي وَفِي نَصَبٍ قَدْ كَادَ يُبْلِيْنِي^(٣)
لَا أَكْثِرُ الْقَوْلَ فِيمَا يَهْضُبُونَ بِهِ مِنْ الْكَلَامِ ، قَلِيلٌ مِنْهُ يَكْفِينِي^(٤)
إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا دُونِي
٩٤ * وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيٍّ وَمَدَحَ كَلَامَ رَجُلٍ [فَقَالَ^(٥)] : « هَذَا كَلَامٌ
يُكْتَفَى بِأَوْلَاهِ ، وَيُسْتَفَى بِأَخْرَاهِ » .

وَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ^(٦) ، مِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، يَصِفُ كَلَامَ رَجُلٍ :
يَكْفِي قَلِيلٌ كَلَامِهِ وَكَثِيرُهُ ثَبَتٌ إِذَا طَالَ النَّضَالُ مُصِيبٌ
وَمِنْ كَلَامِهِمُ الْمَوْجَزُ فِي أَشْعَارِهِمْ قَوْلُ الْعُكْلِيِّ ، فِي صِفَةِ قَوْسٍ :

(١) نَعْلُهُ ، جَمَلَةٌ حَالِيَةٌ ، أَوْ نَعْلُهُ أَيْ أَحَدُ نَعْلَيْهِ ، حَذَفَ الْمُوصُوفُ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

« يَرَى بِكَفَى كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ »

فِيمَا عَدَلَ : « تَعْلَمُهُ » . حَنِيفِيَّةٌ ، أَيْ جَمَاعَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ . وَفِي هَمْعِ الْهَوَامِعِ (٢) :
(١٩٥) : « وَقَاسَ الْكَمَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ ، الْحَنِيفِيُّ ، فِي النِّسْبَةِ إِلَى
مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، فَرَقَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَنْسُوبِ إِلَى قَبِيلَةِ بَنِي حَنِيفَةَ حَيْثُ يُقَالُ فِيهِ حَنْفِيٌّ » .

(٢) هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ ثَابِتُ بْنُ كَعْبٍ ، شَاعِرٌ فَارِسٌ شَجَاعٌ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَانَ
فِي مَحَابَةِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَلَقِبَ « قُطْنَةُ » لِأَنَّهُ سَهَمًا أَصَابَهُ فِي عَيْنِهِ فِي بَعْضِ حُرُوبِ التُّرْكِ ،
فَكَانَ يَجْعَلُ عَلَيْهَا قُطْنَةً . انْظُرِ الْأَغَانِي (١٣ : ٤٧ - ٥٤) وَالْخَزَائِنَ (٤ : ١٨٥) .

(٣) الْأَبْيَاتُ فِي الْأَغَانِي (١٣ : ٥١ - ٥٢) ، وَهِيَ فِي رِثَاءِ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ .

(٤) يَهْضُبُونَ فِي الْحَدِيثِ : يَخْوَضُونَ فِيهِ دَفْعَةً دَفْعَةً مَعَ ارْتِفَاعِ صَوْتٍ .

(٥) هَذِهِ بِمَا عَدَلَ .

(٦) أَبُو وَجْزَةَ هُوَ يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ هَوَازِنَ ، أَطَارَ النَّبِيَّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ أَبُو وَجْزَةَ مِنَ التَّابِعِينَ ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ
شَبَّ بِعَجُوزٍ . انْظُرِ الْأَغَانِي (١١ : ٧٥ - ٨١) وَتَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ ، وَالشُّعْرَاءَ لِابْنِ قَتِيْبَةَ .

4

—

بِسْمِ رَبِّهِمْ يَفُوتُهُ * خَرَقَاهُ إِلَّا أَنهَا صَنَاعُ (۸) *

10
41

أَلْقَى عَلَى مَفْطُوحِهَا مَقْطُوحًا^(۱۱)

غَادَرَ دَاخَ وَنَجَا صَحِيحًا

مُحَوَّرٌ بِمِثْرِ مَادَّةِ الدَّالِّ بِتَرْكِ نَكَلِ الْيَاءِ كَمَا جَاءَ (ص)

10

20

20

٢٥

[المفطوح الأول للقوس ، وهو العريض ، وهو هاهنا موضع مقبض القوس .
والمفطوح الثاني : السهم العريض . يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهماً عريضاً^(١)] .

وقال الآخر :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ لَا تُفْلِحُ اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ^(٢)
وقالوا فى المثل : « اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ » . وقال رؤبة يصف حمرا^(٣) :
حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا وَشَهَقَ حَتَّى يُقَالُ نَاهَقٌ وَمَا نَهَقَ
الحشرة : صوت الصدر . والسَّحِيل : صوت الحمار إذا مدَّه . والشَّهَق : أن
يقطع الصوت . *نَهِيرٌ سَكِينٌ* -
وقال بعض ولدِ العباس بن مرْدَاسِ السُّلَمِيِّ ، فى فرس أبى الأعور السُّلَمِيِّ^(٤) :
« جَاءَ كَلْمَعُ الْبَرْقِ جَاشٍ نَاطِرُهُ^(٥) يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
* فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ *
قوله : جاش ناظره ، أى جاش بمائه . وناظر البرق : سحابه . يسبح ، يعنى يمد
ضَبْعِيَّهِ ، فإذا مدَّها علا كَفْلُهُ . وقال الآخر :
* إِنْ سَرَّكَ الْأَهْوَنُ فَايْدَأْ بِالْأَشَدِّ *
در ١٨٨

١٥

وقال العجاج :

يَمَكِّنُ السَّيْفُ إِذَا السَّيْفُ انْطَرَعَ^(٦) مِنْ هَامَةِ اللَّيْثِ إِذَا مَا اللَّيْثُ هَرَّ^(٧)

(١) هذه مما عدل .

(٢) أنشد الجاحظ البيت الأول فى الحيوان (١ : ٢٨٥) والثانى فى (٣ : ٧٢) .

(٣) ديوان رؤبة ١٠٦ .

(٤) أبو الأعور السُّلَمِيُّ مشهور بكنيته . واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس . وهو صحابى قائد ، غزا قبرص سنة ٢٦ وكانت له مواقف بصفين مع معاوية . الإصابة ٥٨٤٦ .

(٥) كُتِبَ فى ل « ماطره » فوق « ناظره » .

(٦) انطَرَعَ : اعطف وانثنى . وانظر ديوان العجاج ١٨ .

(٧) هر : زأر . فيما عدل ، ه : « إذا الليث هَرَّ » تحريف .

كَجَمَلِ الْبَحْرِ إِذَا خَاضَ جَسْرٌ غَوَارِبَ الْيَمِّ إِذَا الْيَمُّ هَدَرَ^(١)
 * حَتَّى يُقَالَ جَاسِرٌ وَمَا حَسِرٌ^(٢) * *من بغيره برش*

قالوا : جمل البحر سمكة طولها ثلاثون ذراعاً . يقول : هذا الرجل يبعد كما
 تبعد هذه السمكة بجساره ، لا يردُّها شيء ، حتى يقال كاشف وما انكشف البحر .
 يقال : البحر حاسرٌ وجازرٌ . يقول : حتى يحسب الناس من ضيخم ما يبدو
 من هذا الجمل ، أن الماء قد نضب عنه ، وأن البحر حاسرٌ^(٣) . وقال آخر :

يَا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بِلَاهَا كَأَنَّمَا بَقَلِمَ مَحَاهَا^(٤)
 أَخْرَبَهَا عُمرَانُ مَن بَنَاهَا وَكَرَّ مُمْسَاهَا عَلَى مَغْنَاهَا^(٥)
 وَطَفَقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا

قوله : أَخْرَبَهَا عُمرَانُ مَن بَنَاهَا ، يقول : عمرُّها بالخراب . وأصل العُمران
 مأخوذ من العَمِر ، وهو البقاء ، فإذا بقي الرَّجُلُ في داره فقد عَمَرَهَا . فيقول :
 إِنَّ مُدَّةَ بَقَائِهِ فِيهَا أَبْلَتْ مِنْهَا ؛ لِأَنَّ الْأَيَّامَ مُؤَثِّرَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ بِالنَّقْصِ وَالْبَلَى ، فَلَمَّا
 بَقِيَ الْخَرَابُ فِيهَا وَقَامَ مَقَامُ الْعُمرَانِ فِي غَيْرِهَا ، سُمِّيَ بِالْعُمرَانِ . وقال الشاعر^(٥) :

يَا عَجَّلَ الرَّحْمَنُ بِالْعَذَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ

يعني الفار . يقول : هذا عُمرانها ، كما يقول الرَّجُلُ : « مَا نَرَى مِنْ خَيْرِكَ »^{٩٦}

(١) غوارب اليم : أعالي موجه .

(٢) فيما عدل : « جاسر وما جسر » . ورويا في « بالخاء والجيم معا .

(٣) هذا التفسير كتب في هامش اليمورية ، وأسير إلى أنه في نسخة . في صلب سائر

النسخ بدل هذا التفسير تفسير آخر ، وهو « اليم : معطم الماء . وغوارب اليم : معطمه . جسر :

٢٠ قطع ، ومنه قيل للجسر جسر لأن الناس يعطون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ،

أي قطع الأمر وهو بعد فيه ، لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه .

(٤) ل فقط : « مغداها » ، وهو الوجه الذي فرتضيه في رواية البيت ، لكن التفسير

الذي أسيرد فيما بعد يؤيد ما أثبت من سائر النسخ .

(٥) هو أعرابي دخل البصرة فاشترى حبزاً فأكله الفار . انظر ديوان المهدي (٢) :

٢٥ (١٥١) والحيوان (٤ : ٥ / ٢٧٤ : ٣٤ ، ٢٥٨) .

ورفدك ، إلا ما يبلغنا من خطبك علينا^(١) ، وقتك في أعضادنا .
 وقال الله عز وجل : ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . والذاب لا يكون
 نزلاً ، ولكن لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم ، سُمي باسمه .
 وقال الآخر :

فقلتُ أطعني عميرُ تمرًا فكان تمرى كهمرة وزبراً^(٢) .
 والتمر لا يكون كهمرة ولا زبراً ، ولكنه على ذا . وقال الله عز وجل :
 ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَا ﴾ ، وليس في الجنة بكرة ولا عشى ، ولكن
 على مقدار البكر والعشيات . وعلى هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
 فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ . والخزنة : الحفظة . وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ
 ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ
 الخازن سُميت به .

قوله : مُمَسَّاهَا ، يعني مساءها . ومغناها : موضعها الذي أقيم فيه . والمغاني :
 المنازل التي كان بها أهلؤها . وطَفِقت ، يعني ظَلَّت . تبكى على عراصها عيناها ،
 عيناها هاهنا للسحاب . وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة ،
 وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه . ويقال لكل جوبة مُنْفَتِقَةٍ ليس فيها
 بناه : عَرَصَة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أي نصف
 بيت شعير أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :

(١) ما يبلغنا ، أي ما يصل إلينا . وفي اللسان : وحطب فلان بفلان : سعى به .
 ل : « خطبك فينا » . فيما عدل : « من خطبك علينا » والصواب ما أثبت من هـ .
 (٢) الكهمرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . وانظر للخلاف في رواية الرجز
 الحيوان (٤ : ٢٧٤ / ٥ : ٣٣) والمخصص (٢ : ١٣٤) .

* وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا ^(١) *

ولعلَّ حُميداً أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ عَنِ النَّمْرِ بْنِ تَوَلَّبٍ ، فَإِنَّ النَّمْرَ قَالَ ^(٢) :

يُحِبُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْفِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ ^(٣)
وقال أبو العتاهية :

* كُنْتُ خَيْرَ مَنْزِلٍ مِنْكُمْ ، تَعْرِفُونَ * أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ ^(٤) *

ذهب إلى كلام الأول : « كُلُّ مَا أَقَامَ شَخْصٌ ، وَكُلُّ مَا أَزْدَادَ نَقْصٌ ،
وَلَوْ كَانَ النَّاسُ يُمِيتُهُمُ الدَّاءُ ، إِذَا لَأَعَاشَهُمُ الدَّوَاءُ » ^(٥) .

وقال الثاني من الرُّوَاةِ : الثلاثة : [بل ^(٦)] قولُ أَبِي خِرَاشٍ الْهَذَلِيِّ ^(٧) :

* نُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمِضِي ^(٨) *

وقال الثالث من الرُّوَاةِ : بل قولُ أَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيِّ :

* وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ ^(٩) *

(١) صدره كما في ديوان حميد ٧ والحيوان (٦ : ٥٠٣) :

* أرى بصرى قد رابني بعد صحة *

(٢) بدل هذه العبارة فيما عدل : « قال النمر » فقط .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٣) والأغاني (١٩ : ١٥٩) والمعمرين ٦٢ .

(٤) ما عدا هـ : « نقص » ، بالفساد المعجمة ، وكذا ورد في الحيوان (٦ : ٥٠٢)

لكن في الحيوان (٣ : ٤٧٩) وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) : « نقص » ، وهو الأمل .

(٥) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٢) .

(٦) هذه ما عدل .

(٧) أبو خراش الهذلي : هو غويلد بن مرة ، مخضرم أدرك زمان عمر بن الخطاب

وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين ، ومات في زمان عمر . الإصابة ٢٤١ والأغاني (٢١ :

٣٨ - ٤٨) والخزانة (١ : ١١٢) والشعراء لابن قتيبة .

(٨) عجز بيت من مرثية له رواها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣٢٦) يرقى بها أخاه

عروة بن مرة الشاعر الهذلي ، أحد إخوته الشعراء العشرة . وصدره :

* عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكَلَامَ وَإِنَّمَا *
والقصيدة بتمامها في نسخة الشنقيطي من ديوان الهذليين .

(٩) من مرثيته المشهورة ، في أول ديوانه والمفضليات (٢ : ٢٢١ - ٢٢٩) .

وصدره :

* وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا *

بضربة نعت لم تعد غير أننى عقول لأوصاف الرجال ذكورها^(١)
وهذا كقولهم لابن عباس : أننى لك هذا العلم ؟ قال : « قلب عقول ،
ولسان سؤال^(٢) » . يستزود به من زمان

وقال الراجز^(٣) :
وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ^(٤) جُبَّتُهُمَا بِاللَّغْتِ لَا بِاللَّعْتَيْنِ^(٥)
ظَهَرَا مِثْلُ ظُهُورِ الثُّرَيْنِ^(٦) قَطَعَتْهُ بِالْأُمِّ لَا بِالسَّمْتَيْنِ^(٧)
العلم

لهم وقالوا فى التحذير من ميسم الشعر ، ومن شدة وقع اللسان ، ومن بقاء أثره
على المدوح والمهجوع ، قال امرؤ القيس بن حجر :

ولو عن نثا غيره جاءنى وجرح اللسان كجرح اليد^(٨)
وقال طرفة بن العبد :

بِحَسَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالْكَلِمُ الْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلِمِ^(٩)

- (١) ل فقط : « بغت » تعريف . على أنه قد كسب فى هامتها « خ : نعت » .
- (٢) انظر ما سبق من الكلام على الخلاف فى نسبة هذا القول ص ٨٤ - ٨٥ .
- (٣) هو حطام المجاشع ، أو هيمان بن قحافة . انظر الخزانة (٣ : ٣٧٤ - ٣٧٦) ،
وكتاب سيويه (١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢) .
- (٤) المهمة : القهر الخوف . والقذف ، بالتحريك : البعيد . فيما عدل : « دفدين » .
وقد نبه العيني على هذه الرواية . والمرت ، بالفتح : التى لا ماء فيها ولا نوات .
- (٥) وصف نفسه بالخلق والمهارة . والعرب يفخرون بمعرفة الطرق .
- (٦) يستشهد به النحويون على الجمع بين لغتي التثنية والجمع فى المصاف إلى المنى إذا كان
بعض ما أضيف إليه . وهذا البيت وما بعده فى ل فقط .
- (٧) الرواية المعروفة : « بالسمت لا بالسمتين » .
- (٨) الثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وبعده :

لقلت من القول ما لا يزا * ل يؤثر عنى يد المسند

- (٩) حسام السيف : طرفه الذى يضرب به . والكلم ، بفتح فكسر : جمع كلمة . أرغب :
أوسع . والكلم : الجرح . ل « والكلم الرغيب » صوابه فى سائر النسخ وديوان طرفة ٦١ .

قال : وأنشدني محمد بن زياد^(١) :

لَحَيْتُ شَماسًا كَمَا تُلَحَّى الْعِصَى سَبًّا لَوْ أَنَّ السَّبَّ يُدْمِي لَدَمِي
مِنْ تَفَرٍّ كُلُّهُمْ نِكْسٌ دَنِي مُحَمَّدٍ الرَّذْلُ مِثْلُ السَّرِي^(٢)
مَخَاطِبِ الْعِصَمِ مَوَادِعِ الْمَطَى^(٣) مَتَّارِكِ الرَّفِيقِ بِالْخَرْقِ النَّطِيِّ^(٤)

وأنشد محمد بن زياد :

تَمَنَّى أَبُو الْعَفَّاقِ عِنْدِي هَبْجَةً تُسَهِّلُ مَأْوَى لَيْلِيهَا بِالْكَلَّا كُلِ^(٥)
وَلَا عَقْلَ عِنْدِي غَيْرُ طَعْنٍ نَرَاذِ وَضَرْبِ كَأَشْدَاقِ الْفِصَالِ الْهُوَادِلِ
وَسَبِّ يَوْذُ الْمَرْدِ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ كَصَدْعِ الصَّفا فَلَقَّتَهُ بِالْمَعَاوِلِ^(٦)

الهَبْجَةُ : القطعة من الثوب فيها فحل . والكلكل : الصدر . والفِصال :

جمع فصيل ، وهو ولد الناقة إذا فصل عنها . والهوادل : العظام المشافر . والعقل ١٠
هاهنا الدية . والعاقلة : أهل القاتل الأدنون والأبعدون . والصفا : جمع صفاة
وهي الصخرة . وقال طرفة :

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي ، الكوفي ، كان راوية
لأشعار القبائل ناسبا ، وأحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها ، أخذ عن المفضل والكسائي ،
وأخذ عنه ثعلب وابن السكيت . ولد ليلة وفاة أبي حنيفة سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٣١ . وفيات
الأعيان وبغية الوعاة . وانظر مثيل البيت الأول في اللسان (قيس ٩٢) . ١٥

(٢) القياس في مفرد محامد ، محمد بالكسر ، وفي مفرد مشاتيم مشتام . ولم أجدهما
في معجم .

(٣) العكم ، بالكسر : العدل مادام فيه المناع . والمخاطب ، من الخطب وهو طلب
المعروف . هـ : « مخايط » : يخطون عكومهم . مواديع المظي ، أي مطيم مودوعه لا يجهدونها . ٢٠
(٤) الخرق ، بالفتح : التفر ، والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والنطى : البعيد .
وهذا البيت لم يرد في ل .

(٥) أبو العفَّاق ، لعله أراد به الذئب ؛ لأنه يعفق ؛ أي يسرع في العدو . وفي الحيوان
(٦ : ٤١٣) وحواشي هـ عن نسخة : « أبو اليقظان » ، وهي كنية للذئب أيضاً ؛ لأنه :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم ٢٥
ولم أجدهما في الكنتيتين فيما لدى من المراجع . وفي القاموس أن أبا اليقظان اسم للذئب .
(٦) في الحيوان : « كوقع الهضاب صدعت بالمعاول » .

رَأَيْتُ الْقَوَائِي يَتَلَجْنَ مَوَاجِدًا تَضَاقُّ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبَرُ^(١)
* وقال الأخطل :

زَيْدًا حَتَّى أَقْرَوْا وَهْمَ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ^م وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا يَنْفُذُ الْإِبَرُ^(٢)
وقال العُمَانِيُّ :

إِذْ هُنَّ فِي الرَّيْطِ فِي الْمَوَادِعِ تُرْمَى إِلَيْهِنَّ كَبَذَرِ الزَّارِعِ^(٣)
الرَّيْطُ : الثَّيَابُ ، وَاحِدُهَا رَيْطَةٌ ؛ وَالرَّيْطَةُ : كُلُّ مَلَاءَةٍ لَمْ تَكُنْ لِقَقِينَ .
وَالْحَلَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا ثَوْبِينَ . وَالْمَوَادِعُ : الثَّيَابُ الَّتِي تَصُونُ غَيْرَهَا ، وَاحِدُهَا
مِيدَعَةٌ .

وقالوا : « الحرب أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى » .
وكتب نصر بن سيار ، إلى ابن هبيرة^(٤) ، أَيَّامَ تَحْرُكِ أَمْرِ السَّوَادِ
بِخُرَاسَانَ^(٥) :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَمْرِ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرَامٌ^(٦)
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُنْذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ^(٧)
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَلْيَقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ^(٨)

١٥ (١) القَوَائِي : المصائد . يَتَلَجْنَ : يَخْلُنَّ ، أَصْلُهُ يَوْتَلَجْنَ مِنَ الْوُلُوجِ . وَالْبَيْتُ فِي .
ديوان طرفة ٤ .

(٢) فِي دِيوَانِ الْأَخْطَلِ ١٠٥ : « حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهْمَ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ » .

(٣) ٥ : « تَرْمَى » .

(٤) كَانَ نَصْرُ بْنُ سِيَّارٍ عَامِلَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ آخِرَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى خُرَاسَانَ ،
وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ — وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ — عَامِلَهُ عَلَى الْعِرَاقِ . وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ
(٩ : ٩٢) أَنَّهُ كَتَبَ بِالشَّعْرِ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ .

(٥) السَّوَادُ : شُعَارُ الْعَبَّاسِيِّينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ السَّوَادَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيُّ ، دَاعِي
الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي خُرَاسَانَ .

(٦) الطَّبَرِيُّ : « بَيْنَ الرَّمَادِ » . ل : « لَهَا ضَرَامٌ » . وَفِي الطَّبَرِيِّ : « فَأُحِجُّ بِأَنْ

٢٥ يَكُونُ لَهُ ضَرَامٌ » . أَحِجُّ : أَجْدَرُ .

(٧) فِيمَا عَدَا ل : « أَوَّلُهَا كَلَامٌ » . الطَّبَرِيُّ : « مَبْدُؤُهَا الْكَلَامُ » .

(٨) ل : « أَوَّلُ » .

فَإِنْ كَانُوا لِحَيْنِهِمْ نِيَامًا فَقُلْ قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ الْمَنَامُ^(١)
وقال بعض المولدين :

إِذَا نَلْتُ الْعَطِيَّةَ بَعْدَ مَطْلٍ فَلَا كَانَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ جَزِيلَةً
فَسَقِيًّا لِلْعَطِيَّةِ نَمَّ سَقِيًّا إِذَا سَهَلَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً
وَلِلشُّعْرَاءِ أَلْسِنَةٌ حِدَادٌ عَلَى الْعَوْرَاتِ مُوفِيَةٌ دَلِيلُهُ
وَمِنْ عَقْلِ الْكَرِيمِ إِذَا اتَّقَاهُمْ وَدَارَاهُمْ مُدَارَاةٌ جَمِيلُهُ^(٢)
إِذَا وَضَعُوا مَكَاوِيَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَذَبُوا ، فَلَيْسَ لَهُنَّ حِيلُهُ^(٣)
وقالوا : « مَذَاكَرَةُ الرِّجَالِ تَلْقِيحٌ لِأَلْبَابِهَا » .

وَمَا قَالُوا فِي صِفَةِ اللِّسَانِ قَوْلُ الْأَسَدِيِّ^(٤) ، أَنَشَدْنِيهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :
وَأَصْبَحْتُ أُعِدِّتُ لِلنَّائِبِ^(٥) عِرْضًا بَرِيثًا وَعَضْبًا صَقِيلًا^(٥)
وَوَقَعَ لِسَانُ كَحْدٍ السَّنَا نِ وَرُمَحًا طَوِيلَ الْقَنَاةِ عَسُولًا^(٦)
وقال الأعشى :

وَأُدْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ لِسَانًا كَمَقْرَاضِ الْخَلْفَاجِيِّ^(٧) مِلْحَبًا^(٧)
[الْمِلْحَبُ : الْقَاطِعُ^(٨)] . جَرَّ غُرَّتُهُ بِرُؤُوسِهِ^(٨) نَزَابَةً بَيْدًا مِنْ بَرِّهِ دَارِ

- (١) فيما عدل : « حان القيام » . وهذا البيت لم يروه الطبري . وزاد الطبري في
الخير : « فكتب إليه : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فأحسم النول قبلك . فقال نصر :
أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده » .
(٢) هذا البيت صاقط من ل .
(٣) المكاوي : جمع مكواة . أراد لواذع الهجاء . أى ليس لملك المكاوي من حيلة
وإن كانت كذبا .
(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمي . والبراجم من أسد بن ربيعة . انظر المفضليات
(٢ : ١٨٦) حيث القصيدة ، والاشنقاق ١٩٧ .
(٥) المضرب : السيف القاطع . (٦) العسول : المضطرب للينه .
(٧) وكذا في الديوان ٩٠ . لكن فيما عدل : « أدفع » . وروى في هـ : « كقراض »
وهـ كقراض . وفي حواشيا : « المقراض : حديدة يقطع بها الحديد والفضة » .
(٨) هذا الشرح ليس في ل .

الخفاجي : رجلٌ إسكاف منسوب إلى خفاجة^(١) .

وقال ابنُ هرمة :

قل للذي ظلَّ ذا لو نينٍ يأكلني لقد خلوتَ بلحمٍ عديمِ البشم^(٢)
إيَّاك لا ألزِمَنَّ لحَيِّيك من جُلسي نِكَلًا يُنَكِّلُ فَرَاصًا من اللُّجمِ^(٣)
إني امرؤٌ لا أصوغُ الحليَّ تَعَمَّلُهُ كَفَّايَ ، لكن لسانِي صائغُ الكلامِ

وقال الآخر :

إني بغيت الشعرَ وابتغاني حتَّى وجدتُ الشعرَ في مكاني
نَزِيهٍ / زَيْبِ * في عَيْبَةٍ مِفْتَاحُهَا لِسَانِي *

وأُشَد :

إني وإن كان رِدائي خَلَقًا^(٤) وَبَرَنكَانِي سَمِلًا قَدْ أَخَقًا^(٥)

* قَدْ جَعَلَ اللهُ لِسَانِي مُطْلَقًا *

رَدَائِي مَطْلَقُ لِسَانِي

(١) هذا الشرح ساقط مما عدل . وفي شرح الديوان : « نسبة إلى خفاجة بن معاوية ابن عقيل » .

(٢) ذكر أبو الفرج في (٤ : ١٠٦) من مبيب هذا الشعر أن المسور بن عبد الملك المخزومي كان يعيب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ، فقال ابن هرمة فيه ما قال . عادم البشم ، أي لا يبشم من أكله ، وذلك لعجزه عن مضغه . ه : « عارم » . والعارم : الشديد لا يطاق . أي يبشم من طعمه ولا يطيق مضغه .

(٣) النكل ، بالكسر : اللجام أو حديدته . فراصاً : قطاعاً ؛ الفرص : القطع .

(٤) فيما عدل : « إزارى » . والأبيات في اللسان (برنك) .

(٥) البرنكان ، كزعفران : قال ابن منظور : كساء من صوف له علمان . وفي القاموس : « ويقال للكساء الأسود البركان والبركاني - بتشديد الراء - فيهما - والبرنكان كزعفران والبرنكاني » . وفي المغرب ٦٩ : « والبرنكان يقال كساء برنكاني ، وليس هو بعربي ، والجمع برانك ، وقد تكلمت به العرب » . لكن فيه ٥٦ : « ابن دريد : والبرنكان بالفارسية وهو الكساء » . على أن نص ابن دريد في الجمهرة (٣ : ٣٠٨) : « والبرنكان أيضاً ، كساء برنكاني . ليس بعربي » . فالنص الأخير من المغرب غريب .

بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

قال أبو عثمان : والعَتَابِيّ حين زعم أن كلَّ مَنْ أفهمك حاجته فهو بليغ^(٢) لم يعن أن كلَّ مَنْ أفهمنا من معاشر المولّدين والبلديّين قصّده ومعناه ، بالكلام الملحون ، والمعدول عن جهة^{المحمّية} ، والمصروف عن حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان ، بعد أن نكون قد فهمنا عنه . ونحن قد فهمنا^(٣) معنى كلام التبطّي الذي قيل له : لِمَ اشتريت هذه الأتان ؟ قال : « أركبها وتلد لي^(٤) » . وقد علمنا أن معناه كان صحيحاً .

وقد فهمنا قول الشيخ الفارسيّ حين قال لأهل مجلسه : « ما من شرّ من دين » وأنه قال حين قيل له : ولم يذاك يا أبا فلان ؟ قال : « من جرّى يتعلّقون^(٥) » . وما نشك أنه قد ذهب مذهباً ، وأنه كما قال .

وقد فهمنا^(٦) معنى قول أبي الجهمير الخراسانيّ النخاس ، حين قال له الحجاج أتبيع الدوابّ المعيبة من جند السلطان ؟ قال : « شريكائنا^(٧) في هوازها ، وشريكائنا^(٨) في مداينها . وكما تجيء نكون^(٩) » . قال الحجاج : ما تقول ،

(١) هذه مما عدل .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ س ٩ - ١٠ .

(٣) جمله « ونحن قد فهمنا » ، ساقطة مما عدل .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٤ س ٥ - ٧ . ل فقط : « وتولد لي » .

(٥) من جراه ، أى من أجله . وفي اللسان (جرر) : « وربما قالوا من جراك غير مشدد ، ومن جرائك بالمد من المعتل » . وكتب إزاهها في التيمورية : « أى من أجل » . أراد من جرى الدائنين الذين يتعلّقون بمدّينهم .

(٦) هاتان من ل ، ه فقط .

(٧) جمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون في جمع مرد ، بمعنى رجل : مردان . فيما عدل : « شريكائنا » .

(٨) فيما عدل : « تكون » ، بالتاء .

ويلك ! فقال بعض من قد كان اعتاد سماع^{عليه} الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى ١٠١ صار يفهم مثل ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمداين ، يبعثون إلينا بهذه الدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها .

وقلت لخادم لي : في أي صناعة أسلموا هذا الغلام ؟ قال : « في أصحاب سيند نعال » يريد : في أصحاب النعال السندية . وكذلك قول الكاتب المغلاق^{مغلق} للكاتب الذي دونه : « اكتب لي قل خطين^(١) » ويريد يعني منه .

فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ، والخطأ والصواب ، والإغلاق والإبانة ، والملحون والمُعَرَّب ، كله مهم سواء ، وكله بيانا . وكيف يكون ذلك كله بيانا ، ولولا طول مخالطة السامع^{للسامع} للعجم وسماعه للفاسد من الكلام ، لما عرّفه . ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة^{عربان} الرُومي والصَّقلبي ، وإن كان هذا الاسم^{الاسم} إنما يستحقونه بأننا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم . فنحن قد نفهم بحمّة الفرس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بضغاء السنور كثيراً من إرادته^(٢) . وكذلك السكاب^(٣) ، والجمار ، والصبي الرضيع .

(وإنما نفي العتابي إفهامك العرب حاجتك على تجاري كلام العرب الفصحاء . وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا : « مُكره أخاك لا بطل » . و : « إذا عز أخاك فهن^(٤) » . ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم : ذهبت إلى أبوزيد ، ورأيت أبي عمرو^(٥) . ومتى وجد النحويون أعرايا يفهم هذا وأشباهه بهر جوه ولم^(٦))

(١) فيما عدل ، ه : « خطين » .

(٢) ب فقط : « إرادته » . وانظر الحيوان (١ : ٣٣) .

(٣) جاء هذا المل وسابقه على لغة من يعرف الأب والأخ إعراب المقصور مطلقا .

(٤) هذا على الحكاية . انظر مع الهوامع (٣ : ١٥٤) .

يسمعوا منه^(١) ؛ لأنّ ذلك يدلّ على طول إقامته في الدار التي تُفسد اللغة وتنقص البيان . لأنّ تلك اللغة إنما انتقلت واستوت ، وأطردت وتكاملت ، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة ، [وفي تلك الجزيرة^(٢)] ، ولقد اخطأ من جميع الأمم .

ولقد كان بين زيد بن كثوة^(٣) يوم قدّم علينا البصرة ، وبينه يوم مات بون بعيد . على أنّه قد كان وضع منزله في آخر موضع الفصاحة وأول موضع العجّة ، وكان لا ينفك من رواية ومذاكرين .

وزعم أصحابنا البصريّون عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال : لم أر قرويّين أفصح من الحسن والحجاج ، وكان — زعموا — لا يبرّهما من اللحن .

١٠٩ وزعم أبو العاصي أنّه لم ير قرويّاً قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس ، إلّا ما تفقده من أبي زيد النحويّ ، ومن أبي سعيد المعلم . وقد روى أصحابنا أن رجلاً من البلديّين قال لأعرابيّ : « كيف أهلك » قالها بكسر اللام . قال الأعرابيّ : صلباً . لأنّه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنّه أراد المسألة عن أهله وعياله . وسمعت ابن بشير^(٤) وقال له أبو الفضل العنبريّ^(٥) : إني عثرت البارحة بكتاب ، وقد التقطته ، وهو عندي ، وقد ذكروا أنّ فيه شعراً ، فإن أردته

(١) ل : « ولم يسمعوا كلامه » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) فيما عدل : « يزيد بن كوة » تحريف ، جاء على الصواب ، في مواضع متعددة من الحيوان . وفي اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهريّ : وكوة ، بالصح : اسم أم شاعر ، وهو زيد بن كثوة ، وهو القاتل :

ألا إن قومي لا تلت قدورهم ولكننا يوقدن بالمذرات .

(٤) هو على بن بشير ، كما سيأتي في (٢ : ٢٢١) .

(٥) أبو الفضل العنبري ، يبدو أنّه أحد الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروى عنهم العلماء . ل : « أبو الفضل » .

ذكر ما قالوا في مديح اللسان

بالشعر الموزون واللفظ المنشور ، وما جاء في الأثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

أرى الناس في الأخلاق أهلَ نخلقِ وأخبارهم شتى فُعرف ومُنكر^(١)
 قريباً تدانِيهم إذا ما رأيتهم ومختلفاً ما بينهم حين تَخبر^(٢)
 فلا تحمدنَّ الدهرَ ظاهرَ صفحةٍ من المرء ما لم تَبْلُ ما ليس يظهر^(٣)
 فما المرء إلا الأصفران : لسانه ومَعقُولُه ، والجسم خلقٌ مُصَوَّرُ^(٤)
 وما الزَّين في ثوب تراه وإنما يَزِينُ الفتى مَجْبُورُه حين يُخَبَّرُ^(٥)
 فإن طُرَّةً راقَتكَ مِنْهُ فربَّما أَمراً مَذَاقُ العود والعودُ أخضر^(٦)

وقال سويد بن أبي كاهل^(٣) في ذلك :

وَدَعَتْنِي بِرُقَاها إِنها تُنْزِلُ الأعصمَ من رأسِ اليَفْعِ^(٤)
 تُسْمِعُ الحَدَاثَ قولاً حسناً لو أرادوا مِثْلَه لم يُسْتَطِعْ^(٥)

(١) التخلق : أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه . قال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق

(٢) فيما عدال : « راقنك منهم » . أمر : صار مرأ .

(٣) سويد بن أبي كاهل اليشكري ، نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية دهرأ ، وعمر في الإسلام عمراً طويلاً : عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة .

الإصابة ٣٧١٦ والأغانى (١١ : ١٦٥ - ١٦٧) . وقصيدته هذه العينية مفضلية . انظر المفضليات (١ : ١٨٨) . وكانت العرب تسميها اليتيمة لما اشتملت عليه من الأمثال ، كما في الإصابة .

(٤) جعل حديثها كالرقية في قوة أثرها . والأعصم : الوعل الذي في يديه بياض . واليفع

واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) في المفضليات : « لو أرادوا غيره لم يستمع » .

ولساناً صَيرَفِيًّا صارماً كذُباب السَّيف ما مَسَّ قَطَعُ^(١)
 وقال جرير:

وليس لِسيفي في العظام بَقِيَّةٌ وَللسَّيفِ أَشْوَى وَقَعَةً من لِسَانِيَا^(٢)
 ١٠٤ وقال آخر:

وَجُرْحُ السَّيفِ تَدْمُهُ وَيَبْرَأُ وَيَبْقَى الدَّهْرَ ما جَرَحَ اللِّسَانُ^(٣)
 وقال آخر:

أَبَا ضُبَيْمَةَ لَا تَعْجَلْ بِسَيْثَةٍ إِلَى ابن عمك واذكُرْهُ بِإِحْسَانٍ
 إِمَّا تَرَانِي وَأَثَوَابِي مُقَارِبَةً لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا من حُرٍّ كَتَّانٍ^(٤)
 فَإِنَّ في المجد هِمَّتَانِي وَفِي لُغَتِي عُلوِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانٍ
 وفيما مدحوا به الأعرابي إذا كان أديباً ، أنشدني ابن أبي كريمة ، أو ابنُ
 كريمة ، واسمه أسود^(٥) :

أَلَا زَعَمْتُ عَفْرَاهُ بِالشَّامِ أَنَّنِي غُلَامٌ جَوَارٍ لَا غُلَامٌ حُرُوبٌ
 وَإِنِّي لِأَهْدِي بِالْأَوَانِسِ كَالدَّمَى وَإِنِّي بِأَطْرَافِ الْقَنَا لِلْعُوبِ^(٦)

(١) لا رابطة بين هذا البيت وسابقه ، فإن الأولين في التشبيب ، وفي الفخر ،
 وبينهما في القصيدة أكثر من ثمانين بيتاً . وقبل هذا البيت :

ورأى منى مقاما صادفاً ثابت الموطن كتمام الوجع

ذباب السيف : حده . وفي المفضليات وسائر النسخ : « كحسام السيف » ، وهو حده .

(٢) أي سيفي مع قوته ، هو أشوى وقعة من لساني ، أي لساني أشد منه فتكا .

وأشوى من الشوى ، وهو إخطاء المقتل . فيما عدال : « ولا السيف » صوابه ما أثبت من
 ل والديوان ٦٠٦ .

(٣) البيت في اللسان (دمل) . وفي هـ : « وجرح » موضع « ويبقى » .

(٤) المقارب ، بكسر الراء : الرخيص ؛ أو الوسط بين الجيد والردى .

(٥) انظر ما سبق في ص ١٤٣ .

(٦) هذى به : ذكره في هذائه ، وهو الهذيان . فيما عدال ، هـ : « لأهذى » .

ولماني على ما كان من عُنْجُمِيَّتِي وَلُوْثَةُ أَعْرَابِيَّتِي لِأَدِيبٍ^(١)
وقال ابن هرمة^(٢) :

لله دَرْكٌ مِنْ فِتْيَ فَجَعَتْ بِهِ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِبَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ
فَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ
وقال كعب بن سعد الغنوي^(٣) :

حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَّارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ جَمِيلُ الْمَحْيَا شَبٌّ وَهُوَ أَدِيبُ
إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرَّجَالُ تَحَفَّظُوا فَلَمْ تُنْطَقِ الْعُورَاءُ وَهُوَ قَرِيبُ^(٤)
وقال الحارثي :

وَتَعْلَمُ أَنِّي مَاجِدٌ وَتَرَوْعُهَا بَقِيَّةُ أَعْرَابِيَّةٍ فِي مُهَاجِرِ
وقال الآخر :

وإِنْ أَمْرًا فِي النَّاسِ يُعْطَى ظُلَامَةً وَيَمْنَعُ نِصْفَ الْحَقِّ مِنْهُ لِرَاضِعٍ^(٥)
أَلْمُوتَ يَخْشَى أَتَكَلَّ اللَّهُ أُمَّهُ أَمِ الْعَيْشِ يَرْجُو نَفْعَهُ وَهُوَ ضَائِعُ
وَيَطْعَمُ مَا لَمْ يَنْدَفِعْ فِي مَرِيئِهِ وَيَمْسَحُ أَعْلَى بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعُ
وإِنْ الْعَقُولَ فَاعْلَمَنَّ أَسَنَةً حِدَادُ النَّوَاحِي أَرْهَفَتْهَا الْمَوَاقِعُ^(٦)
ويقولون : « كَأَنَّ لِسَانَهُ لِسَانُ ثَوْرٍ » .

- (١) اللوثة ، بالفتح والضم : الحمفة . والأديب : ذو الأدب ، وهو الظرف .
(٢) الأبيات التالية نسبت في الحماسة (١ : ٣٣٤) إلى محمد بن سير الحارثي .
(٣) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، الظاهر أنه نابغي . انظر المرزباني ٣٤١ .
٢٠ : الخزانة (٣ : ٦٢١) وسط اللآلي ٧٧١ والشيخان ٢٦٠ .
(٤) البيتان من فصيحة في الأصمعيات ٩٤ طبع المعارف . والعوراء : الكلمة القبيحة .
(٥) ل : « وإن امرأ يعطى عليه » . والنصف ، بالكسر : الإنصاف . وأنشد للفرزدق :
ولكن نصفاً لو سبيت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم
والراضع : اللثيم ؛ رضع : أوم ، وزنا ومعنى .
(٦) المواقيع : جمع ميقعة ، وهي المسن الطويل .

وحدَّثني مَنْ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يمدح رجلاً بَرَقَ اللسان فقال : « كانَ واللهِ لسانُهُ أرقَّ من وَرَقَةٍ ، وألينَ من سَرَقَةٍ ^(١) » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحَسَّانَ بنِ ثابت : ما بَقِيَ من لسانِكَ ؟ فأخرجَ لسانَهُ حتَّى ضربَ بَطْرَفَهُ أَرْنَبَتَهُ . ثمَّ قال : « واللهِ ما يَسُرُّني بهِ مِقْوَلٌ من مَعْدٍ ، واللهِ أن لو وضَعْتُهُ على حَبَرٍ ^(٢) لفلَقَهُ ، أو على شَعِرٍ لَحَلَقَهُ » .

قال : وسمعتُ أَعْرَابِيًّا يصفُ لسانَ رجلٍ ، فقال : « كانَ يَشُولُ بلسانِهِ شَوْلَانَ البروقِ ، ويتخلَّلُ بهِ تَخَلُّلَ الحَيَةِ » . وأظنَّ هذا الأعرابيَّ أبا الوجيه العُكْلِيَّ .

[يشول : يرفع . البروق : الناقة إذا طلبت الفحل فإنها حينئذ ترفع ذنبها . وإنما سُمِّيَ شَوْلٌ شَوْلًا لأنَّ الثَّوْقَ شالت بأذنانها فيه . فإن قال قائل : قد يتفق أن يكون شَوْلٌ في وقتٍ لا تشول الناقة بذنبها فيه ، فلم يبق هذا الاسم عليه ، وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق ^(٣) أن شالت الثَّوْقُ بأذنانها فيه ، فبقي عليه كالسَّمة ، وكذلك رمضانُ إنما سُمِّيَ لَرَمَضِ الماء فيه وهو في شِدَّةِ الحرِّ ، فبقي عليه في البرد . وكذلك ربيعٌ ، إنما سُمِّيَ لَرَعِيمِ الربيع فيه ، وإن كان قد يتفق هذا الاسم في وقت البرد والحرِّ ^(٤)] .

قال : ووصفَ أعرابيٌّ رجلاً فقال : أتيناه فأخرجَ لسانَهُ كأنه مَخْرَاقٌ لَاعِبٌ ^(٥) .

(١) السرق ، بالتحريك : شقائق من جيد الحرير أو أبيضه ؛ معرب من الفارسية « سره » . انظر اللسان والمعرب ١٨٢ ، ومعجم استينجاس ٦٨٠ .

(٢) فيما عدال : « على صخر » .

(٣) هذه العبارة جميعها ليست في ل .

(٤) المخرق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .

قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ،
فيم الجمال ؟ قال : في اللسان .

قال : وكان مجاشع بن دارم ^(١) خطيباً سليطاً ، وكان نهشل ^(٢) بكيثاً
منزوراً ^(٣) ، فلما خرجاً من عند بعض الملوك عذله مجاشع في تركه الكلام ،
فقال له نهشل : إني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك ، تشول بلسانك
شولان البروق ، وتخلل تخلل الباقرة .

وقالوا : أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة ، ثم الإنس ، ثم الجن . وإنما
صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل ، وبالأستطاعة على التصرف ، وبالمنطق .
قال : وقال خالد بن صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ،
أوبهيمة مهملة .

قال : وقال رجل لخالد بن صفوان : ما لي إذا رأيتم تتذاكرون الأخبار
وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع على النوم ؟ قال : لأنك حمار في
مسلخ إنسان ^(٤) .

وقال صاحب المنطق : حد الإنسان الحى الناطق المبين ^(٥) .

وقال الأعور الشني ^(٦) :

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر . المعارف ٣٥
وكان غالب بن صمصمة والد الفرزدق سيد بني مجاشع . الاشتقاق ١٤٧ .

(٢) نهشل : أخو مجاشع . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٩٣ .

(٣) المنزور : القليل الكلام ، لا يتكلم حتى ينزر ، أى يلح عليه .

(٤) المسلخ : الجلد .

(٥) انظر ما سبق في ص ٧٧ ص ٥ .

(٦) الأعور الشني ، هو بشر بن منقلد ، أحد بني شن بن أفضى بن عبد القيس بن أفضى
ابن دعى بن جديلة بن أسد . قال صاحب الموفلف ٣٨ : « شاعر خبيث ، وكان مع علي رضي
الله عنه يوم الجمل » . والبيتان التاليان ليسا له ، بل هما لزهير في معلقته .

١ وكأئن ترى من صامت لك مُعجبٍ زيادته أو نقصه في التَّكَلُّمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ قُوَّاده فلم يَبْقَ إِلَّا صورةُ اللحمِ والدمِ.

ولما دخل ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ^(١) ، على النُّعْمَان بن المنذر ، زَرَى عليه ، للذي
رَأَى مِنْ دَمَامَتِهِ وَقِصَرِهِ وَقِلَّتِهِ . فقال النُّعْمَان^(٢) : « تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ لَا أَرَى
تَرَاهُ^(٣) » . فقال : أَيْبَتَ اللَّعْنِ ! إِنَّ الرِّجَالَ لَا تُكَالُ بِالْقُفْزَانِ^(٤) ، وَلَا تُوزَنُ
بِالْمِيزَانِ ، وَلَيْسَتْ بِمَسْوَكٍ يُسْتَقَى بِهَا ، وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، إِذَا
صَالَ صَالٌ بِجَنَانٍ ، وَإِنْ قَالَ قَالَ بِبَيَانٍ^(٥) . ^{مِنْ قَوْمِ قَوْمٍ}
وَالْيَمَانِيَّةُ تَجْعَلُ هَذَا لِلصَّقْعَبِ النُّهْدِيِّ^(٥) . فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ
أَقْرَأُوا بِأَنْ نُهْدَا مِنْ مَعْدٍ .

وكان يقال : « عقلُ الرَّجُلِ مدفون تحت لسانه » .

(١) قال ابن دريد في الاشتقاق ١٤٩ في ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة
ابن ضمرة ، وكان من رجال بني تميم في الجاهلية لسانا وبيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة
فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة » . وفي أمثال الميداني (١ : ١١٨) أن اسمه كان « شقة » ،
وهو الصواب إذ ورد فيه من الشعر :

١٥

صرمت إخاءَ شقة يوم غول وإخوته فلا حلت حلالى

(٢) في أمثال الميداني أن صاحب الخبر ، هو المنذر بن ماء السماء ، لا النعمان .

(٣) المعيدى : تصغير رجل منسوب إلى معد . وكان الكسائي يرى التشديد في الدال .

انظر اللسان (معد) . ويروى : « لأن تسمع بالمعيدى خير » و : « أن تسمع » .

٢٠

(٤) القفزان : جميع قفيز ، وهو مكيال قدره ثمانية مكاكيل عند أهل العراق .

(٥) من بني نهد . قال ابن دريد في الاشتقاق ٣٢٠ : « ومن رجالهم الصقعب ، الوافد

إلى النعمان . واسم الصقعب خيثم بن عمرو ، وكان سيد بني نهد قد أخذ مرباعهم دهرًا ، وله

حديث في دخوله إلى النعمان . وقال قوم : بل اسمه البراء بن عمرو » .

وباب آخر في ذكر اللسان

أبو الحسن : قال : قال الحسن : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت . وقلبُ الجاهل من وراء لسانه ، فإن همَّ بالكلام تكلم به له أو عليه » .

قال أبو عبيدة : قال أبو الوَجِيه : حدثني الفرزدق قال : كُنَّا فِي ضِيَافَةِ

معاويةَ بنِ أبي سفيان ، ومعنا كعب بن جُعَيْل التَّغْلَبِيُّ ، فقال له يزيد : إن [ابن حَسَّان — يريد ^(١)] عبد الرحمن بن حَسَّان — قد فضَحْنَا ! فاهجُ الأنصارَ .

قال : أَرَادَ أَنْتَ إِلَى الْإِشْرَافِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ^(٢) ، لَا أَهْجُو قَوْمًا نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى غَلَامٍ مِنَّا نَصْرَانِي كَانَ لِسَانَهُ لِسَانُ ثور . يعني الأخطل .

وقال سَعْدُ بنُ أَبِي وقاصٍ ، لَعُمَرَ ابْنِهِ ^(٣) حِينَ نَطَقَ مَعَ الْقَوْمِ فَبَذَّهِمْ ، وَقَدْ كَانُوا كَلَّمُوهُ فِي الرِّضَاعِ عَنْهُ . قال : هَذَا الَّذِي أَغْضَبَنِي عَلَيْهِ ، أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَكُونُ قَوْمٌ يَا كُلُّونَ الدُّنْيَا بِالسِّنَتِمْ ، كَمَا تَلَحَّصُ الْأَرْضَ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا » .

قال : وقال معاويةُ لعمرو بن العاصي : « يا عمر ، إنَّ أهلَ العراق قد أَكْرَهُوا عَلَيَّا عَلَى أَبِي موسى ، وَأَنَا وَأَهْلُ الشَّامِ رَاضُونَ بِكَ ، وَقَدْ ضُمَّ إِلَيْكَ رَجُلٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ ، قَصِيرُ الرَّأْيِ ، فَأَجِدُ الْحَزَّ ، وَطَبَّقَ الْمَفْصِلَ ، وَلَا تَلْقَهُ إِلَّا بِرَأْيِكَ كُلِّهِ » .

معاوية - عمرو بن العاصي -
نصف من الدنيا - برا بديار

(١) هذه مما عدل .

(٢) فيما عدل : « الإسلام » .

(٣) عمر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعي ثقة ، وهو الذي قتل الحسين ، ولد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقتل سنة ٦٧ . انظر تهذيب التهذيب .

- والعجب من قول ابن الزبير للأعراب : « سلاحكم رث ، وحديثكم غث . وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نصره ^(١) وعبيد الله ابن أبي بكر ^(٢) إنما كانا يحكيانه . فلا أدري إلا أن يكون حُسن حديثه هو الذي ألقى الحسدَ بينه وبين كلِّ حَسَن الحديث .
- وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم في بعض الأعراب ، فأجابه رجلٌ من أهل المدينة بكلام لم يظنَّ خالد أن ذلك الكلام كان عنده ، فلما طال بهما المجلسُ كان خالداً ^(٣) عرض له ببعض الأمر ، فقال المدني : « يا أبا صفوان ، مالي من ذنبٍ إلا اتفاق الصناعتين » . ذكر ذلك الأصمعي .
- قال فضال الأزرق : قال رجلٌ من بني منقر : تكلم خالد بن صفوان في صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله ، فإذا أعرابيٌّ في بَت ^(٤) ، ما في رجليه حذاء ، فأجابه بكلامٍ وددتُ والله أني كنت مُتٌ وأن ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل بي قال : يا أخا منقر ، كيف نجاريهم وإنما نحكيهم ، وكيف نُسَابُهُم وإنما نَجْرِي على ما سبق إلينا من أعرافهم ؛ فليُفْرِخ رُوعَكَ فإنه من مُقَاعِسٍ ، ومُقَاعِسٌ لك . فقلت : يا أبا صفوان ، والله ما ألومك على الأولى ، ولا أدعُ حَمْدَكَ على الأخرى .

- (١) أبو نصره ، هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدى . تابعي روى عن علي وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبي عروبة ، وكان من فصحاء الناس . توفي سنة ١٠٩ . تهذيب التهذيب . وقطعة بضم ففتح كما في التقريب .
- (٢) أبو بكره ، اسمه نفيح بن الحارث بن كلدة ، أسلم ومات في خلافة عمر ، وكان تدلى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكره . الإصابة ٢٠ . ٨٨٩٤ . وقد توفي عن أربعين ولداً من بين ذكر وأنثى ، وأعقب بهم سبعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، ورواد ، وعتبة . فكان عبيد الله من أجل الناس وأشجعهم . ولله الحجاج سجستان سنة ٨٧ فغزا بلاد العدو فهلك هناك في مجاعة . المعارف ١٢٥-١٢٦ . ب : « بن أبي بكر » تحريف .
- (٣) كذا وردت العبارة مضبوطة في ل ، هـ : وفي سائر النسخ : « كان خالد عرض » . ٢٥
- (٤) البت ، بالفتح : كساء غليظ مربع .

قال أبو اليقظان : قال عمر بن عبد العزيز : « ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمدّ له في حُجَّتِه حتى يكثر كلامه فأسممه » .

وقال يونس بن حبيب^(١) : ليس في بني أسد إلا خطيب ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيل إلا شاعر ، أو رام ، أو شديد العدو .

الترجمان بن هريم بن عدي بن أبي طحمة^(٢) قال : دعى رقية بن مصقلة ، أو كرب بن رقية^(٣) إلى مجلس ليتكلم فيه ، فرأى مكان أعرابي في شملة^(٤) ، فأنكر موضعه ، فسأل الذي عن يمينه عنه فخبّره أنه الذي أعدّوه لجوابه ، فنهض مسرعاً لا يلبس على شيء ؛ كراهة أن يجمع بين الدّيباجتين فيتضجع عند الجميع . وقال خلاد بن يزيد : لم يكن أحد بعد أبي نضرة أحسن حديثاً من سلم ابن قتيبة^(٥) . قال : وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول : احذفوا الحديث كما يحذفه سلم بن قتيبة .

٩٠٨

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبّي ، إمام نخاعة البصرة في عصره . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيويه وروى عنه في كتابه . وعنه أخذ الكسائي والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد . ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٨٢ . معجم الأدباء وابن خلكان .

(٢) الترجمان بن هريم ، قال ابن قتيبة في المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ، وعلى بني حنظلة في فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبي طحمة كان شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدي بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب ، وكبر هريم فحول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقليل له : إنك لا تحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإني أحمو الصحف ! وفي القاموس : « وأبو طحمة عدي بن سارثة من الشرفاء » .

(٣) ل : « كوز بن رقية » . وفي المعارف ١٧٧ من يسمى « كرب بن مصقلة بن رقية » ، وأنه كان خطيباً ، وله خطبة يقال لها العجوز .

(٤) الشملة ، بالفتح : كساء دون القטיפفة يشتمل به .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلي ، كان أبوه والي خراسان أيام الحجاج . وأما سلم فوليا أيام هشام بن عبد الملك ، وولاه المنصور البصرة ، روى عنه الأصمعي ، وخلاد بن يزيد الأرقط ، وأبو عاصم النبيل وغيرهم . مات سنة ١٥٩ وصل عليه المهدي . تهذيب التهذيب . فيما عدل ، ه : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

١٥

٢٠

٢٥

ويزعمون أنهم لم يروا محدثاً قطُّ صاحب آثارٍ كان أجودَ حذفاً وأحسن
اختصاراً للحديث من سفيان بن عيينة^(١) . سأله مرةً عن قول طاووس^(٢) في
ذكاة الجراد ، فقال : ابنه عنه^(٣) : « ذكاته صيده^(٤) » .

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الكوفي ، وكان محدثاً كثير
الرواية ثقة . توفي سنة ١٩٧ . تهذيب التهذيب ، وصفه الصفوة (٢ : ١٣٠) .

(٢) هو طاووس بن كيسان اليماني البجلي ، وقيل اسمه ذكوان ، وطاوس لقب له ، مولى
من أبناء الفرس . روى عن العبادلة الأربعة ، وأبي هريرة وعائشة ، وروى عنه ابنه عبد الملك
وعمر بن دينار وغيرهم . وكان من عباد أهل اليمن وسادات التابعين توفي سنة ١٠٦ . تهذيب
التهذيب وصفه الصفوة (٢ : ١٦٠) .

(٣) يريد « حدثني ابن طاووس عن طاووس » وابنه الذي يعنيه هو عبد الله بن طاووس ،
روى عن أبيه وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم ، وروى عنه أبناء : طاووس ومحمد ، وعمر بن
دينار ، والسفيانان . توفي سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدل : « أخاه » . والمراد بالذكاة : الذبح ، ومثلها الذكاة والتذكية .
فيما عدل ، هـ : « ذكاة » و « ذكاته » بالزاي ، تحريف . والخبر في عيون الأخبار .
(٢ : ٢١٠) .

وباب آخر

وكانوا يمدحون شدة العارضة ، وقوة المنّة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ،
وكثرة الرقيق ، والعلو على الخصم ؛ ويهجون بخلاف ذلك . قال الشاعر :
طباقاء لم يشهد خصوماً ولم يعيش حميداً ولم يشهد حلالاً ولا عطراً^(١)
وقال أبو زبيد الطائي :

وخطيب إذا تمعّرت الأو جهُ يوماً في ماقطٍ مشهور^(٢)
طباقاء ، يقال للبعير إذا لم يُحسن الضراب : جملٌ عيياء ، وجمل طباقاء .
وهو هاهنا للرّجل الذي لا يتّجه للحجة . الحلال : الجماعات ؛ ويقال حتى حلال^(٣)
إذا كانوا متجاورين مقيمين^(٤) . والعطر هُنا : العُرس^(٥) . الماقط : الموضع
الضيّق ، والماقط : الموضع الذي يُقتتل فيه . وقال نافع بن خليفة الغنوي :
وخصم لَدَى بابِ الأمير كأنهم قُرُومٌ فشأ فيها الزوائر والهدر^(٦)
دلّفت لهم دُونَ المني بملّة من الدّر في أعقاب جوهرها شذر^(٧)
إذا القومُ قالوا أذن منها وجدتها مُطبّقة يهماء ليس لها خضر^(٨)
القرُوم : الجمالُ المصاعب . الزوائر : الذين يزرون^(٩) . والهدر : صوته عند
هَيْبته ، ويقال له الهدير . دلّفت ، أي نهضت نهوضاً رويداً . والدّليف :

(١) أنشده في اللسان (طبق ٨٣) . وقد سبق نظيره في ١١٠ س ٢ .

(٢) البيت من قصيدة طويلة في جمهرة أشعار العرب ١٣٨ - ١٤١ . تمعّرت .
بالعين المهملة : تغيرت وعلتها صفرة .

(٣) حلال : جمع حلة ؛ بالكسر ، وهم القوم النزول وفيهم كثرة .

(٤) فيما عدال ، هـ : « الحرس » تحريف .

(٥) عني بالملة : القصيدة أو الخطبة .

(٦) فيما عدال ، هـ : « يزأرون » وكلاهما صواب ، يقال زأر يزأر ويزئر .

المشي الرّويد^(١) . قوله أذن منها ، أى قلها واختصرها . وجدتها مطبقة ، أى قد طبقتهم بالحجة . واليهما : الأرض التى لا يهتدى فيها لطريق . ويهما ١٠٩ هاهنا ، يعنى التى لا يهتدى إليها ويضل الخصوم عندها ؛ [والأيهما من الرجال : الحار الذى لا يهتدى لشيء . وأرض يهماء ، إذا لم يكن فيها علامة^(٢)] .

وقال الأسلع بن قِصاف الطهوي^(٣) :

فداء لقومى كلّ معشر جارم طريد ومخذول بما جرّ مسلم^(٤)
هم أفحموا الخضم الذى يستقيدني وهم فصموا حجلي وهم حقنوا دمي^(٥)
بأيدٍ يُفرّجن المضيق والأُن سلاطٍ وجمع ذى زُهاء عرمرم
إذا شئت لم تغدّم لدى الباب منهم جميل المحيّا واضحاً غير توأم

الزُهاء : الكثرة ، هاهنا . والعرمرم من العرامة ، وهى الشراسة والشدة^(٦) .
التوأمان : الأخوان المولودان فى بطن .

وقال التميمي فى ذلك :

أما رأيت الألسن السلاطاً إن الندى حيث ترى الضفاطاً^(٧)
* والجاه والإقدام والنشاط *

١٥ (١) بدل هذه العبارة فيما عدل : « دلفت : دنوت » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) فى الأصل : « الأسلع بن قطاف » . صوابه من المؤلف ٤٤ ونوادى أبى زيد ١٩٩ . وقصاف ، ككتاب ، من أسماهم .

(٤) جر ، أى جنى جناية . والمسلم : الذى أسلمه قومه .

٢٠ (٥) يستقيده : يطلب القود منه . فصموا : كسروا . فيما عدل : قصموا « بالقاف » . وحجلا القيد : حلقناه .

(٦) فى اللسان : « وجيش عرمرم : كثير ، وقيل هو الكثير من كل شيء » . والعرمرم : الشديد .

(٧) الندى : الكرم . الضفاط ، بالكسر : الزحام ، وهو من القلب ، أراد :

٢٥ إن الزحام حيث ترى الكرم . والبيت رواه الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ والحيوان (٥ : ٤٤٥) .

(١٢ - البيان - أول)

ذهب في البيت الأخير إلى قول الشاعر^(١) :

يسقط الطير حيث ينتثر الحبُّ وتُغشى منازلُ الكرماء

وإلى قول الآخر :

يرفضُ عن بيت الفقير ضيوفهُ وترى الغنى يَهْدِي لك الزُّوَارَا

• وأنشدوا في المعنى الأول :

وخطيب قومٍ قدَّموه أمامهم نقيةً به مُتَخَمَّطٍ تِيَّاحٍ
جاوبتُ خطبته فضلُ كأنه لَمَّا خطبتُ مملَّحٌ بِمِلَاحٍ^(٢)

المتخمَّط : التكبر مع غَضَب . والتَّيَّاح المَتَّيَّح : الذي يعرض في كلِّ شيء
ويدخل فيما لا يعنيه . وقوله مملَّحٌ بِمِلَاح ، أى متقبَّض كأنه مُلَّح من الملح .

١٠ وأنشد أيضاً :

١١٠ * أرقتُ لِيَصْوءَ بَرْقٍ فِي نَشَاصٍ تَلَالُأُ فِي مَمْلَآةٍ غِيصَاصٍ^(٣)

النشاص : السَّحَاب الأبيض المرتفع بعضه فوق بعض ، وليس بمنبسط . تلالُأُ ،

التلالُؤ : ظهور البرق^(٤) في بُرْعَةٍ . مملآة بالماء . غِيصَاص : قد غُصَّت بالماء .

لَوَاقِحَ دُلَّحٍ بِالماء سُحْمٍ تُمَجُّ الغَيْثُ من خَلَلِ الْخِصَاصِ

١٥' اللواقح : التي قد لقحت من الرِّيح . والدُّلَّح : الدانية الظاهرة المثقلة بالماء .

سبحم : سود . والخِصَاص ، هاهنا : خَلَل السحاب^(٥) .

(١) هو بشار بن برد ، والبيت من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . وقبل البيت ،
كما في الأغاني (٣ : ٤٣) :

إنما لدة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب اللقاء
أيس يعطيك الرجاء ولا الخوف ولكن يلد طعم العطاء

(٢) الملاح ، بالكسر : جمع ملح .

(٣) البيت مع تالييه في اللسان (نصح) .

(٤) ل : « الظهور بلبق » .

(٥) ورد هذا التفسير في ل بعد نهاية هذه الإبيات .

سَلِ الْخُطْبَاءَ هَلْ سَبَّحُوا كَسَبَجِي بِحُورِ الْقَوْلِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي
لِسَانِي بِالنَّثِيرِ وَبِالْقَوَافِي وَبِالْأَسْجَاعِ أَمَهْرُ فِي الْغَوَاصِ^(١)
[النَّثِيرُ : الكلام المنثور . القوافي : خواتم أبيات الشعر . الأسجاع : الكلام
المزدوج على غير وزن^(٢)] .

٥ مِنْ الْحَوْتِ الَّذِي فِي لُجٍّ بِحْرِ مُجِيدِ الْغَوَاصِ فِي لُجَجِ الْمَغَاصِ
لِعَمْرُكَ إِنِّي لِأُعِفُّ نَفْسِي وَأُسْتُرُ بِالتَّكْرُّمِ مِنْ خَصَاصِي^(٣)
وَأُنْشِدُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي نَاشِبِ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :
لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ يُضِيءُ لَنَا إِذَا الْقَمَرَانِ غَارَا^(٤)
وَمَنْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ ابْنِي نِزَارٍ فَلَيْسَ بِأَوَّلِ الْخُطْبَاءِ جَارَا^(٥)
وَأُنْشِدُ لِلْأَقْرَعِ^(٦) :

١٠ إِنِّي امْرُؤٌ لَا أَقِيلُ الْخَصْمَ عَثْرَتُهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ إِذَا مَا خَصَّمَهُ ظُلْمًا
يُنِيرُ وَجْهِي إِذَا جَدَّ الْخِصَامُ بَنَا وَوَجْهُهُ خَصِمِي تَرَاهُ الدَّهْرَ مُلْتَمِعًا^(٧)
وَأُنْشِدُ :

تَرَاهُ بِنَصْرِي فِي الْحَفِيزَةِ وَائْتَقًا وَإِنْ صَدَّ عَنِ الْعَيْنِ مِنْهُ وَحَاجِبُهُ^(٨)
وَأِنْ خَطَرَتْ أَيْدِي الْكُفَاةِ وَجَدْتَنِي نَصُورًا إِذَا مَا اسْتَيْبَسَ الرِّيقَ عَاصِبُهُ
١٥

(١) لم أجد هذا المصدر ، وفيه شذوذ تصريحي . وقد ذكر في القاموس : « الغياص » .

(٢) هذا التفسير مما عدل .

(٣) الخصاص هنا بمعنى الفقر وسوء الحالة والحاجة .

(٤) القمران : الشمس والقمر ، على التغليب .

(٥) أبا نزار : ربيعة ومضر . فيما عدل : « أبي نزار » . جار : طلم .

(٦) الأقرع القشيري ، وهو الأشيم بن معاذ بن سنان ، وقيل هو معاذ بن كليب بن حزن .

كان يناقض جعفر بن علبه الحارثي اللص ، وكان في أيام هشام بن عبد الملك . المرزبان ٣٨ .

(٧) القمع لونه ، بالبناء للمفعول : ذهب وتغير . وفي هامش ل : « خ : متقعا » .

يقال انمع لونه بالبناء للمفعول : تغير .

(٨) البيتان لأتروس بن بشامة الحنظلي . انظر نوادر أبي زيد ٢٠ واللسان (عصب ٩٨) . ٢٥

عاصبه : يابسه ، يعتصم به ^(١) حتى يُتِمَّ كلامه . الكمأة : جمع كمى ؛ والكمى الرجل المتكى بالسلاح ، يعنى التكفر به * المتستر . ويقال كمى الرجل شهادته ١١ يكميها ، إذا كتمها وسترها . وقال ابن أحرار وذكر الريق والاعتصام به : هذا الشئ وأجدر أن أصاحبه وقد يدوم ريق الطامع الأمل ^(٢) وقال الزبير بن العوام ، وهو يرقص عروة ابنه :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
* أذه كما ألد ريق *

وقال امرأة من بنى أسد ^(٣) :

ألا بكر الناعي بخير بنى أسد بعمر بن مسعود والسيد الصمد ^(٤)
فمن كان يغيا بالجواب فإنه أبو معقل لا حجر عنه ولا صدأ
أثاروا بصحراء الثوية قبره وما كنت أخشى أن تنأى به البلد
[تنأى : تبعد ^(٥)] . والثوية : موضع بناحية الكوفة ^(٦) . ومن قال
الثوية فهي تصغير الثوية .

وقال أوس بن حجر في فضالة بن كلداء :

أبا دليجة من يوصى بأرملة أم من لأشعث ذي طمرين طملا ^(٧)
أم من يكون خطيب القوم إن حفلوا لدى الملوك أولى كيد وأقوال ^(٨)

(١) ل : « طالبه ليعتصم به » تحريف .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٣٢١ / ٣ : ٤٧) .

(٣) هي هند بنت معبد بن فضلة ، ترضى عمرو بن مسعود وخالد بن فضلة . معجم البكري ٩٩٦ .

(٤) رواه في المخصص (١٧ : ١٥٢) : « بخير بنى أسد » . وفي (١٢ : ٣٠١) ذكر أن هذه الرواية الأخيرة هي رواية أبي عمرو . وهي رواية اللسان (صمد) . وانظر شروح سقط الزند ١٧١٦ .

(٥) هذه بما عدل .

(٦) فيما عدل : « موضع يقال له صحراء الثوية » .

(٧) ديوان أوس بن حجر ٢٣ . وفي ل : « من توصى » . وفيما عدل : « ذى هدمين » .

(٨) هذا البيت لم يرو في الديوان .

و « هدمين ^(١) » . وهما ثوبان خَلَقان ^(٢) . يقال ثوبٌ أهْدَامٌ ، إذا كان خَلَقًا .
والطَّمَلالُ الفقير . وقال أيضًا فيه ^(٣) :

أَلْهَفِي عَلَى حُسْنِ آلائِهِ عَلَى الْجَابِرِ الْحَيِّ وَالْحَارِبِ ^(٤)

وَرِقْبَتِهِ حَمَاتِ الْمَلِكِ بَيْنَ الشَّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ ^(٥)

وَيَكْنِي الْمَقَالََةَ أَهْلَ الدَّحَا لٍ غَيْرَ مَعِيْبٍ وَلَا عَائِبٍ ^(٦)

رقبته ، أى انتظاره إذن الملوك . وجعله بين الشَّرَادِقِ والحَاجِبِ ليدلَّ على
مكاته من الملوك ^(٧) . وأنشد أيضًا :

وَحَضَمَ غَضَابٍ يُنْغَضُونَ رءُوسَهُمْ أُولَى قَدَمٍ فِي الشَّعْبِ صُهْبٍ سِبَالُهَا ^(٨)

١١٢ " ضَرَبْتُ لَهُمْ إِبْطَ الشَّامِ فَأَصْبَحَتْ يَرُدُّ غَوَاةَ آخِرِينَ نَكَالُهَا

إبط الشمال ، يعنى القواد ؛ لأنه لا يكون إلا فى تلك الناحية ^(٩) . وقال
شُتَيْمُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ^(١٠) :

وَقُلْتُ لَسَّ يَدِنَا يَا حَلِي سَمُ إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوَأَ رَفِيقَا ^(١١)

(١) أى ويروى : « ذى هدمين » . (٢) فيما عدال : « هدمين : ثوبين خَلَقَيْنِ » .

(٣) فيما عدال : « وقال أيضًا فى فضالة بن كِلْدَةَ » .

(٤) وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو فى ديوان أوس . الحارب : المحارب ، أو الذى يحرب
للغير ماله ، يسلبه .

(٥) الحَمَات ، لم أجدها إلا هنا ، فإن صححت كانت جمع حَتْمَةٍ ، مرة من الحَتْمِ بمعنى
القضاء وإيجابه . ثم وجدت فى حواشى هـ : « حَمَاتِ الْمَلِكِ : أَقْصِيَّتُهُمُ الَّتِي لَا تَرُدُّ . وَالْحَاجِمُ :
الْقَاضِي » .

(٦) الدحَال : المِراوغة والمخادعة . فيما عدال : « أهل الرحال » .

(٧) هـ : « من الملك » .

(٨) يمال نغض رأسه ينغضه ، وأنغضه ينغضه : حركه . والصمب السبال ، كناية عن
الأعداء . وصهبه السبال من خواص الروم . والصبية : الشقرة والحمرة .

(٩) فيما عدال : « لأنه يكون فى تلك الناحية » .

(١٠) هوشتم بن خويلد ، أحد بنى غراب بن فزارة ، شاعر جاهلى ، وهو بهيئة
التصغير ، كما فى الخزائنة (٤ : ١٦٤) .

(١١) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٨٢ / ٥ : ١٧) ومعجم المرزبانى ٣٩٢ . والأول
منها فى الأضداد لابن الأثير ٢٢٥ والآخر فى المختصر (٢ : ٨٩) والميدانى (١ : ٥٧)
والإنصاف ١٨٧ ، والخزائنة (٢ : ٣٥٨) واللسان (١١ : ٣٨٢) .

أَعْنَتَ عَدِيًّا عَلَى شَأْوِهَا مُتَعَادِي فَرِيقًا وَتُبَقِي فَرِيقًا
 زَحَرْتَ بِهَا لَيْلَةً كُلَّهَا فَجِئْتَ بِهَا مُؤَيِّدًا خَنْفَقِيهَا
 تَأْسُو : تَدَاوِي ، أَسْوَأَ وَأَسَى ، مُصْدِرَان . وَالْأَسَى : الطَّيِّب . وَمُؤَيِّد : دَاهِيَةٌ .
 خَنْفَقِي : دَاهِيَةٌ أَيْضًا . الشَّأْوُ : الْغُلُوَّةُ لِرُكُضِ الْفَرَسِ .
 وَأَنْشُدَ لِأَدَمَ مَوْلَى بَلْعَنْبَرٍ ، يَقُولُهَا لِابْنِهِ ^(١) :

يَا بَأبَى أَنْتَ وَيَا فَوْقَ الْبَيْتِ ^(٢) يَا بَأبَى خُصْيُكَ مِنْ خُصْيِ وَزُبِ ^(٣)
 أَنْتَ الْحَيِّبُ وَكَذَا قَوْلُ الْحَبِ ^(٤) جَنَّبَكَ اللَّهُ مَعَارِيضَ الْوَصْبِ
 حَتَّى تُفِيدَ وَتُدَاوِيَ ذَا الْجَرْبِ ^(٥) وَذَا الْجُنُونِ مِنْ سُعَالٍ وَكَلْبِ
 وَالْحَذْبِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ذَوَا الْحَذْبِ وَتَحْمِلَ الشَّاعِرَ فِي الْيَوْمِ الْعَصْبِ
 عَلَى مَبَاهِيرَ كَثِيرَاتِ التَّعَبِ ^(٦) وَإِنْ أَرَادَ جَدِلَ صَعْبٌ أَرِبُ
 خُصُومَةً تَنْقُبُ أَوْسَاطَ الرُّكْبِ ^(٧) أَظْلَفْتَهُ مِنْ رَتَبٍ إِلَى رَتَبِ
 حَتَّى تَرَى الْأَبْصَارَ أَمْثَالَ الشُّهْبِ يُرْمَى بِهَا أَشْوَسُ مُلْحَاحٍ كَلْبِ
 * مَجْرَبُ الشَّدَاتِ مَيْمُونٌ مِذْبٌ ^(٨) *

الْوَصْبُ : الْمَرَضُ . وَالْعَصْبُ : الشَّدِيدُ . يُقَالُ يَوْمٌ عَصِيبٌ وَعَصِيبٌ وَعَصَبُوبٌ ،
 إِذَا كَانَ شَدِيدًا . مَبَاهِيرُ : مَتَاعِيْبٌ قَدْ عَلَّاهُمُ الْبُهْرُ . أَرِبٌ ، يُقَالُ رَجُلٌ أَرِيبٌ

(١) الرجز التالي أشده ابن منظور في اللسان (١٨ : ١٠ - ١١) وذكر روايته عن
 الجاحظ في البيان والبيان .

(٢) أى فوق قولك : « بَأبَى أَنْتَ » . ويروى : البيب « بالتسهيل .

(٣) فيما عدل ، هـ : « خصييك » . وفي اللسان : « خصياك » .

(٤) في اللسان : « فعل الحب » . (٥) في حواشي هـ : « تفيد مالا » عن نسخة .

(٦) كذا جاءت الرواية ، وتفسيرها فيما بعد يقيدها . لكن في اللسان : « على نهابير » .
 والنهابير : الأمور الشداد الصعبة ، واحداً نهيرة .

(٧) فيما عدل ، هـ : « خصومة تنقب » . والبيت لم يرو في اللسان .

(٨) في اللسان : « مجرب الشكات » .

١١ وأربّ ، وله إربّ ، إذا كان عاقلاً أديباً حازماً . ^(١) أظلمته ^(٢) يقال ظلم الرجل ، إذا جمع في مشيه . الرتبة : واحدة الرتب والربّات ، وهى الدرج . أى تخرجه من شىء إلى شىء . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه . مباح : مُلح ، من الإلاح على الشىء . كلب ، أى الذى قد كلب . مذبذب : أى يذب عن حريمه وعن نفسه .

وقالت ابنة وئيمة ، ترى أباه وئيمة بن عثمان :

الواهب المال التّـلادَ دَ ندَى ويكفينا العظيمة ^(٣)
ويكون مدرّهنّا إذا نزّلت مجلّحة عظيمة
وانحمرّ آفاق السما . ولم تقع فى الأرض ديمة
وتعذر الآكالُ حتّى كان أحمدها المشيمة
لا ثلّة تُرعى ولا إبل ولا بقرٌ مسيمة
ألفيته مأوى الأرا مل والمدفعية اليتيمة
والدافع الخضمّ الألسد إذا تقوضح فى الخصومة
بلسان لقمان بن عا د وفصل خطبته الحكيمه
١٥ أجمتهم بعد التدا فع والتجاذب فى الحكومه

التّـلاد ^(١) : القديم من المال . والطارف : المستفاد . والمدّره : لسان القوم المتكلّم عنهم . مجلّحة ، أى داهية مصممة . احمرّ آفاق السماء ، أى اشتدّ البرد وقلّ المطر وكثّر القحط . وديمة : واحدة الدّيم ، وهى الأمطار الدائمة مع سكون . تعذر : تمنع . الآكال : جمع أكل ، وهو ما يؤكل . والمشيمة : ما تهشم

٧٠ (١) كذا حاءت بالفاء المجمة فى التفسير والشعر قبله . ورواية اللسان : « أظلمته » .

(٢) فيما عدل : « لنا ويكفينا » .

(٣) وقع التفسير التالى فيما عدل ، « متخللا للأبيات » .

من الشَّجَر ، أى وقع وتكسَّر^(١) . الثَّلة : الضَّأن الكثيرة ، ولا يقال للمعزى ثَلة ،
ولكن حَيْلة^(٢) ، فإذا اجتمعت الضَّأن والمعزى قيل لها ثَلة . مُسِيمةٌ ، أى
صارَت فى السَّوْمِ ودخلت فيه ، والسَّوْمُ : الرعى . وسامت تسوم ، أى رعت
ترعى . ومنه قول الله : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾^(٣) .

• وكانت العرب تُعظِّمُ شأنَ لقمانَ بنِ عادٍ الأكبرِ والأصغرِ لُقَيْمِ بنِ لقمان^(٤) ١٤
فى النَّباهة والقَدْر ، وفى العلم والحُكْم ، وفى اللِّسان والحِلْم . وهذان غيرُ لقمانَ
الحكيم المذكور فى القرآن^(٥) على ما يقوله المفسِّرون . ولا ارتفاعَ قَدْرِهِ وعِظَمَ
شأنِهِ ، قال النَّمْر بنُ تَوَلَبَ :

لُقَيْمُ بنُ لُقْمَانَ من أُخْتِهِ فكان ابنَ أُخْتٍ لَهُ وابناً^(٥)
ليالىَ حَقِّ فاستَحَصَنْتُ عليه فغرَّ بها مُظْلِماً^(٦)
فغرَّ بها رَجُلٌ مُحْكِمٌ فجاءت به رجلاً مُحْكِماً^(٧)

وذلك أن أُخْتَ لقمانَ قالت لامرأةٍ لقمانَ : إني امرأةٌ مُحْكِمَةٌ ، ولقمانُ
رجُلٌ مُحْكِمٌ مُنْجِبٌ ، وأنا فى ليلةٍ طُهْرِي ، فهَبْ لى ليلتك . ففعلتُ فباتت

(١) فيما عدال : « ما بهشم من الشجر ، أى يكسر » .

(٢) الحيلة ، بفتح الحاء وسكون الياء المشناة التحتية .

(٣) بدل هذه العبارة الطويلة فيما عدال : « الثَّلة : ما بين الست إلى العشر من الغنم .

مسيمة : راعية » .

(٤) فى الأصول : « ولقَيْمِ بنِ لقمانَ » وقد بحيث الواو فى ب فقط . ولقمان بن عاد ،

هذا هو المعمر صاحب حديث النُّسور . انظر أخبار عبيد بن سُرية ٣٥٦ - ٣٦٧ .

٢٠ والتيجان ٧٥ - ٧٨ والمعمرين ٣ - ٤ وثمَّار القلوب ٣٧٦ - ٣٧٧ والميداني

(١ : ٣٩٣ - ٣٩٤) .

(٥) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، قيل كان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل

فأعتقه وأعطاه مالا ، وكان فى زمن داود . وقيل كان حراً وكان اسمه لقمان بن باعورا ، وقيل

هو ابن أُخْتِ أيوب أو ابن خالته . انظر المعارف ٢٥ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٨٦) .

(٦) وكذا فى الحيوان . وفى الأمثال : « ليالى حَقِّ فما استَحَقَّت » .

(٧) الحيوان وحواشي ٥ : « فأحبَّها رجلٌ مُحْكِمٌ » وفى الأمثال : « فأحبَّها رجلٌ نابه » .

في بيت امرأة لقمان ، فوقع عليها فأحبها بلقيس ، فلذلك قال النمر بن تولب ما قال .

والمرأة إذا ولدت الحُمقَ فهي مُحِمَّةٌ ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياساً .

وقالت امرأة ذات بنات :

وما أبالي أن أكون مُحِمَّةً إذا رأيتُ خُصِيَّةً مُعَلَّقةً^(١)

وقال آخر :

أزرى بسعيك أن كنت امرأة حِمَقاً من نسل ضاوية الأعراق حِمَقاً

ضاوية الأعراق ، أي ضعيفة الأعراق نحيفتها . يقال رجل ضاو ، وفيه

ضاوية ، إذا كان نحيفاً قليل الجسم . وجاء في الحديث : « اغتربوا لا تضؤوا » .

أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة ، فيجىء ولده ضاوياً . والفعل منه ضوى يضوى ضوياً . والأعراق : الأصول . والحماق : التي عادت لها أن تلد الحُمق .

ولبعضهم البنات قالت إحدى القوابل :

أيا سحاب طرقي بخير^(٢) وطرقي بخُصِيَّةٍ وأير

* ولا تُرينا طرف البُظير *

* وقال الآخر^(٣) في إنجاب الأمهات ، وهو يخاطب بني إخوته :

عفاريثاً على وأخذ مالي وعجزاً عن أناس آخرين^(٤)

(١) الرجز في المخصص (١٦ : ١٢٩) .

(٢) طرقت المرأة : نشب ولدها وأم يسهل خروجه ، يقال طرقت ثم خلعت . والرجز

وقصته في الحيوان (٥ : ٥٨١) . وانظر شرح المرزوقي للحماسة ١٨٥١ .

(٣) هو رافع بن هريم . شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم . انظر الخزائن (١ : ٢٧٧) .

والأبيات الأربعة الأولى منسوبة في اللسان (كيس) إليه . وأما البيت الأخير فقد نسب في نوادر أبي زيد ١١١ ، ١٩١ واللسان (أخا) إلى عقيل بن علفة .

(٤) فيما عدل : « وحلما عن أناس » . وفي اللسان : « وجبنا عن رجال » .

فَهَلَّا غَيْرَ عَمَّكُمْ ظَلَمْتُمْ إِذَا مَا كُنْتُمْ مَتَظَلِّمِينَ
 فَلَوْ كُنْتُمْ لَكَيْسَةً أَكَاثَتْ وَكَيْسَ الْأُمِّ أَكَيْسُ اللَّبْنِينَا^(١)
 وَلَكِنْ أَثْمَكُمْ حَقَّتْ فَجْتُمْ غِثَانًا مَا نَرَى فِيكُمْ سَمِينًا^(٢)
 وَكَانَ لَنَا فَرَازَةٌ عَمَّ سَوَاءٌ وَكُنْتُ لَهُ كَشَرٌ. بَنَى الْأَخِينَا^(٣)
 وَلُبَغْضِ الْبَنَاتِ هَجَرَ أَبُو حَمْزَةَ الضَّبِّي خَيْمَةَ امْرَأَتِهِ ، وَكَانَ يَقِيلُ وَيَبِيتُ
 عِنْدَ جِيرَانٍ لَهُ ، حِينَ وَلَدَتْ امْرَأَتُهُ بَنَاتًا ، فَمَرَّ يَوْمًا بِنَجْبَائِهَا وَإِذَا هِيَ تَرْقُصُهَا وَتَقُولُ :
 مَا لِأَبِي حَمْزَةَ لَا يَأْتِينَا يَظُلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
 غَضْبَانٌ إِلَّا نَلِدُ الْبَنِينَ تَاللَّهِ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا
 وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا وَنَحْنُ كَالْأَرْضِ لَزْرَاعِينَا
 * نُبْتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا^(٤) *

قال : فَقَدَا الشَّيْخُ حَتَّى وَلَجَ الْبَيْتَ فَقَبَّلَ رَأْسَ امْرَأَتِهِ وَابْتَنَاهَا .
 وَهَذَا الْبَابُ يَقَعُ فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ^(٥) ، وَفِي فَصْلِ مَا بَيْنَ الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى ،
 تَامًّا ، وَلَيْسَ هَذَا الْبَابُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ^(٦) ، وَلَكِنْ قَدْ يَجْرِي
 السَّبَبُ فَيُجْرَى مَعَهُ بِقَدَرٍ مَا يَكُونُ تَنْشِيطًا لِقَارِئِ الْكِتَابِ ، لِأَنَّ خُرُوجَهُ مِنْ
 الْبَابِ إِذَا طَالَ لِبَعْضِ الْعِلْمِ^(٧) ، كَانَ ذَلِكَ^(٨) أَرْوَحَ عَلَى قَلْبِهِ ، وَأَزِيدَ فِي نَشَاطِهِ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

- (١) فِي الْخَزَانَةِ : « كَيْسُ اللَّبْنِينَا » . وَفِي اللَّسَانِ : « يَعْرِفُ فِي اللَّبْنِينَا » .
 (٢) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِمَّا عَدَا لَ . وَقَدْ رَوَى فِي الْخَزَانَةِ عَنِ الْبَغْدَادِيِّ .
 (٣) يَسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى أَنْ « أَخَا » يَجْمَعُ عَلَى « أَخِينِ » جَمْعُ مَذْكَرٍ سَالِمًا . وَرَوَايَةُ اللَّسَانِ :
 وَكَانَ بَنُو فَرَازَةَ شَرِّ قَوْمٍ وَكُنْتُ لَهُمْ كَشَرٌ بَنَى الْأَخِينَا
 (٤) الْبَيْتُ الرَّابِعُ وَالسَّابِعُ لَيْسَ فِي لَ ، هـ .
 (٥) فِيمَا عَدَا لَ : « فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانِ » .
 (٦) لَ ، هـ : « التَّبْيِينُ » مَعَ ضَبْطِهِ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَضْمُونَةِ .
 (٧) فِي لَ : « لِبَعْضِ الْكَلَامِ الْعِلْمِ » .
 (٨) كَانَ ذَلِكَ ، سَاقِطٌ مِنْ لَ .

وقد قال الأول^(١) في تعظيم شأن لقيم بن لقمان :

قومي اصبحيني فما صيغ الفتى حجراً لكن رهينة أحجار وأرماس
قومي اصبحيني فإن الدهر ذو غير أفنى لقياً وأفنى آل هيرماس^(٢)
اليوم خمر ويبدو في غد خبر والدهر من بين إنعام وإبناس
١١ * فاشرب على حدثن الدهر مرتفعاً لا يصحب الهمة قرع السن بالكاس
وقال أبو الطمّحان^(٣) القيني في ذكر لقمان :

إنّ الزمان ولا تفنى عجائبه فيه تقطع آلاف وأقران
أمست بنو القين أفراقاً موزعة كأنهم من بقايا حيّ لقمان^(٤)

وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة ، والقرون السالفة . ولبعضهم بقايا قليلة ، وهم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون ، مثل جرهم وجاسم ، ووبار وعملاق ، وأميم ، وطسم وجديس ، ولقمان والهرماس ، وبنو الناصور ، وقيل بن عتر^(٥) ، وذى جدن . وقد يقال في بني الناصور إن أصلهم من الرّوم ، فأما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال : ﴿ وَثُمُوداً فَمَا أُبْقِيَ ﴾^(٦) ، وقال : ﴿ فَهَلْ

(١) في حواشي ه عن الخشني : « ذكر الحاتمي أنه لبشار » .

(٢) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم لثلاث تغرق هذه المدينة . وبعد هذا البيت فيما عدل هذا التفسير : « اصبحيني ، الصبوح : شرب الغداة . والغبوق : شرب العشي . الرمس : القبر ؛ ويقال رمست الميت وأرسته ، إذا دفنته » .

(٣) أبو الطمّحان ، بفتح الطاء والميم : هو حنظلة بن الشرقى ، أحد المعمرين ، كان في الجاهلية نديماً للزبير بن عبد المطلب ، وأدرك الإسلام وأسلم . الإصابة ٢٠٠٧ والخزانة (٣ : ٤٢٦) والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ .

(٤) بنو القين بن جسر ، قبيل أبي الطمّحان . والأفراق : جمع فرق ، بالكسر ، وهو القسم من الأقسام . وفي الكتاب : (فكان كل فرق كالطود العظيم) .

(٥) فيما عدل ه ، : « وعتر » .

(٦) فيما عدل ه ، : « ثمود » بدون تنوين في هذا الموضع والموضعين بعده ، وهي قراءة عاصم وحمة ويعقوب . وقرأ باقي القراء : « وثمرودا » بالتنوين ، كما أثبت من ل ه . انظر إتحاف فضلاء البشر ٤٠٤ وتفسير أبي حيان (٨ : ١٦٩) . فمن صرفه ذهب به إلى الحى ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة . اللسان .

تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿١٠﴾ . فَأَنَا أَعْجَبُ مِنْ مُسْلِمٍ يَصْدُقُ بِالْقُرْآنِ ، يَزْعُمُ أَنَّ قِبَائِلَ الْعَرَبِ مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ .

وكان أبو عبيدة يتأول قوله : ﴿ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ ، أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الْأَكْثَرِ ، وَعَلَى الْجُمْهُورِ الْأَكْبَرِ . وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَخْرَجَهُ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ سُوءَ الرَّأْيِ فِي الْقَوْمِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَجِيءَ إِلَى خَبَرٍ عَامٍّ مَرْسَلٍ غَيْرِ مُقَيَّدٍ ، وَخَبَرٍ مُطْلَقٍ غَيْرِ مُسْتَثْنَى مِنْهُ ، فَيَجْعَلُهُ خَاصًّا كَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ . وَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ لَطَاعِنٍ أَوْ مُتَأَوِّلٍ بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ . فَكَيْفَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا كُنَّا نَحْنُ قَدْ نَرَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ حَيٍّ بَاقِيَةً . مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .

وَرَوَوْا أَنَّ الْحِجَّاجَ قَالَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَوْمًا : تَزْعُمُونَ أَنَا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ .

فَأَمَّا الْأُمَمُ الْبَائِدَةُ مِنَ الْعَجَمِ ، مِثْلُ كَنْعَانَ وَيُونَانَ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ ، فَكَثِيرٌ ، وَلَكِنَّ الْعَجَمَ لَيْسَ لَهَا عَنَاءَةٌ بِمَحْفُظٍ [شَأْنٌ ^(١)] الْأَمْوَاتِ وَلَا الْأَحْيَاءِ . وَقَالَ الْمُسَيَّبُ بْنُ عَلَسٍ ^(٢) ، فِي ذِكْرِ لَقْمَانَ :

وإِلَيْكَ أَتَمَلَّتُ الْمُطَيَّةُ مِنْ سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ بِالْفَقْرِ ^(٣)
أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ تُزَلُّوْا وَتَوَاجَهُوْا كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ
لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

(١) هذه مما عدال .

(٢) المسيب ، بفتح الياء المشددة . وعلس ، بالتحريك . والمسيب لقب لقب به ببيت قاله :

فإن سرکم ألا ثوب لقاحکم غزاراً فقولوا للمسيب يا الحق

٢٠ واسمه زهير بن علس . وهو خال أعشى قيس ، وكان الأعشى راويته ، وكان يطري شعره ويأخذ منه ، وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (١ : ٥٤٥ - ٥٤٦) والاستقاة ١٩٢ والموشح ٥١ .

(٣) الأبيات تنسب إلى الأعشى ، وإلى المسيب بن علس . ديوان الأعشى ٣٥١ . والنالت والخامس ينسبان إلى زهير . ديوانه ٨٩ ، ٩٥ . وانظر تعليقات المبني على الخزانة

٢٥ (٣ : ٢١٦) السلمية . وفي حواشي هـ : « كذا وقع في النسخ . وفي الجمهرة : القفر : اسم موضع . وأنشد هذا :

« سئل العراق وأنت بالفقر » .

ولأنت أجودُ بالعطاء من الـ رِيَّانِ لما جَادَ بالقطرِ^(١)
ولأنت أشجعُ من أسامةَ إذْ نَقَعَ الصَّراخُ ولُجَّ في الذُّهرِ^(٢)
ولأنت أْبَيْنُ حينَ تنطق من لَهْمَانِ لَمَّا عَيَّ بالأمرِ

وقال لبيدُ بن ربيعةَ الجعفرى :

وأخلفَ قسًا لِيَتَنِي ولو أُتِنِي وَأَعْيَا على لَهْمَانِ حُكْمَ التدبُّرِ^(٣)
فإن تسألينا كيفَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَا فِرُّ من هذا الأَنَامِ المسحَّرِ^(٤)
السَّحَرُ : الرُّة^(٥) . والمسحَّرُ : المَعْلَلُ بالطعام والشراب . [والمسحَّرُ : المخدوع^(٦)] ،
كما قال امرؤ القيس :

أرانا مَوْضِعِينَ لأمرٍ غَيْبٍ ونُسحَرُ بالطعامِ وبالشرابِ^(٧)
[أى نُعَلَّلُ . فكأنَّا نخدع ونسحر بالطعام والشراب^(٨)] .
وقال الفرزدق :

-
- (١) الريان ، عني به السحاب المتل . - فقط : « الرباب » .
(٢) نَقَعَ الصراخ : ارتفع . قال لبيد :
فَتَى يَنْقَعُ صَرَاحُ صَادِقٍ يَحْلِبُهَا ذَاتُ جَرَسٍ وَزَجَلٍ
(٣) البيتان في ديوان لبيد ٨١ طبع ١٨٨٠ . قس ، هو ابن ساعدة الإيادي . أى
أخلف قسا ما تمناه بقوله ليتنى ، ولو أنى . لم يظفر بما تمنى . وأما لهمان فلم تغن عنه حكمته
وتدبره شيئا . ويروى : « وأخلفن قسا » يعود الضمير على « بنات الدهر » في بيت
سابق . وهو :
وأفنى بنات الدهر أرباب ناعط بمستمع دون السماء ومنظر
(٤) عصافير ، أى صغار ضعاف مثلها . انظر الحيوان (٥ : ٧/٢٢٩ : ٦٣) . وقد
نسب هذا البيت في أمالي المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت .
(٥) في الحيوان عند إنشاد البيت : « وقال قوم : المسحر يعنى كل ذى سحر ، يذهب
إلى الرئة » .
(٦) هذه بما عدال .
(٧) البيت في ديوان امرئ القيس ١٣٢ واللسان (٦ : ١٢) . الإيضاع : ضرب
من السير السريع . وفي الديوان : « لحتم غيب » .
(٨) هذه بما عدال . وقد فسر السحر في البيت بأنه الغشاء ، كما في اللسان
وشرح الديوان .

لئن حَوَّمَتِي هَابَتْ مَعْدُ حِيَاضَهَا لَقَدْ كَانَ لَقْمَانُ بْنُ عَادٍ يَهَايِبُهَا^(١)
وَقَالَ الْآخَرُ^(٢) :

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسِرَّكَ أَنْ يَعْيشَ فَجِيءُ بَرَادٍ
بِخَسْبٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ^(٣)
تَرَاهُ يَطُوفُ الْآفَاقَ حَرْصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(٤)
وَقَالَ أَفَنُونَ التَّغْلِي :

لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِدْرَمٍ رَأَيْتُ فِيهِمْ وَلَقْمَانَ وَذِي جَدَنٍ^(٥)
وَقَالَ الْآخَرُ^(٦) :

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ وَالِدَهْرُ ذُو فَنُونٍ
أَهْلَكَ طَسْمًا وَقَبْلَ طَسْمٍ أَهْلَكَ عَادًا وَذَا جُدُونٍ
وَأَهْلَ جَاسٍ وَمَأْرَبٍ بَعْدَ حَيٍّ لُقْمَانَ وَالتُّقُونِ^(٧)

(١) وكذا جاءت الرواية في الديوان ٦٩ . وفيما عدل : « صانت معد » .
(٢) وهو يزيد بن الصعق الكلبي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكنيات الجرجاني ٧٣ والاعتصاب ٣٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي ، كما في حواشي الكامل ٩٨ ليسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد (٣ : ١٤٢) وأخبار الظراف ٢٤ .
(٣) الشيء الملفف في البجاد ، هو وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك . والبجاد ، بالكسر : الكساء . انظر اللسان والمقاييس (بجد) والحيوان (٣ : ٦٧) .
(٤) في ثمار القلوب للشعالبي ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاعتصاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهي بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان » .
(٥) سبق البيت في أبيات ص ٩ .

(٦) هو سليمان بن ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة ، كما في اللسان (تقن) . وفي الحماسة (٢ : ١٢) ومعجم ما استعجم (١ : ٣٥٨) أنه « سلمى بن ربيعة » . يختلف في اسمه يقال « سلمان » و « سلمى » بفتح السين والميم ، و « سلمى » بضم السين وسكون اللام ، كالمنسوب .
(٧) جاس ، وردت بالسين المهملة في ل ، هـ والتمورية . وهو موضع ذكره ياقوت . لكن في معجم ما استعجم : « جاش » ، قال : « باليمن تلقاء مأرب » . وأنشد البيت =

واليسر للعسر ، والتغنى للفقر ، والحي للنون^(١)

قال : وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة ، والتَّحْيِيرَ والبلاغة ، والتَّخْلُصَ والرَّشَاقَةَ ، فإنَّهم كانوا يكرهون السَّلاطَةَ والمَذَرَ ، والتَّكْلُفَ ، والإِسْهَابَ والإِكْثَارَ ؛ لما في ذلك من التَّزِيدِ والمِباحَةِ ، واتباع الهوى ، والمنافسة في الغلو^(٢) .
وكانوا يكرهون الفُضُولَ في البلاغة ، لأنَّ ذلك يدعُو إلى السَّلاطَةِ ، والسَّلاطَةُ تدعُو إلى البذاء^(٣) . وكلُّ مِرَاءٍ في الأرض فإنَّما هو من نِتَاجِ الفُضُولِ .

وَمَنْ حَصَّلَ كلامه وميزَّه ، وحاسب نفسه ، وخاف الإثم والذم ، أشفق من الضَّراوة وسوء العادة ، وخاف ثمرة العُجْبِ وهُجْنَةُ النَفَجِ^(٤) ، وما في حبِّ الشَّمْعَةِ من الفِتْنَةِ ، وما في الرِّياء من مجانبَةِ الإخلاص .

ولقد دعا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ^(٥) بالطعام ، بكلامٍ تَرَكَ فِيهِ الْحَاسِنَةَ^(٦) ، فقال شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ^(٧) : إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ فِيهِ الْحَاسِنَةَ^(٨) ، فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ قَالَ : « مَا تَكَلَّمْتُ

= وأهل جاش وأهل مأرب وحى لقمان والنقون
وكذا أنشده أبو تمام « جاش » بدون همز . وروى في اللسان (جاش) قول السليك :
أمنقل ريب المنون ولم أرع عصفير واد بين جاش ومأرب
وفي سائر النسخ : « جامم » . وأما النقون ، بضم الناء ، فهم بنو تقن بن عاد ، بكسر التاء ، منهم عمرو بن تقن ، وكعب بن تقن . وبه يضرب المثل : « أرمى من ابن تقن » . هـ : « ومأرب وحى لقمان » .

(١) التغنى : الغنى ، كالتغنى والاعثناء . الحاسة واللسان : « والغنى كالعدم » .
(٢) فيما عدل : « في الغلو والقدر » . (٣) ل : « البلاء » .
(٤) النفع : أن يفخر بما ليس عنده . فيما عدل ، هـ : « القبح » تحريف .
(٥) أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرًا ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، كان قويًا في دين الله ، قائمًا بالأمر بالمعروف . توفي بالرملة سنة ٣٤ .
الإصابة ٤٤٨٨ وتهذيب التهذيب .

(٦) فيما عدل : « ظن أنه ترك فيه الحاسنة » وفيه إقحام وتحريف .
(٧) في الأصول : « أوس بن شداد » تحريف ، وفي حواشي هـ للخشني : « صوابه شداد بن أوس » . وهو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي ، ابن أخي حسان . وفيه يقول عبادة بن الصامت : « شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم » الإصابة ٢٨٤٢ .
وقد روى الجاحظ خطبة له في الجزء الثالث من البيان .
(٨) فيما عدل : « الحاسنة » تحريف .

بكلمة منذُ بايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مزمومةً مخطوطةً .
 قال : وروى ^(١) حمادُ بن سَلَمَةَ ، عن أبي حمزة ^(٢) ، عن إبراهيم ^(٣) قال :
 « إنما يَهْلِكُ النَّاسُ في فضول الكلام ، وفضول المال » .
 وقال ^(٤) : « دع المَعَاذِرَ ، فإن أكثرها مفاجر » . وإنما صارت المَعَاذِرُ كذلك
 لأنها داعيةٌ إلى التخلُّص بكلِّ شيء .
 وقال سلامُ بن أبي مطيع ^(٥) : قال لي أيوب ^(٦) : « إِيَّاكَ وَحِفْظَ الْحَدِيثِ »
 خوفاً عليه من العُجْبِ .

وقال إبراهيم النخعي : « دع الاعتذار ؛ فإنه يخالط الكذب ^(٧) » .
 قالوا : ونظر شابٌّ وهو في دارِ ابن سيرينَ إلى فرَشٍ ^(٨) في داره ، فقال :
 ١٠ ما بالُ تلك الأجرَةِ أرفعَ من الأجرَةِ الأخرى ؟ فقال ابن سيرين : « يا ابن أخي
 إنَّ فُضُولَ النَّظَرِ تَدْعُو إلى فضول القول » .

-
- (١) فيما عدل : « ورووا عن » .
 (٢) أبو حمزة هذا ، هو ميمون الأعور القصاب الكوفي ، روى عن سعيد بن المسيب
 والشعبي وإبراهيم النخعي ، وعنه منصور بن المعتمر والثوري . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة
 ١٥ (٣ : ٤٧) في ترجمة إبراهيم النخعي .
 (٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي الفقيه ، روى عن مسروق
 وعلقمة وشريح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ هـ وتوفي
 سنة ٩٦ هـ . التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٧) . وفي عيون الأخبار (١ : ٢٣٠) :
 « وحمل الناس عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثمانى عشرة سنة » .
 (٤) ل : « وقالوا » . (٥) فيما عدل : « سلام بن مطيع » .
 ٢٠ (٦) هو أبو بكر أيوب بن أبي تيممة كيسان السخثياني البصري ، روى عن نافع وعطاء
 وعكرمة والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الأعمش وقتادة وخلق كثير ، وكان حجة أهل
 البصرة ، وله أقوال كريمة في صفة الصفوة (٣ : ٢١٢ - ٢١٧) . وانظر تهذيب التهذيب .
 (٧) في عيون الأخبار (٣ : ١٠١) : « اعتذر رجل إلى إبراهيم فقال له : قد
 ٢٥ عذرتك غير معتذر من المَعَاذِرِ يشوبها الكذب » .
 (٨) المراد بالفرش هنا بلطت الأرض وفرشت . وفي اللسان : « فرس فلان
 داره ، إذا بلطها . قال أبو منصور : كذلك إذا بسط فيها الآجر والصفيح فمد فرشها .
 وتفريش الدار : تبليطها » .

وزعم إبراهيم بن السندی قال : أخبرني من سمع عيسى بن علي^(١) يقول :
 ١١٩ « فُضُولُ النَّظَرِ مِنْ فَضُولِ الْخَوَاطِرِ ، وَفُضُولُ النَّظَرِ تَدْعُو إِلَى فَضُولِ الْقَوْلِ ،
 وَفُضُولُ الْقَوْلِ تَدْعُو إِلَى فَضُولِ الْعَمَلِ ؛ وَمَنْ تَعَوَّدَ فَضُولَ الْكَلَامِ ثُمَّ تَدَارَكَ
 اسْتِصْلَاحَ لِسَانِهِ ، خَرَجَ إِلَى اسْتِكْرَاهِ الْقَوْلِ ، وَإِنْ أَبْطَأَ أَخْرَجَهُ إِبْطَاؤُهُ إِلَى
 أَقْبَحَ مِنَ الْفُضُولِ » .

قال أبو عمرو بن العلاء : أنكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته معبد بن
 زُرارة ، فلما أخرجها إليه قال لها : « يَا بُنَيَّةُ أَمْسِكِي عَلَيْكَ الْفَضْلَيْنِ » . قالت :
 وما الفضلان ؟ قال : فَضْلُ الْعِلْمَةِ ، وَفُضْلُ الْكَلَامِ .

وضرار بن عمرو هو الذي قال : « مَنْ سَمَرَ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ^(٢) » . وهو
 الذي لما قال له المنذر : كيف تخلصت يوم كذا وكذا ، وما الذي نجاك ؟ قال :
 ١٠ « تَأْخِيرُ الْأَجْلِ ، وَإِكْرَاهِي نَفْسِي عَلَى الْمَقِّ الطَّوَالِ » .

المقاء : المرأة الطويلة . والمق : جماعة النساء الطوال . والمق أيضاً : الخيل
 الطوال .

وكان إخوته قد استشألوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعسكاز ،
 فقال : « أَلَا إِنَّ خَيْرَ حَائِلٍ أُمٌّ^(٣) فزوجوا الأمهات » . وذلك أنه صرّح بين
 القنا ، فأشبل عليه إخوته لأمه حتى أنقذوه^(٤) .

(١) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان ابن المقفع
 يكتب له ، وقد أمره بعمل نسخة الأمان لأخيه عبد الله الخارج على المنصور ، وهو الذي أرسل
 ابن المقفع إلى سفيان بن معاوية فغدر هذا به ، وقطعه عضواً وألقاه في التنور . وكان
 المنصور يحل عيسى ويعظمه في مجلسه . انظر الجهمشياري ١٠٣ - ١٠٧ . ومات في خلافة
 المهدي . المعارف ١٦٣ .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٦) . وفي عيون الاخبار (٢ : ٣٢٠) : « رأى ضرار
 ابن عمرو الضبي له ثلاثة عشر ذكراً قد بلغوا ، فقال . . . » .

(٣) الحائل : التي لم تحمل .
 (٤) أشبل عليه : عطف عليه وأماه . - « فأنشأ » تحريف . وبعد هذه الكلمة
 في ل « أي عطف » . ب : « لإخوته وأمه » . ل : « فأنقذوه » .

باب في الصمت

قال : وكان أعرابي يجالس الشعبي^(١) فيطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : « أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم » .
وقالوا : « لو كان الكلام من فضة لكان الشكوت من ذهب » .
وقالوا : مقتل الرجل بين ثلثيه وفكّيه .
وأخذ أبو بكر الصديق ، رحمه الله ، بطرف لسانه وقال : « هذا الذي أوردني الموارد » .

وقالوا : ليس شيء أحقّ بطول سجن من لسان .
وقالوا : اللسان سبع عقور .

وقال النبي عليه السلام : « وهل يكبّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم » .

وقال ابن الأعرابي ، عن بعض أشياخه : تكلم رجل عند النبي عليه السلام فخطب في كلامه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أُعطي العبدُ شراً من طلاقة اللسان » .

وقال العائشي^(٢) ، وخالد بن خدّاش^(٣) : حدثنا مَهْدِيُّ بن ميمون^(٤) ، عن

(١) الشعبي ، هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري ، ونسبته إلى « شعب » بالفتح : بطن من همدان . كان من كبار الحفاظ ، واستقضاء عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفي سنة ١٠٣ . تدكرة الحفاظ (١ : ٧٤ - ٨٢) وتهذيب التهذيب (٥ : ٦٥) وصفة الصفوة (٣ : ٤٠) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة ، والعائشي ، تقدمت ترجمته في ص ١٠٢ .

(٣) هو خالد بن خدّاش بن هجلان الأزدي المهلبى البصرى ، كان ثقة صدوقا . توفي سنة ٢٢٤ . تاريخ بغداد ٤٤٠٥ وتهذيب التهذيب .

(٤) هو مهدي بن ميمون الأزدي المعول أبو يحيى البصرى ، أحد الرواة الثقات . توفي سنة ١٧١ . تهذيب التهذيب .

غيلان بن جرير^(١) ، عن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير وعن أبيه قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفدٍ فقلنا : يا رسول الله ، أنت سيِّدنا ، وأنت أطولُّنا علينا طَوْلًا^(٢) ، وأنت الجفنة الغراء^(٣) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيُّها الناس ، قُولُوا بقَوْلِكُمْ ولا يَسْتَفِزَّ نَكُمُ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

قال : وقال خالد بن عبد الله القسريّ ، لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته فقد زينتَها ، ومن [كانت^(٤)] شرفته فقد شرفتها . فأنشأ الشاعر :

وتزِيدِنَ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا أَنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلُكَ أَيْنَا
وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا
فقال عمر : إِنَّ صَاحِبَكُمْ أَعْطَى مَقُولًا ، وَلَمْ يُعْطَ مَعْقُولًا .

وقال الشاعر :

لِسَانُكَ مَعْسُولٌ وَنَفْسُكَ شَحَّةٌ وَدُونُ الثَّرَيَا مِنْ صَدِيقِكَ مَالُكَ^(٥)
وَأَخْبَرْنَا^(٦) بِإِسْنَادِهِ ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِبْنِ عُمَرَ : ادْعُ اللَّهَ لَنَا بِدَعَوَاتِهِ . فقال :

١٥ (١) هو غيلان بن جرير المَعُولِي البَصْرِيّ ، نسبة إلى « معولة » بطن من الأزد . روى عن أنس ومطرف والشعبيّ ، وروى عنه مهدي بن ميمون وشعبة . توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب وأنساب السمعاني ٥٣٨ . (٢) الطول ، بالفتح : الفضل .

(٣) في اللسان (جفن) : « كانت العرب تدعو السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها ، فسمي باسمها . والغراء : البيضاء ، أي لأنها ملوثة بالشحم والدهن » .

٢٠ (٤) التكلة من عيون الأخبار (١ : ٩٣) حيث الخبر .

(٥) الشحة ، بفتح الشين : الشحيحة . والبيت في الحيوان (٥ : ٤٣٠) . وأنشده في اللسان (شحج) مع قرين بعده ، وهو :

وَأَنْتَ أَمْرٌ خَلَطَ إِذَا هِيَ أَرْسَلَتْ يَمِينُكَ شَيْئًا أَمْسَكَتَهُ شِمَالُكَ

(٦) يعني ابن الأعرابي ، كما في حواشي هـ .

« اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن . قال : نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدؤلي ، في ذكر الإسهاب ، يقولها في الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة^(١) ، والحارث هو القُبَاع ، وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم . وإنما سمي القُبَاع لأنه أتى بِمِكَتَل^(٢) لأهل المدينة ، فقال إن هذا المِكَتَل لَقُبَاعٌ ! فسمي به . والقُبَاع : الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق فيه لجرير^(٣) :

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَامِرَ عَيْنِهِ زِيَادًا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حَبَائِلِهِ
فَأَقْسَمْتُ لَا آتِيهِ تِسْعِينَ حِجَّةً وَلَوْ كَسِرَتْ عُنُقُ الْقُبَاعِ وَكَاهَلُهُ^(٤)

وقال أبو الأسود :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَزَيْتَ خَيْرًا أَرِحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنِي الْمَغِيرَةِ
بَلُونَاهُ وَلُئِمْنَاهُ فَأَعْيَا عَلَيْنَا مَا يُمِرُّ لَنَا مَرِيرَةٌ^(٥)
عَلَى أَنَّ الْفَقِيَّ نَكْحُ أَكُولَ وَمِسْهَابُهُ مَذَاهِبُهُ كَثِيرَةٌ

وقال الشاعر^(٦) :

١٢١

١٥ (١) ويقال فيه أيضا الحارث بن عياش بن أبي ربيعة ، وأبو ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم . وكان الحارث أحد ولاية البصرة ، استعمله عليها ابن الزبير ، روى عن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة ، وروى عنه سعيد ابن جبير والشعبي والزهرى . تهذيب التهذيب ، والإصابة ٢٠٣٩ . وانظر ما سبق في حواشي ١٣٠ .

(٢) المِكَتَل : زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعا .

٢٠ (٣) هذا الإنشاد هو فيما عدال ، ه متأخر عن قول أبي الأسود التالى .

(٤) فى الديوان ٧٣٩ : « سبعين حجة » .

(٥) المِريرة : الحبل الطويل الدقيق . وإمرار الحبل : لإحكام قتله . عنى أنه لا يعضى أمرا .

(٦) هو الفضل بن عبد الرحمن الفرشى ، يقوله لابنه القاسم بن الفضل . الخزائنة (١) :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمَرَاءَ فَإِنَّهُ إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَلِلصَّرْمِ جَالِبٌ^(١)

وقال أبو العتاهية :

وَالصَّتْ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ^(٢)

كُلُّ امْرِئٍ فِي نَفْسِهِ أَعْلَى وَأَشْرَفُ مِنْ قَرِينِهِ

وكان سهل بن هارون يقول : « سياسة البلاغة أشد من البلاغة ، كما أن التوقي على الدواء أشد من الدواء » .

وكانوا يأمرّون بالتبَيّن والتثبت ، وبالتحرّز من زَلَل الكلام ، ومن زَلَل الرأى ، ومن الرأى الدّبرى . والرأى الدّبرى هو الذى يعرض من الصّواب بعد مضى الرأى الأوّل وفوت استدراكه .

وكانوا يأمرّون بالتعلّم والتعلّم ، وبالتقدّم فى ذلك أشدّ التقدّم .

وقال الأحنف : قال عمر بن الخطاب : « تفقهوا قبل أن تسودوا » . وكان يقول رحمه الله : « السّودد مع السّواد^(٣) » .

وَأَنْشَدُوا كَثِيرَ عَزَّة :

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لَمَرٌّ وَازِعٌ وَفِي تَرْكِ طَاعَاتِ الْفُؤَادِ الْمُسْتِمٌّ

بَصَائِرُ رُشْدٍ لِفَتَى مُسْتَبِينَةٍ وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عَلَيْهَا بِالتَّعَلُّمِ

الوازع : الناهى ؛ والوزعة : جمع وازع ، وهم الناهون والكافون .

وقال الأَفْوَه الأودى :

أَضَحَّتْ قُرِينَةُ قَدْ تَغَيَّرَ بِشْرُهَا وَتَجَهَّمَتْ بِتَحِيَّةِ الْقَوْمِ الْعِدَا

(١) يستشهد به النحويون على حذف الواو قبل « المرء » . انظر الخزانة وسيبويه

(١ : ١٤١) . وروى : « إِيَّاكَ » و « للشر جالب » . المرء : المجادلة . الصرم : القطيعة .

(٢) ل : « زين للفتى » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٣) فى حواشئ ه : « يريد مع الشباب إذا كان الشعر أسود ، لأنه يمكنه فى ذلك الوقت

أن يدرك ما يسود به فى طلب علم أو فروسة ، فإذا جاز حد الشباب لم يمكنه » .

أَلَوْتُ بِإِصْبَعِيهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِمَّا لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى^(١)
وَأَنشُد :

إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَمَهَا عَنْ غَيْبِهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ^(٢)
فَهَنَّاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
قَالُوا : وَكَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ أَشَدَّ النَّاسِ سُلْطَانًا عَلَى نَفْسِهِ .

وَقَالُوا : وَكَانَ الْحَسَنُ أَتْرَكَ النَّاسِ لِمَا نُهِىَ عَنْهُ . وَقَالَ الْآخَرُ :

لَا تَعْذِرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يُسِيءُ فَيُعَذِّرُ^(٣)

١٢٢

وَقَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ الْأَسَدِيُّ :

وَلَمْ يُقَلِّ بِغَدَا زَلَّةٍ لَهُمْ عُدُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسِبُوا^(٤)
وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ ، لِلأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٥) :

١٠

قَامَتْ تَخَاصُرُنِي بِقُنَّتِيهَا خَوْدٌ تَأْطُرُ غَادَةً بِكُرٍ
كُلُّ يَرَى أَنَّ السَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مُبْلِغٍ لَذَّةٍ عَذْرُ

تَخَاصُرُنِي : أَخَذَ بِيَدِهَا وَتَأْخُذُ بِيَدِي . وَالْقُنَّةُ : الْمَوْضِعُ الْغَلِيظُ مِنَ الْأَرْضِ
فِي صَلَابَةٍ . وَالْخَوْدُ : الْحَسَنَةُ الْخَلْقُ . تَأْطُرُ : تَتَنَّى . وَالْغَادَةُ : النَّاعِمَةُ اللَّيِّنَةُ .
وَقَالَ جَرِيرٌ فِي فَوْتِ الرَّأْيِ :

١٥

وَلَا يَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبِيرًا^(٦)

(١) البيتان لم يرويا في ديوانه المخطوط .

(٢) البيتان من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي في شرح شواهد المغنى ١٩٤ . ومها :

يَأْيَاهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ هَلَا لَغَيْرِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

ويروى بعضها للتوكل الليثي . انظر حاشية البحري ١٧٣ .

٢٠

(٣) البيت في الحيوان (٣ : ١١١ ، ٤٨٢ / ٧ : ٢٦٠) .

(٤) أي عقولهم الصحيحة لا تدعهم يخطئون ويزلون ، لأنهم يفتنون للأمر قبل

وقوعه ، ويصدق في ذلك ظنهم . انظر الهاشميات ٦٣ والحيوان (٣ : ٤٨٢) .

(٥) فيما عدل : « وَأَنشَدَ الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ تَحْرِيفًا » (٦) في الديوان ٢٤٦ : ٢٤٧

قال : ومدح النابغة ناساً بخلاف هذه الصفة ، فقال :

ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضرَّبةً لازبٍ
لازب ولازم ، واحد ، واللازب في مكان آخر : اليابس . قال الله عز وجل
﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ . واللزبات : السنون الجذبة .
وأنشد :

هنا هفوة كانت من المرء بدعة وما مثله من مثلها بسليم
فإن يك أخطا في أخيك فرُبَّما أصاب التي فيها صلاحٌ تميم
قال : وقال قائلٌ عند يزيد بن عمر بن هبيرة^(١) : والله ما أتى^(٢) الحارث بن
شريح يوم خير قط . قال : فقال الترجمان بن هریم : « إلا يكن أتى يوم
خير فقد أتى يوم شر » . ذهب الترجمان بن هریم إلى مثل معنى قول الشاعر :
وما خلقت بنو زمانَ إلا أخيراً بعد خلق الناس طراً^(٣)
وما فعلت بنو زمانَ خيراً ولا فعلت بنو زمانَ شراً

ومن هذا الجنس من الأحاديث ، وهو يدخل في باب الملح ، قال الأصمعي :
« وصلتُ بالعلم ، ونلتُ بالملح^(٤) » .

لقد كنت يا ابن القين ذا حبرة بكم وعوف أبو قيس بكم كان أخيراً
فلا تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً
(١) يزيد بن عمر بن هبيرة : قائد من قواد الأمويين ، ولي قنسرين للوليد بن يزيد ،
ثم جمعت له ولاية العراقين في أيام مروان بن محمد ، ثم لما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح
أخاه المنصور لحربه ، فأعياه أمره ، ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .
ابن خلكان .

(٢) فيما عدال ، ه : « أتاني » تحريف . والخير في الحيوان (٢ : ٨٧) .
(٣) زمان ، بكسر أوله وتشديد الميم ، اسم لعدة قبائل من العرب : زمان بن مالك
ابن صعب بن بكر وائل ، وزمان بن مالك بن جديلة ، وزمان بن تيم الله ، والأولى أعرفهن .
انظر المعارف ٤٧ - ٤٨ ومختلف القبائل ومؤلفها ٣٦ - ٣٧ .

(٤) في حواشي ه : « يريد وصلت به إلى المراتب عند الملوك » .

وقال رجلٌ مرَّةً^(١) : « أرى الذي قاد الجيوشَ ، وفتحَ الفتوحَ ، وخرجَ ١٢٣
على الملوكِ ، واغتصبَ المنابرَ » . فقال له رجلٌ من القومِ : لا جرمَ ، لقد أُسرَ
وقُتِلَ وصُلبَ ! قال : فقال له المفتخرُ بأبيه : دعني من أسيرِ أبي وقتله وصلبه ،
أبوك أنتَ حدثَ نفسه بشيءٍ من هذا قطَّ ؟

* * *

قد سمعنا روايةَ القومِ واحتجاجهم ، وأنا أوصيك ألا تدعَ التماسَ البيانِ
والتبيين^(٢) إن ظننتَ أن لك فيهما طبيعةً ، وأنهما يناسبانك بعضَ المناسبةِ ،
ويشاكلانك في بعضِ المشاكلةِ ؛ ولا تُهملَ طبيعتك فيستولي الإهمالُ على
قوةِ القريحةِ ، ويستبدَّ بها سوءُ العادةِ . وإن كنتَ ذا بيانٍ وأحسستَ من
نفسك بالنفوذِ في الخطابةِ والبلاغةِ ، وبقوةِ المنةِ يومَ الحفلِ ، فلا تُقصِّرَ في التماسِ ١٠
أعلاها سورة^(٣) ، وأرفعها في البيانِ منزلةً . ولا يقطعَنَّك تهيبُ الجهلاءِ ، وتخويفُ
الجبناءِ ؛ ولا تصرفَنَّك الرواياتُ المدولةُ عن وجوهها ، المتأولةُ على أقبحِ مخرجها .
وكيف تُطيعهم بهذه الرواياتِ المدولةُ ، والأخبارِ المدخولةُ ، وبهذا الرأيِ
الذي ابتدَعوه من قبلِ أنفسهم ، وقد سمعتَ اللهَ تبارك وتعالى ، ذَكَرَ داودَ النبيَّ
صلوات الله عليه ، فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٤) ١٠
إلى قوله : ﴿ وَفَصَلَ الْخِطَابَ ﴾ . فجمعَ له بالحكمةِ البراعةُ في العقلِ ، والرجاحةُ
في الحِلْمِ ، والاتِّساعُ في العلمِ ، والصَّوابُ في الحُكْمِ ، وجمعَ له بفصلِ

(١) الخبر في عيون الأخبار (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل ، هـ : « والتبيين » .

(٣) السورة ، بالفهم : المنزلة الرفيعة ، جمعها سور ، بالفهم .

(٤) تمام تلاوة الآية وما بعدها : (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد
إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب .
وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) . الآيات ١٧ - ٢٠ من سورة ص .

الخطابِ تفصيلَ الجمل ، وتلخيصَ الملتبس ، والبَصَرَ بالحزِّ في موضعِ الحزِّ ،
والحسْمَ في موضعِ الحسم .

وذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُعيباً النبيَّ عليه السلام ، فقال :
« كان شُعيبٌ خطيبَ الأنبياء » . وذلك عندَ بعضٍ ما حكاه الله في كتابه ،
وجَلَّاه لأسماعِ عباده .

فكيف تهاب منزلةَ الخطباءِ وداودَ عليه السلام سَلَفَكَ ، وشُعيبَ إمامَكَ
مع ما تلوناه عليك في صدر هذا الكتابِ من القرآن الحكيم ، والآي الكريمة .
وهذه خطبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مدونةٌ محفوظة ، ومخلَّدةٌ ^(١) مشهورة ،
وهذه خطبُ أبي بكرٍ وعمر وعثمانَ وعليٍّ ، رضى الله عنهم .

وقد كان لرسول الله شعراءٌ ينافحُونَ عنه وعن أصحابِهِ بأمرِهِ ، وكان ثابت ^{١٠}
ابن قيس بن الشَّماس الأنصارى ^(٢) خطيبَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ،
لا يدفع ذلك أحدٌ .

فأمَّا ما ذكرتم من الإسهاب والتكلف ، والخلطُ والتزيُّد ، فإنما يخرج
إلى الإسهاب المتكلف ، وإلى الخلط المتزيُّد .

فأمَّا أربابُ الكلام ، ورؤساءُ أهلِ البيان ، والمطبوعون المعاوِدُونَ ، ^{١٥}
وأصحابُ التحصيل والمحاسبة ، والتوقُّ والشفقة ، والذين يتكلمون في صلاح
ذاتِ البين ، وفي إطفاء نائرة ، أو في حَمالة ^(٣) ، أو على منبرِ جماعة ، أو في عقد
إملاكٍ بين مسلم ومسلمة — فكيف يكون كلامُ هؤلاء يدعو إلى السَّلاطه والمراء ،

(١) ل ، ب : « مجلدة » بالجم ، وأثبت ما في ه ، ح ، والتمورية .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصارى الخزرجي ، أحد الصحابة المبشرين ^{٢٠}
بالجنة ، وقد نفذ أبو بكر وصية له بعد موته أوصى بها رجلاً رآه في نومه . الإصابة ٩٠٠
وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٥٧) .

(٣) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « نائرة » تحريف . والحالة
كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

فلا تثق في كلامك برأي نفسك؛ فإنني ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق
التماسك، حتى إذا صار إلى رأيه في شعره، وفي كلامه، وفي ابنه، رأيتَه مُتَهافِتًا
وفوق المتهافت .

وكان زهير بن أبي سلمى، وهو أحد الثلاثة المتقدمين، يسمى كبار قصائده
« الحوليَّات » .

وقال نوح بن جرير: قال الخطيئة: « خير الشعر الحولى المنقح » .

قال وقال: البيث الشاعر^(١)، وكان أخطب الناس: « إني والله ما أرسل
الكلام قضيباً خشيباً^(٢)، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبايت
المحكك » . وكنت أظن أن قولهم « محكك » كلمة مولدة، حتى سمعت

١٠ قول الصَّعب بن علي الكِناني :

أبلغ فزارة أن الذئب آكلها وجائع سغب شر من الذئب
أزل أطلس ذو نفس محككة قد كان طار زماناً في اليعاسيب^(٣)

وتكلم يزيد بن أبان الرقاشي^(٤)، ثم تكلم الحسن، وأعرابيان حاضران

١٥ = بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلطة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما
في الناس من الفضائل . و « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه ، وهو فعل لم تنطق
به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد للآخر في عكسه :

وبلد يفضى على النعوت يفضى كإغضاء الروى المشبوت

أراد « المثبت » . فتوهم « ثبته » . انظر اللسان (سرر) .

(١) البيث لقب له . واسمه خداس بن بشر ، من بني مجاشع ، وأمه أصهبانية يقال لها

٢٠ « مرده » . وسمى البيث بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما اس تمر فؤادى واستمر عزيى

وكان أخطب تميم ، وكان يهاجى جريراً . للشعراء لابن قتيبة والمؤتلف ٥٦ .

(٢) الخشب : الذى لم يحكم ولم يجود ، من السيف الخشب الذى لم يصقل .

(٣) الأزل : السريع ، والخفيف الوركين . والأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غرة

٢٥ إلى سواد . واليعسوب : أمير النحل . يقول : هو فى سرعتة مثله .

(٤) هو أبو عمرو يزيد بن أبان الرقاشى البصرى القاص الزاهد الواعظ البكاء ، روى =

فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرّجلين ؟ فقال : أمّا الأوّل فقاصٌّ مُجيدٌ ،
وأما الآخر فعربيٌّ مُحكّكٌ .

قال : ونظر أعرابيٌّ إلى الحسن ، فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى
خيشومَ حرٍّ .

قالوا : وأرادوا عبدَ الله بنَ وهبٍ الراسبيّ^(٢) على الكلام يومَ عَقَدَتْ له
الخوارجُ الرّئاسة فقال : « وما أنا والرأيَ الفطير^(٣) ، والكلامَ القضيبي !
ولما فرَغُوا من البيعة له قال : « دَعُوا الرَّأْيَ يَغِبْ ؛ فَإِنْ غُيِبَ يَكْشِفْ لَكُمْ
عن مُحْضِهِ » .

وقيل لابن التّوأم الرّقاشي^(٤) : تكلم . فقال : « ما أشتى الخبزَ
إلا بائناً » .

قال : وقال عبّيد الله بن سالم^(٥) لرؤبة : مُتْ يا أبا الجحاف إذا شئت . قال :
وكيف ذاك ؟ قال رأيتُ اليومَ عُقْبَةَ بنِ رؤبة ينشد شعراً له أعجبنى . قال : فقال
رؤبة : نعم [إنّه ليقول^(٥)] ولكن ليس لشعره قرآنٌ . وقال الشاعر :
مِهادِبَةٌ مَناجِبَةٌ قِرَانٌ مَنادِبَةٌ كَأَنَّهُمُ الْأَسْوَدُ

١٥ عن أبيه وانس بن مالك والحسن البصري ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان وقتادة والأعمش . نهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢١٠ - ٢١١) وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩) .

(١) عبد الله بن وهب الراسبي : نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان قد خرج على علي في أربعة آلاف . بايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ هـ . انظر الطبري (٦ : ٤٢) والتنبية والإسراف ٢٥٦ .

٢٠ (٢) الفطير : كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه . ل : « القصير » تحريف .
(٣) ابن التوأم الرقاسي أحد البخلاء ، وقد أثبت له الجاحظ في البخلاء رسالة طويلة . انظر ١٤١ - ١٦٣ . وروى ابن قتيبة له أخباراً في عيون الأخبار (١ : ٢٩٩ ، ٣١٢ / ٣ : ١٧٠) .

(٤) سبقت كنيته في ص ٦٨ : « أبو نوفل » . فما عدل ، هـ : « عبد الله بن سالم » .

(٥) هذه ما عدل . وقد سبق الخبر في ص ٦٨ .

يريد بقوله « قران » التشابه والمواقفة .

وقال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ! قال : وبم ذاك ^(١) ؟ قال :
لأننى أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه .

قال : وذَكَر بعضهم شعر النابغة الجعدى ، فقال : « مُطَرَفٌ بآلاف ،
وِخَارٌ بواف ^(٢) » . وكان الأصمعى يفضله من أجل ذلك . وكان يقول :
« الحطيئة عبدٌ لشعره » . عاب شعره حين وجدَه كله متخيَّراً منتخباً مستويًا ،
لمكان الصنعة والتكلف ، والقيام عليه .

وقالوا : لو أن شعرَ صالح بن عبد القدوس ^(٣) ، وسابق البربرى ^(٤) كان
مفترقًا فى أشعار كثيرة ، لصارت تلك الأشعارُ أرفعَ مما هى عليه بطبقات ،
ولصار شعرُهما نواذرَ سائرةٍ فى الآفاق . ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا
لم تسير ، ولم تجرِ تجرى النواذر . ومتى لم يخرج السامعُ من شيء إلى شيء
لم يكن لذلك عنده موقع .

قال : وقال * بعضُ الشعراء لرجل ^(٥) : أنا أقولُ فى كلِّ ساعةٍ قصيدةً ، ١٧

(١) ل : « ولم ذلك » .

(٢) المطرف بضم الميم وكسرهما : واحد المطارف ، وهى أردية من خز مربعة لها
أعلام . والوافى : الدرهم الذى يزن مثقالا . ١٥

(٣) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، كان شاعرا حكيما من
المسكلمين ، ومن الوعاظ بالبصرة ، اتهم عند المهدي بالزندقة فقتله ببغداد ، خربه بيده بالسيف
فجعل له نصفين . وكان قد أصر آخر عمره . نكت الهميان ١٧١ وفوات الوفيات (١ : ٢٤٥)
وتاريخ بغداد ٤٨٤٤ ولسان الميزان . ٢٠

(٤) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربرى : له أشعار حسنة فى الزهد ، وهو من
موالى بنى أمية ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز . والبربرى نسبة إلى بلاد فى المغرب ،
وقيل إنما هو لقب له . خزنة الأدب (٤ : ١٦٤) . ل : « اليزيدى » ، وفيما عدل :
« البربرى » صوابها ما أثبت .

(٥) ل : « لبعض » . ٢٥

وأنت تقرُّضها في كلِّ شهرٍ . [فلم ذلك ^(١)] ؟ قال : لأنِّي لا أقبل من شيطاني مثل الذي تقبل من شيطانك .

قال : وأنشد عُقبَةُ بن رُوْبَةَ [أباه رُوْبَةَ ^(١)] بنَ العجاج شعراً وقال له : كيف تراه ؟ قال : يا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ لَيَعْرِضُ لَهْ مِثْلُ هَذَا يَمِينًا وَشِمَالًا فَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ .

وقد رَوَوْا مثلَ ذلك في زهيرٍ وابنه كعب .

قال : وقيل لعقيل بن عُلفَةَ : لِمَ لَا تُطِيلُ الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ما أحاطَ بالعُنُق ^(٢) » .

وقيل لأبي المهوش ^(٣) : لِمَ لَا تُطِيلُ الهجاء ؟ قال : لم أجِدْ المثلَ النادرَ إلَّا بيتاً واحداً ، ولم أجِدْ الشعرَ السَّائرَ إلَّا بيتاً واحداً .

قال : وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك نُصَيْبُ الشاعر : وَيَحْكُ يَا أَبَا الْحِجْنَاء ، أَمَا تُحَسِّنُ الهجاء ؟ قال : أَمَا تَرَانِي أَحْسِنُ مَكَانَ عَافَاكَ اللَّهُ : لَا عَافَاكَ اللَّهُ !

ولاموا الكميثَ بنَ زيدٍ على الإطالة ، فقال : « أَنَا عَلَى الْقِصَارِ أَقْدَر » .

وقيل للعجاج : مالك لَا تُحَسِّنُ الهجاء ؟ قال : هل في الأرض صانعٌ إلَّا وهو على الإفساد أَقْدَر .

وقال رُوْبَةُ : « الْهَدْمُ أَسْرَعُ مِنَ الْبِنَاءِ » .

وهذه الحججُ التي ذكروها عن نُصَيْبٍ والكميث والعجاج ورُوْبَةَ ، إِنَّمَا ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهلٌ إن كانت هذه الأخبارُ

(١) هذه مما عدل .

(٢) انظر الحيوان (٣ : ٩٩) وأمثال الميداني (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٣) أبو المهوش الأسدي : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين

الذين أدركوا البسي ولم يروه . انظر الإصابة ٢٠١٥ والخزائن (٣ : ٨٦) . ل : « لأبي

المهوس » ، صوابه بالشين .

صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ؛
وتكون له طبيعة في التجارة^(١) وليست له طبيعة في الفلاحة ؛ وتكون له طبيعة
في الخداع أو في التغيير^(٢) ، أو في القراءة بالألحان ، وليست له طبيعة في الغناء ،
وإن كانت هذه الأنواع كلها ترجع إلى تأليف اللحون . وتكون له طبيعة في
النأي وليس له طبيعة في الشرنأي^(٣) ؛ وتكون له طبيعة في قصبة الرأعي ولا تكون
له طبيعة في القصبتين المضمومتين ؛ ويكون له طبع في صناعة اللحون ولا يكون
له طبع في غيرها ؛ ويكون له طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع
ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر . ومثل هذا كثير جداً .

وكان عبد الحميد الأكبر^(٤) ، وابن المقفع ، مع بلاغة أقلامهما وألستهما
لا يستطيعان من الشعر إلا ما لا يُذكر مثله . ١٠

وقيل لابن المقفع في ذلك ، فقال : « الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي يجيئني
لا أرضاه^(٥) » .

وهذا الفرزدق * وكان مستهتراً بالنساء^(٦) ، وكان زير غوان ، وهو في ذلك ٢٨

(١) في نسخة : « التجارة » بالنون ، كما في حواشي ه .

(٢) قال الأزهري : « وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تعبيراً ، كأنهم
إذا ناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا ، فسموا مغبرة » . ل : « التغيير » ، وفيما عدا
ل : « التعبير » ، صوابهما ما أثبت . ١٥

(٣) السرنأي ، يضم السين : كلمة فارسية ، معناها البوق الذي ينفخ فيه ويزمر .
اسينجاس ٦٧٨ .

(٤) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، الذي قيل فيه : « فحنت الرسائل
بعد الحميد ، وختمت بابن العميد » ، وهو من أهل الشام ، وكان في أول أمره معلماً صبيح
يتنقل في البلدان ، وكان كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وقتل معه في مدينة بوضير
المصرية سنة ١٣٢ . وفيات الأعيان ، وشرح العيون (١ : ٢٥٦) . ٢٠

(٥) فيما عدال ، ه : « يجيئني » في الموضعين .

(٦) ما عدا ه : « مشتهراً » ، وكلاهما متجه . ٢٥

ليس له بيتٌ واحدٌ في النَّسِيبِ مذكور ، معَ حسده لجرير . وجريرٌ عفيفٌ لم يَعشَقْ امرأةً قطَّ ، وهو مع ذلك أغزلُ الناسِ شعراً .

وفي الشعراء مَنْ لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرَّجَزِ ، ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرَّجَزِ إلى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لُجَأ ، وأبي النَّجم ، وحُميد الأرقط ، والعماني . وليس الفرزدق في طَوَالِهِ بأشعرَ منه في قصاره .

وفي الشعراء مَنْ يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة ، وكذلك حال الخطباء في قريض الشعر . والشاعرُ نفسه قد تختلف حالاته .

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ الناسِ ورُبَّما مرَّتْ عَلَيَّ ساعةٌ ونزعُ ضرسٍ أهونُ عَلَيَّ من أن أقول بيتاً واحداً .

وقال العجاج : لقد قلتُ أرجوزتي التي أولها :

بكِيتُ والمُحْتَزَنُ البَكِيُّ وإنما يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيُّ
أطرباً وأنتَ قَنَسْرِيُّ^(١) والدَّهْرُ بالإنسانِ دَوَارِيُّ^(٢)

وأنا بالرَّمْلِ ، في ليلةٍ واحدةٍ^(٣) ، فانتألتُ عَلَيَّ قوافيها اثنيلاً ، وإني لأريد اليومَ دونها في الأيامِ الكثيرةِ فما أقدرُ عليه .

وقال لي أبو يعقوبَ الخُرَيْمِيُّ : خرجتُ من منزلي أريد الشَّامِسيَّةَ^(٤) ، فابتدأتُ القولَ في مرثيةٍ لأبي التَّخْتَنَاحِ ، فرجعتُ والله وما أمكنني بيتٌ واحد .
وفال الشاعر :

وقد يَقْرِضُ الشعرَ البَكِيُّ لسانَهُ وتُعَيِّ القوافي المرءَ وهو خَطِيبُ

(١) القنصري : الكبير المسن . وقيل : لم يسمع هذا إلا في بيت العجاج . وفي حواشي
ع ابن دريد : « تمنى الإنسان : شاح وتقبض . وأنشده . وأنشد أيضا :

« وقنصره أمور فاقسان لها » .

(٢) دوازي : يدور بالناس أحوالا . انظر ديوان العجاج ٦٦ .

(٣) هـ : « وأنا بالرمل » فقط .

(٤) الشامية : موضع في أعلى بغداد مجاور لدار الروم .

باب

من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز^(١) ،

من ملتقطات كلام الناس^(٢)

قال بعض الناس : « من التوقى ترك الإفراط في التوقى » .

وقال بعضهم : « إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون^(٣) » .

وقال الشاعر :

قدّر الله وارِدٌ حين يُقضى وروده

فأرد ما يكون إن لم يكن ما تريده^(٤)

وقيل لأعرابي في شكائِهِ : كيف تجدك ؟ قال : « أجِدُنِي أَجِدُ مَا لَا أَشْتَهِي

وأشتهي ما لا أجِدُ ، وأنا في زمانٍ من جادٍ لم يجد ، ومن وجدٍ لم يجد^(٥) » .

وقيل لابن المقفع * ألا تقول الشعر ؟ قال : الذي يجيئني لا أرضاه ، والذي

أرضاه لا يجيئني^(٦) .

وفال بعض النّسّاك : « أنا لما لا أرجو أرجى مِنِّي لما أرجو » .

وفال بعضهم : « أعجبُ من العجب ، تركُ التعجب من العجب » .

(١) فيما عدال : « في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز » تحريف .

(٢) ما عدال ، هـ : « كلام النّسّاك » تحريف .

(٣) هذه الكلمة لأيوب بن أبي تيمية السحيتي الذي سبقت ترجمته في ص ١٩٢ . انظر

صفة الصفوة (٣ : ٢١٤) والحيوان (٦ : ٨) .

(٤) هذان البيتان لم يرويا في ل .

(٥) الخبر في الحيوان (٣ : ١٣٢ / ٦ : ٥٠٣) . وقد نسب في عيون الأخبار

(٣ : ٤٩) إلى أبي الدغيش . وما بعد كلمة « ما لا أجِدُ » هو مما عدال .

(٦) هذا الخبر من ل ، هـ فقط . ورواية هـ : « الذي أرضاه » . وقد سبق قريباً

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز لعبدِ بنى مخزوم : « إني أخافُ اللهَ فيما تقلدتُ » .
 قال : لستُ أخافُ عليك أن تخاف ، وإنما أخافُ عليك ألا تخاف .

وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدقتك ، وأخاف الله إن كذبتك .

وقال رجلٌ من النُّسَّاك لصاحبٍ له وهو يَكِيدُ بِنَفْسِهِ^(١) : أما ذنوبي فإني أرجو لها مغفرةَ الله ، ولكنني أخافُ على بناتي الضَّيعة . فقال له صاحبه : فالذي ترجوه لمغفرةِ ذنوبك فارجه لحفظ بناتك^(٢) .

وقال رجلٌ من النُّسَّاك لصاحبٍ له : مالى أراك حزيناً ؟ قال : كان عندي يتيمٌ أربيّه لأوجر فيه ، فمات وانقطع عنا أجره ، إذ بطلَ قيامنا بمثونته . فقال له صاحبه : فاجتلبِ يتيماً آخرَ يقوم لك مقام الأول . قال : أخاف ألا أصيبَ يتيماً في سوء خلقه ! قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت في موضعك منه لما ذكرت سوء خلقه .

وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوي وهو يقول : ما يمنعني من تعلم القرآن إلا أني أخاف أن أضيعه . قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ، ولعلك إذا تعلمته لم تضيّعه .

وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ : مَنْ سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنت كذلك لم تقله^(٣) !

(١) يكيد بنفسه : يحود بها عند النزاع في حال الموت .

(٢) ب : « تحفظ بناتك » ، ح : « يحفظ » . وأثبت ما في ل ، هـ والنيمورية .

(٣) فيما عدال : « لم تقل » .

باب آخر

وقالوا في حُسن البيان ، وفي التخلص من الخضم بالحق والباطل ، وفي
تخليص الحق من الباطل ، وفي الإقرار بالحق ، وفي ترك الفخر بالباطل .
قال أعرابيٌّ وذكر حماس بن ثاملٍ فقال ^(١) :

هـ برئتُ إلى الرحمن من كلِّ صاحبٍ أصاحبه إلا حماسَ بنِ ثاملٍ
وظنّني به بين السّماطين أنّه سينجو بحقيّ أو سينجو بباطليّ
وقال العجّير السّلولي ^(٢) :

وإنّ ابنَ زيدٍ لابنُ عمّي وإنّه لبلالٌ أيدي جِلّةِ الشّولِ بالدم ^(٣)
طلوع الثّنايا بالمطايا وإنّه غداة المرادى للخطيبِ المقدّم ^(٤) ٣٠
يسرّك مظلوماً ويرضيك ظالماً ويكفيك ما حمّلتَه حين تغرّم
الشّول : جمع شائلة ، وهي النّاقة التي قد جفّ لبنها . وإذا شالت بذنبها بعد
اللقاح فهي شائلٌ ، وجمعها شُول . المرادى : المصادم والمقارع ؛ يقال ردّيتُ
الحجرَ بصخرةٍ [أو بيمغولٍ ^(٥)] ، إذا ضربته [بها ^(٥)] لتكسّره . والمِرْدَاة :
الصخرة التي يكسّر بها الحجارة . وقال ابن ربيع الهذلي ^(٦) :

١٥ (١) هذه الكلمة ساقطة مما عدل . وحماس بن ثامل ، أحد شعراء الحماسة ، أنشد
له أبو تمام :

ومستنح في لج ليل دعوته بمشوبة في رأس صمد مقابل
وقلت له أقبل فإنك راشد وإن على النار الندى وابن ثامل

(٢) سبقت ترجمته في ١٢٣ .

٢٠ (٣) يبل أيديها بالدم ، أي بنحرها أو يعرقها . والجلّة : المسان من الإبل ، جمع بيليل
كصبى وصبية .

(٤) الثنايا : جمع ثنية ، وهي العقبة في الجبل .

(٥) هذه مما عدل . والفسير في متخلل هذه الأبيات الثلاثة .

(٦) هو عبد مناف بن ربيع الهذلي الجربي . وربع ، بكسر الراء . والجربي نسبة إلى =

أَعَيْنَ إِلَّا فَابِكِي رُقِيَّةَ إِنَّهُ وَصُولٌ لَأَرْحَامٍ وَمِغْطَاءٌ سَائِلٍ^(١)
فَأَقْسِمَ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَحَمِيَّةً — وإنْ كَانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ
وَقَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ ، وَهُوَ الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ^(٢) مِنْ بَنِي النَّضِيرِ^(٣) :

سَائِلٌ بِنَا خَابَرَ أَكْثَانَا وَالْعِلْمُ قَدْ يُلْقَى لَدَى السَّائِلِ^(٤)
إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
وَاَعْتَلَجَ النَّاسُ بِالْبَابِهِمْ نَقَضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلٍ^(٥)
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلِيطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ^(٦)
نَكَرَهُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا فَتَحْمِلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ
وَقَالَ آخِرُ وَذَكَرَ حِمَاسًا أَيْضًا :

- ١٠ = جريب كقریش ، وهو بطن من هذيل . وعبد مناف شاعر جاهلي . انظر الخزاعة (٣ : ١٧٤)
وأما قصيدته التي منها البيان فهي في بقية أشعار الهذليين ٧ ونسخة الشنقيطي من الهذليين ٥٢ .
وهو يرثي بالقصيدة « دبية السلمي » . ودبية بضم الدال وفتح الباء وتشديد الياء .
(١) ل : « أعين » . وفي ديوان الهذليين : « فعيني ألا فابكي دبية » .
(٢) ذكر أبو الفرج في الألفاني (٢١ : ٦١) أنه كان أحد الرؤساء في يوم بعث
وكان يوم بعث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .
١٥ (٣) وكذا ذكر ابن سلام في طبقاته ١١٠ . وزعم أبو الفرج أنه من بني قريظة .
وجاء فيما عدل زيادة : « وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فقتلوه » . وفي هذه
العبارة خطأ وتحريف ؛ فإن الذي في كتب السير أن الذي قتل بخیبر هو سلام بن أبي الحقيق ،
وذلك أن الأوس بعد قتلهم لكعب بن الأشرف ، استأذنوا الرسول في قتل سلام بن أبي الحقيق ،
فأذن لهم فخرجوا ، وأميرهم عبد الله بن عتيك ، إلى خيبر فقتلوا سلاماً . وفي ذلك
٢٠ يقول حسان :

لله در عصاة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

انظر السيرة ٧١٣ - ٧١٦ جوتنجن ، وديوان حسان ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٤) الخابر : الذي يخبر ويختبر . والأكاء : جمع كمي ، وهو الشجاع الجري . قال :

٢٥ تركت ابنتيك للمغيرة ، والقنا شوارع والأكاء تشرق بالدم

وفي الأصول : « أكفائنا » صوابه من ابن سلام ١١٠ حيث أنشد الأبيات . و « يلتق »

بالقاف ، كما في ل وابن سلام . وفي سائر النسخ « يلتق » ، سيان .

(٥) فيما عدل : « واصطرع » . وفي الطبقات : « نرضى بحكم العادل الفاصل » .

(٦) لطف به وألطف : لزمه .

أتانى حماسٌ بابتِ ماءٍ يسوقه^(١) ليبتغيه خيراً وليس بفاعل^(٢)
 ليُعطيَ عبساً مالنا ، وصدورنا من الغيظ تغلي مثل غلي العراجل
 وقافية قيلت لكم لم أجِد لها جواباً إذا لم تُضربوا بالمناصل
 * فأنطقَ في حقِّ بحقٍ ولم يكن ليرحضَ عنكم قالة الحقِّ باطلاً^(٣) ١٣١
 ٥ ليرحض ، أى يغسل . والراحض : الغاسل . والرحاض : الموضع الذى يغسل فيه .
 وقال عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومي أنطقنني رماحهم^(٤) نطقننني ولكن الرماح أجرت^(٥)
 الجرار^(٦) : عودٌ يُعرض في فم الفصيل ، أو يُشق به لسانه ، لئلا يرضع . فيقول :
 قومي لم يقطعنوا بالرماح فأثني عليهم ، ولكنهم فرؤوا فأسكت^(٧) كالْمَجْرَرِ
 الذى في فم الجرار^(٨) . ١٠

وقال أبو عبيدة : صاح روبة في بعض الحروب التي كانت بين تميم والأزد :
 يا معشر بني تميم ، أطلقوا من لسانى^(٩) .

قال : وأبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنة ، فصاح : « لا عيًّا

(١) ابن ماء ، هذا ما أثبت في هاشل ، ولهذا العلم اشتقاق في اللغة من قولهم رجل ماهى القلب ، أى جبان كأن قلبه في ماء . وفي « واصلب ل : « بابتِ ماهى » . وفيما عدال : « بابتِ ماهى » .

(٢) فيما عدال : « قالة الخزي » .

(٣) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ١٧ - ١٨ . وأبيات منها في الحماسة (١ : ٤٣) . وانظر اللسان .

(٤) لم أجِد هذا اللفظ في المعاجم المتداولة . والمعروف « الخلال » انظر المعاجم في مادة (خلل) والمخصص (٧ : ٣٢) . كما أن المعروف في المصدر « الجر » و « والإجرار » .
 (٥) أسكت الرجل إسكاتاً : انقطع كلامه فلم يتكلم . ه : « فأسكت » .

(٦) ما عدال ، ه : « جرار » .

(٧) نظير قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي في المفضليات (١ : ١٥٥) :

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا ٢٥

ولا شللاً^(١) ! ». والعرب تقول : « عىُّ أبأسُ من شلل^(٢) ». كأن العىَّ فوق كلِّ زمانة .

وقالت الجهننية^(٣) :

ألا هَلَكَ الحُلُوُّ الحلالُ الحلالِ وَمَنْ عِنْدَهُ حِلْمٌ وَعِلْمٌ وَنَائِلُ^(٤)
وَذُو خُطْبٍ يَوْمًا إِذَا الْقَوْمُ أَفْجَحُوا تُصِيبُ مَرَادِي قَوْلِهِ مَا يَحَاوُلُ
بَصِيرُهُ بَعُورَاتِ الْكَلَامِ إِذَا التَّقَى شَرِيحَانِ بَيْنَ الْقَوْمِ : حَقٌّ وَبَاطِلُ
أَتَيْتُ لَمَّا يَأْتِي الْكَرِيمُ بِسِيفِهِ وَإِنْ أَسْلَمَتْهُ جَنْدُهُ وَالْقَبَائِلُ^(٥)
وَلَيْسَ بِمِعْطَاءِ الظَّلَامَةِ عَنْ يَدِ وَلَا دُونَ أَعْلَى سَوْرَةِ الْمَجْدِ قَابِلُ^(٦)
الحلالِ : السيد . شريحان : جنسان مختلفان من كلِّ شيء^(٧) .

وأنشد أبو عبيدة في الخطيب يطولُ كلامه ، ويكونُ ذكُوراً لأوَّلِ خطبته
والذى بنى عليه أمره ، وإن شغبَ شاغبٌ فقطع عليه كلامه ، أو حدث عند
ذلك حدثٌ يحتاج فيه إلى تدبيرٍ آخر ، وصلَ الثاني من كلامه بالأوَّل ، حتَّى
لا يكون أحدُ كلاميه أجودَ من الآخر ، فأنشد :

وإن أحدتوا شغباً يُقَطِّعُ نَظْمَهَا فَإِنَّكَ وَصَّالٌ لَمَّا قَطَعَ الشَّغْبُ
ولو كنت نَسَاجاً سَدَدْتُ خَصَاصَهَا بِقَوْلِ كَطْعِ الشَّهْدِ مَا زَجَّهُ الْعَذْبُ^(٨)

(١) في اللسان : « ويقال لمن أجاد الرمي أو الطمن : لا شللاً ولا عى » .

(٢) ل : « أينس من شلل » . (٣) ب فقط : « الجهنمية » .

(٤) الحلال : الذى لا ريبة فيه . والحلال : السيد الشجاع الركين في مجلسه .

(٥) ه عن نسخة : « والقبايل » ، وهى الطوائف من الناس .

(٦) عن يد : عن قهر وذل واستسلام . وفي هامش ل : « فازل » رواية في « قابل » .

(٧) فيما عدل : « شريحان : جنسان . يقال : الناس شريحان وشريحان ، أى فرقتان .

ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين ، أى بعضهم صائماً وبعضهم مفطراً .

(٨) الخصاص بالفتح : خلل الشيء . ل : « نساء » تحريف . وفيما عدل ، ه :

« سدوت » تحريف أيضاً ؛ إنما يقال سدى الثوب يسديه ، يأتى . فيما عدل : « بالبارد

العذب » وفيه الإقواء . وفي حواشي ه : « وفي رواية بالبارد العذب . خ : شيب به العذب » .

١٣٢

وقال نُصَيْبٌ :

وما ابتذلتُ ابتذالَ الثوبِ ودَّكُمُ وعائِدُ خَلَقًا ما كان يُبتَذَلُ
وعِلْمُكَ الشَّيْءَ تهوى أن تبَيِّنَهُ أشقى لقلبِكَ مِن إخبارٍ من تَسَلُّ^(١)
وقال آخر :

لعمرك ما وُدُّ اللِّسانِ بِنافعٍ إذا لم يَكُنْ أصلُ المودَّةِ في الصِّدرِ
وقال آخر^(٢) :

تعلَّمْ فليس المرءُ يُولدُ عالمًا وليس أخو عِلْمٍ كَمَنُ هو جاهلٌ
وأن كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عنده صغيرٌ إذا التفتَ عليه الحافلُ^(٣)
وقال آخر :

١٠ فتنى مثلُ صَفْوِ الماءِ ليس بياخِلِ عليك ولا مُهْدٍ مَلامًا لبَاخِلِ
ولا قائلٍ عَوْرَاءٍ توذِي جليسه ولا رافع رأسًا بعوراء قائلٍ^(٤)
ولا مُسْلِمٍ مولًى لأمرٍ يُصِيبُهُ ولا خالطٍ حقًا مصيبًا بباطلِ
ولا رافعٍ أحدىثة السَّوءِ مُعْجَبًا بها بين أيدي المجلسِ المتقابلِ^(٥)
يُرَى أهله في نعمةٍ وهو شاحبٌ طوى البطنَ نِخْماصُ الضُّحَى والأصائلِ
وقالت أخت يزيد بن الطَّثْرِيَّةِ^(٦) :

(١) يقال : سألت أسأل ، وسلت أسل ، كما في اللسان . ل : « يسل » .

(٢) هو رجل من قيس ، كما في لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٢٢٨ .

(٣) بعده : ولا ترخص من عيش بدون ولا يكن * نصيبك إرث قدمته الأوائل

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة . فيما عدل : « توذى رفيقه » .

(٥) طوى البطن ، على وزن فعل ، أى ضامره . والنخماص : الجائع .

(٦) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر . والطثرية

أمة ، وهى من الطثر ، بالفتح ، حى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة

وسكون الثاء المثناة » وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وكان يزيد بحيلة وسيما شريفاً

متلافاً . توفى سنة ١٢٦ . انظر تحقيق ذلك في حواشى الحيوان (٦ : ١٣٧) . واسم أخت

يزيد زينب ، كما في اللسان (١٣ : ٤٣) وحماسة أبى تمام (١ : ٤١٧) والبحترى ٤٣٣ .

أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بطنِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي قَرِيبًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ
فَتَى قَدْ قَدَّ السَّيْفِ لَا مُتَضَائِلٌ وَلَا رَهِيلٌ كَلْبَاتُهُ وَبَادِلُهُ ^(١)
فَتَى لَا يُرَى خَرَقُ الْقَمِيصِ بِخَصْرِهِ وَلَكِنَّا تُوهِي الْقَمِيصَ كَوَاهِلُهُ ^(٢)
إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوْرًا عَلَى الْحَى حَتَّى تُسْتَقِلَّ مَرَّاجِلُهُ ^(٣)
مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هَنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ ^(٤)
يَسْرُوكَ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
أَخَوِ الْجَدِّ إِنَّ جَدَّ الرَّجَالِ وَشَعَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَتَّتَ أَهْلَكَ بَاطِلُهُ ^(٥)
يَصِيرُ هَذَا الشَّعْرُ وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَابِ ، إِلَى الشَّعْرِ الَّذِي فِي
أَوَّلِ الْفَصْلِ .

(١) اللبة واللبب : المنحر . والبأدلة : اللحم بين الإبط والتندؤه . وفي حماسة أبي تمام :
« وأباجله » .

(٢) لا يخرق قميصه بخصره لخصره ، ويخرق قميصه بكاهله لكثرة حمله نجاد السيف .

(٣) العذور : السبيء الخلق . تستقل : تحمل وترفع . يقول : إنه يسوء خلقه على
أهله عند نزول الضيف ؛ حتى يطمئن إلى إمكان قراره . وعند البحري : « حتى تستقر » .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والدريس : الخلق . أضاف الصفة إلى الموصوف .

(٥) انظر ما ساقى في ٤ : ٧٥ .

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب

قال الشاعر :

عجبت لأقوام يعيبون خطبتي وما منهم في موقفٍ بخطيبٍ
وقال آخر^(١) :

إنَّ الكلامَ مِنَ الفؤادِ وإنَّمَا جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤادِ دليلاً^(٢)
لا يُعجِبُكَ من خطيبٍ قوله حتَّى يكون مع البيان أصيلاً^(٣)
وأنشد آخر :

أبرّ فما يزدادُ إلاَّ حِمَاةً ونُوكاً وإن كانت كثيراً مَخارجُهُ^(٤)
وقد يكون ردىء العقل جيّد اللسان .

وقال أبو العباس الأعمى^(٥) :

إذا وصَفَ الإسلامَ أحسنَ وصَفَهُ بفيه ، ويأبى قلبه ويهاجرُهُ^(٦)
وإن قامَ قال الحقُّ ما دام قائماً تقيُّ اللسانَ كافرُهُ بَعْدُ سائرُهُ^(٧)
وقال قيس بن عاصم المنقرى^(٨) يذكر ما في بني منقر من الخطابة :

(١) هو الأخطل كما نص ابن هشام في شرح شلور الذهب ٢٧ .

(٢) الرواية المروفة : « نوى الفؤاد » والبيتان ليسا في الديوان .

(٣) عند ابن هشام : « خطيب خطبة » . وفيما عدال : « مع اللسان » .

(٤) أبر : غلب . والنوك ، بالضم والفتح : الحق .

(٥) أبو العباس الأعمى ، هو السائب بن فروخ ، مولى جذيمة بن علي بن الدليل بن بكر

ابن عبد مناة ، وكان من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشجيع لهم ، روى

الحديث عن صدر من الصحابة ، وروى عنه عطاء وعمرو بن دينار . توفي بعد ١٢٦ . الأغاني

(١٥ : ٥٧ - ٦١) ونكت الهميانى ١٥٣ - ١٥٥ وتهذيب التهذيب .

(٦) جاء بعد هذا البيت فيما عدال : « يقول أنه يتيه عن قوله ويأباه ويهجره ويقول

بحق على منبره بلسانه وسائره كافر » .

(٧) هامش ل : « خ : وإن قال قال الحق ما دام قائلاً » .

(٨) هو أبو علي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس =

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَعْتَرِي خُلُقِي دَنْسٌ يُفْنِدُهُ وَلَا أَفْنٌ^(١)
 مِنْ مِّنْقَرٍ فِي بَيْتٍ مَّكْرُمَةٍ وَالْأَصْلُ يَنْبْتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ^(٢)
 خُطْبَاءُ حِينَ يَقُومُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَصَاقِعُ لُشْنٍ^(٣)
 لَا يَفْطُنُونَ لَعِيبَ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحْفَظِ جِوَارِهِمْ فُطْنٌ^(٤)

ومن هذا الباب وليس منه في الجملة ، قول الآخر :

* أشارت بطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
 فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُسَلَّمِ^(٥)
 وقال نُصَيْبٌ ، مولى عبد العزيز بن مروان^(٦) :

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ^(٧)

- ١٠ = واسم مفاعس الحارث - بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر فارس شجاع ، وكان سيداً في الجاهلية والإسلام ، صاحب النسي في حياته وعاش بعده زماناً ، وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية ، بل يزعمون أنه أول من وأد . وفيه يقول الأحنف : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم . الإصابة ٧١٨٨ والأغاني (١٢ : ١٤٣ - ١٥١) . وروى ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالي ، حينما علم بأن ابن أخيه قد قتل ابنه .

- ١٥ (١) فنده : لأمه وضعف رأيه . والأفن : ضعف الرأي والعقل . وفي أمالي القائل (١ : ٢٣٩) : « لا يعتري حسبي » .

- (٢) في الحماسة (٢ : ٢٦٤) وعيون الأخبار : « والغصن ينبت حوله » . وفي الأمالي : « والفرع » .

- (٣) في الأمالي وعيون الأخبار : « حين يقول » .

- ٢٠ (٤) هـ : « لحسن جواره » . وفي الحماسة والأمالي وعيون الأخبار : « لحفظ جواره » ، وفطن : جمع فطن .

- (٥) سبق البيتان في ص ٧٨ . وروى هناك كما ورد في هـ : « بالحبيب المنيم » .

- (٦) نصيب هذا هو نصيب الأكبر ، وقد سبقت ترجمة الأصغر في ١٢٥ . وهذا هو نصيب بن رباح ، وكان ابن نوبيين ، اشتراه عبد العزيز بن مروان ، وكاد شاعراً فحلاً فصيحاً ، وله شعر كثير في الاحتجاج للسواد . انظر الأغاني : (١٢٥ - ١٤٥) . وكنيته أبو محجن ، وجاء في (١ : ١٣٥) أنه كان يكنى أبا الحجناء ، وهي كنية مشتركة بينه وبين نصيب الأصغر . انظر ما سبق في ص ٢٠٧ .

- (٧) البيت من أبيات في الأغاني (١ : ١٣٥) . وبعده :

فَي لَا يَرْزَأُ الْخِلَانَ إِلَّا مَوَدَّتَهُمْ وَيَرْزُوهُ الْخَلِيلَ
 فَبَشَرِ أَهْلَ مِصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مِصْرَ نَيْلَ

وقال آخر :

ألا رَبَّ خَصِمٍ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتَهُ وَإِنْ كَانَ أَلْوَى يُشْبِهَ الْحَقَّ بَاطِلُهُ^(١)

فهذا هو معنى قول العتّابي : « البلاغة إظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق »^(٢) . وقال الشاعر^(٣) ، وهو كما قال :

عَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْقَوْلِ أَعْلَمًا^(٤)

وفى الصَّمْتُ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةٌ لُبٌّ الْمَرْءُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

وموضع « الصحيفة » من هذا البيت ، موضع ذكر « العنوان » في شعره^(٥)

الذي رثى عثمان بن عفّان ، رحمه الله ، به حيث يقول :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا^(٥)

١٠ وأنشد أيضا :

تَرَى الْفَتَيَانَ كَالْتَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ^(٦)

وَكُلٌّ فِي الْهَوَى لَيْثٌ وَفِيَا نَابَهُ فَسْلٌ

وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْوَصْلِ وَلَكِنْ أَنْ يُرَى الْفَضْلُ^(٧)

(١) الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ س ١١ - ١٢ .

١٥

(٣) هو الخطّى جد جرير ، واسمه عوف ، انظر اللسان (خطف) حيث أنشد البيتين ، وكذا عيون الأخبار (٢ : ٢٧٥) . والبيتان بدون نسبة في تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٨) .

(٤) في اللسان وتاريخ بغداد : « لإزراء العيسى » وفي عيون الأخبار : « قد كان بالحق » .

(٥) أي في شعر الشاعر ، ولم يقصد به معينا . والبيت التالي لحسان بن ثابت في ديوانه

٢٠ ٤١٥ واللسان (عن ١٦٨) . وسيأتي في (٣ : ٢٦٢) .

(٦) الشعر لابنة الحس ، كما في اللسان (١٨ : ١٧٩ - ١٨٠) . وقبله :

قالت قالة أختي وحجواها لها عقل

وقد ضمننت ابنة الحس هذا المثل في شعرها ، وأما المثل « ترى الفتیان » الخ : فقائله هو

عشمة بنت مطرود البجليّة . انظر أمثال الميداني (١ : ١٢٣) .

(٧) فيما عدال : « الفضل » بالضاد المعجمة .

٢٥

- وقال كسرى أنوشروان ، لبزرجهمر^(١) : أيُّ الأشياء خيرٌ للمرء العي^(٢) ؟
- قال : عقلٌ يعيش به . قال : فإن لم يكن له عقلٌ ؟ قال : فإخوانٌ يسترون عليه .
- قال : فإن لم يكن له إخوانٌ ؟ قال : فمالٌ يتحبَّبُ به إلى الناس . قال : فإن لم يكن له مالٌ ؟ قال : فعِيٌّ صامتٌ . قال : فإن لم يكن له^(٣) ؟ قال : فموتٌ مُريح .
- وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو علي^(٤) : « رسائل المرء في كتبه أدلُّ على مقدار عقله ، وأصدقُ شاهداً على غيبه لك^(٥) ، ومعناه فيك ، من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة » .

(١) سبقت ترجمته في ص ٧ ، حيث ورد الخبر التالي ببعض خلاف .

(٢) هذا ما في ب ، وهو يطابق ما سبق . وفيما عداها : « العيى » .

(٣) فيما عدال : « ذلك » بدل « له » .

(٤) هذه إحدى كنيى العتابي ، وكنيته المشهورة أبو عمرو . وجاء في عيون الأخبار (١ : ٣٩٠) « قال يحيى بن خالد للعتابي في لباسه ، وكان لا يبالي ما لبس — يا أبا علي ، أخزى الله أمراً رضى أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله » . والعتابي هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، وجده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . والعتابي شاعر مترسل بليغ مطبوع ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منتظماً إلى البرامكة فوصفوه للرشد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . انظر الأغاني (١٢ : ٢ : ٩) وتاريخ بغداد ١٩٦١ ومعجم الأدباء (١٧ : ٢٦) .

(٥) فيما عدال : « وأصدق شاهد على غيبه لك » .

وباب منه آخر

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحلل والمعطف ،
والديباج والوشى ، وأشباه ذلك .

وأنشدني أبو الجاهر جندب بن مدرك الهلالي :

لا يُشْتَرَى الحمدُ أُمْنِيَّةً ولا يُشْتَرَى الحمدُ بالمَقْصِرِ^(١)

ولكنّا يُشْتَرَى غالِيًا فمن يُعْطِ قيمته يَشْتَرِ

ومن يعتطفه على مِئْزِرٍ فَنِعَمَ الرِّدَاءُ على المِئْزِرِ

وأنشدني لابن ميادة^(٢) :

نَعَمْ إِنِّي مُهِدٍ ثَنَاءٍ وَمِدْحَةٍ كَبُودِ الْيَمَانِي يُرْبِحُ الْبَيْعَ تَاجِرُهُ

وأنشد : ١٠

فَإِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِي قَوَائِي تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَ^(٣)

لَذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٍ لَوْ أَنَّ الشُّعْرَ يُبْلَسُ لَارْتُدِينَا

وقال أبو قردودة ، يرثي ابن عمار^(٤) قَتِيلَ النُّعْمَانِ وَنَدِيمَهُ^(٥) ، ووصف

كلامه ، و [قد^(٦)] كان نهاء عن منادته :

(١) المفصر ، بفتح الصاد وكسر ها : الشيء الدون اليسير . اللسان (٦ : ٤١٥) .

(٢) ابن ميادة ، هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، وهو شاعر مخضرم من شعراء

الدولتين ، وكان من مدح المنصور ، ومات في صدر خلافته . الأغاني (٢ : ٨٥ - ١١٦) .

(٣) البيتان لابن ميادة ، كما في حماسة ابن الشجري ٢٣٧ - ٢٣٨ . وانظر ديوان

المعاني (١ : ٨) ودلائل الإعجاز ٣٦٨ .

(٤) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعرا خطيبا ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمّله

على منادته . وكان النعمان أحر العيينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة قتالا للندماء ،

فنهأ أبو قردودة عن منادته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر التالي . انظر الحيوان (٤ : ٢٤٣ / ٥ :

٣٣٢) . ومعجم المرزباني ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٥) هذه الكلمة في ل فقط . (٦) هذه مما عدال .

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ
 إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطِرُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهُ
 يَا جَفْنَةً كَأَزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا وَمِنْطَقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الْحَبْرَةِ^(١)
 وقال الشاعر^(٢) في مديح أحمد بن أبي دؤاد :

وعويص من الأمور بهيم غامض الشخص مُظْلِمٌ مستور^(٣)
 قد تسهلت ما توغر منه بلسان يزينه التحبير^(٤)
 مثل وشي البرود هلهله النَّسْجُ وعند الحجاج درُّ نثر
 حسن الصمت والمقاطع إتما نطق القوم والحديث يدور^(٥)
 ثم من بعد لحظة تورث اليُسْرَ وعرض مذهب موفور^(٦)

ومما يُضَمُّ إلى هذا المعنى وليس منه ، قول جميل بن مَعْمَر :
 نمت في الرَّوَابِي من مَعْدٍ وَأُفْلِجَت على الْخَفِرَاتِ الْغُرِّ وهى وليد
 أناة على نيرين أضحى لداتها بِلين بلاء الرِّيط وهى جديد^(٦)
 نمت : شبت . الرَّوَابِي من مَعْدٍ : البيوت الشريفة . وأصل الراية والرَّيَاة :
 ما ارتفع من الأرض . أفلجت : أظهرت^(٧) . والخفِرَات : الحيات . الأناة :
 المرأة التى فيها فتور عند القيام . وقوله على نيرين ، وصفها بالقوة ، كالشَّوْب الذى

(١) إزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٢) هو الحافظ ، كما ورد فى ترجمة ياقوت له فى معجم الأدباء (١٦ : ٨٠ - ٨١) .

(٣) فى البيت إقواء . لكن روى فى « عويص » وما بعده .

(٤) فى معجم الأدباء : « قد تسنمت » . وهى رواية إحدى النسخ كما فى حواشى هـ . وفى

حواشيا أيضا : « يقال تسنم الرجل الحائط ، إذا علاه من عرض » .

(٥) فيما عدال : « أنصت الفوم » . وفى معجم الأدباء : « نصت » ، وهى صحيحة

يقال : نصت وأنصت ، والأخيرة أعلى .

(٦) فى المخصص (٣ : ١٥٦) :

ضناك على نيرين أضحى لداتها بِلين بلى الريطات وهى جديد

(٧) فيما عدال : « أفلجت : ظهرت وقهرت » . وتقرأ بالبناء للفاعل .

يُنْسَجُ عَلَى نِيرَيْنِ ، وَهُوَ الثَّوبُ الَّذِي لَهُ سَدَيَانِ ، كَالدِّيَبِاجِ وَمَا أَشْبَهَهُ . أَضْحَى لِدَاتِهَا ، اللَّدَّةُ : الْقَرِينَةُ فِي الْمَوْلَدِ وَالْمَنْشَأُ . فَيَقُولُ : إِنَّ أَقْرَانَهَا قَدْ بَلَيْنَ ، وَهِيَ جَدِيدٌ لِحَسَنِ غِذَائِهَا وَدَوَامِ نَعْمَتِهَا .

وَمِنْ هَذَا الشَّكْلِ وَلَيْسَ مِنْهُ بَعِينُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
عَلَى كُلِّ ذِي نِيرَيْنِ زَيْدٌ مَحَالُهُ مَحَالًا وَفِي أَضْلَاعِهِ زَيْدٌ أَضْلَعَا
الْمَحَالُ : مَحَالُ الظَّهْرِ ، وَهِيَ فَقَارُهُ ، وَاحِدُهَا مَحَالَةٌ .

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِيُّ الْأَعُورُ : أَوَّلُ شَعْرِ قَلْبِهِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ :
بِقَلْبِي سَقَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ وَصْفَهُ عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ فَهُوَ شَدِيدُ
تَمَرٍّ بِهِ الْآيَامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا فَتَبْلَى بِهِ الْآيَامُ وَهُوَ جَدِيدُ
١٠ وَقَالَ الْآخَرُ^(١) :

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو وَحَبَّهَا عَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزًا يُفَنِّدِ
كِبَرُودَ الْيَمَانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرُقِعَتْهُ مَا شُنْتُ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ
وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

إِنَّ الْأَدِيمَ الَّذِي أَصْبَحْتَ تَعْرُكُهُ جَهْلًا لَذُو نَغْلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمٍ^(٢)
وَلَنْ يَنْتِظَ بِأَيْدِي الْخَالِقِينَ وَلَا أَيْدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيْدُ الْأَدَمِ^(٣)
١٥

٣٧ وَفِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ ذُو الرُّمَّةِ :

وَفِي قَصْرِ حَجَرٍ مِنْ ذُوَابَةِ عَامِرٍ إِمَامٌ هَدَى مُسْتَبِيرٌ الْحُكْمَ عَادِلُهُ^(٤)

(١) فِيمَا عَدَالَ ، هـ : « وَقَالَ آخَرُ ، هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّلِّي » . وَالْبَيْتَانِ فِي الْحِمَاسَةِ

(٢) (١٢٨ : ٢) مَسْوَدَانِ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ . وَفِي حَوَاشِي هـ : « هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ » .

(٣) النُّغْلُ : فَسَادُ الْأَدِيمِ . وَالْحَلَمُ ، بِالتَّحْرِيكِ : فَسَادُهُ وَوُقُوعُ الدُّودِ فِيهِ .

(٤) يَشُطُّ : يَصُوتُ . وَالْخَالِقُ : الَّذِي يَخْلُقُ الْأَدِيمَ ، يَقْدِرُهُ وَيُقَيِّدُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَهُ . وَالْأَدَمُ

بِالتَّحْرِيكِ : اسْمُ جَمْعٍ لِلْأَدَمِ ، وَهُوَ الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ . وَيُفْرَأُ أَيْضًا « الْأَدَمُ » بِضَمِّتَيْنِ جَمْعُ أَدِيمٍ .

(٥) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ ذِي الرُّمَّةِ ٤٧٤ . وَفِي شَرْحِ الدِّيْوَانِ : « الْحَجَرُ سَوْفَ الْيَمَامَةِ

وَقَصَبَتِهَا » . ب : « فَعَرَّ حَجَرٌ » : « قَصْرٌ فَقَرٌ » بِحَرْفَتَيْنِ . وَفِي هـ : « مُسْتَنْصَرُ الْحُكْمِ » .

كَانَ عَلَى أَعْطَافِهِ مَاءٌ مُذْهَبٌ إِذَا سَمَلُ السَّرْبَالِ طَارَتْ رَعَابُهُ
الرَّعَابِلُ : الْقِطْع . وشوَالاً مُرْعَبِلٌ : مُقَطَّع . وَرَعَبِلْتُ الشَّيْءَ أَيَّ قَطَعْتُهُ .
وَيُقَالُ ثَوْبٌ سَمَلٌ وَأَسْمَالٌ . وَيُقَالُ سَمَلُ الثَّوْبِ وَأَسْمَلُ ، إِذَا خَلِقَ^(١) .
وهو الذي يقول :

حوراء في دَعَجٍ صفراء في نَعَجٍ كأنها فضة قد مَسَّها ذهبُ
الحوَارِ : شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ . والدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوَادِ الْحَدَقَةِ . والنَّعَجُ : اللَّيْنُ .
قَالُوا : لِأَنَّ الْمَرْأَةَ الرَّقِيقَةَ اللَّوْنُ يَكُونُ بَيَاضُهَا بِالْغَدَاةِ يَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ ، وَبِالْعَشِيِّ
يَضْرِبُ إِلَى الصَّفْرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَعَشِيُّ :

بَيَضَاءُ ضَخَوْتَهَا وَصَفَاءُ رَأْيِ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارَةِ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ :

قَدْ عَلِمْتُ بَيَضَاءَ صَفْرَاءِ الْأَصْلِ^(٣) لِأُغْنِيَنَّ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلٌ
وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

وَحَذِي مَلَابِسَ زِينَةٍ وَمُصَبَّغَاتٍ فَهِيَ أَفْخَرُ
وَإِذَا دَخَلْتُ تَقْنَعِي بِالْجَمْرِ إِنَّ الْحَسَنَ أَحْمَرُ^(٤)

وَهَذَانِ أَعْمِيَانِ^(٥) قَدْ اهْتَدَيَا مِنْ حَقَائِقِ هَذَا الْأَمْرِ إِلَى مَا لَا يَبْلُغُهُ تَمْيِيزُ
الْبَصِيرِ^(٦) . وَلِبَشَّارٍ خَاصَّةً فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ فِي كِتَابِ
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ ، وَفِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانِ ، أَلْيَقُ وَأَزْكِي^(٧) ،
لَذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(١) هـ : « أَحَلَقَ » .

(٢) ديوان الأعشى ١١١ واللسان (عـ ر) .

(٣) الأصل : جَمْعُ أَصِيلٍ ، وَهُوَ آخِرُ الْهَارِ .

(٤) فِي حَوَاشِي هـ : « أَبُو عَلِيٍّ يَقَالُ فِي مِثْلِ الْعَرَبِ : الْحَسَنُ أَحْمَرُ ، أَيُّ مَنْ أَرَادَ

الْحَسَنَ صَبَرَ عَلَى أَشْيَاءٍ يَكْرَهُهَا » . وَفِي الْلسَانِ : « يَلْقَى مِنْهُ الْمَشَقَّةُ وَالشَّدَّةُ كَمَا يَلْقَى مِنَ الْقِتَالِ » .

(٥) فِي حَوَاشِي هـ : « خَشْيٌ : كَانَ الْأَعَشِيُّ قَدْ عَمِيَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ : أَعْمِيَانِ » .

(٦) لـ : « الْبَصَرُ » .

(٧) أَزْكِي : أَصْلَحَ . فِيمَا عَدَالٍ ، هـ : « أَدْكِي » تَحَرَّفَ .

ومما ذكرناه فيه الوزن قوله :

زِنِي الْقَوْلَ حَتَّى تَعْرِفِي عِنْدَ وَزْنِهِمْ إِذَا رُفِعَ الْمِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ^(١)
وقال ابن الزبير الأسدي ، واسمه عبد الله^(٢) :

* أَعَاذِلَ غَضِيَّ بَعْضَ لَوْمِكَ إِنَّنِي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَرْضَى بِدَيْنٍ وَلَا رَهْنٍ ١٣٨
• وَإِنِّي أَرَى دَهْرًا تَغَيَّرَ صَرْفُهُ وَدُنْيَا أَرَاهَا لَا تَقُومُ عَلَى وَزْنِ

(١) ل : « حَتَّى تَعْرِفِي عِنْدَ وَزْنِهِ » . وكلمة « واسمه عبد الله » ساقطة من « .

(٢) الزبير ، هذا ، بفتح الزاي . وهو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة .
ينتهي نسبة إلى أسد بن خزيمه ، وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية
ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا ، فمن عليه
ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانتقل إليه ، فلم يزل معه حتى قتل وعي بعد ذلك . ومات
في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان أحد المهجائين يخاف الناس شره . الأغاني (١٣ :
٣١ - ٤٧) والخزاعة (١ : ٣٤٥) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٠) . ولم يذكره الصنفدي
في نكت الحميان .

وباب آخر

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضلون إصابة المقادير ،
ويذمون الخروج من التعديل^(١) .

قال جعفر بن سليمان : ليس طيبُ الطعام بكثرة الإنفاق وجودة التوابل ،
وإنما الشأن في إصابة القدر . وقال طارق بن أثال الطائي^(٢) :

ما إن يزال ببغداد يزاحمنا على البراذين أشباه البراذين
أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً من الملوك بلا عقل ولا دين
ما شئت من بغلة سفواء ناجية ومن أثاثٍ وقول غير موزون^(٣)
وأنشدني بعض الشعراء^(٤) :

رأت رجلاً أودى السفارُ بجسمه فلم يبق إلا منطقٌ وجناجن^(٥)
[الجناجن : عظام الصدر^(٦)] .

إذا حُسِرَتْ عنه العمامة راعها بحمِلُ الخفوفِ أغفلته الدواهن^(٧)
فإن ألك معروقَ العظامِ فإنتى إذا ما وزنتَ القومَ بالقومِ وازن^(٨)

وقال مالك بن أسماء في بعض نسائه وكانت لا تصيب الكلام كثيراً ،

وربما لحنت :

١٥

(١) فيما عدل : « التبويل » محرف . وكلمة « من التعديل » ليست في « .

(٢) فيما عدل : « وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائي » .

(٣) سفواء : خفيفة سريعة . فيما عدل : « سفواء : فاجية سريعة » .

(٤) الشعر التالي لكثير عزة ، كما في الأغاني (١٤ : ٥٧) .

(٥) السفارة : مصدر سافر ، كالمسافرة .

(٦) هذه بما عدل . والمفرد جنجن ، بكسر الجيمين وفتحهما .

(٧) الخفوف : الثعبان وبعد العهد بالدهن . فيما عدل : « الخفوف » تحريف .

(٨) معروق العظام : قليل اللحم .

٢٠

أَمَغَطَى مِنِّي عَلَى بَصَرِي لَأَـ حُبُّ أُمِّ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا^(١)
 وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
 مَنَظِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحَنًا
 * وَقَالَ طَرْفَةُ فِي الْمَقْدَارِ وَإِصَابَتِهِ :

١٣٩

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الزَّيْبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(٢)
 طلب الغيث على قدر الحاجة ، لأن الفاضل ضار . وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 في دعائه^(٣) : « اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقِيًّا نَافِعًا » . لأن المطر ربما جاء في غير إبان
 الزراعات ، وربما جاء والتمر في الجُرْنِ ، والطعام في البيادر ، وربما كان في
 الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا
 وَلَا عَلَيْنَا^(٤) » .

وقال بعض الشعراء لصاحبه : أنا أشعرُ منك . قال : ولم ؟ قال : لأنني أقول
 البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابن عمه .

وعاب رؤبة شعر ابنه فقال : « ليس لشعره قرآن^(٥) » . وجعل البيتَ أخا
 البيت إذا أشبهه وكان حقه أن يُوضَعَ إلى جنبه . وعلى ذلك التأويل قال الأعشى :
 أبا مِسْمِجٍ أَقْصَرَ فَإِنَّ قَصِيدَةً مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا
 وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ .
 وقال عمرو بن معدى كرب :

وَكُلُّ أَخٍ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفِرْقَدَانِ^(٦)

- (١) سبقَت الأبيات والكلام عليها في ص ١٤٧ . وانظر كذلك أمالي ثعلب ٥٩٩
 والامالي (١ : ٥) والمرتضى (١ : ١٠) .
 (٢) ديوان طرفة ٦٢ ومما هـ التنصيص (١ : ١٢٢) من قصيدة يمدح بها قتادة
 ابن مسleme الحنفي .
 (٣) الكلام من هنا إلى نهاية قوله : « صلى الله عليه وسلم » من ب ، هـ فقط .
 (٤) الكلمة الأولى من الحديث ساقطة من ل ، هـ . (٥) انظر ما سبق في ص ٦٨ .
 (٦) انظر المخرقة (٢ : ٥٢) والكامل ٧٦٠ وسيبويه (١ : ٤٧١) . والبيت
 ينسب أيضا إلى حضرمي بن عامر . المؤتلف ٨٥ .

وقالوا فيما هو أبعد مَعْنَى وأقلُّ لفظاً . قال الهذلي^(١) :

أعاسرُ لا آلوك إلا مُهنِّداً وجِلْدَ أبي عجلٍ وثيقِ القبائل^(٢)

ويعنى بأبي عجلٍ الثور .

وقالوا فيما هو أبعد من هذا . قال ابن عسلة الشيباني ، واسمه عبدُ المسيح^(٣) :

وسَمَاعٍ مُدْجِنَةٍ تَعْلَلُنَا حتَّى نَنَامَ تَنَاوُمَ الْعُجَمِ^(٤)

فصَحُوتِ والنَّمْرَى يحسبها عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النَّجْمِ^(٥)

النجم واحدٌ وجمع^(٦) . والنَّجْمُ : الثَّريَّا في كلام العرب . مدجنة ، أى

سحابة دائمة^(٦) .

وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ، ووصف العيرَ والمعْيُوراء ، وهو الموضع

الذى يكون فيه الأعيار^(٧) :

١٠

(١) أبو خراش الهذلي . انظر نسخة الشنقيطي من الهذليين ٧١ .

(٢) في ديوان الهذليين : « أواقد » . وفي المخصص (١٣ : ١٧٤) :

أواقد لا آلوك إلا مهنداً وجلد أبي العجل الشديد القبائل

قال : « يعنى ترسا عمل من جلد ثور مسن شديد قبائل الرأس » .

(٣) هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير . وعسلة أمه نسب إليها ، وهى عسلة بنت عامر

ابن تراكمة الغساني . انظر المؤلف ١٥٧ - ١٥٨ والمرزبانى ٣٨٥ وكتاب من نسب إلى أمه

من الشعراء . وقد نشرته محققا بمجلة المقتطف مايو سنة ١٩٤٥ ونوادير المخطوطات (١ : ٨١

- ٩٦) وقصيدة البيتين في المفضليات (٢ : ٧٩) .

(٤) المدجنة : القينة تغنى في يوم الدجن ، بفتح الدال ، وهو تكاثف الغيم . تعللنا :

٢٠ تلهينا بصوتها . قال الأصمعي : « كانت الأعاجم إذا نامت لم يجترأ عليها أن تنبهه ، ولكن يعزف

حولها ويضرب حتى تنتبه » . والآمدى يرويه : « تناوُم العجم » . قال « تناوُم من النيم ، أى

نتكلم بما لا يفهم » .

(٥) النمرى ، هو كعب ، أحد بنى النمر بن قاسط . أى يحسب القينة في عظيم قدرها عما

للسماك ، وخالة للثريا . وفي جميع النسخ : « فصحوت » . وكذا في الحيوان (١ : ٢١٢ ،

٢٨٦) . وصواب روايته : « لصحوت » . لأن البيت جواب لبيت سابق ، وهو :
٢٥

يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الحرم

(٦) هذا الكلام مما عدل . وقد ورد أيضا في الحيوان (١ : ٢٨٦) .

(٧) ل : « الذى يكون فيه » فقط . على أن المعروف أن « المعيوراء » جمع من

جموع للعير .

* وَظَلَّ يُوفَى الْأَكْمَ ابْنُ خَالِهَا *

فهذا مما يدل على توسعهم في الكلام ، وَحَمَلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، واشتقاق بعضه من بعض^(١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّخْلَةُ » ، حين كان بينها وبين الناس تشابهٌ وتشاكل ونسبٌ من وجوه . وقد ذكرنا في ذلك كتاب الزَّرع والنَّخل .

وفي مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدْتُ بِأَنَّ التَّمَرَ بِالزَّبْدِ طَيِّبٌ وَأَنَّ الْحُبَارَى خَالَةُ الْكَرَّوَانِ^(٢)
لَأَنَّ الْحُبَارَى ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْظَمَ بَدَنًا مِنَ الْكَرَّوَانِ ، فَإِنَّ اللَّوْنَ وَعُمُودَ الصُّورَةِ
وَاحِدٌ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا خَالَتَهُ ، وَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ قَرَابَةٌ تَسْتَحِقُّ بِهَا هَذَا الْقَوْلَ .

(١) هُذِمَ الْجُمْلَةُ بِمَا عَدَالَ .

(٢) فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ٢٧٢) وَمَحَاضِرَاتِ الرَّاعِبِ (٢ : ٢٩٩) : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَلْزَبِدَ » .

باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب

واللّسن والامتداح به والمدح عليه

قال كعب الأشقرى^(١) :

إلّا أكنّ في الأرض أخطبُ قائماً فإنّني على ظهر السكّيت خطيبُ
وقال نابت قُطنة :

فإلّا أكنّ فيهم خطيباً فإنّني بسُمر القنا والسّيف جدّ خطيب^(٢)
وقالت ليلي الأخيلية :

حتّى إذا رُفِع اللّواء رأيتَه تحت اللّواء على الخديس زعيماً^(٣)
وقال آخر :

عجبتُ لأقوامٍ يعيُّون خطبتي وما منهم في مآقطٍ بخطيب^(٤)
وهؤلاء يفخرون بأنّ خطبهم التي عليها يعتمدون ، السيوف والرّماح^(٥) ،
وإن كانوا خطباء . وقال دُرَيْد بن الصّمة^(٦) :

أبلغُ نعيماً وأوفى إن لقيتَهُما إن لم يكن كان في سمعيهما صمّ
فلا يزالُ شهابٌ يُستضاء به يَهْدِي الْمَقَانِبَ ما لم تَهْلِك الصّمم^(٧)

١٥ (١) هو كعب بن معدان الأسقرى ، ساعر فارس خطيب ، من أصحاب المهلب ، مذكور
في حروب الأزارقة . الأغاني (١٣ : ٥٤ - ٦١) ومعجم المرزبانى ٢٤٦ .

(٢) فيما عدال : « أكن فيكم » و « جد لعوب » .

(٣) من مقطوعة لها رواها أبو تمام في الحاسة (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) . وقوله :

ونحرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما

٢٠ (٤) ل : « في موقف » . وكتب في هامشها « خ : مآقط » . وانظر ص ٢١٨ .

(٥) فيما عدال : « بخطبهم التي عليها يعتمدون بالسيوف والرماح » تحريف .

(٦) الأبيات التالية يرثي بها أخاه عبد يغوث بن الصمة . الأغاني (٩ : ٨) .

(٧) في الأغاني : « فلا يزال شهاباً » . وبين هذا وسابقه في الأغاني :

فما أخى بأخى سوء فينقصه إذا تقارب بابين الصادر القسم .

٢٥ والصمم : جمع صمة ، بكسر الصاد وتشديد الميم : وهو الشجاع . في الأغاني : « الأمم » .

عاري الأشاجع معصوبٌ بلمته أمرُ الزَّعامة في عرينه شتمُ
 المقاب : جمع مقنَّب ؛ والمقنَّب : الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة . والأشاجع :
 عروقُ ظاهرِ الكف ، وهي " مغرز الأصابع . واللَّمة : الشعرة التي ألَمَّت بالمنكب . ١٤١
 وزعيم القوم : رأسهم وسيدهم الذي يتكلم عنهم . والزَّعامة : مصدر الزَّعيم الذي
 يسود قومه . وقوله « معصوبٌ بلمته » أي يُعصَّب برأسه كلُّ أمرٍ . عرينه : أنفه .
 وقال أبو العباس الأعمى ^(١) ، مولى بني بكر بن عبد مناة في بني عبد شمس :
 ليت شعري أفاح رائحة المسك وما إن أخال بالخيِّف إنسي ^(٢)
 حين غابت بنو أمية عنه —————
 خطباء على المنابر فرسا نَّ عليها وقالة غير خرسٍ
 لا يُعابون صامتين وإن قا لُوا أصابوا ولم يقولوا بلبسٍ
 بجلوم إذا الحلوم استخفَّت ووجوه مثل الدنانير مُلسٍ ^(٣)
 وقال العجاج :

وحاصِن من حاصِناتٍ مُلسٍ من الأذى ومن قِرافِ الوقسِ ^(٤)
 المحصنة : ذوات الزوج . والحاصِن : العفيف ^(٥) . والوقس : العيب ^(٥) .

وقال امرؤ القيس :

وياربُّ يومٍ قد أروح مُرجلاً حبيباً إلى البيض الكواعب أملسا ^(٦)

(١) سقت ترجمته في ص ٢١٨ . والأبيات التالية في مروح الذهب (٣ : ٢٩٥)
 والأغاني (١٥ : ٥٧) ونكت الحميان للصدى ١٥٤ . وقد ذكر فيها قصه للشعر .

(٢) الخيف : موضع في الحجاز . وفي حواشي ٨ : « أراد أنسيا فنخف داء النسب
 ضرورة في الشعر » . ٢٠

(٣) في الأغاني : « إذا الحلوم تقفست » . قال : « ويروى مكان تقفست : « اضمحلت » .

(٤) وكذا حامت نسبتهما في اللسان (وقس) . وحاء في (حصن) بدون فسبه . وليس
 في ديوان العجاج ولا ملحقاته .

(٥) فيما عدل : « العفيفة » . والحاصِن يقال للمذكر والمؤنث .

(٦) فيما عدل : « الحرب » . ٢٥

(٧) ديوان امرئ القيس ١٤١ .

وقال أبو العباس الأعمى :

ولم أرَ حَيًّا مثلَ حيٍّ تحملوا إلى الشام مظلومينَ منذُ بُرِيتُ
أعزَّ وأمضى حينَ تَشْتَحِرُ القنا وأعلمَ بالمسكينِ حيثُ يبيتُ
وأرفقَ بالدُّنيا بأولىِ سياسةٍ إذا كادَ أمرُ المسلمينِ يفوتُ
إذا ماتَ منهم سيِّدٌ قامَ سيِّدٌ بصيرُ بعَوَراتِ الكلامِ زَمِيتُ

وقال آخر :

لا يُغسلُ العَرَضُ من تدنَّسِهِ والثوبُ إن مَسَّ مَدَنَسًا غُسَلًا
وزَلَّةُ الرَّجُلِ تُسَقَالُ ولا يكادَ رأىٌ يُقِيلُكَ الزَّلَلَا ١٤٢

وقال آخر في الزلل :

ألهني إذ عَصَيْتُ أبا يزيدٍ ولهني إذ أطعت أبا العلاء ١٠
وكانت هَفْوَةً من غير ريحٍ وكانت زَلَّةً من غير ماءٍ
وقال آخر^(١) :

فإنَّكَ لم يَنْذِرْكَ أمراً تخافُهُ إذا كنتَ فيه جاهلاً مثلُ خابِرٍ
وقال ابن وابصة [اسمه سالم^(٢)] ، في مقامٍ قامَ فيه مع ناسٍ من الخطباءِ :
يأيُّها المتحلِّي غيرَ شيمتِهِ وَمَنْ سَجَّيْتَهُ الإِكْثَارُ وَالْمَلَقُ ١٥
اعمِدْ إلى القَصْدِ فيما أنتَ رَاكِبُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
صَدَّتْ هُنَيْدَةٌ لَمَّا جَنَّتْ زَائِرُهَا عَنِّي بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرِقُ
وراعها الشَّيْبُ في رَأْسِي فَقَلَّتْ لَهَا كَذَلِكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ

(١) في حواشي هـ : « هو جبران العود » .

(٢) هذه بما عدل . ونسبة الشعر إلى سالم بن وابصة هي كذلك في الحماسة
(٢٩٥ : ١) ونوادير أبي زيد ١٩١ والمؤتلف ١٩٧ . ونسب في الحيوان (٣ : ١٢٧)
والعقد (٢ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٧٧) والشعراء ١٣٨ إلى العرجي ، وفي حماسة
البحرئى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع ، وورد بدون نسبة في أمالي ثعلب ٣٠٠ . وسالم ابن
وابصة ، شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان . انظر المؤتلف وشرح شواهد المغنى
للسيوطى ١٤٣ .

بأن موقف مثل حدّ السيف قت به أحجى الذمار وترمينى به الحدق^(١)
فما زلت ولا ألفيت ذا خطل إذا الرجال على أمثالها زاقوا
قال : وأنشدنى لأعرابي من باهلة :

سأعمل نصّ العيس حتى يكفنى غنى المال يوماً أو غنى الحدّثان^(٢)
فللموت خير من حياة يرى لها على الحرّ بالإقلال ومنهم هوان
متى يتسكلم يبلغ حسن حديثه وإن لم يقل قالوا عديم بيان^(٣)
كان الغنى عن أهله ، بورك الغنى ، بغير لسان ناطق^(٤) باسان^(٤)

وفي أمثالها فى بعض الوجوه قال عروة بن الورد^(٥) :

ذرينى للغنى أسعى فإننى رأيت الناس شرهم الفقير^(٦)
وأهوانهم وأحقّرهم لديهم وإن أمسى له كرم وخير^(٦)
ويقصى فى الندى وتزدريه حليلته وينهره الصغير^(٧)
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير^(٨)
قليل ذنبه والذنب جَم ولكن الغنى رب غفور^(٩)

(١) بل ، هنا ، بمعنى رب ، تعمل عملها ، كما فى قوله :

* بل جوز تيهاء كظهر الحففت

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . ونصها : تحريكها حتى تستخرج أقصى ما عندها من الجرى . والحدّثان : الحوادث .

(٣) هـ : « حكم كلامه » وأشير فى حاشيتها إلى رواية : « مقاله » .

(٤) أى ناطق بلسان أهله . فيما عدل : « فى أهله » . وما أثبت من ل أجود ، وهو المطابق لما فى عيون الأخبار .

(٥) الأبيات مما لم يرو فى ديوان عروة . وقد رويت له فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٦) الخير ، بالكسر : الشرف والأصل . فيما عدل : « نسب وخير » .

(٧) الندى : مجلس القوم ، كالنادى والمتدى . التيمورية : « ويغضى فى الندى » .

(٨) فيما عدل : « ويلقى ذو الغنى » .

(٩) كذا فى ل ، هـ والتيمورية . وفى ب ، جـ : « ولكن للغنى » . وأنشده المرتضى فى

أماله (١ : ٢٨) : « ولكن الغنى » ، وقال : « أراد غنى رب غفور » .

وقال ابن عباس رحمه الله : « الهوى إله معبود » . وتلا قول الله عز وجل :
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل^(١) :

- تلك عرساي تنطقان على عمـ — يد لي اليوم قول زور وهتر^(٢)
سالتاني الطلاق أن رأنا ما لي قليلاً قد جئتاني بنسكر^(٣)
فلعل أن يكثر المال عندي ويعرني من المغارم ظهري
وترى أعبد لنا وأواق ومناصيف من خوادم عشر^(٤)
ونجر الأذيال في نعمة زو لي تقولان ضع عصاك الدهر^(٥)
وي كأن من يكن له نسب يُحسب ومن يفتقر يعيش عيش ضر^(٦)
ويجنب سِر النجى ولك من أبا المال مُحضَر كل سر^(٧)
المناصيف : الخدم واحد من منصف وناصيف ، وقد نصف القوم ينصفهم نصافة ، إذا

(١) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أحد العشرة المبشرين ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديماً . وفي بيته أسلم عمر بن الخطاب ، لأنه كان زوج أخته فاطمة . توفي سنة ٥٠ . الإصابة ٣٢٥٤ وتهذيب التهذيب . وأبوه زيد بن عمرو أحد الصحابة الذين آمنوا بالرسول قبل أن يبعث . الإصابة ٢٩١٧ والخزانة (٣ : ٩٩) . والأبيات التالية تروى حيناً لسعيد ، وحيناً لوالده . وتروى كذلك لنبيه بن الحجاج ، كما في الخزانة وشرح أبيات الكتاب للشتمري (٢ : ١٧٠) . ونسبت لزيد في عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٢) اهتر ، بالكسر : الكذب والخطأ في الكلام .
(٣) استشهد به سبويه على إبدال الألف في « سالتاني » من الهمزة . وفي سبويه (١ : ٢٩٠ / ٢ : ٣٧٠) : « أن رأنا » قل مالي . وأشار إلى هذه الرواية في حواشي هـ .
(٤) أواق ، قسره البغدادي بأنه جمع أوفية من الذهب أو الفضة . وقال : ويروى بدله : وجياد .

(٥) ب فقط : « دع عصاك » تحريف . ضع عصاك ، كناية عن الإقامة ؛ لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . لدهر ، أي إلى انقضاء دهر . وفي هامش ل : « خ : مثل قول الشاعر . فالقت عصباها واستقر بها النوى » .

(٦) النسب ، بالتحريك : المال الأصيل من النسل والعصامت . وانظر مجالس ثعلب ، ٣٨٩ .

خَدَمَهُمْ . نِعْمَةُ زَوَلٌ : حسنة . [والزَّوَل : الخفيف الظريف ، وجمعه أَزْوَال ^(١)] .
وقال عبيد بن الأبرص في نحو هذا وليس كمثله :

٦٤٤ • تَلَكْ عِرْسِي غَضَبِي تَرِيدُ زِيَالِي أَلْبِينُ تَرِيدُ أُمَ لَدَلَالِ ^(٢)
إِنْ يَكُنْ طِبُّكَ الْفِرَاقَ فَلَا أَحْـفَلُ أَنْ تَعْطِفِي صُدُورَ الْجِمَالِ ^(٣)
أَوْ يَكُنْ طِبُّكَ الدَّلَالُ فَلَوْ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ وَاللَّيَالِي الْخَوَالِي ^(٤)
كُنْتُ بَيْضَاءَ كَالْمُهَاقِ وَإِذَا آ تِيكِ نَشْوَانٌ مُرْخِيًا أَذْيَالِي
فَاتَرَكِي مَطَّ حَاجِبِيكِ وَعَيْشِي مَعْنَا بِالرَّجَاءِ وَالتَّأْمَالِ
زَعَمْتُ أَنَّنِي كَبُرْتُ وَأَنْنِي قَلٌّ مَالِي وَضَنْ غَنَى الْمَوَالِي
وَصَحَا بَاطِلِي وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا لَا يُؤَاتِي أَمْثَالَهَا أَمْثَالِي
إِنْ تَرَيْنِي تَغَيَّرَ الرَّأْسُ مِنِّي وَعَلَا الشَّيْبُ مَفْرَقِي وَقَدَّالِي
فَبِمَا أَدْخَلَ الْحِجَابَ عَلَيَّ مَهْـضُومَةِ الْكَشْحِ طَفْلَةً كَالْفَرْزَالِ
فَتَعَاطَيْتُ جِيْدَهَا ثُمَّ مَالَتْ مَيْلَانَ الْكُثِيبِ بَيْنَ الرَّمَالِ
ثُمَّ قَالَتْ فِدَى لِنَفْسِكَ نَفْسِي وَفَدَا لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي

الكشح : الخضر . وقوله : « مهضومة » ، أراد لطيفة . والطفلة : الرخصة .
النَّاعِمَةُ ^(٥) ١٥

قال : وخرج عثمان بن عفان — رحمه الله — من داره يوماً ، وقد جاء عامر
ابن عبد قيس ^(٦) ، فقعده في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً دميماً أشغى ثَطًّا ، في
عبادة ، فأنكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي ، أين رَبُّكَ ؟ فقال : بِالْمِرْصَادِ !
٢٠ [وَالشَّغَى : تراكب الاسنان واختلافها . ثَطٌّ : صغير اللحية ^(٧)] .

(١) هذه ما عدل .

(٢) الأبيات من قصيدة له في مختارات ابن الشجري ١٠٢ . والزيال : المفارقة .

(٤) هذا البيت في ل ، هـ والتبموربة فقط . (٥) هذا التفسير من هـ .

(٦) سقت ترجمته في ص ٨٣ . (٧) هذا ما عدل .

ويقال إن عثمان بن عفان لم يُفحِّمهُ أحدٌ قط غير عامر بن عبد قيس .
ونظر معاوية إلى النّخّار بن أوس العُذري^(١) ، الخطيب النّاسب ، في
عبادة في ناحية من مجلسه ، فأنكره وأنكر مكانه زراية منه عليه ، فقال : من هذا ؟
فقال النّخّار : يا أمير المؤمنين ، إنّ العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ فيها !
قال : ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هَرَم بن قُطبة^(٢) ، ملتقى في

١٤٥ بَت في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقيلته ، وعرف تقديم العرب له في
الحكم والعلم ، فاحب أن يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك
اليوم أيّهما كنت تنفر ؟ يعنى علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل . فقال :
يا أمير المؤمنين : لو قلتُ فيها كلمة لأعدتها جذعة . فقال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه : لهذا المفل تحاكت العربُ إليك .

ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوفد^(٣) ، والأحنف ملتف في بَت له^(٤) ،
فترك جميع القوم واستنطقه ، فلما تبعق منه ما تبعق ، وتكلم بذلك الكلام
البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يزل عنده في علياء ، ثم صار إلى أن
عقد له الرّئاسة ثابتاً له ذلك^(٥) ، إلى أن فارق الدنيا .

ونظر النّعمان بن المنذر إلى ضمرة بن ضمرة^(٦) ، فلما رأى دمامته وقيلته قال :
١٥ « تسمع بالمعيديِّ لَأَنْ تراه » ، هكذا تقوله العرب . فقال ضمرة : « أبيت اللعن ،
إنّ الرجال لا تُكّال بالقفران ، ولا تُوزن في الميزان^(٧) ، وإنما المرء بأصغريّه :
قلبه ولسانه » .

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٥ . (٢) سبقت ترجمته في ص ١٠٩ .

(٣) هم وفد العراق ، أهل البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد في العقد (١ : ١٩١) .

(٤) البت : كساء غليظ مربع .

(٥) ل : وثابتة له فقط .

(٦) سبقت ترجمته في ص ١٧١ ، حيث مضى الخبر .

(٧) في حواشي : « وقع في بعض النسخ : « لا تُكّال بالقفران » ولا تُوزن

بالميزان ، ولا تعرف إلا بعد الامتحان » .

وكان ضمرة خطيباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيّداً .
 وكان الرّمق بن زيد^(١) مدح أبا جُبَيْلَةَ الغَسَّانِي^(٢) ، وكان الرّمق دَمِيّاً
 قصيراً ، فلما أنشدته وحاوره ، قال : « عَسَلٌ طَيِّبٌ فِي ظَرْفِ سَوْءٍ » .
 قال : وكَلَّمَ عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ السَّدُوسِيَّ^(٣) عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وكان عِلْبَاءُ أَعْوَرَ
 دَمِيّاً ، فلَمَّا رَأَى بَرَاعَتَهُ وَسَمِعَ بَيَانَهُ ، أَقْبَلَ عُمَرَ يَصْعَدُ فِيهِ بَصَرَهُ وَيَحْذَرُهُ ، فلما
 خرج قال عمر : « لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي جُمَيَّاهُمَا خُبْرٌ^(٤) » .

وقال أبو عثمان : وأنشدت سهل بن هارون ، قول سلمة بن الخُرْشُبِ^(٥)
 وشعره الذي أرسل به إلى سُبَيْعِ التَّغْلِبِيِّ^(٦) في شأن الرُّهُسِ التي وضعت على يديه
 ١٥ في قتال عَبْسٍ وَذُبْيَانٍ ، فقال سهل بن هارون : والله لكأَنَّهُ قد سمع رسالة عمر

(١) في الالتئاق ٢٧٠ « ومنهم الرّمق بن زيد بن غنم الشاعر ، جاهلي . والرّمق
 معروف ، وهو باقي النفس » . وذكر في حواشيه عن العسكري أنه « الدّمق » واسمه عبيد بن
 سالم بن مالك . وفي الأغاني (١٩ : ٩٦) أن الرّمق لقب له ، واسمه عبيد بن سالم بن مالك .
 (٢) أبو جبيلة الغساني ، أحد ملوك الغساسنة بالشام . وفي ملوكهم جبلة بن الأيهم الغساني .
 ١٥ آخر ملوك الغساسنة . وكان الرّمق قد مدح أبا جبلة بشعر قال فيه :

وأبو جبيلة خير من يمشي وأوفاهم يمينا
 وأبره برا وأمه لمه يعلم الأولينا

وهذا الشعر هو الذي يشير إليه الجاحظ . انظر الأغاني (١٩ : ٩٦) . ب والتميمورية :
 « أبا جبلة الغساني » .

(٣) فيما عدل ، هـ : « وتكلم علباء » . وفي ب فقط بعد كلمة « السدوسي » : « عند
 ٢٠ عمر » . وما في أمثال الميداني (٢ : ١١٥) يطابق ما أثبت من ل ، ج . وهو علباء بن الهيثم بن
 جرير ، وأبوه من الرؤساء الذين حاربوا كسرى في وقعة ذي قار . وأدرك علباء الجاهلية والإسلام ،
 وشهد الجمل واستشهد بها . الإصابة ٦٤٤٣ . وسيأتي الخبر في (٣ : ٢٩٩ - ٣٠٠) .

(٤) الجميل : بصغير الجمل . والخبر ، بضم الخاء وكسر ها : العلم والمعرفة . فيما عدل :

٢٥ « خبره » ، وهي بضم الخاء وكسر ها كالخبر . وفي أمثال الميداني : « لكل أناس في بعيرهم
 خبر » . وضبط في هـ « خبر » بالتحريك . وأنشد التبريزي في شرح الحماسة ١ : ٢٧٤ بيتا في
 شعر يتحتم معه هذا الضبط ، وهو قوله :

فأليت لا أشري بعيرا بغيره لكل أناس في بعيرهم خبر

(٥) سلمة بن الخرشب ، أحد شعراء المفضليات ، واسمه سلمة بن عمرو بن نصر ،

٣٥ والخرشب لقب أبيه ، وأصل معناه الطويل السمين .

(٦) ب فقط : « التغلبي » مع أثر تصحيح .

ابن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في سياسة القضاء وتدير الحكم^(١).
والقصيدة قوله :

أبلغ سُبَيْعًا وَأنتَ سَيِّدُنَا قَدِمًا وَأَوْفَى رَجَالِنَا ذِمًّا
أَنْ بَغِيضًا وَأَنْ إِخْوَتَهَا ذُبْيَانٌ قَدْ ضَرَّمُوا الَّذِي اضْطَرَّمَا
* نَبِيتُ أَنْ حَكْمُكَ بَيْنَهُمْ فَلَا يَقُولُنَّ بئْسَ مَا حَكَمَّا
إِنْ كُنْتَ ذَا خُبْرَةٍ بِشَأْنِهِمْ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَّا
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ حُكْمًا وَعِلْمًا وَتَحْضُرُ الْفَهْمَا^(٢)
وَلَا تُبَالِي مِنَ الْمَحِقِّ وَلَا الْمُبْطِلِ لَا إِلَهَ وَلَا ذِمًّا
فاحْكُمِ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ لَنْ يَعْدَمُوا الْحُكْمَ ثَابِتًا صَمًّا
الصِّمُّ : الصحيح القوي ؛ يقال رجلٌ صَمٌّ ، إذا كان شديدًا^(٣).
واصدَّعْ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى رِضَا مَنْ رَضِيَ وَمَنْ رَغِمَا
إِنْ كَانَ مَالًا فَقَضِ عِدَّتُهُ مَالًا بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فَدَمًا^(٤)
حَتَّى تَرَى ظَاهِرَ الْحُكُومَةِ مِثْلَ الصُّبْحِ جَلَى نَهَارِهِ الظُّلَمَا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطِقْ حُكُومَتَهُمْ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَامًا

* * *

وقال العائشي^(٥) : كان عمر بن الخطاب — رحمه الله — أعلم الناس
بالشعر ، ولكنه كان إذا ابتلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني^(٦) ، وبين

(١) سنن أبي داود (٢ : ٤٩ - ٥٠) . وهي في أوائل كامل المبرد ٩ ليدسك .

(٢) ل : « وتحمص » بالصاد المهملة ، واستعداد الآيات في (٣ : ٣١٤) .

(٣) هذه نما عدال .

(٤) فيما عدا ه ، ب : « قفض عدته » والوجه ما أثبت منهما .

(٥) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المترجم في ص ١٠٢ .

(٦) النجاشي هو قيس بن عمرو ، من بني الحارث بن كعب ، روى أنه شرب الخمر
في رمضان فجلده على مائة سوط ، فلما رآه زاد على النخاليين صباح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ؟

الخطيئة والزُّبُرِ قان ، كره أن يتعرَّضَ للشُّعراء ، واستشهد للفريقين رجالا ،
مثل حسان بن ثابت وغيره ، ممن تهون عليه سبَالُهُمْ ، فإذا سمع كلامهم حَكَمَ
بما يعلم ، وكان الذي ظهر من حُكْمِ ذلك الشاعر مُقْنِعاً للفريقين ، ويكون هو قد
تخلَّص بعرضه سليماً . فلَمَّا رآه مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ يسأل هذا وهذا ، ظنَّ أن ذلك لجهله
بما يعرف غيره .

وقال : ولقد أنشدوه شعراً لزهير — وكان لشعره مقدماً — فلما انتهوا
إلى قوله :

وإنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو حِلَالُهُ^(١)

قال عمر كالمتمجَّب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها :

وإنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو حِلَالُهُ

يردِّدُ البيت من التعجُّب .

١٤٧

وأنشدوه قصيدة عَبْدَةَ بنِ الطَّيِّبِ^(٢) الطويلة التي على الآلام^(٣) ، فلما بلغ

المنشد إلى قوله :

والمرء ساجٍ لشيءٍ ليس يدركه والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ

قال عمر متعجباً :

١٤٨

فقال : لجرائمك على الله في رمضان ! فهرب إلى معاوية وهجا علياً . الإصابة ٧٣٠١ ،
٨٨٥٤ والخزانة (٢ : ١٠٧) . وفي الإصابة أنه لما سعى النجاشي لأن لونه كان يشبه لون
الحبشة . وحكى ابن الكلبي أن جماعة من بني الحارث بن كعب وفدوا على رسول الله صلى عليه وسلم
فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند » . وأما العجلاني ؛ فهو تميم بن أبي بن مقبل بن
هوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان . أدرك الإسلام فأسلم ، وكان يبكي أهل الجاهلية ، وعمر
مائة وعشرين سنة . الإصابة ٨٥٨ والخزانة (١ : ١١٣) . وانظر الحكومة بينهما في المرجعين
المتقدمين والعمدة (١ : ٢٧) وأما ثعلب ١٨٠ - ١٨١ وزهر الآداب (١ : ١٩) .
(١) النفار : أن يثناؤوا إلى حاكم يحكم بينهم . والجلاء ، بالكسر كما ضبط في أصول
الديوان ٧٥ ، وكاتبه عليه الصغاني . انظر حواشي اللسان (جلا ١٦٣) .

٢٠٠

(٢) سبقت ترجمته في ص ١٢٢ .

٢٥٠

(٣) هي إحدى المفضليات . انظر (١٠ : ١٣٣ - ١٣٤) .

* والعيش شح وإشفاق وتأميل *

يعجبهم من حسن ما قسم وما فصل^(١).

وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الأسلت التي على العين ، وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكيس والقوة خير من الإشفاق والفقه والهاج
أعاد عمر البيت وقال :

الكيس والقوة خير من الإشفاق والفقه والهاج
[وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه^(٢)] .

قال محمد بن سلام ، عن بعض أشياخه قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر .

وقال أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفنم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوق ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الأول : « الشعر أدنى مروءة السرى ، وأشرى مروءة الدنى » . قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبياني ، ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة .

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٦) .

(٢) البيت من قصيدة مفضلية (٢ : ٨٤ - ٨٦) . الفقه : النى والسقطة والجهلة . والهاج : شدة الحرص . ويروى :

الحزم والقوى خير من الـ إدهان والفكة والهاج
(٣) هذه بما عدل .

وروى مجالد^(١) عن الشعبي قال : ما رأيت رجلاً مثلي^(٢) ، وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني بشيء إلا لقيته .

وقال الحسن البصري : يكون الرجل عابداً ولا يكون عاقلاً ، ويكون عابداً عاقلاً ولا يكون عالماً . وكان مسلم بن يسار^(٣) عاقلاً عالماً عابداً .

قال : وكان يقال : « فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة » .

قال : وذُكرت البصرة ، فقليل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزني^(٤) .

قال : والذين بثوا العلم في الدنيا أربعة : قتادة^(٥) ، والزُّهري^(٦) ، ١٤٨ والأعمش^(٧) ، والكلبي^(٨) .

١٠ (١) هو مجالد بن سميد الهمداني ، أبو عمرو الكوفي النسابة ، يروي عن الشعبي ومسروق ، ويروي عنه الهيثم بن عدي . توفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٩ - ٤٠) والمعارف ٢٣٤ . وفي حواتي ه عن نسخة : « جناب بن موسى عن مجالد » . (٢) ه : « ما رأيت مثلي » .

(٣) مسلم بن يسار البصري الأموي المكي ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله وثابت البناني وابن سيرين . وكان مفتي أهل البصرة قبل الحسن . توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (١ : ١٦١) . (٤) سبق الخبر في ص ١٠١ .

(٥) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، أحد المحدثين العباد الزهاد الثقات . ولد سنة ٦١ وتوفي سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٨٢) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٥) وابن خلكان ، ونكت الهميان . ٢٠

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن سهاب الزهري ، نسبة إلى زهرة بن كلاب : حافظ مدني . ولد سنة ٥٠ وتوفي سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٧) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٠٢) وابن خلكان .

(٧) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم قتل الحسين ، يوم عاشوراء سنة ٦١ وتوفي سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٤٥) وابن خلكان . ٢٥

(٨) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزيز الكلبي الكوفي النسابة المفسر ، قالوا : ليس لأحد أطول من تفسيره . وتوفي بالكوفة سنة تهذيب التهذيب ، وابن خلكان ، وابن النديم ١٣٩ .

وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ،
فقليل لسليمان في ذلك ، فقال : إنه فقيهٌ مليح . فقال القحذمى^(١) : لا ، ولكنه
تعصّب للقرشيّة ، ولا نقطاعه كان^(٢) إليهم ، ولروايته فضائلهم .
وكان الأصمعى يقول : « وَصَلْتُ بِالْعِلْمِ ، وَنَلْتُ بِالْمُلْحِ^(٣) » .

وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعر الجيّد لا يكادان
يجمعان في واحد ؛ وأعسرُ من ذلك أن تجتمع بلاغةُ الشعر ، وبلاغةُ القلم » .
والمسجديّون^(٤) يقولون : من تَمَنَّى رجلاً حَسَنَ العقل ، حَسَنَ البيان ، حَسَنَ
العلم ، تَمَنَّى شيئاً عسيراً .

(١) هو أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحزم القحذمى ، ثقة من أهل البصرة ، يروى
عن جرير بن عثمان ، وعنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الحمصى ، توفى سنة ٢٢٢ . السمعاني
٤٤٣ رلسان الميزان (٦ : ٢٢٧) .

(٢) كلمة « كان » من هـ .

(٣) سبق هذا القول في ص ١٩٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٧) .

(٤) في حواشى هـ : « المسجديون هم الذين يلتزمون مسجد البصرة والكوفة . وانظر

الحيوان (٣ : ٦٣) وما سأتى في ٤ : ٢٣ .

باب

وكانوا يعيبون النوك والعي والحمق ، وأخلاق النساء والصبيان . قال الشاعر :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً فلا تثقن بكل أخى إزاء
وإن خيَّرت بينهم فالصق بأهل العقل منهم والحياء
فإن العقل ليس له إذا ما تفاضلت الفضائل من كفاء
وإن النوك للأحساب داء وأهون دأيه داء العياء
ومن ترك العواقب مهملاتٍ فأيسر سعيه سعى العناء
فلا تثقن بالنوكى لشيء وإن كانوا بنى ماء السماء^(١)
فليسوا قابلي أدب فدعهم وكن من ذاك منقطع الرجاء
وقال آخر في التضييع والنوك :

ومن ترك العواقب مهملاتٍ فأيسر سعيه أبداً تباب^(٢)
فحش في جد أنوك ساعدته مقاديرٌ يخالفها الصواب^(٣)
ذهاب الماء في حمدٍ وأجرٍ ذهابٌ لا يقال له ذهابٌ

وقال آخر في مثل ذلك :

أرى زمناً نوكاه أسعدُ أهله ولكنما يشقى به كل عاقل^(٤)

(١) : « ولو » . وفي حواشيها عن نسخة : « فلا تثقن من النوكى ببنى » . وبنى ماء السماء ، هم ملوك الشام ، أبوهم ماء السماء بن حارثة الأزدي . قال :
أنا ابن مزريقا عمرو ، وجدى أبوه عامر ماء السماء

ويقال أيضاً لملوك العراق بنو ماء السماء . وهو لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمي . قال زهير :

ولازمت الملوك من آل نصر وبعدهم بنى ماء السماء

(٢) هذا البيت من ل فقط . والتباب : الحسران والهلاك .

(٣) في عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) « خالفته » مقادير يساعدها .

(٤) عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) . وسيأتي في ٤ : ٢٠ .

مشى فوقه رجلاه والرأس تحتَه فكَبَّ الأعلى بارتفاع الأسافل
وقال الآخر :

فلم أر مثلَ الفقر أوضعَ للفتى ولم أر عزاً لامرئٍ كعشيرة
ولم أر ذلاً مثلَ نأيٍ عن الأصلِ (١) ولم أر منْ عُدِمَ أضراً على امرئٍ
وقال آخر :

تحمق مع الحقى إذا ما لقيتهم ولا قهم بالنوك فعل أخى الجهل (٢)
وخلط إذا لاقيت يوماً محطاً فإني رأيتُ المرءَ يشقى بعقله
يخلط في قولٍ صحيحٍ وفي هزل (٣) وقال آخر (٤) :

وأنزلى طول النوى دارَ غربةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امرأً لا أشاكله
فحماقتُه حتى يقال سجيّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقله
وقال بشر بن المعتبر :

وإذا النبی رأيتَه مستغنياً وأعيا الطَّبيبَ وحيلةَ المحتالِ
وأنشدني آخرُ :

وللدَّهر أيامٌ فكن في لباسه كلبسته يوماً أجداً وأخلقا (٥)
وكن أکیسَ الکینسی إذا ما لقيتهم وإن كنت في الحقى فكن أنت أحقاً (٦)

(١) الأبيات في عيون الأخبار (٣ : ١٩) وأمالى ثعلب ٤٨٨ .

(٢) ما أثبت من ل يطابق رواية ثعلب . وفيما عدال : « عن الأهل » . وأشير في حاشية .

إلى رواية « الأصل » .

(٣) فيما عدال : « ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل » .

(٤) هذا البيت في ل فقط .

(٥) البيتان في عيون الأخبار (٣ : ٢٤) . وسيأتيان في (٤ : ٢١) .

(٦) البيتان لعقيل بن علفة ، كما في الحماسة (٢ : ١٧) . ورواهما ثعلب في مجالسه مع

ثالث مفسرين إلى ماجد الأسدي . ص ٥٠٢ .

(٧) في الحماسة والأمال وفيما عدال : « إذا كنت فيهم » .

وأنشدني آخر :

ولا تقربني يا بنت عمي بوهة^(١) من القوم دفنأساً غيباً مفنداً^(١)
 وإن كان أعطى رأس ستين بكرة^(٢) وحكماً على حكم وعبداً مؤلداً^(٢) ١٥٠
 ألا فاحذري لا تورديك هجمة^(٣) طوال الذرى جيساً من القوم قعدداً^(٣)
 وأنشدني آخر^(٤) :

كسا الله حيي تغلب ابنة وائل من اللؤم أظفاراً بطيئاً نصولها^(٥)
 إذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذلوا عليها وردوا وفداهم يستقيها^(٥)
 وأنشدني آخر :

وإن عناء أن تفهم جاهلاً ويحسب جهلاً أنه منك أفهم^(٦)
 وقال جرير :

ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم ولا يعرفون الأمر إلا تدبراً^(٧)
 وقال الأعرج المغني الطائي^(٨) :

- (١) البوهة : الرجل الضعيف الطائس . والدواس : الأحمق . والمفند : الضعيف للرأى والجسم . (٢) عني بالرأس الرموس .
 (٣) الهجمة من الإبل : قريب من المائة . يقول : لا تغترى بهذا الصداق . الحبس ، بالكسر : الجبان القدم . والقعدد ، بضم العين والداال وفتحهما ، وضم القاف وفتح الدال : الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم .
 (٤) في حواشي « للخشني » : « هو عميرة بن حنبل أخو كعب بن حنبل ، فيما ذكر ابن قتيبة » . وانظر الشعراء ٦٣٢ .
 (٥) حيا تغلب ، الأرجح أنه أراد بهما أحياء تغلب كليهما ، فغير بالمشي عن الجمع . ويجوز أن يكون أراد بهما أوسا وغنما ابني تغلب بن وائل . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٣٣) : « فالعقب في ثلاثة أفخاذ لصلبه : عمران وهم قليل ، وأوس وغنم وفيه العدد والبيت » .
 (٦) البيت لصالح بن عبد القدوس ، كما سيأتي في (٤ : ٢٢) .
 (٧) سبق البيت والكلام عليه في ١٩٨ .
 (٨) هو عدي بن عمرو بن سويد بن زيان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن الطائي . شاعر جاهلي إسلامي . وهو القاتل :
 تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعي صلاة الصبح قاما
 كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنسداما
 انظر الإصابة ٣٧١٣ و ٦٤٠٩ ومعجم المرزباني ٢٥١ . وفي خمسة البحري ٤٧ أن قاتل الشعر الأعرج بن مالك المري .

لقد علم الأقوام أن قد فررتم ولم تبسدهوهم بالمظالم أوّلاً^(١)
فكونوا كداعي كربة بعد فرة ألا رب من قد فرّ ثمت أقبلا
فإن أنتم لم تفعلوا فتبدّلوا بكل سينان معشر الغوث مغزلاً^(٢)
وأعطوهم حكم الصبي بأهله وإني لأرجو أن يقولوا بأن لا^(٣)
ويقال : « أظلم من صبي^(٤) » و « أكذب من صبي » و « أخرق من صبي » .
وأنشد :

ولا تحكما حكم الصبي فإنه كثير على ظهر الطريق مجاهله^(٥)
قال : وسئل دغفل بن حنظلة ، عن بني عامر فقال : « أعناق طباء ، وأعجاز
نساء » . قيل : فما تقول في أهل اليمن ؟ قال : « سيّد وأنوك^(٦) » .

١٠ (١) في جميع النسخ : « أن قد قدرتم » ، صوابه من حماسة البحتري .
(٢) الغوث ، هم بنو الغوث بن أدد ، إخوة طي بن أدد . فيما عدال : « معشر
الغرب » صوابه في ل وحماسة البحتري :
(٣) كنب بعد هذا البياض في ب ، ج : « أصله بياض » .
(٤) انظر الحيوان (٣ : ٣٧١) .
(٥) في حواشي : « أي أنه يظهر ما يجب أن يخفى ، ولا يتبلى بذلك » .
١٥ (٦) الأنوك : الأحمق ، وجمعه النوكي .

باب

في ذكر المعلمين^(١)

- ومن أمثال العامة : « أَحَقُّ مِنْ مَعْلَمٍ كُتَّابٌ » . وقد ذكرهم صِقْلَابٌ فقال :
وكيف يُرَجَّى الرَّأْيُ وَالْعَقْلُ عِنْدَ مَنْ يَرْوَحُ عَلَى أَثْنَى وَيَغْدُو عَلَى طِفْلِ^(٢)
وفي قول بعض الحكماء : « لَا تَسْتَشِيرُوا مَعْلَمًا وَلَا رَاعِيَّ غَنَمٍ وَلَا كَثِيرَ^{١٥١}
الْقَعُودِ مَعَ النِّسَاءِ » . وقالوا : « لَا تَدْعُ أُمَّ صَبِيٍّ تَضْرِبُهُ ؛ فَإِنَّهُ أَعْقَلُ مِنْهَا وَإِنْ
كَانَتْ أَسَنَ مِنْهُ » . وقد سمعنا في المثل : « أَحَقُّ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ ثَمَانِينَ^(٣) » .
فأما استحراق رُعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنم عِدَّةٌ
من جِلَّةِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ . ولعمري إِنَّ الْفَدَّادِينَ مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ وَرُعاة
الْإِبِلِ ائْتَنَّبَلُون^(٤) عَلَى رعاة الغنم ، ويقول أَحَدُهُمْ لَصَاحِبِهِ : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا
فَخَلَبْتَ قَاعِدًا » . وقال الآخر :

تَرَى حَالِبَ الْمِعْزَى إِذَا صَرََّ قَاعِدًا وَحَالِبُهُنَّ الْقَائِمُ الْمُتَطَوِّلُ^(٥)

(١) كتبت بحثاً عنوانه « الجاحظ والمعلمون » في عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب .

(٢) ورد البيت بدون نسبة في عيون الأخبار (٢ : ٥٤) .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨٨) . وروى الميداني في (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ في هذا المثل : « أَشَقُّ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ ثَمَانِينَ » و« أَشَقُّ مِنْ مَرَضِعٍ بِهِمْ ثَمَانِينَ » . وروى عن الجاحظ في اللسان (ثمن) : « أَشَقُّ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ ثَمَانِينَ » . ولم أجد هاتين الروايتين فيما بين يدي من كتبه . وروى في اللسان عن ابن خالويه : « أَحَقُّ مِنْ طَالِبِ ضَأْنٍ ثَمَانِينَ » وذكر أصل المثل . وهذه الرواية الأخيرة رويت في الميداني عن أبي عبيد ، وذكر لها أصلاً غير أصل ابن خالويه .

(٤) ب ، ج : « لَيْتَلُون » ، التيمورية « لَيْتَلُون » صواباً ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) الصر : أَنْ يَشْدَ الْفَرْعَ بِالصَّرَارِ لَتَلَا يَرْضَعُهَا وَلَدَهَا . وفي النسخ : « إِذَا صَرَ » وليس له وجه .

وقال امرأة من غامد ، في هزيمة ربيعة بن مكدّم^(١) ، ليجتمع غامدٍ وخدّه :
 ألا هل أتاها على نأيها بما فضحت قومها غامدُ
 تمنيتُم مائتي فارسٍ فردّكم فارسٌ واحدٌ^(٢)
 فليت لنا بارتباط الخيو ل ضاناً لها حالبٌ قاعدُ

وقد سمعنا قول بعضهم : ألحق في الحاكة والمعلمين والغزاليين . قال : والحاكة
 أقلُّ وأسقط من أن يقال لها حتى . وكذلك الغزاليون ؛ لأنّ الأحق هو الذى
 يتكلم بالصواب الجيد ثم يحىء بخطأ فاحش ، والحاك ليس عنده صوابٌ جيّد
 فى فعّالٍ ولا مقال ، إلا أن يُجعل جودة الحياكة من هذا الباب ، وليس هو من
 هذا فى شيء .

١٠

(١) ربيعة بن مكدّم بن عامر ، أحد فرسان مضر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين .
 انظر أخباره فى الأغاني (١٤ : ١٢٥ - ١٣٤) .

(٢) انظر الرسالة المصرية لأبى الصلت الأندلسى فى نوادر المخطوطات (١ : ٣٦)
 وإخبار العلماء للقفطى ١٤٣ .

وباب منه آخر^(١)

ويقال : فلان أحق . فإذا قالوا مائق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك إذا قالوا أنوك . وكذلك إذا قالوا رقيع . ويقولون : فلان سليم الصدر ؛ ثم يقولون عيي ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا معتوه ومسئوس وأشباه ذلك . ١٥٢
قال أبو عبيدة : يقال للفارس شجاع ، فإذا تقدّم [في^(٢)] ذلك قيل بطل ، فإذا تقدّم شيئاً قيل بهمة ، فإذا صار إلى الغاية قيل أليس . وقال العجاج :
* أليس عن حوْبائه سخي^(٣) *

وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلها : من جود وبخل ، وصلاح وفساد ، ونقصان ورُحجان . وما زلت أسمع هذا القول في المعلمين .

والمعلمون عندي على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي ، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب^(٤) ، وأشباه هؤلاء يقال لهم حقي . ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم . فإن ذهبوا إلى معلّمي

١٥٠ (١) هـ : « وهذا باب آخر » .

(٢) ليست في جميع النسخ .

(٣) ديوان العجاج ٧١ واللسان (ليس) . والحوباء : النفس .

(٤) سمي قطرباً لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه على بابه ، فقال له يوماً : ما أنت إلا قطرب ليل . والقطرب : دويبة تدب ولا تفر . وأخذ عن النظام مذهب الاعتزال ، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه ؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع . وأخذ عنه ابن السكيت . وهو أول من ألف في المثلثات . توفي ببغداد سنة ٢٠٦ . معجم الأدباء ، وبتحية الوعاة ، ووفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٣٨٦ .

كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة ، فها هم في ذلك إلا كغيرهم .
وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشُّعراء والخطباء ، مثل الكميث
ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد^(١) ، وعطاء بن أبي رباح^(٢) ،
ومثل عبد الكريم أبي أمية^(٣) ، وحسين المعلم^(٤) ، وأبي سعيد المعلم .
[ومن المعلمين: الضحاك بن مزاحم^(٥) . وأما عبد الجهني^(٦) وعامر الشعبي^(٧) ،
فكان يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان . وكان معبد يعلم سعيداً^(٨) ، ومنهم

- (١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري ، كان من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، وكان من دهاة العرب ، حارب في صفين مع علي ، ثم هرب من معاوية ، وتوفي في ولاية عبد الملك بن مروان . الإصابة ٧١٧١ وتهذيب التهذيب .
- (٢) هو عطاء بن أبي رباح - واسمه أسلم القرشي المكي . أدرك مائتين من الصحابة وكان معلم كتاب فقيها ثقة . ولد سنة ٣٧ وتوفي سنة ١١٤ . تهذيب التهذيب ونكت المتحبان ١٩٩ وابن خلكان .
- (٣) هو عبد الكريم بن أبي الفخارق - واسمه قيس ويقال طارق - أبو أمية المعلم البصري ، روى عن أنس وطاوس ونافع ، وعنه عطاء ومجاهد وأبو حنيفة . توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب . وفي الأصول : « عبد الكريم بن أبي أمية » تحريف . انظر أيضاً المعارف ٢٣٨ .
- (٤) هو الحسين بن ذكوان المعلم الموذي البصري . ترحم له ابن حجر في تهذيب التهذيب ، وأرخ وفاته سنة ١٤٥ . وانظر المعارف ٢٣٨ ، والسماعى ٥٤٠ ب .
- (٥) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم ، وكان معلم كتاب ، ذكر ابن قتيبة أنه كان لا يأخذ أجراً ، واشتهر بالتفسير . وهو ممن ولد وهو ابن ثلاثة عشر شهرا . توفي سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٥٧ والعقد ٦ : ٢٣٤ .
- (٦) هو معبد بن خالد - أو ابن عبد الله بن حكيم ، أو ابن عبد الله بن عويمر - الجهني القدرى . كان يجالس الحسن البصري ، وهو أول من تكلم بالبصرة في القدرة فسلك أهل البصرة مسلكه . قتله الحجاج بن يوسف صبرا . وذلك في سنة ٨٠ . تهذيب التهذيب . (١٠ : ٢٢٥) والسماعى ١٤٥ والمعارف ١٩٥ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨ .

(٧) سبقت ترجمته في ص ١٩٤ .

- (٨) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، كان يلقب بسعيد الخير ، وإليه ينسب نهر سعيد ، وهو دون الرقة من ديار مصر ، وكان مواعمه غيضة ذات سباع أقطعه إياها الوليد أخوه فحفر النهر وعمر ما هناك . المعارف ١٥٧ ، ومعجم البلدان .

أبو سعيد المؤدب^(١)، وهو غير أبي سعيد المعلم، وكان يحدث عن هشام بن عروة^(٢) وغيرهم. ومنهم عبد الصمد بن عبد الأعلى^(٣)، وكان معلم ولد عتبة بن أبي سفيان. وكان إسماعيل بن علي^(٤) ألزم بعض بني عبد الله بن المقفع ليعلمه. وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما. ومنهم محمد بن السكن^(٥)].

وما كان عندنا بالبصرة رجالان أروى لصنوف العلم، ولا أحسن بيانا، من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا. وقد قال الناس في أبي البيداء^(٦)، وفي أبي عبد الله الكاتب^(٧)، وفي الحجاج ابن يوسف وأبيه ما قالوا، وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهدا من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف^(٨).

(١) اسمه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح، أبو سعيد المؤدب الخزري نزيل بغداد. ضمه المنصور إلى المهدي، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين، وكان كذلك معلم موسى الهادي الخليفة قبل أن يستخلف. ومات في خلافه. تاريخ بغداد ١٣٤٦ وتهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٩.

(٢) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ولد هو والأعمش سنة مقتل الحسين ٦١ وتوفي سنة ١٤٦. تهذيب التهذيب.

(٣) عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني، كان يتهم بالزندقة، وكان يؤدب أيضا الوليد ابن يزيد بن عبد الملك، ويمال إنه هو الذي أفسده، ذكر ذلك الطبري في تاريخه. لسان الميزان (٤ : ٢١) والطبري (٨ : ٢٨٨).

(٤) هو إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو عم السفاح والمنصور. ولي لأبي جعفر فارس والبصرة. المعارف ١٦٣.

(٥) محمد بن السكن مؤذن مسجد بني شقرة، من صغاف المحدثين. لسان الميزان (٥ : ١٨١ - ١٨٢). هذا، وإن هذه التكلفة التي بدأت في ص ٢٥١ ص ٥ لم ترد في ل، وهي ثابتة في سائر النسخ.

(٦) أبو البيداء الرياحي، سبقت ترجمته في ص ٦٦.

(٧) ذكره ابن قتيبة في أسماء المعلمين، في المعارف ٢٣٨، بلقب «كاتب الرسائل».

(٨) روى هذا الشعر في المعارف ٢٣٨ - ٢٣٩ والشعراء (١ : ٣١٤) طبع الحلبي، والكامل ٢٩٠. قال مالك بن الريب :

فإذا طسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن تجاوزنا حفير زياد
فلولا بنومروان كان ابن يوسف كما كان عبدا من عبيد إلهاد

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول .
قالوا : أحقُّ الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكمُ جاهل .
قال : وكتب الحجاج إلى المهلب يُعجله في حرب الأزارقة ويستمه^(١) ،
فكتب إليه المهلب : « إن البلاء كلَّ البلاء أن يكون الرَّأْيُ لمن يملكه دون
من يُبصره » .

زمان هو العبد المقر بذله يراوح غلمان القرى ويغادى
وقال آخر فيه :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر

(١) التسميع : أن يندد به ويشهره ويفضحه ويسمعه القبيح .

وباب آخر

وقال بعض الربانيين^(١) من الأدباء ، وأهل المعرفة من البغاء ممن يكره
التشادق والتعمق ، ويُبغض الإغراق في القول ، والتكلف والاجتلاب^(٢) ،
ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن^{١٥٣}
ما يقول ، وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذي يورث الاقتدار من
التبكم والتسلط ، والذي يمكن الحاذق والطبوع من التمويه للمعاني ، والخيابة
وحسن المنطق ، فقال في بعض مواعظه : « أنذِرْكم حُسن الألفاظ ، وحلاوة مخارج
الكلام ؛ فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغُ مخرجاً سهلاً ، ومنحه
المتكلم دَلَّلاً مُنْعَشَقاً ، صار في قلبك أخلى ، ولصدرك أملاً . والمعاني إذا كُسيَت
الألفاظ الكريمة ، وألبست^(٣) الأوصاف الرفيعة ، تحولت في العيون عن مقادير
صُورِها ، وأزبَّتْ على حقائق أقدارها ، بقَدْرِ ما زُيِّنَتْ ، وحَسَبِ ما زُخِرَتْ .
فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض^(٤) ، وصارت المعاني في معنى الجوارى .
والقلب ضعيفٌ ، وسلطانُ الهوى قوىٌ ، ومدخلُ خُدَعِ الشيطان خفيٌّ » .

فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرط فيه ؛ فإنَّ عمر بن الخطاب رحمه الله
لم يَقُلْ للأحنف بن قيس — بعد أن احتبسه حَوْلاً مُجَرَّماً^(٥) ؛ ليستكثر منه ؛
وايبلغ في تصفح حاله والتنقير عن شأنه — : « إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد كان خوفنا كلَّ منافقٍ عليمٍ ، وقد خِفْتُ أن تكون منهم » إلا لما كان

(١) الرباني : العالم الراسخ في العلم ، أو العالم العامل المعلم . ن ، هـ : « الديانين » .
والديان : الحاكم والقاضي . هـ واليمورية : « الرمانين » تحريف . والصواب ما أثبت من ب .

(٢) الاجتلاب : أن يجلب معاني سواء لفقره في معانيه . ل : « الاجتلاب » .

(٣) ل : « وأكسبت » .

(٤) المعارض : جمع معرض ، وهو كبير ، توب تجلى فيه الجارية .

(٥) حول مجرم : ذام كامل .

داعه من حسن منطقته ، ومال إليه لما رأى من رقيقه وقلة تكلفه ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن في طلب حاجة وتأتى لها بكلامٍ وجيز ، ومنطق حسن : « هذا والله السحرُ الحلال » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خِلاَبة^(١) » .
فالقصدُ في ذلك أن تجتنب السوق^٢ والوحش^٣ ، ولا تجعل همَّك في تهذيب الألفاظ ، وشُغْلَكَ في التخلص إلى غرائب المعاني . وفي الاقتصاد بلاغ ، وفي التوسط مجانبةً للوعورة ، وخروجٌ من سبيلٍ من لا يحاسب نفسه . وقد قال الشاعر :

عليك بأوساطِ الأمور فإنها نجاةٌ ولا تركب ذُلولا ولا صغبا
وقال الآخر :

لا تذهبن في الأمور فرطاً^(٢) لا تسألن إن سألت شططاً

وكن من الناس جميعاً وسطاً

وليكن كلامك ما بين المقصر والغالي ؛ فإنك تسلم من المحنة^(٣) عند العلماء ،

ومن فتنة الشيطان .

وقال أعرابيٌّ للحسن : علّمني ديناً وسوطاً ، لا ذاهباً شطوطاً ، ولا هابطاً هبوطاً . فقال له الحسن : لتن قلت ذاك إن خير الأمور أوسطها .

وجاء في الحديث : « خالطوا الناس وزايلوهم » .

(١) الخلافة ، بالكسر : المخادعة ، وقيل الخديعة باللسان . وفي الحديث أنه قال لرجل

كان يخدع في بيته : « إذا بايعت فقل لا خلافة » .

(٢) الفرط ، بالتحريك : المقدم ، رجل فرط ، وقوم فرط .

(٣) فيما عدل : « الهجنة » .

وقال علي بن أبي طالب رحمه الله : « كن في الناس وَسَطًا وَاْمَشْ جَانِبًا » .
وقال عبد الله بن مسعود في خطبته : « وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَمَا قَلَّ »
وكفى خيرٌ ممَّا كثر وألهى ، نفسٌ تُنَجِّيها ، خير من إِمَارَةٍ لَا تُخْصِيها .
وكانوا يقولون : اكره الغلو كما تكره التقصير .

« وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « قولوا بقولكم
وَلَا يَسْتَحْزِنَنَّ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ » . وكان يقول : « وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى
مَخَافَتِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

باب

من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ
النسك ، وتأديب من تأديب العلماء

قال رجل لأبي هريرة النحوي : أريد أن أتعلّم العلم وأخاف أن أضيعه .
فقال : « كفى بترك العلم إضاعة » .

وسمع الأحنف رجلاً يقول : « التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر » ، فقال
الأحنف : « الكبير أكبر عقلاً ، ولكنه أشغل قلباً » .

وقال أبو الدرداء : ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكُم لا يتعلّمون .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه
من الناس ، ولكن يقبض العلماء حتّى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤساء
جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا » .

قالوا : ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله ، حين دلى زيد بن ثابت في
القبر ، رحمه الله : « من سرّه أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه ^(١) » .
وقال بعض الشعراء في بعض العلماء :

أبعدت من يومك الفرار فما جاوزت حيث انتهى بك القدر ^(٢)
لو كان ينحي من الردى حذرٌ نبأك ممّا أصابك الحذر
يرحمك الله من أخى ثقة لم يكُ في صفو ودّه كدرٌ
فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم منه ويدرس الأثر ^(٣)

(١) ل : « ذهابه » .

(٢) الأبيات اختارها أبو تمام في الحماسة (١ : ٤٣٧) ونسبها لرجل من بني أسد .
ونسبت في وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) إلى أبي يحيى محمد بن كناسة . وانظر ابن النديم ١٣٥ .
(٣) في الحماسة : « هكذا يذهب الزمان » .

قال : وقال قتادة : لو كان أحدٌ مكثفياً من العلم لا كتفى نبيُّ الله موسى عليه السلام ، إذ قال للعبد الصالح : ﴿ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ .
أبو العباس التيمي قال : قال طاوس : « الكلمة الصالحة صدقة » .

وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس^(١) ، عن أبيه ، [عن جده^(٢)] ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فضلُ لسانيك يُعبرُّ به عن أخيك الذي لا لسان له صدقة^(٣) » .

وقال الخليل : « تكثُر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ » .
وقال الفضيل^(٤) : « نعت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقها إلى أخيه » .

وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب .
وكان يقال : اجعل ما في كتبك بيت مال ، وما في قلبك للنفقة .
وقال أعرابي : حَرَفٌ في قلبك خير من عشرة في طومارك^(٥) .
وقال عمر بن عبد العزيز : « ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قدرة » .

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي ، روى عن جده أنس وأبي هريرة . تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « عبد الله بن ثمامة بن أنس » تحريف . وجاء الحديث بسنده في (٢ : ٣٩) . ولفظه هناك « ثمامة بن أنس » ، نسبة إلى جده .

(٢) التكملة لما ساقى في (٢ : ٣٩) .

(٣) كلمة « الذي لا لسان له » ليست في ل . وستأتي في (٢ : ٣٩) .

(٤) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمي ، الزاهد الخراساني ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة ، ومات بها سنة ١٨٧ ، وكان في أول أمره شاطراً ، ثم صار إلى الزهد والعبادة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٣٤) .

(٥) الطومار : الصحيفة ، قال ابن سيده : « أراه عربياً محضاً ؛ لأن سيبويه قد اعتد به في الأنية » . ل : « تامورك » محرف .

وكان ميمون بن سِيَّاه^(١) ، إذا جلس إلى قومٍ قال : إنا قومٌ مُنْقَطَعٌ بنا ،
فحدّثونا أحاديث تتجمل بها .

قال : وفخر سُلَيْمٍ مولى زيادٍ ، بزيادٍ عند معاوية ، فقال معاوية : اسكت ،
١٠ فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلا * وقد أدركتُ أكثرَ منه بلساني .

و ضرب الحجاج أعناقَ أسرى ، فلما قدّموا إليه رجلاً لتُضربَ عنقه قال :
والله لئن كُنّا أساناً في الذنب فما أحسنتَ في العفو ! فقال الحجاج : أفٍ لهذه
الجيف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثلَ هذا الكلام ! وأمسك عن القتل .
وقال بشير الرّجّال^(٢) : « إِنِّي لَا جِدُّ فِي قَلْبِي حَرًّا لَا يُذْهِبُهُ إِلَّا بَرْدُ الْعَدْلِ
أَوْ حَرُّ السَّنَنِ » .

قال : وقدّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لتُضربَ عنقه ،
١٠ ودخل على عبد الملك ابنٌ له صغيرٌ قد ضرب به المعلم ، وهو يبكي ، فهمَّ عبدُ الملك
بالمعلم ، فقال له الخارجي : دَعُوهُ يبكي فإنه أفتح لجِرمه^(٣) ، وأصبح لبصره ، وأذهب
لصوته . قال له عبدُ الملك : أَمَا يَشْغَلُكَ مَا أَنْتَ فِيهِ عَنْ هَذَا ؟ قال الخارجي :
ما ينبغي لمُسْلِمٍ أَنْ يَشْغَلَهُ عَنْ [قول^(٤)] الحقِّ شيءٌ ! فأمر بتخلية سبيله .
١٥ قال : وقال زيادٌ على المنبر : « إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ لَا يُقْطَعُ بِهَا
ذَنْبٌ عَنَزَ مَصُورٌ^(٥) ، لو بَلَعَتْ إِمَامَهُ سَفَكَ بِهَا دَمَهُ^(٦) » .

(١) سيّاه ، بكسر السين وفتح الياء المحففة ، كما في التقريب . وميمون بصرى ، كنيته
أبر بجر ، روى عن أنس والحسن ، وكان يقال إنه سيد القراء . تهذيب التهذيب ، وصفة
الصفوة (٣ : ١٥٤) .

(٢) فيما عدل : « الرجال » بالحاء المهملة .

(٣) الجرم ، بالكسر : الخلق . والخبر في البخلاء ٦ معزو إلى بعض الحكماء .

(٤) هذه مما عدل .

(٥) المصور : التي انقطع لها ، والمصر ، بالفتح : قلة اللبن .

(٦) وكذا جاء الخبر في اللسان (٧ : ٣٣) . ل : « سفك دمه » . وهذا الخبر في

٥ ورد بعد بيت الشعر الثاني .

وكان أبو الدرداء يقول : أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أُظْلِمَهُ مَنْ لَا يَسْتَعِينُ عَلَيَّ بِأَحَدٍ إِلَّا بِاللَّهِ .

وذكر ابن ذرٍّ^(١) الدنيا فقال : كَأَنكُمْ زَادَكُمْ^(٢) فِي حِرْصِكُمْ عَلَيْهَا ذَمُّ اللَّهِ لَهَا . ونظر أعرابيٌّ إلى مالٍ له كثيرٍ ، من الماشية وغيرها ، فقال : « يَنْعَةُ ، وَلِكُلِّ يَنْعَةٍ اسْتَحْشَافٌ^(٣) » . فباع ما هُنَاكَ مِنْ مَالِهِ ، ثُمَّ يَمُّ^(٤) تَغْرًا مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْمَوْتُ^(٥) .

قال : وَتَمَنَّى قَوْمٌ عِنْدَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ^(٦) ، فَقَالَ : أَتَمْنَى كَمَا تَمَنَّيْتُمْ ؟ قَالُوا : تَمَنَّى . قَالَ : « لَيْتَنَا لَمْ نُخْلَقْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ خُلِقْنَا لَمْ نَعْصِ ، وَلَيْتَنَا إِذْ عَصَيْنَا لَمْ نُمِتْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ مُتْنَا لَمْ نُبْعَثْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ بُعِثْنَا لَمْ نُحَاسَبْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ حُوسِبْنَا لَمْ نَعَذَّبْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ عَذِّبْنَا لَمْ نُخَلَّدْ » . ١٠

وقال الحجاج : « لَيْتَ اللَّهِ إِذْ خَلَقْنَا لِلْآخِرَةِ كَفَانَا أَمْرَ الدُّنْيَا ، فَرَفَعَ عَنَّا الْهَمَّ بِالْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكَحِ . أَوَّلِيَّتُهُ إِذْ أَوْقَعَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَفَانَا أَمْرَ الْآخِرَةِ ، فَرَفَعَ عَنَّا الْإِهْتِمَامَ بِمَا يَنْجِي مِنْ عَذَابِهِ » .

فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن ، أو علي بن الحسين ، فقال : ١٥ ما علما^(٧) فِي التَّمَنَّى شَيْئًا ، مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ^(٨) .

وقال أبو الدرداء : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، ١٥٨ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

(١) هو عمر بن ذر ، المترجم في ص ٢٦٠ .

(٢) هذا ما في هـ . وفي ل : « كَأَنَّهُ زَادَ » وفي سائر النسخ : « كَأَنَّمَا زَادَكُمْ » .

(٣) الاستحشاف : اليبس والتقبض . ل : « استجفاف » تحريف . ٢٠

(٤) فيما عدال : « لزم » .

(٥) فيما عدال : « حتى مات فيه » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٢٠٤ . (٧) ل : « ما عملا » .

(٨) كلمة « فهو » مما عدال .

قال شريح^(١) : « الحِدَّةُ كنايةٌ عن الجهل » .

وقال أبو عبيدة : « العارضة كناية عن البذاء »^(٢) .

قال : وإذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مستقصٍ فتلك كناية عن الجور .

وقال الشاعر^(٣) ، أبو تمام الطائي :

كذبتُم ليس يُزهِى مَنْ له حسبٌ ومَنْ له نسبٌ عَمَّنْ له أدبٌ
إِنِّي لَدُوْ عَجِبٍ بِكُمْ أَرَدُّهُ فيكم ، وفي عجبِي مِنْ زَهُومٍ عَجَبٌ
لِجَاجَةٍ لِي فِيكُمْ لَيْسَ بِشَبْهٍ إِلَّا لِجَاجَتِكُمْ فِي أَنْكُمْ عَرَبٌ
وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أَحْسَنَ عزاءكِ عن ابنك ؟ قالت : إن مصيبته أَمَنَّتْنِي مِنَ المصائب بعده .

قال : وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطويس المغنّي^(٤) : أَيُّنَا أَسَنُ
أَنَا أم أَنْتَ يَا طَاوُسُ^(٥) ؟ قال : « بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ؛ لَقَدْ شَهِدْتُ زِفَافَ أُمِّكَ
المباركة إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ^(٦) » . فانظر إِلَى حِدْقِهِ وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ بِمَخَارِجِ الكَلَامِ ،

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندي الكوفي القاضي ، كان من أولاد
الفرس الذين كانوا باليمن ، استقضاء عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على ، وكان يقول له :
أنت أفضى العرب ، وولاه زياد قضاء البصرة . توفي سنة ٧٢ . الإصابة ٣٨٧٥ ، وتهذيب
التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٢٠) ، وابن خلكان .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام . والبذاء ، كسحاب : الفحش .

(٣) فيما عدال : « وقال حبيب بن أوس الشاعر » .

(٤) طويس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، مولى بني مخزوم . وطويس
هذا ، هو الذي يقال فيه « أشأم من طويس » ؛ وذلك أنه — كما يقولون — ولد يوم قبض
الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ،
وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع . عمر طويس حتى
مات في ولاية الوليد بن عبد الملك . الأغاني (٣ : ١٦٤ — ١٧٢) وثمار القلوب ١١٤ .

(٥) فيما عدال : « طويس » . وفي ثمار القلوب : « وكان يسمى طارسا ، فلما تخنث

سمى بطويس » .

(٦) انظر الخبر في الحيوان (٤ : ٥٨) .

كيف لم يقل : زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى .

قال : وقال رجلٌ من أهل الشام : كنت في حلقة أبي مُسَهر^(١) ، في مسجد دمشق ، فذكرنا الكلامَ وبراعته ، والصمتَ ونبالته ، فقال : كَلَّا إن النِّجمَ ليس كالقمر ، إياك تصِفُ الصَّمتُ بالكلام ، ولا تصفُ الكلامَ بالصَّمت .
وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً : يا بني إذا قلَّلتَ من الكلام أكثرَ من الصَّواب ، وإذا أكثرَ من الكلام أقلَّلتَ من الصَّواب . قال : يا أبة ، فإن أكثرَ وأكثرَ ؟ — يعني كلاماً وصواباً — قال : يا بُني ، ما رأيتُ موعوظاً أحقَّ بأن يكون واعظاً منك !

قال : وقال ابن عَبَّاس : « لولا الوَسْواسُ ، ما باليتُ ألا أكلمُ الناس » .
قال : وقال عمر بن الخطَّاب رحمه الله : « ما تستبقوه^(٢) من الدُّنيا تجدوه في الآخرة » .

وقال رجلٌ للحسن : إني أكره الموت . قال : ذاك أنك أخرتَ مالَكَ ، ولو قدَّمته لسرَّكَ أن تُلحقَ به .

قال : وقال عامر بن الظَّرب العدواني^(٣) : « الرأى مأثمٌ ، والهوى ١٥٩ يقظان ؛ فمن هُناك يغلبُ الهوى الرأى^(٤) » .

(١) هو أبو مسهر صد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الدمشقي الغساني ، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى المأمون فامتحنه في خلق القرآن ، فلما دعى له بالسيف قال : مخلوق ! فأمر بإشخاصه إلى بغداد فحبس بها ومات سنة ٢١٨ . ومولده سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٤٦) وتاريخ بغداد ٥٧٥٠ .

(٢) فيما عدال : « ما تستبقوا » . والاستبقاء : التَّرك البقية .

(٣) عامر بن الظرب العدواني ، أحد حكام العرب في الجاهلية ، قالوا : عمر مائتو سنة ، وفيه يقول ذو الإصبع العدواني :

ومنا حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

انظر المعمرين ٤٤ — ٥٠ وأمثال الميداني في : « إن العصب قرعت لذى الحلم » .

(٤) انظر الخبر في المعمرين ٤٨ — ٤٩ . هـ : « فمن هُناك » .

وقال : مكتوب في الحكمة : « اشكركم لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر لك » .

وقال بعضهم^(١) : « أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا » .

وقال عبد الملك على المنبر : « ألا تنصفوننا يا معشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعية أبي بكر وعمر ، أسأل الله أن يعين كلاً على كل » .

وقال رجل من العرب : « أربع لا يشبعن من أربعة : أنثى من ذكر ، وعين من نظر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر » .

قال : وقال موسى صلى الله عليه وسلم لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ۚ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فقال بعض المعترضين : فقد قال : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ . فقال أبو عقيل^(٢) : « لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ، ومن الجائع المقرور » .

وقال لبيد بن ربيعة :

ومقام ضيق فرجته بيان ولسانٍ وجدل^(٣)
لو يـقـوم الفـيلُ أو قـيـالُه زلّ عن مثل مقامى وزحل
ولدى النعمان منى موطن بين فائورٍ أفاقٍ فالدخل^(٤)

(١) فيما عدل زيادة « وهو أبو الدرداء » .

(٢) الراجح أنه أبو عقيل السواق . انظر الحيوان (٤ : ٢٠٦ / ٧ : ٢٠٤) .

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة في ديوانه ١١ - ١٧ طبع ١٨٨١ .

(٤) فائور : موضع أو واد بنجد . وأفاق : بالنجم : موضع في بلاد بني يربوع . وأنشد

ياقوت البيت في الموضعين . والدخل : ماء بنجد . هـ : « فالدخل » .

إِذْ دَعَتْنِي عَامِرٌ أَنْصُرْهَا فَالتَقَى الْأَلْسُنُ كَالنَّبْلِ الدَّوْلِ (١)
 فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رِشْقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْعُضْلِ وَلَا بِالْمُقْتَعِلِ (٢)
 فَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ كَعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجَلِّ (٣)
 وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ رَهْطٌ مَرْجُومٌ ، وَرَهْطُ ابْنِ الْمُعَلِّ (٤)
 وَقَالَ لِبَيْدٍ أَيْضًا (٥) :

وَأَيْضَ يَحْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَى خَطِيبًا إِذَا النَّفَّ الْجَمَاعَ فَاصِلًا (٦)

يَحْتَابُ : يَفْتَعِلُ مِنَ الْجَوِّ ، وَهُوَ أَنْ يَجُوبَ الْبِلَادَ ، أَيْ يَدْخُلَ فِيهَا
 وَيَقْطَعَهَا . وَالْخُرُوقُ : جَمْعُ خَرَقٍ ؛ وَالْخَرَقُ : الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ . وَالْوَجَى : ١٠
 الْحَقَا ، مَقْصُورٌ كَمَا تَرَى ؛ وَأَنَّهُ لِيَتَوَجَّى فِي مَشِيَّتِهِ ، وَهُوَ وَجٍ . وَقَالَ رُوْبَةُ :
 * بِهِ الرِّذَايَا مِنْ وَجٍ وَمُسْقَطٌ (٧) *

(١) النبل : السهام . والدول ، بالتحريك : المتداول .
 (٢) الرشق : أَنْ يَرْمِيَ الرَّامِي بِالسَّهَامِ كُلِّهَا . أَيْ لَيْسَ رَمِيٌّ بِالْعَصَلِ مِنَ السَّهَامِ ، وَهِيَ
 الْمُعْجَةُ . وَالْمُقْتَعِلُ مِنَ السَّهَامِ : الَّذِي لَمْ يَبْرَ بَرِيًّا جَيِّدًا . وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ (عَصَلٌ ، قَعْلٌ)
 بِرَوَايَةٍ : « الْمُقْتَعِلُ » ، وَفِي (قَتْلُ) بِرَوَايَةِ الْبَيَانِ .
 (٣) ابْنُ سَلَمَى هُوَ النِّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ . جَاءَ فِي الْحَيَوَانَ (٤ : ٣٧٧) : « وَأُمُّ النِّعْمَانَ سَلَمَى
 بِنْتُ الصَّائِغِ ، يَهُودِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ » . وَجَلَّى بِبَصَرِهِ تَجَلِيَّةً ، إِذَا رَمَى بِهِ كَمَا يَنْظُرُ الصَّقْرُ
 إِلَى الصَّيْدِ . انْظُرِ اللِّسَانَ (٢٠ : ١٦٤) وَالْحَيَوَانَ (٧ : ٤٧) .
 (٤) لُكَيْزٌ بْنُ أَفْصَى بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ . وَمَرْجُومٌ ، بِالْجِيمِ ، اسْمُهُ شَهَابٌ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ .
 قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : « وَإِذَا سَمِيَ مَرْحُومًا لِأَنَّهُ نَافِرٌ رَجُلًا إِلَى النِّعْمَانَ فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ : قَدْ رَجَمْتَكَ
 بِالْشَّرَفِ . فَسَمِيَ مَرْجُومًا » . الْاِشْتِقَاقُ ٢٠١ . وَابْنُ الْمُعَلِّ ، وَهُوَ الْخَارُودُ بْنُ الْمُعَلِّ ، كَانَ
 سَيِّدَ عَبْدِ الْقَيْسِ ، قَدِمَ عَلَى الرَّسُولِ فِي وَقْتِ عَبْدِ الْقَيْسِ الْآخِرِ سَنَةَ عَشْرٍ ، وَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ .
 الْإِصَابَةُ ١٠٣٨ وَالْحَيَوَانَ (١ : ٣٢٧) . وَالْبَيْتُ لَمْ يَرَوْهُ فِي دِيْوَانِ لِبَيْدٍ .

(٥) ب : « وَقَالَ » فَقَط . ح وَالتيمورية : « وَقَالَ لِبَيْدٍ » .
 (٦) دِيْوَانُ لِبَيْدٍ ٢٦ طَبْعَ ١٨٨١ . ل : « فَيَصِلَا » تَحْرِيفٌ . التيمورية وَالدِيْوَانُ :
 « فَاصِلًا » بِالْمَعْجَةِ . وَالْوَجَى مَا أُثْبِتَ مِنْ ب ، ج . وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

وَلَنْ يَعمُوا فِي الْحَرْبِ لَيْثًا مَجْرِبًا وَذَا نَزَلَ عِنْدَ الرِّزْيَةِ بَادِلًا
 (٧) التفسير بعد البيت السابق إلى كلمة « الواسعة » مِنْ ل . وَمَا بَعْدَهَا إِلَى هُنَا مِنْ ل
 فَقَط . وَالْبَيْتُ مِنْ أَرْجُوزَةٍ رَوَاهَا أَبُو عَمْرٍو وَالْأَصْمَعِيُّ لِرُوْبَةٍ ، وَرَوَاهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ
 لِلْمَعْجَاحِ . دِيْوَانُ رُوْبَةٍ ٨٣ .

وقال أيضاً لبيد^(١) :

لو كان حيٌّ في الحياة مخلداً في الدهر أدركه أبو يكسوم^(٢)
والحارثان كلاهما ومحرَّق^(٣) أو تُبَعَّ أو فارس اليعموم^(٤)
فدعى الملامة وينب غيرك إنه ليس النوال بلوم كلِّ كريم
ولقد بلوتك وابتليت خليقتي ولقد كفاك معلّم تعليمي
وله أيضاً :

ذهب الذين يُعَاشُ في أكنافهم وبقيت في خلف كجند الأجر
يتأكلون مغالة وخيانة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب
والخلف : البقية الصالحة من ولد الرجل وأهله . والخلف ضد هذا^(٥) .
وقال زيد بن جندب ، في ذكر الشغب :

ما كان أغنى رجالاً ضلَّ سغيهم عن الجدال وأغناهم عن الشغب^(٥)
وقال آخر^(٦) في الشغب :

إني إذا عاقبت ذو عقاب وإن تشاغبتني فذو شغاب

- (١) فيما عدل : « وقال لبيد » . وانظر ديوان لبيد ٨٣ - ٨٤ طبع ١٨٨٠ .
(٢) أبو اليكسوم : كنية أبرهة ، الملك الحبشي صاحب الفيل الذي وجه لهدم الكعبة .
وفي السيرة ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ملك ابنه يكسوم بن أبرهة . وبه كان
يكنى » . وانظر الحيوان (٧ : ١٠١) . وفي شرح الديوان : « أدركه ، الهاء للتخيليد » .
(٣) الحارثان ، هما الحارث الأكبر والحارث الأصغر ، ملكان من ملوك الغساسنة .
محرّق ، هو عمرو بن هند ملك الحيرة ، لأنه حرق بني تميم . وهو كذلك لقب للحارث الأكبر
الغساني . انظر القاموس والعمدة (٢ : ١٧٩) . وفي شرح الديوان أنه ملك من ملوك اليمن .
(٤) فارس اليعموم ، هو النعمان بن المنذر . واليعموم فرسه . انظر العمدة (٢ : ١٨٢) والخيل
لابن الكلبي ٣١ ونهاية الأرب (١٠ : ٤٥) . وبديل هذا البيت وتاليه فيما عدل :
بكتائب خرس تعود كبشها نطح الكباش شبيهة بنجوم
(٤) هذا التفسير في ل فقط .
(٥) انظر ما سبق ص ٤٢ . ل : « ضل سغيهم » ل ، ه : « عن الخطب » .
(٦) هو لقيط بن زورارة ، كما سيأتي في (٢ : ١٧٠) .

وقال ابن أحرر بن العمر ^(١) :

وكم حَلَّها مِنْ تَيَّحانٍ سَمِيدٍ مُصافي الندى ساقٍ بيضاء مُطعمٍ ^(٢)

— التَّيَّحان : الذي يعرض في كل شيء لِيُغنى فيه . والسَّمِيد : الكريم .

والندى : السخاء . واليهاء : الأرض التي لا يُهتدى فيها لطريق ^(٣) —

طوى البطن مثلاًف إذا هبت الصبا على الأمر غواص وفي الحى شيطم ^(٤)

وقال ^(٥) :

هل لامنى قومٌ لموقفٍ سائلٍ أو فى مخاصمة اللجوج الأصيد

١٦١

الأصيد : السَّيِّدُ الرَّافعُ رأسه ، الشامخُ بأنفه ^(٦) .

وقال فى التطبيق :

فلما أن بدا الققعاق لجت على شركٍ تناقله نقالاً ^(٧)

١٠

تعاورن الحديث وطبقته كما طبقت بالنعل المثالا

قال : وهذا التطبيق غير التطبيق الأول . وقال آخر ^(٨) :

لو كنت ذا علم علمت وكيف لى بالعلم بعد تدبر الأمر

(١) هو ابن أحرر الباهلى ، واسمه عمرو بن أحرر بن العمر بن عامر بن عمرو بن عبد بن

فراص . من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، أسلم وغزا مغازى فى الروم ، ونزل الشام ، وتوفى على عهد عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والخزانة (٣ : ٣٨) والمؤتلف ٣٧ .

(٢) التَّيَّحان ، بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة والمكسورة . وكان ميبويه ينكر لغة الكسر . (٣) هذا التفسير بجميعه من ل فقط .

(٤) رجل طو : خالى البطن جائع . والشيطم : الطلق الوجه الهش .

(٥) ل : « وقال آخر » تحريف ، فإن البيت لابن أحرر ، كما سيأتى صريحاً فى

(١٧١ : ٢) .

(٦) هذا التفسير من ل فقط .

(٧) الققعاق : طريق يأخذ من الإمامة إلى البحرين ، كان فى الجاهلية . والشرك :

الطرق التى تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك .

والمناقلة : سرعة نقل القوائم . وضمير « تناقله » للنقال ، كما فى : « فإنى أعذبه عذاباً » .

(٨) هو ابن أحرر الباهلى ، كما سبق فى ص ٥ .

يعنى إدبار الأمر^(١) .

وقال المعترضُ على أصحاب الخطابة والبلاغة :

قال لقمانُ لابنه : « أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ ، وَلَمْ أُنْذَمْ عَلَى

الشُّكُوتِ » . وقال الشاعر :

مَا أَنْ نَدِمْتُ عَلَى سَكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

وقال الآخر^(٢) :

خَلَّ جَنْبِيكَ لِرَامٍ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ

مُتُّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرَ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مَنْ أَلَّ بِجَمِّ فَاهُ بَلَجًا—ام^(٣)

وقال الآخر^(٤) في الاحتراس والتحذير :

١٠

اخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلٍ وَالتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ

وقال آخر في مثل ذلك :

لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ مَا فِي الضَّمِيرِ لَهُمْ مِنْ ذَاكَ يَكْفِينِي^(٥)

وقال حمزة بن بيض^(٦) :

١٥

لَمْ يَكُنْ عَنْ جِنَايَةِ لِحِقَتْنِي لَا يَسَارِي وَلَا يَمِينِي جَنَّتْنِي

بَلْ جَنَاهَا أَخٌ عَلَى كَرِيمٍ وَعَلَى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ تَجْنِي

(١) هذا الشرح من ل فقط .

(٢) هو أبو نواس ، كما في عيون الأخبار (٢ : ١٧٧) .

(٣) في عيون الأخبار : « إِنَّمَا السَّالِمُ » . والبيت ساقط من هـ .

(٤) هو أبان اللاحق ، كما في الحيوان (٥ : ٢٤١) .

٢٠

(٥) فيما عدال : « مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ يَكْفِينِي » . وأشير في هـ إلى روايته

« مِنْ ذَاكَ » .

(٦) حمزة بن بيض الحنفي ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خلیع ماجن .

وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة ،

واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . الأغاني (١٥ : ١٤ - ٢٥) والمؤتلف ٢٥

١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء . انظر تحقيق ذلك في شرح الحيوان (٥ : ٤٥٤) .

لأن هذه الكلبة ، وهى براقش ، نَبَحَتْ غُرْيًى^(١) قَدْ مَرُّوا مِنْ وَرَائِهِمْ وَقَدْ رَجَعُوا خَائِبِينَ مُخَفِّقِينَ ، فَلَمَّا نَبَحَتْهُمْ اسْتَدَلُّوا بِنَبَاحِهَا عَلَى أَهْلِهَا وَاسْتَبَاحُوهُمْ ، وَلَوْ سَكَّتْ كَانُوا قَدْ سَلِمُوا . [فَضْرَبَ ابْنُ بَيْضَ بِهِ الْمَثَلَ^(٢)] .

وقال الأخطل :

تَنَقُّ بِلا شَيْءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ وَمَا خِلَتْهَا كَانَتْ تَرِيشٌ وَلَا تَبْرِى
ضَفَادِعٌ فِي ظَلَمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ^(٣) ١٦٢

النقيق : صياح الضفادع .

وقالوا : « الصمت حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعْلُهُ » .

وقالوا : « اسْتَكْثَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ صَامَتٌ » .

١٠ وقيل لرجل من كلبٍ طويل الصمت : بِحَقِّ مَا سَمْتَكُمْ الْعَرَبُ خُرُسَ

العرب . فقال : « أَسْكُتُ فَاسْلُمُ ، وَأَسْمَعُ فَاعْلَمُ » .

وكانوا يقولون : « لَا تَعْدِلُوا بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا » .

ولا تسمع الناس يقولون : جُلِدَ فلان حين سكت ، ولا قُتِلَ فلان حين صمت^(٤) .

وتسميهم يقولون : جُلِدَ فلان حين قال كذا ، وقُتِلَ حين قال كذا وكذا .

١٥ وفى الحديث المأثور : « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَكَتَ فَسَلِمَ ، أَوْ قَالَ فَغَنِمَ » .

والسلامة فوق الغنيمة ؛ لأنَّ السلامة أصلٌ والغنيمة فرع .

(١) غزى : جمع غاز . فيما عدال : « إنما نبحت غزياً » . والغزى : جمع غاز أيضاً ،

مثل ناد وفدى ، وناح ونجى .

(٢) به ، أى بذلك . وهذه التكملة بما عدال .

(٣) البيتان فى ديوان الأخطل ١٣٢ . وانظر الحيوان (٣ : ٢٦٨ / ٤ : ٢٤٠ / ٥ : ٥٣٢) .

ولشعر قصة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنيات ٧٢ .

(٤) فيما عدال : « صمت » موضع « سكت » وبالعكس فيما بعده .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبغض البليغ الذي يتخلل بلسانه ،
تخلل الباقرة ^(١) بلسانها » .

وقيل : « لو كان الكلام من فضة ، لكان السكوت من ذهب ^(٢) » .

قال صاحب البلاغة والخطابة ، وأهل البيان وحُب التبيين ^(٣) : إنما عاب النبي

صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها ،

والأعرابي المتشادق ، وهو الذي يصنع بفكته وبشقيقه ما لا يستجيزه أهل

الأدب من خطباء أهل المدر ؛ فمن تكلف ذلك منكم فهو أعيب ، والذم له ألزم .

وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم

يكن الناس جميعاً ليمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ^(٤) ؛ ومدار العلم على

الشاهد والمثل ؛ وإنما حثوا على الصمت لأن العامة إلى معرفة خطأ القول ،

أسرع منهم إلى معرفة خطأ الصمت . ومعنى الصامت في صمته أخفى من معنى

القائل في قوله ؛ وإلا فإن السكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل .

ولعمري إن الناس إلى الكلام ^(٥) لأسرع ؛ لأن في أصل التركيب أن الحاجة

إلى القول والعمل أكثر من الحاجة إلى ترك العمل ، والشكوت عن جميع القول .

وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ، ولا الكلام كله أفضل من

السكوت كله ، بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت .

١٦٣ وقد قال الله عز وجل : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لَشَحْتٍ ﴾ . فجعل سمعه

وكذبه سواء . وقال الشاعر :

بنى عدى ألا يا أنهوا سفيهمكم إن السفيه إذا لم يُننه مأمور ^(٦)

(١) المعروف في جمع بقر الباقر والبقيز والبيقور والباقور والباقورة والبواقر . هـ : ٢٠
« كما تتخلل الباقرة » .

(٢) فيما عدل : « إن كان الكلام . . . فالسكوت » .

(٣) ما عدا هـ : « التبيين » .

(٤) المرفق ، كمنبر ومجلس ومسكن : ما استعين به . (هـ) ل : « كلامهم » .

(٥) يا أنهوا ، هو من حذف المنادى ، أي يا قوم انهوا . فيما عدل ، هـ : « ألا ينهى » . ٢٠

وقال آخر^(١) :

فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ضحكتُ له حتى يلج ويستشري
وكيف يكون الصمتُ أنفعَ ، والإيثارُ له أفضل^(٢) ، ونفعه لا يكاد يجاوز
رأس صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص ، والرواة لم تزو^(٣) سكوت الصامتين ،
كما روت كلام الناطقين ، وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ، ومواضع
الصمت المحمودة قليلة ، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة ، وطول الصمت
يفسد اللسان^(٤) .

وقال بكر بن عبد الله المزني^(٥) : « طول الصمت حُبسة » كما قال عمر بن
الخطاب رحمه الله : « ترك الحركة عَقْلَةٌ » .

وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره ، وتبدلت نفسه ، وفسد حشيه .
وكانوا يروون صبيانهم الأرجاز ، ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع
الصوت وتحقيق الإعراب ؛ لأن ذلك يفتق اللهاة ، ويفتح الجرم^(٦) .
واللسان إذا كثرت تقلبيه رق ولان ، وإذا أقلت تقلبيه وأطلت إسكاته
جسا وغلظ^(٧) .

وقال عباية الجعفي^(٨) : « لولا الذرْبَة وسوء العادة لأمرتُ فتياتنا^(٩) أن
يمارِىَ بعضُهم بعضاً » .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . انظر الحيوان (١ : ١٤) وأمالى
المرتضى (٢ : ٦٠) وثعلب ١٧ .

(٢) ل : « ولا يقال له أفضل » ، تحريف .

(٣) فيما عدا التيمورية : « لم يرووا » .

(٤) فيما عدل : « البيان » . (٥) تقدمت ترجمته في ص ١٠٠ .

(٦) الحرم ، بالكسر : الحلق .

(٧) ل : « إسكاته » بالتاء . جسا : ييس وصلب .

(٨) أورد له في الحيوان (٥ : ١٩٠) : « ما سرفى بنصيبى من المنى حمر النعم » .

(٩) ل : « فتياتى » .

وأية جارحة منعتها الحركة ، ولم تمرّنها على الاعتقال ، أصابها من التعقّد على حسب ذلك المنع . ولم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنايعة الجعدى : « لا يَفْضُضُ اللهُ فاك » ؟ ولم قال لكعب بن مالك : « ما نسيَ اللهُ لك مقالك ذلك ^(١) » ؟ ولم قال لهيذان بن شيخ ^(٢) : « رُبَّ خطيبٍ من عبّس » ؟ ولم قال لحسان : « هَيَّجَ الفطاريّف على بنى عبد مناف ^(٣) ، والله لشِعْرُكَ أشدُّ عليهم من وَقَع السّهام ، فى غَبَشِ الظّلام ^(٤) » ؟

وما نشكُّ أنّه عليه السلام قد نهى عن المرء ، وعن التزيّد والتكلف ، وعن كلِّ ما ضارَعَ الرّياء والشّمعة ، والنّفج والبذخ ^(٥) ، وعن التّهاتر والتّشاغب ، وعن الممانّة والمغالبة ^(٦) . فأما نفسُ البيان ، فكيف ينهى عنه .
١ وأبين الكلام كلامُ الله ، وهو الذى مدّح التّبيين وأهل * التّفصيل ^(٧) .
وفى هذا كفايةٌ إن شاء الله .

وقال دغفل بن حنظلة : إنّ للعلم أربعة ^(٨) : آفة ، ونكداء ، وإضاعة ، واستجاعة . فأفته النسيان ، ونكده الكذب ، وإضاعته وُضْعُهُ فى غير موضعه ، واستجاعته أنّك لا تشبع منه .
وإنّما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء ، ولخرق سياسة أكثر الرّواة ؛ لأنّ الرّواة إذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع ، عن تحفّظ ما قد حصلوه ،

-
- (١) الكلمة الأخيرة ليست فى ل .
(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٩٠٢٧ برسم « هيدان بن سنج العبسى » . وأورد له هذا الخبر الذى رواه الجاحظ ثم قال : « ولم يتحرر لى ضبط والده » .
(٣) الفطريف : أصله السيد الشريف . فى الأصول ما عدا ه : « من بنى » . وما أثبت من « يطابق ما فى العثمانية للجاحظ ٢٤ . وانظر ما كتبت فى حواشيها من تحقيق .
(٤) الغش : شدة الظلمة . ل والعمدة : « غلس الظلام » . وهى ظلمة آخر الليل .
(٥) النّفج ، بالفتح ، والبلخ بالتحريك ، هما بمعنى الكبر .
(٦) الممانّة : المعارضة فى الجدل والخصومة .
(٧) فيما عدا ل : « التّفصيل » ، بالضاد المعجمة ، تصحيف .
(٨) فيما عدا ل : « أربعة » . وانظر الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٢١ .

وتدبّر ما قد دوّنوه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الرّبح سبباً للخُسران . وجاء في الحديث : « منهومان لا يشبعان : منهومٌ في العلم ، ومنهومٌ في المال » .

وقالوا : علّمٌ علمك ، وتعلّم علم غيرك ، فإذا أنت قد علمت ما جهلت ، وحفظت ما علمت .

وقال الخليل بن أحمد : اجعل تعلمك دراسةً لعلمك ، واجعل مناظرة المتعلّم تنبيهاً على ما ليس عندك .

وقال بعضهم — وأظنه بكر بن عبد الله المزني — : لا تكذّوا هذه القلوب ولا تهملوها ؛ فخير الفكر ما كان عقيب الجَمَام^(١) ، ومن أكره بصره عَشَى . وعاودوا الفكرة^(٢) عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ، ولا تياسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق ؛ فإنّ من أدام قرع الباب ولج .

وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته السيادةُ ناشئاً فطلبها كهلأ عليه شديد^(٣)

وقال الأحنف : « الشؤدّد مع السّواد » . وتقول الحكماء : « من لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يباغ فيها » . وأنشد^(٤) :

ودون النّدى في كل قلب ثنيّةٌ لها مصعدٌ حزن ومنحدر سهل^(٥)
وودّ الفتى في كلّ نيلٍ يُنيه^(٦) إذا ما انقضى ، لو أنّ نائله جزلٌ

(١) فيما عدل ، هـ : « فخير الكلام » . والجمام ، كسحاب : الراحة .

(٢) فيما عدل : « الفكر » . (٣) فيما عدل : « أعيته المروءة » .

(٤) ل : « وأنشد قول الشاعر » . وهو إسحاق الخزيمى كما فى الشعراء ٨٣٣ وزهر الآداب

(٥ : ٢٠١) وما سياتى فى (٢ : ٣٥٢) . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) .

(٥) ل : « ودون العلى » ، وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الحيوان .

وقال الهذلي^(١) :

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ لها صَعْداءَ مطلبُها طويلٌ^(٢)
أترجو أن تسود ولا تُعنى وكيف يسود ذو الدَّعة البخيل^(٣)

١٠ صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
قال : « مارأيتُ عقولَ الناسِ إلَّا وقد كادَ يتقاربُ بعضها من بعض^(٤) ، إلَّا ما كان
من الحجاج وإياس بن معاوية ، فإنَّ عقولهما كانت ترَّجِحُ على عقول الناس » .
أبو الحسن قال : سمعت أبا الصُّغْدِي^(٥) الحارثيَّ يقول : كان الحجاج
أحقَّ ، بنى مدينةً واسط في بادية النَّبَط ثم حمَّاهم دخولها^(٦) . فلما مات دلفوا
إليها من قريب .

وسمعتُ قَحْطَبَةَ الخُشَنِيَّ^(٧) يقول : كان أهلُ البصرة لا يشكون إنَّه لم
يكنُ بالبصرة رجلٌ أعقل من عُبيد الله بن الحسن^(٨) ، وعُبيد الله بن سالم .

وقال معاوية لعمر بن العاصي : إنَّ أهل العراق قد قرَّئوا بك رجلاً طويلاً
اللِّسان ، قصيرَ الرأى ، فأجِدِ الحَزَّ وطَبَّقِ المَفْصِلَ ، وإيَّاكَ أن تلقاهُ برأيك كَلَّةً .

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلي ، المعروف بالأعلم . انظر ديوان الهذليين ٦٠ - ٦١

١٥ نسخة الشنقيطي ، وشرح الهذليين السكري ٦٣ - ٦٤ .

(٢) وكذا روى في شعر الهذليين وعيون الأخبار (١ : ٢٢٦) . ورواه في الحيوان
(٢ : ٩٥) برواية : « وإن سياسة » ، وكذا في اللسان (صعد) . والصعداء : الأكمة يشند
صعودها على الراقي .

(٣) فيما عدل : « ولن تعنى » ، تحريف . وهذا الببت لم يرد في ديوان الهذليين .

٢٠ (٤) فيما عدل : « إلَّا قريباً بعضها من بعض » وهو ما سبق في ص ١٠٠ ص ١ .

(٥) ب والتيمورية : « الصغرى » ج : « الصغرى » وأثبت ما في ل ، ه . وسيعيد
الجاحظ هذا الخبر في (٤ : ١٨) .

(٦) سيأتي : « ثم قال لهم لا تدخلوها » وهو رواية ما عدل هنا .

(٧) الخشني : نسبة إلى خشين بن نمر بن وبرة بن تغلب . فيما عدل : « الجشمي » .

٢٥ (٨) تقدمت ترجمته في ص ١٢٠ . ل : « عبد الله » تحريف .

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النخل أو ألبان عوذٍ مطافيل

مطافيل أبكارٍ حديثٍ نتاجها تشابُ بماءٍ مثل ماء المفاصل

العوذ : جمع عاذٍ ، وهي الناقة إذا وضعت ، فإذا مشى ولدها فهي مرشح^(١)

فإذا تبعها فهي مُتَلِيَّة ، لأنه يتلوها . وهي في هذا كله مُطْفِل . فإن كان أول

ولده^(٢) ولدته فهي بَكْر . ماء المفاصل فيه قولان : أحدهما أن المفاصل ما بين الجبلين

واحدها مفصل ، وإنما أراد صفاء الماء ؛ لأنه ينحدر عن الجبال ، لا يمر بطين

ولا تراب . ويقال إنها مفاصل البعير . وذكروا أن فيها ماء له صفاء وعذوبة^(٣) .

* وفي الكلام الموزون يقول [عبدالله بن] معاوية بن عبد الله بن جعفر^(٤) : ١٦٧

الزم الصمت إن في الصمت حُكماً وإذا أنت قلت قولاً فزنته

وقال أبو ذؤيب :

وسربٍ يُطَلَّى بالعبير كائنه دماء ظباء بالنحور ذبيح^(٥)

بذلتُ لهنَّ القولَ إنك واجدٌ لما شئت من حلو الكلام ، مليح^(٦)

(١) يقال راشع ، ومرشح بالتشديد .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أول ولدها » .

(٣) انظر مثيل هذا الكلام في الحيوان (٢ : ٣٥٠ - ٣٥١) .

(٤) التكملة بما عدل . وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان من فتيان بني هاشم وأجوادهم وشعرائهم ، وكان يرمى بالزندقة ، خرج بالكوفة في آخر أيام مروان ابن محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله . الأغاني (١١ : ٦٣ - ٧٤) .

(٥) أنشده في اللسان (ذبيح) وقال : « ذبيح وصف للدماء . وفيه شيطان : أحدهما وصف للدم بأنه ذبيح وإما الذبيح صاحب الدم لا الدم . والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد . فأما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أي كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح ظباؤه ، ثم حذف المضاف وهو الظباء ، فارتفع الضمير الذي كان مجروراً ، لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر في ذبيح . وأما وصفه الدماء وهي جماعة بالواحد فلان فعلاً يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة » .

(٦) ل : « لهم القول أي واجد » ، صوابه من سائر النسخ والديوان ١١٧ . و « مليح » صفة « واجد » . عني أنه يجد ما يشاء من حلو الكلام ، وأنه مليح أيضاً .

السَّرب : الجماعة من النساء والبقر والطيور والظُّبَاء . ويقال فلان آمن السَّرب ، بفتح السين ، أى آمن المسلك . ويقال فلان واسع السرب^(١) وخَلِي السرب^(٢) ، أى المسالك والمذاهب . وإنما هو مثل مضروب للصدر والقلب . وعن الأصمعي : فلان واسع السَّرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطن الغضب^(٣) .

وأنشد للحكم بن ريمان ، من بني عمرو بن كلاب :

يا أَجْدَل النَّاسِ إن جادلته جَدَلًا وأَكْثَرَ النَّاسِ إن عاتبته عِلا
كأنما عَسَلُ رُجْعَانٍ مَنطِقِهَا إن كان رَجْعُ كَلَامٍ يشبه العَسَلَا^(٤)
وقال القَطَامِي^(٥) :

وفي الخدور غماماتٌ بَرَقْنَ لنا حتَّى تصيذننا من كلِّ مُضْطَّادٍ
يقتلننا بحديثٍ ليس يعلمه مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكنونه بَادِي^(٦)
فهنَّ ينبذن من قول يُصْبِنَ به مَوَاقِعَ الماءِ من ذى الغلَّةِ الصَّادِي
ينبذن : يُلقين . الغلَّة والغليل : العطش [الشديد]^(٧) . والصادى : العطشان
أيضاً ؛ والاسمُ الصَّدى . وأنشد للأخطل :

شُمْسٌ إذا خَطَلَ الحديثُ أوانِسُ يرقبن كلَّ مُجَذَّرٍ تَنبَالِ^(٨)
أنفٌ كأنَّ حديثهنَّ تنادُمُ بالكأسِ كلَّ عَقِيلَةٍ مِكَسَالِ^(٩)

(١) الكلام من « السرب » إلى هنا ساقط بما عدل ، هـ .

(٢) فيما عدل : « وخلى السرب وواسع السرب » .

(٣) فيما عدل : « بطن التأنيب » .

(٤) الرجعان ، بالضم : مصدر لرجع ، كالرجع والرجوع والرجعى .

(٥) ديوان القطامي ٨ .

(٦) هذا البيت فى ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ . وفى الديوان : « ولا مكتوبه »

(٧) هذه بما عدل .

(٨) البيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل . هـ ، ب ، ج : « كل مرقب » . وفى التيمورية :

« كل مجدر » ، كلاهما محرف ، صوابهما فى ل .

الشَّمْسُ : النَّوَافِرُ^(١) . والتَّنْبَالُ : القصير^(٢) . والأُنْفُ : جمع آنفَةٍ ، وهي
الْمُنْكَرَةُ لِلشَّيْءِ غير راضية^(٣) . العقيلة : المصونة في أهلها . [وعقيلة كل شيء ١٨٦
خيرته^(٤)] . والمِكْسَالُ : ذات الكسل عن الحركة .

وقال أبو العَمَيْثَل عبد الله بن خَلِيد^(٥) :

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرِ^(٦) وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسْنَى عَاشِرَةِ الْعَشْرِ^(٧)
وَإِنِّي وَإِيَّاهَا كَلْمٌ مَبِيتُنَا جَمِيعًا ، وَمَسْرَانَا مُغْدٌ وَذُو فَتْرٍ^(٨)
فَكَلَّمْتُهُا ثِنْتَيْنِ كَالثَلَجِ مِنْهُمَا عَلَى اللَّوْحِ وَالْأُخْرَى أَحَرٌّ مِنَ الْجَرِ
يَقَالُ : مَا يَلْقَانَا إِلَّا عَنْ عُفْرِ^(٩) ، أَى بَعْدَ مُدَّةٍ . مُسْنَى : أَى وَقْتُ الْمَسَاءِ .
يَقَالُ أَغْدَ السَّيَرِ ، إِذَا جَدَّ فِيهِ وَأَسْرَعَ . وَاللَّوْحُ بِالْفَتْحِ^(١٠) : الْعَطَشُ ، يَقَالُ
لَا حَ الرَّجُلُ يُلُوحُ لَوْحًا ، وَالتَّاحُ يَلْتَا حَ التَّيَاحَا ، إِذَا عَطِشَ . وَاللَّوْحُ بِالْفَتْحِ
أَيْضًا الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ . وَاللَّوْحُ بِالضَّمِّ : الْهَوَاءُ ، يَقَالُ : « لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَوْ نَزَوْتُ
فِي اللَّوْحِ » ، أَوْ « حَتَّى تَنْزُؤَ فِي اللَّوْحِ » .
وَأَنْشُد :

- (١) يَقَالُ شَمْسٌ ، بَضْمَةٌ وَبِضْمَتَيْنِ أَيْضًا ، مُفْرَدُهُ شَمْسٌ ، بِالْفَتْحِ .
(٢) فِيمَا عَدَالَ : « التَّنْبَالُ الْقَصِيرُ . وَالْجَذْرُ مِثْلُهُ . وَالشَّمْسُ : النَّوَافِرُ » .
(٣) فِيمَا عَدَالَ : « غَيْرُ رَاضِيَةٍ عَنْهُ » . (٤) هَذِهِ مِمَّا عَدَالَ .
(٥) فِيمَا عَدَالَ : « وَقَالَ أَبُو الْعَمَيْثَلِ » فَقَطْ . وَهُوَ أَبُو الْعَمَيْثَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيدٍ ، مَوْلَى
جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ . وَكَانَ كَاتِبَ طَاهِرٍ وَوَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ،
وَكَانَ مَكْتَرًا مِنْ نَقْلِ اللُّغَةِ عَارِفًا بِهَا شَاعِرًا مَجِيدًا . تَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٢ . ابْنُ النَّدِيمِ ٧٢ - ٧٣
وَابْنُ خُلِكَانَ . وَفِي أَمَالِي الْقَالِي (١ : ٩٨) حَيْثُ أَنْشَدَ الشَّعْرُ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ » تَحْرِيفٌ .
(٦) ج : « مِنْ عُفْرِ » بَ وَالتَّيْمُورِيَّةُ « عُفْرٌ » كَلَاهُمَا مُحَرَفٌ عَمَّا أَثْبَتَ مِنْ ل ، هـ وَالْأَمَالِي .
حَرَامٌ : أَى مُحَرَّمُونَ . مَسْنَى عَاشِرَةُ الْعَشْرِ ، أَى عَشِيَّةُ عَرَفَةَ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْعَاشِرَةُ لِلْيَوْمِ الْعَاشِرِ .
(٧) فِي الْأَمَالِي : « وَسِيرَانَا » بَدَلُ « وَمَسْرَانَا » . وَفِي الْأَمَالِي : « وَسِيرَانَا » ، أَى
سِيرَى أَنَا مُغْدٌ ، أَى مُسْرَعٌ ، وَسِيرُهَا ذُو فَتْرٍ أَى دُو فَتُورٍ وَسَكُونٌ ؛ لِأَنَّهَا يَرْفُقُ بِهَا .
(٨) فِيمَا عَدَالَ « نَقُولُ مَا يَلْقَانَا فُلَانٌ » . (٩) يَقَالُ أَيْضًا بِالضَّمِّ

وإنّا لنجری بیننا حین نلتقی حديثاً له وشئٌ كحبر المطارف^(١)
حديث كطعم القطر في المحل يشتقى به من جوى في داخل القلب لاطف
المحل : الجذب ، وسنة محول . وأحل البلد فهو ماحل ومحل ، وزمان
ماحل ومحل . الجوى هاهنا : شدة الحب حتى يمرض صاحبه . لاطف :
لطيف^(٢) . وأنشد للشماخ^(٣) بن ضرار الثعلبي^(٤) :

يقرُّ بعيني أن أنبأ أنها وإن لم أنلها أيم لم تزوج^(٥)
وكنْتُ إذا لاقيتها كان سرُّنا وما بيننا مثل الشواء الملهوج
يريد أنهما كانا على عجلة من خوف الرقباء . والملهوج : المعجل الذي
لم ينتظر به التضعج .

وقال جرّان العود :

فإننا سقاطاً من حديث كأنه جنى النحل أو أبقار كرم يقطف
حديثاً لو أن البقل يؤلى بمثله زها البقل وأخضر العضاء المصنّف^(٦)

(١) الخبر ، بالكسر : الوشي ، عن ابن الأعرابي . وفيما عدال : « كوشي » .
والمطارف : جمع مطرف ، ككبر ومصحف ، وهو ثوب من خز له أعلام .

(٢) هذا التفسير في ل فقط .

(٣) فيما عدال : « وقال الشماخ » . وهو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صهبي بن إياس
ابن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن
غطفان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . الأغاني (٨ : ٩٧) والإصابة ٣٩١٣
والحزافة (١ : ٥٢٦) وابن سلام ٤٧ والشعر والشعراء .

(٤) الثعلبي : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما في ترجمته . وفي جميع النسخ
« الثعلبي » تحريف . لكن في ل : « وقال الشماخ بن ضرار » فقط .

(٥) أقر الله عينه وبعينه ، أي أبردها بما يفرح صاحبها ، أو أسكنها فلا تطمح إلى غير
ما نال صاحبها من خير كثير . والبيتان من قصيدة له في ديوانه ٥ - ١٧ .

(٦) البيت في ديوانه ٢١ ، والذي قبله لم يرو في الديوان . وبدله فيه :

ينازعنا لذاً رخيماً كأنه عوائر من قطر حداث صيف
وللفرزديق :

إداهن ساقطن الحديث كأنه جنى النحل أو أبقار كرم تقطف

والمصنّف : الذي خرج ورقه وأخضر ، وقال السكري : « الذي قد جف بعضه وبقي بعضه » .
ل : « المصنّف » ، وفيما عدال : « المصنّف » صوابها من الديوان .

زها : بدا زهره . العِضَاهُ : جمع عِضَةٍ ، وهى كل شجرة ذات شوك ، ١٦٩
إلا القتادة فإنها لا تسمى عِضَةً .

وقال الكميت بن زيد :

وحديثهن إذا التقيت من تهائف البيض الغرائر
وإذا خيكن عن العذاب لنا المسفات الشواغر^(١)
كان التهلل بالتبسم لا القهقهة بالقراقر

التهائف : تضاحك في هزؤ . الغرائر : جمع غريرة ، وهى المرأة القليلة الخبرة ،
الغمرة^(٢) . والعذاب ، يريد الشعر . والمسفات : اللثات التى قد أسفت بالكحل
أو بالنور ، وذلك أن تغرز بالإبرة ويذّر عليها الكحل فيعلوها حوّة . والتهلل ،
يقال تهلل وجهه ، إذا أشرق وأسفر . وقال الآخر^(٣) :

ولما تلاقينا جرى من عيوننا دموع كففنا غربها بالأصابع^(٤)
ونلنا سقاطاً من حديث كأنه جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع
سقاط الحديث : ما نُبذ منه ولُفِظ به . يقال ساقطت فلانا الحديث سقاطاً .

الوقائع والوقيع : منافع الماء فى متون الصخور ، الواحدة وقية .

وقال أشعث بن سمي^(٥) :

هل تعرف المبدأ إلى السنام^(٦) ناطاً به سواحر الكلام

كلامها يشفى من السقام^(٧)

(١) لم أجد هذه الكلمة ولا تفسيرها فى المعاجم المتداولة . والآيات لم نرو فى الهاشميات .

(٢) الغمر ، بتثليث الغين ، وبالتحريك : من لم يجرب الأمور .

(٣) هو ذو الرمة . ديوانه ٣٥٨ .

(٤) الغرب : كل فيضة من الدمع . وفى الديوان : « جرت من ... ماءها بالأصابع » .

(٥) فيما عدل : « الأشعث بن سمي » . لكن فى هـ : « أشعث بن سمي » .

(٦) لم أجد « المبدأ » . وأما السنام فذكره ياقوت ، وذكر فى الفاموس أيضاً ، وهو
جبل مشرف على البصرة ، وجبل بالحجاز بين ماوان والربذة .

(٧) فيما عدل : « كلامهن يبرئ ذى السقام » .

المبدا وسنام : موضعان . ناط به : أى صار إليه ^(١) .

وقال الراجز ووصف عيون الظباء بالسحر وذكر قوساً ^(٢) فقال :

صفراء فرع خطموها بوثر ^(٣) لأم ممر مثل حلقوم النغر

حدت ظبات أسهم مثل الشرز فصرعتهن بأكناف الحفر ^(٤)

حور العيون بابلت النظر ^(٥) يحسبها الناظر من وحش البشر ^(٦)

١ * اللأم من كل شيء : الشديد . والممر : المحكم القتل ، وحبل مريز

مثله . النغر : البلب . والظبات : جمع ظبية ، وهى حد السيف والسنان وغيرها .

وقال آخر ^(٧) :

وحديثها كالقطر يسمعه راعى سنين تتابعت جدباً

فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من طمع هيارباً ^(٨)

١٠

(١) أصل معنى النوط التعليق . وهذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٢) فيما عدل : « قوسا صفراء » .

(٣) فرع : عملت من رأس القضيب وطرفه . خطم القوس : علق عليها الوثر .

(٤) أى حدت القوس ظبات هذه الأسهم وقدقتها فصرعت هذه الوحوش .

(٥) أى ذات عيون سواحر ، وبابل ينسب إليها السحر .

(٦) بعد هذه الكلمة فيما عدل : « ويروى البقر » وأراها إتماماً . كما أن التفسير

التالى والبيتين بعده ساقطان مما عدل .

(٧) البيتان التاليان ، رواهما القالى فى أماليه (١ : ٨٤) منسويين لأعرابي .

(٨) فى الأمالى : « من فرح » .

باب آخر من الأسجاع في الكلام

قال عُمر بن دَرّ ، رحمه الله : « الله المستعانُ على ألسنةِ تصِف ، وقلوبٍ تعرِف ، وأعمالٍ تُخلف » .

ولما مدَحَ عتيبةُ بن مرداسٍ عبدَ الله بن عباسٍ قال : لا أُعطى مَنْ يعصى الرحمن ، ويُطيع الشيطان ، ويقول البُهتان .

وفي الحديث المأثور ، قال : « يقول العبدُ مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنت ، وأعطيتَ فأمضيت ، أو لبستَ فأبليت » .
وقال النَّمْرُ بن تولب ^(١) :

أعاذلَ إن يُصبحَ صدائى بقفرةٍ بعيداً نأنى صاحبى وقريبى
ترى أن ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّةً وأن الذى أمضيتُ كان نصيبى ^(٢) ١٠

الصدّى هاهنا : طائرٌ يخرج من هامة الميت ^(٣) إذا بلى ، فينعى إليه ضعفَ وليّه وعجزه عن طلب طائلته ، وهذا كانت تقوله الجاهلية ^(٤) ، وهو هنا مستعار .
أى إن أصبحتُ أنا .

ووصف أعرابى رجلاً فقال : « صغير القدر ، قصير الشبر ، ضيق الصدر ،
لثيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر » . ١٥
الشبر : قدر القامة ، تقول : كم شبر قميصك ، أى كم عدد أشباره ^(٥) .
والنجر : الطباع .

(١) انظر الأغاني (١٩ : ١٦١) وابن سلام ٦٠ .

(٢) هذه رواية لـ وابن سلام . وفي الأغاني وسائر النسخ : « الذى أنفقت » .

(٣) فيما عدال : « من قبر الميت » .

(٤) فيما عدال : « كانت العرب تقوله في الجاهلية » .

(٥) فيما عدال : « الشبر : القامة » لا غير .

ووصف بعض الخطباء رجلاً فقال : « ما رأيتُ أُضربَ لمثلٍ ، ولا أركبَ
لجل ، ولا أصعدَ في قُلبي منه » .

وسأل بعض الأعراب رسولاً قَدِمَ من أهل السُّند : كيف رأيتُم البلاد ؟
قال : « ماؤها وَشَلٌّ ، ولِصُّها بَطَلٌ ، وتمرُّها دَقْلٌ^(١) . إن كثر الجند بها جاعوا ،
وإن قلوا بها ضاعوا » .

١٧١ * وقيل لصعصعة بن معاوية : من أين أقبلت ؟ قال : من الفجِّ العميق .
قيل : فأين تريد ؟ قال : البيتَ العتيق . قالوا : هل كان من مطر ؟ قال : نعم ،
حتى عَفَى الأثرَ ، وأنْضَرَ الشجرَ ، ودَهْدَى الحجرَ^(٣) .

واستجار عَوْنُ بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، بمحمد بن مروان بنصيبين ،
وتزوَّج بها امرأة ، فقال محمد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرة العقارب^(٤) » .
قليلة الأقارب » . يريد بقوله « قليلة » كقول القائل : فلان قليلُ الحياء ، ليس
يريد أن هناك^(٥) حياء وإن قل . يضعون قليلاً في موضع ليس .

وولى العلاء الكلابي^(٦) عملاً خَسِيساً^(٧) ، بعد أن كان على عمل جسيم ،
فقال : « العُنوق بعد النُوق^(٨) » .

-
- ١٥ (١) الدقل ، بالتحريك : أردأ أنواع التمر .
(٢) هذا التفسير من ل فقط .
(٣) أنْضَره : صيره ناضراً . ويقال دهديت الحجر ودهدته ، أى دحرجته وقذفه من
أعلى إلى أسفل . وهو تصوير لاندفاع السيل . فيما عدال ، هـ : « ودهده » .
(٤) انظر الحيوان (٤ : ٥ / ٢٢٦ : ٣٦٠) .
٢٠ (٥) ب والتمورية : « هالك » .
(٦) ل : « وولى العلاء فقط » . وفي الحيوان (٥ : ٤٦٢) : « وقال الكلابي » .
(٧) ل : « حسناً » صوابه من سائر النسخ .
(٨) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أثنت عليها سنة .
وهذا جمع نادر ، ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . أى كنت صاحب نوق
فصرت صاحب عنوق . انظر الحيوان والميداني (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .
٢٥

قال : ونظر رجلٌ من العُباد إلى بابٍ بعض الملوك فقال : « بابٌ جديد ، وموتٌ عَتِيدٌ ^(١) ونَزَعٌ شديد ، وسَفَرٌ بعيد » .

وقيل لبعض العرب ^(٢) : أيُّ شيء تَمَنَّى ، وأيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ فقال : لولا منشور ، والجلوسُ على السرير ، والسلامُ عليك أيُّها الأمير .

وقيل لآخر ، وصلى ركعتين فأطالَ فيهما ، وقد كان أمر بقتله : أجزعتَ من الموت ؟ فقال : إن أجزعُ فقد أرى كفنًا منشورًا ، وسيفًا مشهورًا ، وقبرًا محفورًا .

ويقال إن هذا الكلام تكلم به حُجْر بن عدي الكندي عند قتله ^(٣) .
وقال عبدُ الملك بن مروان لأعرابيٍّ : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بكرةٌ سَنِمةٌ ، معتبِطةٌ غير ضَمِينَةٍ ، في قدور رَذْمَةٍ ، بشفار خَدِمةٍ ، في غداة شَبِمةٍ » .
فقال عبد الملك : وأبيك لقد أُطِيتَ ^(٤) .

معتبِطةٌ : منحورة من غير داء ؛ يقال اعتبِطَ الإبلُ والغنمُ ، إذا ذُبِحت من غير داء . ولهذا قيل للدم الخالص عبيط . والعبيط : ما ذُبِحَ من غير عِلَّةٍ . غير ضَمِينَةٍ : غير مريضة . رَذْمَةٍ : سائلة من امتلائها . بِشْفَارِ خَدِمةٍ : قاطعة . غداة

١٥ (١) عَتِيدٌ : معد حاضر .

(٢) هو ضرار بن الحصين ، كما في (٢ : ١٧٥) .

(٣) هذه العبارة من ل فقط . وحجر بن عدي بن معاوية الكندي ، صحابي جليل ، وفد على الرسول الكريم ، وشهد القادسية والجمل وصفين ، وصحب عليا فكان من شيعته . قتل بأمر معاوية سنة ٥١ أو ٥٢ . الإصابة ١٦٢٤ . وكان يعرف بحجر الخير . وأما حجر البشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة الكندي ، وفد على الرسول ، وكان مع علي يوم الجمل ، ثم اتصل بمعاوية فاستعمله على إرمينية . الإصابة ١٦٢٦ . ووقعة صفين ٢٧٤ .

(٤) يقال أطاب الشيء : وجده طيباً ؛ وأطاب : قدم طعاماً طيباً . وقد وردت هذه الكلمة « أطيت » على أصلها بدون إهلال . على أن هذه المادة قد وردت فيها بمض ما ترك على أصله ، حكى سيبويه « استطيه » لغة في استطابه . وأنشد في اللسان :

« فكأنها تفاحة مطبوبة »

وسيعاد الخبر في ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

شبهة : باردة^(١) . والشَّبْم : البرد .

وقالوا : « لا تغترَّ بمناصحة الأمير ، إذا غشَّك الوزير » .

[وقالوا : « من صادق الكتاب أغنوه ، ومن عاداهم أفقروه » . وقالوا :

« اجعل قول الكذاب ريحاً ، تكن مستريحاً^(٢) »] .

وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لِمَ تؤثرُ السَّجْعَ على المنشور ،

وتلزمُ نفسك القوافي^(٣) وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت لا آملُ

١٧ فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ، ولكنني أريد الغائبَ والحاضر ، والراهن

والغابر ؛ فالحفظُ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ؛ وهو أحقُّ بالتقييد وبقلة

التَّفَات^(٤) . وما تسكّمتُ به العربُ من جيّد المنشور ، أكثرُ مما تكلمت به من

١٠ جيّد الموزون ، فلم يُحفظْ من المنشور عُشرُهُ ، ولا ضاع من الموزون عُشره .

قالوا : فقد قيل للذي قال : يا رسول الله ، أَرَأَيْتَ هَنَ لا شرب ولا أكل ،

ولا صاح واستهلّ ، أليس مثْلُ ذلك يُطلّ^(٥) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أسجّعُ كسجّع الجاهليّة » .

قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يُرد إلا الإقامة لهذا الوزن ، لما كان

١٥ عليه بأسٌ ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالَ حق^(٦) فتشادقَ في الكلام .

وقال غيرُ عبد الصمد : وجدنا الشعرَ : من القصيد والرجز ، قد سمعه النبيُّ

صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامةُ أصحاب رسول الله صلى الله

(١) التفسير من مبدئه إلى هنا ساقط مما عدل ، هـ . وفي حواشي هـ : « هذا التفسير .

ثبت في الأم .

٢٠ (٢) هذه التكملة مما عدل .

(٣) ل : « القول » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ل : « التغلب » . صوابه من سائر النسخ .

(٥) بطل ، أي يهدر دمه . فيما عدل : « بطل » تحريف .

(٦) فيما عدل : « إبطالا لحق » .

عليه وسلم قد قالوا شعراً ، قليلاً كان ذلك أم كثيراً ، واستمعوا واستنشدوا . فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل^(١) .
وقال غيرها : إذا لم يطل ذلك القول ، ولم تكن القوافي مطلوبة مجتلية ، أو ملتزمة متكلفة ، وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء : « حُلِّتْ رَكَابِي^(٢) » ، وخرقت ثيابي^(٣) ، وضربت صحابي^(٤) — حُلِّتْ رَكَابِي ، أي^(٥) مُنِعَتْ إِبِلِي مِنَ الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ .
والركاب : ما ركب من الإبل — قال : « أَوْ سَجَعٌ أَيْضاً ؟ » . قال الأعرابي : فكيف أقول ؟ لأنه لو قال حُلِّتْ^(٥) إِبِلِي أَوْ جَمَالِي أَوْ نُوقِي أَوْ بُغْرَانِي أَوْ صِرْمَتِي ، لكان لم يعبر عن حق معناه ، وإنما حُلِّتْ^(٥) رَكَابُهُ ، فكيف يدع الركاب إلى غير الركاب . وكذلك قوله : وخرقت ثيابي^(٦) ، وضربت صحابي . لأن الكلام إذا قل وقع وقوعاً لا يجوز تغييره ، وإذا طال الكلام وجدت في القوافي ما يكون مجتلباً ، ومطلوباً مستكرهاً .

وَيَدْخُلُ^(٧) عَلَى مَنْ طَعَنَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ . وزعم أنه شعر ؛ لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلهن ، وطعن في قوله في الحديث عنه : « هل أنت إِلَّا إصبعٌ دُمِيتِ ؟ وفي سبيل الله ما لقيت^(٨) » — فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم ، لو جَدَّتْ فيها مثل مستفعلن مستفعلن^(٩) ١٧٣

(١) ل : « أصغر » .

(٢) فيما عدل : « حلبت » تحريف .

(٣) ب ، ج : « وخرقت » صوابه في ل ، هـ والنيمورية .

(٤) هذه الكلمات الثلاث في ل والنيمورية فقط .

(٥) ب ، ج : « حلبت » تحريف .

(٦) ب : « حرقت » ح : « خرفت » ، صوابهما في ل ، هـ والنيمورية .

(٧) فيما عدل : « وفي الحديث المأثور ويدخل » ، وفيه إقحام .

(٨) انظر العمدة (١ : ١٢٣) في باب الرجز والقصيد .

(٩) بدؤها فيما عدل : « مفاعلهن » .

كثيراً ، ومستفعلن مفاعِلُنْ^(١) . وليس أحدٌ في الأرض يجعلُ ذلك المقدارَ شعراً . ولو أنَّ رجلاً من الباعة صاح : مَنْ يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلمَ بكلامٍ في وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصدِ إلى الشعر ؟ ومثلُ هذا المقدار من الوزن قد يتهياً في جميع الكلام . وإذا جاء المقدارُ الذي يُعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصدِ إليها ، كان ذلك شعراً . وهذا قريبٌ ، والجواب سهلٌ بحمد الله^(٢) .

وسمعتُ غلاماً لصديق لي ، وكان قد سقى بطنه^(٣) ، وهو يقول لغيلمان مولاه : « اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكنوى » . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج^(٤) فاعلاتن مفاعلن ، فاعلاتن مفاعلن مرّتين . وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطُرْ على باله^(٥) قطُّ أن يقول بيتَ شعرٍ أبداً . ومثلُ هذا كثيرٌ ، ولو تتبعته في كلام حاشيتك وغيلمانك لوجدته .

وكان الذي كرهه الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ، أنَّ كُهمان العرب الذين كان أكثرُ الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدعون الكهانة وأنَّ مع كلِّ واحدٍ منهم رِئياً من الجن^(٦) مثل حازي جهينة^(٧) ،

(١) هاتان الكلمتان في ل فقط . (٢) ما عدا ه : « والحمد لله » .

(٣) يقال سقى بطنه ، بالبناء للفاعل ، وسقى بطنه ، بالبناء للمفعول ، أي اجتمع فيه ماء أصفر .

(٤) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٥) فيما عدل : « لم يخطر بباله » . وهما سيان .

(٦) الرق ، بفتح الراء وكسرها مع كسر الهمزة وتشديد الياء : هو الذي يعتاد الإنسان من الجن يحبه ويؤلفه .

(٧) الحارثي : الكاهن . وفي الحيوان (٦ : ٢٠٤) : « حارثة جهينة »

و « جارية جهينة » . وفي مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » . وفي ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

ومثل شقّ وسطيح^(١) ، وعزّي سلمة^(٢) وأشباههم ، كانوا يتكهنون
ويحكمون بالأسجاع ؛ كقوله : « والأرض والسماء ، والعقاب الصقعا^(٣) ،
واقعة ببقعاء^(٤) ، لقد نفر المجد بن العشاء^(٥) ، للمجد والسناء^(٦) » .

وهذا الباب كثير . ألا ترى أن ضمرة بن ضمرة ، وهريم بن قطبة ،
والأفرع بن حابس ، وثقيل بن عبد العزّي كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع .
وكذلك ربيعة بن حذار^(٧) .

قالوا : فوق النهى في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم وفي
صدور كثير منهم^(٨) ، فلما زالت العلة زال التحريم .

وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكون في تلك الخطب
أسجاع كثيرة ، فلا ينهونهم^(٩) .

وكان الفضل بن عيسى الرقاشي^(١٠) سجّاعاً في قصصه . وكان عمرو بن

(١) شق بن أنمار بن قزار ، زعموا أنه كان شق لإنسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ،
وعين واحدة . انظر بلوغ الأدب (٣ : ٢٧٨ - ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ . وسطيح
هو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جوتنجن .

(٢) سيأتي في ص ٣٥٨ أن اسمه سلمة بن أبي حيه . وانظر الحيوان (٦ : ٢٠٤) ،
والميداني في : « إلامه فلاده » ورسائل الجاحظ ١٣٠ .

(٣) الصقعا : التي في وسط رأسها بياض .

(٤) البقعاء : هي من الأرض المعزاء ذات الحصى الصغار .

(٥) نفرهم : حكم لهم بالغلبة على غيرهم . وبنو العشاء ، من بني مازن بن قزار
ابن ذبيان . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٧٢ .

(٦) وقعت كل هذه الكلمات الممدودة فيما عدال ، مقصورة .

(٧) حذار ، بضم الحاء وكسر ها . وكان ربيعة حكم بني أسد بن خزيمه ، وقاضيا من
قضاء العرب في الجاهلية . وفيه يقول الأعشى ، كما في اللسان :
وإذا طلبت المجد أين محله فاعمد لبیت ربيعة بن حذار

(٨) ل : « ولبقيتها في صدور كثير منهم »

(٩) فيما عدال ، هـ : « فلم ينهوا منهم أحداً » .

(١٠) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الواعظ البصري ، أحد القدرية المعتزلة .
تهذيب التهذيب والحيوان (٧ : ٢٠٤) .

عُبَيْد^(١) ، وهشام بن حَسَّان^(٢) ، وأبان بن أبي عِيَّاش^(٣) ، يأتون مجلسه . وقال له
١٧ داود بن أبي هند^(٤) : لولا أنك تفسّر القرآن برأيك لأتيناك في مجلسك . قال :
فهل تراني أحرم حلالا^(٥) ، أو أحل حراما ؟ وإنما كان يتلو الآية التي فيها ذكر
الجنة والنار ، والموت والحشر ، وأشباه ذلك .

وقد كان عبد الصّمد بن الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ، وعامة
قُصَّاص البصرة ، وهم أخطبُ من الخطباء ، يجلس إليهم عامة الفقهاء .
وقد كان النّهي ظاهراً عن مرثية أمية بن أبي الصّلت لقتلى أهل بدر^(٦) ،
كقوله :

ماذا بيـــــــــــــــــدٍ بالعقْدِ قَلٍ مِنْ مَرَاذِبِ جَحَايِجِ^(٧)
هَلَّا بَكَيْتِ عَلَى الْكِرَامِ بَنِي الْكِرَامِ أُولِيَ الْمَادِحِ
١٠ وروى ناسٌ شبيهاً بذلك في هجاء الأعشى لعقمة بن علاثة . فلما زالت العلة
زال النّهي .

وقال واثلة بن خليفة ، في عبد الملك بن المهلب^(٨) :

-
- (١) سبقت ترجمته في ص ٢٢ .
(٢) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدي القردوسي - بالقاف أو الدال المضمومتين -
١٥ البصري ، كان من كبار الحفاظ وأعلم الناس بحديث الحسن البصري . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب
التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٤) وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٢) والقاموس (قردس) .
(٣) هو أبو إسماعيل أبان بن أبي عياش فيروز البصري ، روى عن أنس وسعيد بن
جبير . توفي سنة ١٣٨ . تهذيب التهذيب .
(٤) هو أبو بكر داود بن أبي هند - واسم أبي هند دينار - القشيري البصري .
٢٠ روى عن أنس وعكرمة والشعبي ، وعنه شعبة والثوري ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي
سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٣٨) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢١) .
(٥) ل : « فهل أنى أحرم حلالا » ، تحريف .
(٦) المرثية رواها ابن هشام في السيرة ٥٣١ - ٥٣٢ ، وقال : « تركنا منها بيتين قال
فيهما من أصحاب رسول الله » . (٧) هذا البيت ساقط من هـ .
٢٥ (٨) هـ : « وقال أبو واثلة بن خليفة » . تحريف . وعبد الملك بن المهلب ، من نسل
المهلب بن أبي صفرة الأزدي . وفي كتاب المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من
صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . وقد أورد أبو الفرج لعبد الملك بن المهلب خبراً مع الأختل ، =

لقد صبرت للذلِّ أعوادُ منبرٍ تقوم عليها ، في يدك قضيبُ
بكى المنبرَ العربيُّ إذ قمتَ فوقه وكادت مساميرُ الحديدِ تذوبُ
رأيتك لما شئتَ أدركك الذي يُصيب سرّاة الأسدِ حين تشيبُ^(١)
سفاهةُ أحلامٍ وبخلُ بنائلٍ وفيك لمن عاب المزونَ عيوب^(٢)

قال : وخطب الوليدُ بن عبد الملك فقال : « إن أمير المؤمنين كان يقول :
إنَّ الحجاجَ جِلْدَةٌ ما بين عينيَّ ، ألا وإِنَّه جِلْدَةٌ وجهي كُلُّه » .
وخطب الوليد أيضاً فذكر استعماله يزيد بن أبي مسلم بعد الحجاج ، فقال :
« كنت^(٣) كمن سقط منه درهمٌ فأصابَ ديناراً » .

شبيب بن شَيْبَةَ قال : حدَّثني خالدُ بن صفوان قال : خطبنا يزيدُ بن المهلبِ
بواسطة فقال : « إنني قد أسمع قول الرَّعَاعِ : قد جاء مَسْلَمَةٌ ، وقد جاء العَبَّاسُ^(٤) ،
وقد جاء أهل الشام ، وما أهلُ الشامِ إلَّا تسعةُ أسيافٍ ، سبعةٌ منها معي ،
واثنان منها عليَّ . وأما مَسْلَمَةٌ فَجَرَّادَةٌ^(٥) صفراء . وأما العَبَّاسُ فنسطوس ١٧٥

= في الأغاني (٧ : ١٦٩) . والأبيات التالية سميح الجاحظ إنشادها في (٢ : ٣١٣ -
٣١٤ ، ٣ : ٧٨) . ١٥

(١) الأسد : لغة في الأزْد ، وهم قبيل المهلب . فيما عدال : « الأزْد » .
(٢) المزون ، بالفتح والضم : اسم لأرض عمان وأهلها من الأزْد ، رُحط المهلب بن أبي
صفرة ؟ وذلك أن جدَّهم الأعلى مازن بن الأزْد . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان
(المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) .
(٣) فيما عدال : « وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتولية يزيد بن أبي مسلم فقال :
« إنما مثل يزيد بن مسلم بعد الحجاج » . ٢٠

(٤) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، القائد العربي الأموي ، قال ابن قتيبة
في المعارف ١٥٧ : « وأما مسلمة فكان يكنى أبا سعيد ، ويلقب الجرادة الصفراء ، لصفرة
كانت تعلوه ، وكان شجاعاً وافتتح فتوحاً كثيرة في الروم ، منها طوانة . وولي العراق أشهراً ،
وله عقب كثير » . وأما العباس فهو العباس بن الوليد بن عبد الملك ، كان يسمى فارس بن
مروان ، وكانت أمه نصرانية . انظر المعارف ١٥٧ . ٢٥

ابن نسطوس^(١)، أتاكم في برابرة وصقالبة، وجرامقة وجراجمة^(٢)، وأقباط وأنباط،
وأخلاط [من الناس]^(٣). إنما أقبل إليكم الفلاحون الأوباش^(٤) كأشلاء
اللجم^(٥). والله ما لقوا قوماً قط كحدكم وحديدكم، وعدكم وعديدكم. أعيروني
سواعدكم ساعة [من نهار]^(٦) تصفّقون بها خراطيمهم^(٧)، فإنما هي غدوة
أوروحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين^(٨). »

ثم دعا بفرس، فأتي بأبلق^(٩)، فقال: تخليط ورب الكعبة! ثم ركب فقاتل
فكثّره الناس^(١٠) فانهزم عنه أصحابه، حتى بقي في إخوته وأهله، فقتل وانهزم
باقى أصحابه. وفي ذلك يقول الشاعر^(١١):

كل القبائل بايعوك على الذي تدعو إليه طائعين وساروا^(١٢)
حتى إذا حمى الوغى وجعلتهم نصب الأسنة أسلوك وطاروا^(١٣)
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عار^(١٤)

(١) إشارة إلى أن أمه كانت روميه نصرانية. وفي هامش ب والتيمورية: « أي
طبيب ابن طبيب » وليس بشيء.

(٢) في القاموس (جرجم) أهم قوم من العجم بالجزيرة، أو نبط الشام.

(٣) هذه بما عدل.

(٤) ل: « الفلاحون الأوباش ». وهم الأخلاط وسفلة الناس.

(٥) اللجم: جمع لحام. وأشلاء اللجام: حدائده بلاسيور. قال كثير:

رأيتني كأشلاء اللجام وبعليها من القوم أبزى ممنعن منطامن

هـ، ب، ج: « اللحم »، التيمورية: « اللحم » صوابهما في ل.

(٦) هذه بما عدل.

(٧) الصفق: الضرب؛ صفقه بالسيف إذا ضربه. والخرطوم: الأنف، أو مقدمه.

(٨) ما بعد هذه الكلمة إلى نهاية الشعر التالي ساقط بما عدل.

(٩) البلق من الخيل مسبوقة مخلفة. الحيوان (١ : ١٠٤ / ٥ : ١٦٦).

(١٠) كثّره الناس: تكاثروا عليه.

(١١) هو ثابت قطنة. والوقعة التي قيل فيها هي يوم العقر. انظر الأغاني (١٣ : ٦٣)

وشرح شواهد المغنى ٣٣ - ٣٤.

(١٢) في الأغاني: « تبعوك على الذي تدعو إليه وبايعوك ».

(١٣) في الأغاني: « حمس الوغى ».

(١٤) في شواهد المغنى وجمع الهوامع (٢ : ٢٥) : « ورب قتل عار ».

ومدح الشاعر بشار ، عمرَ هَزَارٍ مَرْدٍ^(١) العَتَكِيَّ ، بالخطب وركوبه المنابر ،
بل رثاه وأبَّنه فقال^(٢) :

ما بال عينك دمعها مسكوبٌ حُرِبْتَ فَأَنْتَ بنومها محروبٌ^(٣)
وكذاك مَنْ صَحِبَ الحوادثَ لم يَزَلْ تأتي عليه سلامةٌ ونكوبٌ
يا أرضُ ويحكِ أكرميه فَإِنَّه لم يَبْقَ للعَتَكِيَّ فيكِ ضَرِيبٌ
أبهى على خَشَبِ المنابرِ قائماً يوماً وأحزماً إِذْ تُشَبُّ حروبٌ

* * *

وقال : كان سَوَّارُ بن عبد الله^(٤) ، أَوَّلَ تَمِيمِيٍّ خطب على منبر البصرة . ثم
خطب عُبيد الله بن الحسن^(٥) .

١٠ وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاةً أمراء : بلال بن أبي بردة
ابن أبي موسى الأشعري ، وسَوَّار ، وعُبيد الله ، وأحمد بن أبي رباح^(٦) . فكان
بلالٌ قاضياً ابن قاضٍ ابن قاضٍ .
وقال رؤبة :

* فَأَنْتَ يَا ابْنَ الْقَاضِيَيْنِ قَاضِيٌ^(٧) مُعْتَرِمْ عَلَى الطَّرِيقِ مَاضِيٌ^(٨) ١٧٦

١٥ (١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة الصفرى المهلبى ، وكانت العجم تسميه
« هزار مرد » أى ألف رجل ؛ إِذْ كَانَ مشهوراً بالشجاعة والإقدام . ولى إمارة السند في
أيام المنصور ، ثم وجهه أميراً على إفريقية فدخل القيروان سنة ١٥١ وقضى على بعض أصحاب
الفتنة فيها ، ولكنهم تجمعوا وتكاثروا عليه وعلى جنده ، فقاتلهم زماناً ثم قتل . الطبرى
(٩ : ٢٧٩) والأغانى (١٨ : ١٠٠ ، ٢٠) .

٢٠ (٢) الأبيات سيعيد إلحافظ إنشادها في (٢ : ٣١٤) .

(٣) حربت : سلبت ، كأنها حربت النوم وسلبته . فيما عدل : « سهرت » .

(٤) سبقت ترجمته في ص ١٠٠ . (٥) سبقت ترجمته في ص ١٢٠ .

(٦) ب ، ج : « أحمد بن رباح » ، التيمورية « أحمد بن رباح » . وفي حواشى ه :

« وزاد أبو العباس المبرد خامساً وهو عدى بن أرطاة » .

٢٥ (٧) ل : « بلال يا ابن » صواب إنشاده في الديوان ٨٢ وسائر النسخ .

(٨) فيما عدل : « معتزم » صوابه في ل ، ه والديوان .

قال أبو الحسن المدائني : كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدي معزياً ومهنشاً^(١) ، أعد له كلاماً ، فبلغه أن الناس قد أعجبهم كلامه ، فقال لشبيب بن شيبه : إنني والله ما ألتفت إلى هؤلاء ، ولكن سل لي أبا عبيد الله الكاتب عنه . فسأله فقال : ما أحسن ما تكلم به ! على أنه أخذ مواعظ الحسن ، ورسائل غيلان^(٢) ، فلقح بينهما كلاماً . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عبيد الله : لا والله إن أخطأ حرفاً واحداً .

وكان محمد بن سليمان^(٣) له خطبة لا يغيرها ، وكان يقول : « إن الله وملائكته » ، فكان يرفع للملائكة ، فقبل له في ذلك ، فقال : خرّجوا لها وجهاً . ولم يكن يدعُ الرفع .

قال : وصلى بنا خزيمة يوم النحر ، فخطب ، فلم يسمع من كلامه إلا ذكر أمير المؤمنين الرشيد ، ووليَّ عهده محمد .

قال : وكان إسحاق بن شمر^(٤) يُدارُ به إذا قرع المنبر^(٥) . قال الشاعر :

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) هو غيلان الدمشقي أبو مروان . قالوا : أول من تكلم في القدر معبد الجهني ، ثم غيلان بعده . أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق . المعارف ٢١٢ . وذكر ابن حجر في لسان الميزان (٤ : ٢٤) أن اسمه غيلان بن مسلم ، وأنه كان من بلغاء الكتاب ، وأنه آمن بنبوة الحارث الكذاب ، فأقنى الأوزاعي بقتله . وقال ابن النديم في الفهرست ١٧١ : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين في أخبار المرجئة ، ولرسائله مجموع نحو ألي ورقة » . وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) هو محمد بن سليمان بن حل العباسي ، ولاء المنصور البصرة ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاء المهدي ثم عزله ، ثم أعاده الهادي وأقره الرشيد ، وكان الرشيد في أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستعصى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم ، وتوفي سنة ١٧٣ في اليوم الذي ماتت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ .

(٤) فيما عدل : « زهير بن محمد الصبي » ، والشعر يقتضي ما أثبت من ل .

(٥) فرع المنبر يفرعه : علاه .

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ بِغَيْرِ عُدْرٍ^(١)
 غَفَرْتَ ذُنُوبَنَا وَعَفَوْتَ عَنَّا وَلَيْسَتْ مِنْكَ أَنْ تَعْفُو بِنُكْرٍ
 فَإِنَّ الْمَنِيرَ الْبَصْرِيَّ يَشْكُو عَلَى الْعِلَاتِ إِسْحَاقَ بْنَ شِمْرِ
 أَضْيَى عَلَى خَشَبَاتِ مَلَكٍ كَمُرْكَبٍ ثَعْلَبٍ ظَهَرَ الْهَزَبِ
 وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْعُسْكَرِ^(٢) ، يَهْجُو رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعُسْكَرِ :

مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْمَنِيرِ
 مَا زَالَ مَنِيرُكَ الَّذِي دَنَسَتْهُ بِالْأَمْسِ مِنْكَ كَحَائِضٍ لَمْ تَطْهَرْ
 فَلَا نَظْرُنَّ إِلَى الْمَنَابِرِ كُلِّهَا وَإِلَى الْأَمِيرَةِ بِاحْتِقَارِ الْمَنْظَرِ^(٣) ١٧٧
 وَقَالَ آخَرُ :

فَمَا مَنِيرُ دَنَسَتْهُ يَا ابْنَ أَفْكَلٍ بِزَاكٍ وَلَوْ طَهَّرْتَهُ بَابِنِ طَاهِرٍ^(٤) ١٨

(١) فِيمَا عَدَال : « وَإِنْ كُنَّا نَقُومُ » . وَ « إِنْ » هُنَا هِيَ النَّافِيَةُ .

(٢) هُوَ أَبُو الْأَسَدِ ، يَقُولُهُ فِي هِجَاؤِ الْحَسَنِ بْنِ رَجَاءٍ . انْظُرِ الْحَمَاسَةَ ص ١٥٠٠ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِ . وَأَبُو الْأَسَدِ هُوَ نُبَاتَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمَانِي ، شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الدِّينُورِ ، وَكَانَ طَبِيبًا مَلِيحَ النُّوَادِرِ مَدَاحًا خَبِيثَ الْهَجَاءِ . الْأَفْغَانِي (١٢ : ١٦٧) .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ فِي لَفْظٍ . وَالْأَسْرَةُ : جَمْعُ سَرِيرٍ .

(٤) أَفْكَلُ : عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِهِمْ ، وَمِنْهُ الْأَفْكَالُ ، اسْمُ الْأَفْوَهِ الْأَوْدِيِّ . فِيمَا عَدَال : « بَاسْتَ أَفْكَلٍ » . وَفِي حَوَاشِي هـ مَعَ عَلَامَةِ التَّصْحِيحِ : « يَا بِنِ أَنْوَلِ » . وَالزَّاكِيُّ : الطَّاهِرُ .

باب أسجاع

عبد الله بن المبارك ، عن بعض أشياخه ، عن الشعبي قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : « البرُّ ثلاثة : المنطق ، والنَّظر ^(١) ، والصَّمت . فمن كان منطقُه في غير ذكْرٍ فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صَمْتُه في غير فكرٍ فقد لها » .

وقال عليُّ بن أبي طالب : « أفضلُ العبادة الصمتُ ، وانتظارُ الفرج » .
وقال يزيد بن المهلب ، وهو في الحبس : « والهُفاه على طَلِيَّة ^(٢) بمائة ألف ، وفرَجٍ في جَبْهة أسد ^(٣) » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « استغزروا الدَّموعَ بالتذكُّر » .

وقال الشاعر :

* ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّر ^(٥) *

حفص بن ميمون ^(٦) قال ، سمعت عيسى بن عمر ^(٧) يقول : سمعنا الحسن يقول : « اقدِّعُوا هذه النفوسَ فإنها طُلعةٌ ، واعصوها ؛ فإنَّكم إن أطعتموها

(١) فيما عدل ، هـ : « والمنظر » تحريف .

(٢) الطليئة : الفرس ، أو الكأس المطلية . ما عدل ، هـ : « طلبه » بالباء ، تحريف .
وورد الخبر في عيون الأخبار (١ : ٨٢) محرفاً . وانظر الاستدراكات في نهاية الجزء الرابع حيث تجد تحقيقاً مسهباً .

(٣) في عيون الأخبار : « وفرج » تحريف . وفيما عدل ، هـ : « جبهة الأسد » .

(٤) ل : « لا تستغزروا الدَّموعَ إلا بالتذكُّر » .

(٥) سيأتي البيت بتمامه في الصفحة التالية .

(٦) فيما عدل ، هـ : « حفص » فقط .

(٧) هو أبو عمر عيسى بن عمر البصري الثقفي النحوي ، أحد من روى عن الحسن البصري ، وكان أحد القراء ، إلا أن الغريب والشعر أغلب عليه . وهو شيخ سيبويه ، ويزعمون أن سيبويه أخذ كتابه « الجامع » وبسطه ، وحشي عليه من كلام الخليل وغيره ، وذكر سيبويه أنه صنف نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو . وكان صاحب تقدير في كلامه . توفي سنة ١٤٩ . ابن خلكان ، وياقوت ، وبغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب .

تنزع بكم إلى شرّ غاية . وحادثوها بالذكّر ، فإنّها سريعة الدثور^(١) .
 اقدعوا : انهوا^(٢) . طَلَعَتْ : أى تَطَلَّعَ إلى كلّ شيء . حادثوا ، أى
 اجلّوا واشحذوا . والدثور : الدروس . يقال : دثر أثر فلان ، إذا ذهب ،
 كما يقال دَرَسَ وعفا .

قال : فحدّثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء ، فتعجّب من كلامه .
 وقال الشاعر^(٣) :

سَمِعَنَ بِهِيْجًا أَوْجَفَتْ فذَكَرَتْهُ وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانُ مِثْلُ التَّذَكُّرِ
 الوجيف : سير شديد ؛ يقال : وجفّ القرسُ والبعيرُ وأوجفته . ومثله
 الإيضاع ، وهو الإسراع . أراد : بهيجا أقبلت مسرعة .

ومن الأسجاع قول أيّوب بن القريّة^(٤) ، وقد كان دُعِيَ للكلام
 واحتبس القول عليه ؛ فقال : « قد طال السّهر^(٥) ، وسقط القمر ، واشتدّ المطر ،
 فما يُنتظر » . فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرق ، وسقط الشفق
 وكثر اللّثق ، فليَنطِقْ من نطق » .
 اللّثق : النّدَى والوحل .

وقال أعرابيٌّ^(٦) لرجلٍ : « نحنُ والله آكلُ منكم للمأدوم ، وأكسبُ^{١٨}
 منكم للمعدوم ، وأعطى منكم للمحروم » .
 ووصف أعرابيٌّ رجلاً فقال : « إنَّ رِفْدَكَ لنجيج^(٧) ، وإن خَيْرَكَ لسريح ،
 وإنَّ مَنَعَكَ لُمريح » .

(١) سيّاق القول في (٣ : ١٢٨) منسوباً إلى عمر بن الخطاب .

(٢) بدلها فيما عدل : « كفوا » .

(٣) هو ليل الأخيلىة ، من قصيدة في الأغاني (١٠ : ٧٢) . وانظر (٣ : ١٤٨) .

(٤) سبقَت ترجمته في ص ٢٠ .

(٥) فيما عدل : « السمر » ، وما أثبت من ل يوافق ما سيأتى : « قد طال الأرق » .

(٦) هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من القسم الأول من نسخة كوبريلى المرموز إليها

بالرمز « ل » .

(٧) الرغد : العطاء . والنجيج : السريع الوشيك . وسيأتى الخبر في (٢ : ٢٠٠) .

- سَرِيحٌ : عَجِلٌ . ومَرِيحٌ : أى مُرِيحٌ من كَدِّ الطَّلَبِ .
- وقال عبد الملك لأعرابي : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سَنِمَةٌ ،
فى قُدُورِ رَذِمَةٍ ، بشْفَارِ خَذِمَةٍ ، فى غَدَاةِ شَبِمَةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد
أطِيبْتَ^(١) .
- وسئل أعرابى^(٢) فقيل له : ما أشدُّ البَرْدُ ؟ فقال : « رِيحٌ جَرِيْبَاءٌ^(٣) ، فى
خِلِّ عَمَاءٍ^(٤) ، فى غِبِّ سَمَاءٍ^(٥) » .
- ودعا أعرابى فقال : « اللهم إنى أسألك البقاء والنماء ، وطيبَ الإِتَاءِ ، وَحَظَّ
الأَعْدَاءِ ، ورفعَ الأولياءِ » . الإِتَاءُ : الرِّزْقُ .
- قال : وقال إبراهيم النَّخَعِىُّ^(٦) لمنصور بن المعتمر^(٧) : « سَلْ مسألةَ الحَمَقِ ،
واحفظ حفظَ الكَيْسِ^(٨) » .
- ووصفت عَمَّةُ حَاجِزِ اللَّصِّ^(٩) حَاجِزاً ، ففَضَّلَتْه وقالت : « كان حَاجِزٌ

(١) فيما عدل ، هـ : « أطبت » . وقد سبق الخبر فى ص ٢٨٦ .

(٢) فى اللسان (جرب ٢٥٥) أن المستول هو ابنة الحس . وفى (عمى ٣٣٤) :
« والعرب تقول » .

(٣) الجريباء : ريح تهب بين الجنوب والعباء ، وقيل هى الشمال الباردة .

(٤) فى اللسان (١٩ : ٣٢٤) : « تحت ظلِّ عَمَاءٍ » . والعَمَاءُ : جمع عَمَاءَةٍ ، وهى
السحابة الكثيفة المطبقة .

(٥) فى غبِّ سماء ، أى بعد أن تنقطع يوماً . والسماء : المطر .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى ص ١٩٢ .

(٧) هو أبو غياث منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمى الكوفى . روى عن
إبراهيم النخعى ، والحسن البصرى ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ، والثورى ،
وشعبة وغيرهم ، وكان أثبت أهل الكوفة فى الحديث . توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب وصفة
الصفوة (٦٢ : ٣) .

(٨) الكيسى : جمع كيس ، ويجمع الكيس أيضاً على أكياس . وإنما جمع على كيسى
لإجراء له مجرى ضده ، وهو أحق وحق .

(٩) هو حاجز بن عوف بن الحارث ، من بنى سلامان بن مفرج . شاعر جاهل مقل ،
وهو أحد صعاليك العرب المغيرين ، ممن كانوا يسبقون الخيل عدوا على أرجلهم . انظر أخباره
فى الأغاني (١٢ : ٤٧ - ٥٠) .

لا يشبع ليلة يُضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .
 ووصف بعضهم فرساً فقال : « أَقْبَلَ بَرْبُورَةَ الْأَسَدِ ، وَأَدْبَرَ بَعْجُزَ الذِّئْبِ » .
 الزُّبْرَةُ : مغرز العنق ، ويقال للشَّعر الذي بين كتفيه . وصفه بأنه محطوط
 الكفل^(١) .

قال : ولَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَقَامَتِ الْخُطَبَاءُ لِبَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَأَظْهَرَ قَوْمُ الْكِرَاهَةِ
 قَامَ رَجُلٌ مِنْ عَذْرَةٍ^(٢) يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُقَنِّعِ ، فَاخْتَرَطَ مِنْ سَيْفِهِ شِبْرًا ثُمَّ قَالَ :
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا — وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ — فَإِنْ مَاتَ فَهَذَا — وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَزِيدَ —
 فَمَنْ أَبَى فَهَذَا — وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى سَيْفِهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ سَيِّدُ الْخُطَبَاءِ .

قالوا : وَلَمَّا قَامَتِ خُطَبَاءُ نِزَارٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَذَهَبَتْ فِي الْخُطْبِ كُلِّ مَذْهَبٍ ،
 قَامَ صَبْرَةُ بْنُ شِمَانَ^(٣) ، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا حَيٌّ فَعَالٍ ، وَلَسْنَا حَيٌّ
 مَقَالٍ ؛ وَنَحْنُ نَبْلُغُ بِفَعَالِنَا أَكْثَرَ مِنْ مَقَالٍ غَيْرِنَا^(٤) » .

قال : وَلَمَّا وَفَدَ الْأَحْنَفُ فِي وَجْهِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
 نَكَّمُ أَبُو حَاضِرٍ الْأَسِيدِيَّ^(٥) وَكَانَ خُطِيبًا جَمِيلًا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ :
 اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ لَوْ دِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ ١٧٩
 الشَّامِ ، صَرَفَ الدِّينَارَ بِالْدَّرْهَمِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لَنَا وَلَكَ مِثْلًا ، أَفْتَاذَنْ
 فِي ذِكْرِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مِثْلُنَا وَمِثْلُكَ وَمِثْلُ أَهْلِ الشَّامِ ، كَقَوْلِ الْأَعَشَى
 حَيْثُ يَقُولُ :

(١) الكفل : العجز . كفل محطوط : ممدود لا مأكمة له .

(٢) من عذرة ، في ل ، ه فقط .

(٣) هو صبرة بن شيمان بن عكيف بن كيوم الأزدي ، كان رئيس الأزد يوم الجمل ،
 وكذا في حرب صفين . انظر الاشتقاق ٢٩٩ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١٣١ .

(٤) انظر الخبر برواية أخرى في الكامل ٥٧ ليسك .

(٥) الأسيدى ، بضم الهمزة وفتح السين وسكون الياء : نسبة إلى أسيد بن عمرو .
 وأسيد ، بتشديد الياء تصغير أسود . قال ابن دريد في الاشتقاق ١٢٧ : « ومن رجالهم

٢٥ أبو حاضر ، واسمه صبرة بن جرير » . وفي التفاضل ٧٤٩ أن اسمه « صبرة بن شريس » .

عُلِّقَتْهَا عَرْضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقْتُ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
أَحَبُّكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ مَرْوَانَ .

عَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ^(١) ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ^(٢) قَالَ : ذَكَرَ مَعَاوِيَةُ
لِابْنِ الزُّبَيْرِ بَيْعَةَ يَزِيدَ ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : إِنِّي أَنَادِيكَ وَلَا أَنَا جِيكَ ، إِنْ
أَخَاكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فَانْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْدَّمَ ، وَتَفَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ
قَبْلَ التَّقَدُّمِ ، وَالتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ . فَضَحِكَ مَعَاوِيَةُ ثُمَّ قَالَ : تَعَلَّمْتَ أَبَا بَكْرٍ
السَّجَاعَةَ^(٣) عِنْدَ الْكَبِيرِ ، إِنْ فِي دُونِ مَا سَجَعْتَ بِهِ عَلَى أَخِيكَ مَا يَكْفِيكَ .
ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ .

أَخْبَرَنَا ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ ، قَالَ : لَمَّا صَرَفَتِ الْيَمَانِيَّةُ مِنْ أَهْلِ مِرَّةَ^(٤) ،
الْمَاءَ عَنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الصَّحَارَى ، كَتَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْهَيْذَامِ : « إِلَى
بَنِي اسْتَهَا أَهْلِ مِرَّةَ ، لِيَمَسِّيَنَّيَ الْمَاءُ أَوْ لَتُصَبِّحَنَّكُمْ الْخَلِيلُ » قَالَ : فَوَافَقَهُمُ الْمَاءُ
قَبْلَ أَنْ يُعْتَمُوا^(٥) . فَقَالَ أَبُو الْهَيْذَامِ : « الصَّدْقُ يُنْزِي عَنْكَ لَا الْوَعِيدُ » .
وَحَدَّثَنِي ثُمَامَةُ عَنْ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ^(٦) قَالَ : لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ
يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَتَاهُ الْخَبْرُ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِيَعُضِ التَّلَكُّوْرِ وَالتَّحْبَسِ ،
كَتَبَ إِلَيْهِ :

(١) أَبُو مُجَاهِدٍ عَلَى بْنُ مُجَاهِدٍ بْنُ مُسْلِمٍ رَفِيعُ الْكَابِلِيِّ الرَّازِي الْعَبْدِيُّ ، الْقَاضِي ، رَوَى
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَالثَّوْرِيَّ وَجَاهَةَ ، وَرَوَى عَنْهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
وغيرهما . وَفِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ : « كَأَنَّهُ مَاتَ سَنَةً بَضْعَ وَثَمَانِينَ » أَيْ وَمِائَةً .
(٢) فِيهِمَا عَدَالٌ ، هـ : « الْبَخْتَرِيُّ » تَحْرِيفٌ . انْظُرْ صِيُونَ الْأَخْبَارِ (٢ : ٥٩) .
(٣) هَذَا الْمَصْدَرُ مِنَ السَّجْعِ لَمْ أَجِدْهُ فِي الْمَعَاجِمِ الْمُتَدَاوِلَةِ ، وَكَأَنَّهُ نَظِيرُ الْكِهَانَةِ وَالْعِرَافَةِ .
وَضَبَطَ فِي هـ بِفَتْحِ السِّينِ .
(٤) الْمِرَّةُ ، بِالْكَسْرِ : قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ نِصْفُ فَرَسَخٍ .
(٥) بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِيهِمَا عَدَالٌ : « أَيْ يَصِيرُونَ فِي وَقْتِ عَتَمَةِ اللَّيْلِ . وَعَتَمَتُهُ :
ظُلَامُهُ . يُقَالُ عَتَمَ اللَّيْلُ يَعْتَمُ ، إِذَا أَظْلَمَ . وَأَعْتَمَ النَّاسُ : صَارُوا فِي وَقْتِ الْعَتَمَةِ » .
(٦) فِيهِمَا عَدَالٌ : « الشَّامُ » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، إلى مروان بن محمد . أمّا بعد فإني أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما ^(١) شئت . والسلام . »

وهاهنا مذاهب تدلّ على أصالة الرأى ، ومذاهب تدلّ على تمام النفس ^(٢) ، وعلى الصّلاح والسّكّال ، لا أرى كثيراً من الناس يقفون عليها .

واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحَرِّث خال مروان ، على مكّة ، فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان بحذاء المنبر ، فشمّ طلحة والزبير ، فلما نزل قال لأبان : أرضيتك من المدهنين في أمير المؤمنين ^(٣) ؟ قال : لا والله ولكنّ سؤتني ، حسبي أن يكونا شرّ كافئ أمره .

فما أدري أيّهما أحسنُ كلاماً : أبان بن عثمان هذا ، أم إسحاق بن عيسى ؛ فإنه قال : « أعيد عليّ بالله أن يكون قتل عثمان ، وأعيد عثمان بالله أن يقتله عليّ » .

فمدح عليّاً بكلام سديد غير نافر ، ومقبول غير وحشي ، وذهب إلى معنى الحديث في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشدُّ أهل النار عذاباً من قتل نبيّاً أو قتله نبيّ » . يقول : لا يتفق أن يقتله نبيّ بنفسه إلّا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرؤهم على معصية . وقال هذا : لا يجوز أن يقتله عليّ إلّا وهو مستحق للقتل .

خطبة من خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيّها الناس ، إنّ لكم معالم فاتهاوا إلى معالكم ، وإنّ لكم نهاية فاتهاوا

٢٠ (١) إذا أضيفت « أي » لضمير المؤنث جاز تأنيثها وتذكيرها . هـ : « أتّهما » .

(٢) ل : « وتدل على تمام النفس » .

(٣) عنى بالمدهنين طلحة والزبير . كانا يعلنان المطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان . والإدهان : المصانعة والغش والنفاق .

إلى نهايتكم . إنَّ المؤمنَ بينَ مخافتين : بين عاجلٍ قد مَضَى لا يدري ما اللهَ صانعٌ به ، وبين أَجلٍ قد بَقِيَ لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه . فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دُنياه لآخرته ، ومن الشَّيْبَةِ قبل الكِبَرَةِ ^(١) ، ومن الحياة قبل الموت ^(٢) ، فوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده ، ما بَعَدَ الموتِ من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بَعَدَ الدُّنْيَا من دارٍ لا الجنَّةُ أو النارُ .

أبو الحسن المَدائني قال : تكلمَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يوماً فَأَوْجَزَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ زِدْتَنَا . فَقَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِطَالَةِ الصَّلَاةِ وَقَصْرِ الْخُطْبِ ^(٣) .
 محمد بن إِسْحَاق ^(٤) ، عن يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ ^(٥) ، عن شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ^(٦) ، أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا أَتَى بِسَيْفِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، دَعَا جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ^(٧) فَسَلَّحَهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جُبَيْرُ ، مِمَّنْ كَانَ النُّعْمَانُ ؟ قَالَ : مِنْ أَشْلَاءِ قَنْصِ بْنِ مَعْدٍ ^(٨) . وَكَانَ جُبَيْرٌ أَنْسَبَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ أَخَذَ النَّسَبَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَعَنْ جُبَيْرٍ أَخَذَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ^(٩) .

-
- (١) الكِبَرَةُ ، بِالْفَتْحِ : الْكِبَرُ . لَ فَقَطْ : « الْكِبَرُ » .
 (٢) لَ : « قَبْلَ الْمَمَاتِ » . (٣) هـ : « الْخُطْبَةُ » .
 (٤) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ الْمَدَنِيُّ الْمَطْلُبِيُّ ، صَاحِبُ السَّيْرَةِ وَالْمَغَازِي ، وَأَحَدُ الرُّوَاةِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٢ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ (١ : ١٦٤) وَابْنُ النَّدِيمِ ١٣٦ .
 (٥) يَعْقُوبُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ سَرِيقِ الْبَقِيِّ الْمَدَنِيِّ ، رَوَى عَنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِمْ . وَرَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالسَّيْرَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .
 (٦) بَنُو زُرَيْقٍ : بَطْنٌ مِنَ الْخَزَرَجِ ، مِنْهُمْ أَبُو جَسِيلَةَ الْمَلِكُ الْغَسَّاقِيُّ . الْإِسْتِغْنَاءُ ٢٧٢ .
 (٧) جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَافٍ الْقُرَشِيُّ . مَحَابِييُ جَلِيلٌ عَارِفٌ بِالنَّسَبِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٧٥ . الْإِصَابَةُ ١٠٨٧ .
 (٨) أُرْوِدُ الْخَبَرِ فِي اللِّسَانِ (شَلَل) ، وَقَالَ : « أَرَادَ أَنَّهُ مِنْ بَقَايَا أَوْلَادِهِ » .
 (٩) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ٢٠٢ وَفِي الْقَامُوسِ (سَيْب) : « وَكَحْدٌ : وَالِدُ سَعِيدٍ ، وَيَفْتَحُ » .

وروى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة^(١) قال : قلت لسعيد بن المسيب : ١٨١
علمنى النسب . قال : أنت رجلٌ تريد أن تُسَآبَ الناس .

قال : وثلاثةٌ فى نسقٍ واحدٍ كانوا أصحابَ نسب : عمر بن الخطاب رحمه
الله ، أخذ ذلك عن الخطاب ، وكان كثيراً ما يقول : سمعتُ ذلك من الخطاب ،
ولم أسمع ذلك من الخطاب ، والخطابُ بنُ نُفَيْلٍ ، ونُفَيْلُ بنُ عبد العزى ،
تنافراً إليه عبدُ المطلب وحرب بن أمية ؛ فنُقِرَّ عبدُ المطلب ، أى حكم لعبد المطلب
والمنافرة : المحاكاة .

قال : والنسب أربعة : دَغْفَلُ بن حنظلة^(٢) ، وعميرة أبو ضمضم^(٣) ، وصُبْحُ
الحنفى^(٤) ، وابن السكيس النمرى^(٥) .

قال الأصمعى : دَغْفَلُ بن حنظلة ، والنسابة البكرى^(٦) ، وكان نصرانياً .
ولم يُسمَّه .

ذكر كلمات فطرب بن سليمان بن عبد الملك

قال : « اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا ، وارضَوْا به حَكَمًا ، واجعلوه قائداً ؛
فإنه ناسخٌ لما قبله ، ولم ينسخه كتابٌ بعده » .

(١) فيما عدل : « عن بعض ولد طلحة » . وهو إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبد الله
التيلى . روى عن عميه إسحاق وموسى ابنى طلحة ، والزهرى ، ومحمد ، وروى عنه وكيع
وابن المبارك وغيرهما . توفى سنة ١٦٤ . نهذيب التهذيب .

(٢) هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيبانى الذهل النسابة ، أدرك الرسول ولم يسمع منه .
غرف فى يوم دولاب فى قتال الخوارج سنة سبعين . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ والميدانى
(٢ : ٢٧٣) والمعارف ٢٣٢ ، والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام (٢ : ٢٨٧) .

(٣) فيما عدل ، هـ : « عميرة أبو ضمضم » ، وفى المعارف ٢٣٣ : « عمير بن ضمضم » .
(٤) فى الحيوان (٣ : ٢١٠) : « صبح الطانى » . وفى المعارف ٢٣٣ وابن النديم
١٢٣ : « صالح الحنفى » .

(٥) هو زيد بن الكيس النمرى ، كما فى الحيوان (٣ : ٢١٠) .

(٦) ذكر فى الفهرست ١٣١ المعارف ٢٣٣ . وذكر أن رؤية العجاج روى
عنه أنه قال : « إن للعلم آفة وهجنة وفكدا » . انظر أيضاً ما سبق فى ٢٧٣ ص ١٢ هـ :
« والنسابة البكرى » .

قال : وكان أول كلامٍ بارعٍ سمعوه منه : « الكلامُ فيما يعينك خيرٌ من السكوت عما يضرُّك ، والشكوتُ عملاً لا يعينك خيرٌ من الكلام فيما يضرُّك » .
خالد بن يزيد الأرقط^(١) قال : سمعت من يُخبرنا عن الشعبي قال : ما سمعتُ متكلماً على منبرٍ قطُّ تكلمَ فأحسنَ إلا تمنيت أن يسكت خوفاً من أن يُسيء ، إلا زياداً ؛ فإنه كان كلما أكثر كان أجودَ كلاماً .

وكان نوفل بن مساحق^(٢) ، إذا دخل على امرأته صمت ، وإذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوماً كذلك فقالت : أمّا عندي فتطرق ، وأمّا عند الناس فتنتطق . قال : لأنى أدقُّ عن جليلك ، وتجلين عن دقيقي .

قال أبو الحسن : قاد عيَّاشُ بنُ الزُّبرقان بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسةً وعشرين فرساً ، فلما جلسَ لينظرَ إليها نسبَ كُلَّ فرسٍ منها إلى جميع آباءه وأمهاته ، وحلف على كلِّ فرسٍ يمينٍ غيرِ اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر ، فقال عبدُ الملك بن مروان : عجبي من اختلاف أيمانه أشدُّ من عجيبي من معرفته بأنساب الخيل .

وقال : * كان للزُّبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القمر ، والزُّبرقان ، والحصين .
وكانت له ثلاثُ كُتَي : أبو شذرة ، وأبو عيَّاش ، وأبو العبَّاس . وكان عيَّاشُ^{١٥} ابنه خطيباً مارداً شديد العارضة شديد الشكيمة وجيهاً ؛ وله يقول جرير :
أعيَّاشُ قد ذاقَ القُيُونُ مرارتي وأوقدتُ نارِي فاذنُ دونك فاضطلَّ
فقال عيَّاش : إني إذا لمقرُّور . قالوا : فغلب عليه .

(١) سبقت ترجمته في ص ٥٨ . وسيأتي الخبر في (٢ : ٤٠) بلفظ آخر .

(٢) هو أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الأكبر بن مخزومة بن عبد العزيز القرشي العامري المدني ، القاضي ، ولي قضاء المدينة . توفي سنة ٤٧ . تهذيب التهذيب والإصابة ٨١١٠ والمعارف ١٢٩ في ترجمة معقل بن سنان .

باب

ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأئمة وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التّدير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم باباً باباً على حدّته ، ونقدّم من قدمه الله ورسوله عليه السلام في النسب ، وفضله في الحسب . ولكنّي لمّا عجّزت عن نظمه وتنزيده ، تكلفتُ ذكرهم في الجملة . والله المستعان ، وبه التوفيق ، ولا حول ولا قوّة إلاّ به^(١) .

كان الفضل بن عيسى الرّقاشي من أخطب الناس ، وكان متكلماً قاصّاً مُجيداً ، وكان يجلس إليه عمرو بن عبّيد ، وهشام بن حسان^(١) ، وأبان بن أبي عيّاش^(٢) ، وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضليّة^(٣) ، وإليه يُنسبون . وخطب إليه ابنته سودة بنت الفضل ، سليمان بن طرخان التيمي^(٤) ، فزوّجه

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٣) الفضلية : طائفة من المعتزلة ، منسوبة إلى الفضل بن عيسى بن أبان الرّقاشي البصري . وهذه الطائفة غير طائفة الفضلية في الخوارج ، المنتسبة إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ .

(٤) في القاموس : « وطرخان ، بالفتح ، ولا قضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : امم للرئيس الشريف ، خراسانية » . وسليمان ، هو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري ، ولم يكن من بني تيم ، وإنما نزل فيهم . وهو أحد حفاظ البصرة الثلاثة ، وهم سليمان ، وعاصم الأحوال ، وداود بن أبي هند . وكان من العباد النساك لا يزال هو وابنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد . توفي بالبصرة سنة ١٤٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٤٢) وصفة الصفوة (٣ : ٢١٨) وتهذيب التهذيب . وقد ورد اسمه في المعارف ٢٠٩ : « سليمان بن طهمان » تحريف .

فولدت له المعتمر بن سليمان^(١) . وكان سليمان مبايناً للفضل في المقالة ، فلما ماتت سودة شهيد الجنازة المعتمر وأبوه ، فقدما الفضل .

وكان الفضل لا يركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر^(٢) : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قلت : مثل أي شيء ؟ قال : لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هي أقلها داءً ، وأيسرها دواء ، وأسلم صريعاً ، وأكثر تصريحاً ، وأسهل مرتقى ، وأخفض مهوى ، وأقل جحاحاً ، وأشهر فارهاً ، وأقل نظيراً ، يزهي راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصداً وقد أسرف في ثمنه .

قال : ونظر يوماً إلى حمار قاره تحت سلم بن قتيبة ، فقال^(٣) : قعدة نبي وبذلة جبار .

وقال عيسى بن حاضر : ذهب إلى حمار عزيز ، وإلى حمار المسيح^(٤) ، وإلى حمار بلم^(٥) . وكان يقول : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل^(٦) ، أن

(١) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان ، روى عن أبيه ، وداود بن أبي هند ، وعنه الثوري وابن المبارك وغيرهم . ولد سنة ١٠٠ وتوفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٥ - ٢٤٦) .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٥ . وقد ورد الخبر في عيون الأخبار (١ : ١٦٠) مصدراً بقوله : « قال رجل للفضل الرقاشي » .

(٣) في الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال . . . » .

(٤) هو المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه . وفي الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « وأما الحمار فمركب عيسى بن مريم ، وعزيز وبلعم » . فيما عدل : « مسيح الدجال » تحريف كما رأيت . (٥) في « رواية عن نسخة : « بلعم » .

(٦) في ثمار القلوب ٢٩٥ : « وأبو سيارة : رجل من عدوان ، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل . وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة » . وقال ابن دريد في الاشتقاق ١٦٤ : « وعميلة تصغير عملة ، والعملة واليعة الناقة الصابرة » وفي السيرة ٧٨ جوتنجن : « الإفاضة من مزدلفة كانت في عدوان فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد إسحاق ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام عميلة بن الأعزل » .

يدفع بالموسم على فرسٍ عربيٍّ ، أو جعل مُهْرِيٍّ لفعل ؛ ولسكنه ركب غيراً
أربعين عاماً ؛ لأنه كان يتأله^(١) . وقد ضرب به المثلُ فقالوا : « أصبح من غيرِ
أبي سَيَّارة » .

والفضلُ هو الذي يقول في قصصه : « سَلِ الأرضَ فقل : مَنْ شَقَّ أنهارَكَ ،
وَعَرَسَ أشجارَكَ ، وجَنَى ثمارَكَ ، فإنْ لم تُجِبْكَ حِوَّاراً ، أجابَكَ اعتباراً^(٢) » .
وكان عبدُ الصمد بنُ الفضل أغزرَ من أبيه وأعجبَ وأبينَ وأخطبَ .

وقال : وحَدَّثَنِي أبو جعفر الصُّوفيُّ القاصُّ قال : تسكَّم عبدُ الصمد في خلقِ
البعوضة وفي جميعِ شأنها ثلاثةَ مجالسَ تامةٍ .

قال : وكان يزيدُ بنُ أبان ، عمُ الفضل بن عيسى بن أبان الرِّقَاشي ، من
أصحابِ أنسٍ^(٣) والحسن ، وكان يتكَلَّم في مجلسِ الحسن ، وكان زاهداً عابداً ،
وعالماً فاضلاً ، وكان خطيباً ، وكان قاصّاً مُجيداً .

قال أبو عبيدة : كان أبوه خطيباً ، وكذلك جدُّهم ، وكانوا خطباءَ الأكاسرة
فلما سُبُوا ووُلِدَ لهم الأولادُ في بلادِ الإسلام وفي جزيرة العرب ، نَزَعَهُم ذلك
العِرْقُ ، فقاموا في أهل هذه اللغة كقَماهم في أهل تلك اللغة ، وفيهم شِعْرٌ
وخطبٌ ، وما زالوا كذلك حتَّى أصهرَ إليهمُ الغُرباءُ ففسد ذلك العِرْقُ
ودخله الخَوَرُ .

ومن خطباءِ إيادٍ قسُّ بن ساعدة ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه
وسلم : « رأيتُه بسوقِ عُكاظٍ على جملٍ أحمر وهو يقول : أَيُّهَا الناس اجتمعُوا

(١) التأله : التنسك والتعبد .

(٢) سبق هذا القول في ص ٨١ .

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصاري المدني ، خادم رسول الله ، نهَّد
معه الحديبية والفتح وحنينا والطائف ، وهو آخر من بقى بالبصرة من الصحابة . توفي سنة
٩٥ . الإصابة ٢٧٥ وتهذيب التهذيب .

واسمعوا^(١) وعُوا . مَنْ عاش مات ، وَمَنْ مات فَاتَ ، وكلُّ ما هُوَ آتٍ آتٌ .
وهو القائل في هذه : « آياتٌ محكمات ، مطرٌ ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب
وآت^(٢) ، ضوء وظلام ، وبرٌّ وأثام^(٣) ، ولباسٌ ومركبٌ ، ومطعمٌ ومشربٌ ،
ونجوم تمور^(٤) » ، وبحورٌ لا تغور ، وسقفٌ مرفوعٌ ، ومهادٌ موضوعٌ ، وليلٌ
١٨٤ داجٍ ، وسماء ذات أبراج . مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ،
أم حبسوا فناموا » .

وهو القائل : « يا معشرَ إِياد ، أينَ ثمودُ وعاد ، وأينَ الآباء والأجداد . أينَ
المعروفُ الذى لم يُشكر ، والظلم الذى لم ينكر . أقسمَ قسٌّ قسماً بالله ، إنَّ لله
لدينًا هو أَرْضى له من دينكم هذا » .
وأنشدوا له :

١٠

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِيَّةِ بَنَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِمَوْتٍ لَيْسَ لَهَا مَصَادِيرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا يَمُضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ^(٥)
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ
أَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهُ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

١٥

ومن الخطباء زيد بن علي بن الحسين . وكان خالد بن عبد الله^(٦) أقرَّ علي

(١) فيما عدال : « فاسمعوا » .

(٢) ما بعد هذه الكلمة إلى كلمة « مشرب » ساقط مما عدال ، هـ .

٢٠

(٣) الأثام ، كسحاب : الإثم ، أو جزاؤه .

(٤) في اللسان : « وفي حديث قس : ونجوم تمور ، أى تذهب وتجيء » . ل :

« تغور » ، وأثبت ما في اللسان وسائر النسخ .

(٥) فيما عدال : « تمضي الأكابر والأصاغر » .

(٦) هو خالد بن عبد الله القسرى أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك الأموى ،

٢٥

قتل في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . انظر الطبرى (٩ : ١٧) .

- زيد بن عليّ ، وداود بن عليّ^(١) ، وأيوب بن سلمة الخزومي ، وعليّ محمد بن عمر ابن عليّ^(٢) ، وعليّ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف^(٣) ، فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال : أحلف لك . قال : وإذا حلفت أصدقك ؟ قال زيد : اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يُوصى بتقوى الله ، ولا دون أن يُوصى بتقوى الله^(٤) . قال هشام : بلغني أنك تريد الخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابن أمة . قال زيد : فقد كان إسماعيل ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ابن أمة ، وإسحاق عليه السلام ابن حرة ، فأخرج الله من صلب إسماعيل خيرا ولد آدم محمداً صلى الله عليه وسلم . فعندها قال له : قم . قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره ! ولما خرج من الدار قال : « ما أحب أحد الحياة قط إلا ذل » . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك أحد .
- وقال محمد بن عمير^(٥) : إن زيدا لما رأى الأرض قد طبقت^(٦) جوراً ، ورأى ١٨٥ قلة الأعوان وتخاذل الناس^(٧) ، كانت الشهادة أحب الميئات إليه^(٨) .
- وكان زيد كثيراً ما يُنشد :

(١) هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي . وهو زوج أم موسى بنت علي بن الحسين . توفي وهو وال على المدينة سنة ١٣٣ لابن أخيه السفاح . تهذيب التهذيب والمعارف ٩٥ .

(٢) فيما عدل ، هـ : « وعلي بن محمد بن عمر بن علي » ، تحريف . وهو محمد بن عمر ابن علي بن أبي طالب الهاشمي ، روى عن عمه محمد بن الحنفية وابن عمه علي بن الحسين بن علي ، وروى عنه أولاده عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر . أدرك أول خلافة بني العباس . تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدل ، هـ : « وعلي بن سعد » الخ ، تحريف كسابقه ، سببه كلمة « علي » . وسعد هذا ، كان قاضياً من قضاة المدينة زمن هشام . توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٤ وصفة الصفوة (٢ : ٨٢) .

(٤) انظر ما سيأتي في ص ٣٢٥ .

(٥) ذكر الباحث فيما مضى ص ٨٤ أنه كان غالباً من مشايخ الشيعة .

(٦) طبقت ، أي ملئت وعمت وغشيت . طبق السحاب الجو : غشاه .

(٧) فيما عدل ، هـ : « ورأى تخاذل الناس » .

(٨) فيما عدل ، هـ : « الميئات » ، جمع منية ، وهي الموت .

شَرَّده الخوفُ وأزرى به كذاك مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلَادِ^(١)
مُنْخَرَقِ الخُفَيْنِ يشكو الوجى تَنَكُّبه أطرافُ مَرَوٍ حِدَادِ^(٢)
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حَتْمٌ في رِقَابِ العبادِ
قال : وكان كثيراً ما يُنشد شعر العبسى في ذلك^(٣) :

إنَّ المحكِّمَ ما لم يرتقب حسباً أو يَرَهَبَ السَّيْفَ أَوْحَدًا القَنَا جَنَفًا^(٤)
مَنْ عَادَ بالسيفِ لاقى فُرْصَةً عَجَبًا موتاً على عَجَلٍ أو عاش منتصفاً^(٥)
ولما بعث يوسف بن عمر^(٦) برأس زيد^(٧) ، ونصر بن خزيمة^(٨) ، مع

(١) الأبيات في زهر الآداب (١ : ٧٢) . قال : « وقد رويت هذه الأبيات لمحمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين » . وقد سرد في زهر الآداب طائفة كبيرة من أقواله . في فقط : « فأزرى به » .

١٠

(٢) الوجى : الحفا . تنكبه : تصيبه وتنااله . والأبيات في الطبرى (٨ : ٤١) .
(٣) في ذلك ، من هـ . والبيتان من أبيات عشرة رواها الجاحظ في الحيوان (٣ : ٨٧) .
(٤) في الأصل : « من لم » صوابه من الحيوان . ل : « أو يجعل السيف » . جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٥) في الحيوان : « من لاذ بالسيف » . وفي بعض نسخ الحيوان : « لاقى قرصه »
والقرص ، أصله ما يتجازى به الناس بينهم .

(٦) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم ولاء العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى أمير العراق قبله ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه وحبسه في دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧ . وهو ابن ابن عم الحجاج . وفيات الأعيان .

(٧) زيد هذا ، هو زيد بن علي بن الحسين بن علي ، كان قد خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى ، وصلبه بالكناسة - موضع بالكوفة - عريانا . وكان زيد يلقب بالمهدى ، فقال شاعر أموى :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب
ويروى الجاحظ أن رأس زيد رثيت في دار يوسف بن عمر ، فجاء ديك فوطى شعره ونقره في لحمه ليأكله . انظر الحيوان (٢ : ٢٥١) والكامل ٧١٠ ليسك .

(٨) ذكر ابن دريد في الاشتقاق ١٦٩ أنه من أهل الكوفة ، وكان من أشجع الناس ، قتل مع زيد بن علي بن الحسين بن علي ، وصلب معه .

٢٥

شَبَّة بن عِقَال ، وكَلَفَ آل أُمَيَّيْن أن يبرءوا من زيد ، ويقومَ خطبائهم بذلك . فأوَّلُ مَنْ قال عبدُ الله بن الحسن ، فأوجَزَ في كلامه ثم جلس ، ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأطنب في كلامه ، وكان شاعراً بيتنا ، وخطيباً لسينا ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابنُ الطَّيَّار^(١) أخطبُ الناس ! فقيل لعبد الله بن الحسن في ذلك ، فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامُ سُرور . فأعجبَ الناسَ ذلك منه .

ومن أهل الذَّهَاء والنَّكْرَاء^(٢) ، ومن أهل اللَّسَن واللَّقْن ، والجوابِ العجيب ، والكلامِ الفصيح ، والأمثالِ السائرة ، والخارجِ العجيبة : هندُ بنتُ الخُس^(٣) ، وهى الزرقاء ، وجمعةُ بنتُ حابس^(٤) . ويقال إن حابساً من إِيَاد . وقال عامر بن عبد الله الفزاريُّ جُمعَ بين هند وجمعة ، فقيل لجمعة : أئى الرِّجال أحبُّ إليك ؟ فقالت : « الشَّقِيقُ الكَتَدِ^(٥) » ، الظاهر الجَلَدُ ، الشديدُ الجَذْبُ بالمَسَدِ . وقيل لهند : أئى الرِّجال أحبُّ إليك ؟ قالت : « القريبُ الأَمَدُ ، الواسعُ البَلَدُ^(٦) » ، الذى يُوفَدُ إليه ولا يَفِدُ .

١٥ (١) الطَّيَّار ، لقب جده جعفر . وهو جعفر بن أبي طالب : كان قد حمل لواء المسلمين في يوم مؤتة يمينه فقطعت ، ثم بشاله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فيقولون إنه عوض من يديه جناحين يطير بهما في الجنة . انظر الإصابة ١١٦٢ .

(٢) النكراء : الدهاء والفتنة .

(٣) هى هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريظ الإيادية ، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى في أمالى القالى (١ : ٢/١٩٩ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧/٣ : ١٠٧ ، ١١٩) . وكانت ترد سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) .

(٤) يقال لها أيضاً « خمة » بالخاء . وفي بلاغات النساء لطيفور ص ٥٨ أنها أخت هند ، وأن القلمس الكنانى سألها في سوق عكاظ .

(٥) الشقيق : الطويل . والكند ، بالتحريك وككتف . أعلى الكتف . فيما عدال :

٢٥ « الشبق الكند » تحريف .

(٦) مبلد : الدار ، يمانية .

١٨ وقد سئلت * هند عن حرّ الصيف وبرد الشتاء ، فقالت : « من جعل بُؤساً كاذباً^(١) » وقد ضُربَ بها المثل . فمن ذلك قول ليلي بنت النضر الشاعرة^(٢) :
وكنزُ بنِ جُدعانٍ دلالةُ أمّه وكانت كَبِنتُ الخُسِّ أوهى أكبرُ
وقال ابنُ الأعرابي : يقال بنت الخُسِّ ، وبنت الخُصِّ ، وبنت الخُسف^(٣)
وهي الزرقاء . وقال يونس : لا يقال إلا بنت الأخس .

وقال أبو عمرو بن العلاء : داهيتا نساء العرب هند الزرقاء ، وعنزُ الزرقاء ،
وهي زرقاء اليمامة .

* * *

وقال اليعقوبي : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول في المراء ؟ قال : ما عسى
١٠ أن أقولَ في شيء يُفسد الصداقة القديمة ، ويحل^(٣) العقدة الوثيقة ، فإنَّ أفلَّ
ما فيه^(٤) أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة . إنَّ رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما أتاه السائب بن صفيّ فقال : أتعرفني يا رسول الله ؟
قال : « كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يُشاريني ولا يماريني » . قال :
فتحوّلتُ إلى زيد بن علي فقلت له : الصمت خيرٌ أم الكلام ؟ قال أخزى الله
المساكّة ، فما أفسدها للبيان ، وأجلبها للحَصَر . والله للماراةُ أسرعُ في هدم
١٥ العيِّ من النار في يَبِيس العرفج ، ومن السَّيل في الحدُّور .

وقد عرف زيدُ أن الماراةَ مذمومة ، ولكنه قال : الماراةُ على ما فيها أقلُّ
ضرراً من المساكّة التي تورث البلدة^(٥) ، وتحلُّ العقدة ، وتُفسدُ المنّة ، وتورث

(١) الخبر برواية أخرى في الحيوان (٥ : ١٠٥) .

(٢) وبنت الخسف ، من ل ، ه فقط .

(٣) فيما عدل ، ه : « ويحتل » ، تحريف .

(٤) التيمورية : « وإن كان أقل ما فيه » . ب ، ح ، ه « وإن كان لأقل ما فيه » .

(٥) في اللسان : « والبلدة والبلدة — أي بالضم والفتح — والبلادة : ضد النفاذ والذكاء

والمضاء في الأمور » .

عللاً ، وتولّد أدواءً أيسرُها العي . فإلى هذا المعنى ذهب زيد .

* * *

ومن الخطباء : خالد بن سلمة المخزومي من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم بن أبي حاضر ، وقد تكلم عند الخلفاء .

ومن خطباء بني أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير ، وقد رأس . ومن أهل اللسان منهم والبيان : الحجاج بن عمر بن يزيد^(١) .

ومن الخطباء : سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية^(٢) . قال : وقيل لسعيد بن المسيّب : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه^(٣) ، وما كان ابنُ الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طِلَاوة .

* فمن العجب أن ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً ، وهم لا يحفظون ٨٧
لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلا ما لا بال له .

(١) فيما عدل ، هـ : « الحجاج بن عمر بن زيد » .

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي كان من نديه عثمان لكتابة القرآن ، ولي الكوفة وغزا طبرستان وجرجان ، وولى المدينة لمعاوية ، فكان يعاقب بينه وبين مروان ، وكان مشهوراً بالكرم حتى إذا سأله السائل وليس له مال حاضر كتب له بما يريد ، فلما توفي كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاهما عنه ولده عمرو الأشدق . توفي في قصره بالعقيق سنة ٥٣ . الإصابة ٣٢٦١ .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد ، المعروف بالأشدق ، الذي مضى ذكره في ص ١٢١ . وكان يلقب بلطيم الشيطان ، وهو لقب يقال لمن به لقوة أو شتر . انظر الحيوان (٦ : ١٧٨) . وهو أحد النابعين . وهناك عمرو بن سعيد بن العاص الأكبر ، صحابي قديم . ولي الأشدق المدينة لمعاوية وليزيد ، ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق ؛ وذلك أنه كان بايع عبد الملك ابن مروان ، بشرط أن يكون هو الخليفة بعده . فلما أراد عبد الملك خلعه وأن يبايع لأولاده نفر عمرو من ذلك وخرج عليه . وقتله عبد الملك بعد أن أعطاه الأمان . وكان ذلك سنة ٧٠ .

تهذيب التهذيب وتاريخ الطبري (٧ : ١٧٨ - ١٨١) والإصابة ٦٨٤٢ .

وكان سعيدٌ جواداً ، ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفاً ، وكان يقال له « عكّة العسل »^(١) . وقال الخطيئة :

سعيدٌ فلا يَغْرُزُكَ قَلَّةُ لحمِهِ تَخَذَدَ عَنْهُ اللحمُ فهو صليبٌ^(٢)
وكان أول من خَشَّ الإبلَ في نفس عظم الأنف . وكان في تدبيره اضطراب .
وقال قائلٌ من أهل الكوفة :

يا ويلنا قد ذهب الوليدُ وجاءنا مجوعاً سعيدُ
ينقصم الصّاع ولا يزيد^(٣)

قال : الأمراء تتحسّب إلى الرعبة بزيادة المكايل^(٤) ، ولو كان المذهبُ في الزيادة في الأوزان كالمذهب في زيادة المكايل ما قصرُوا ، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادة في المكايل . ولذلك اختلفت أسماء المكايل ، كالزّيادة والقالج^(٥) ، والخالدي . حتّى صرنا إلى هذا المُلجَم^(٦) اليوم .

ثمّ من الخطباء : عمرو بن سعيد ، وهو الأشدق^(٧) ، يقال إنّ ذلك إنما قيل لتشادقه في الكلام . وقال آخرون : بل كان أقمّ مائل الذّقن ، ولذلك قال عبيدُ الله بن زياد حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية : يدك عنّي يا لطيم الشيطان ،
ويا عاصي الرحمن^(٨) . وقال الشاعر :

وعمرّو لطيم الجنّ وابنُ محمّدٍ بأسوأ هذا الأمرِ يلتبسان^(٩)

(١) العكّة ، بالضم : زق صغير .

(٢) ديوان الخطيئة ٤٢ وسياق في (٣ : ١١٦) . تخذد اللحم : هزل ونقص .

(٣) فيما عدال : « بنقص في الصاع » .

(٤) ل : « الكيل » .

(٥) في اللسان (٣ : ١٧٢) : والقالج والفلج — بالكسر — مكيال ضخم معروف وقيل هو القفيز ، وأصله بالسريانية فالغاء ، فعرب . ومثله في المعرب للجواليقي ٢٤٩ .

(٦) ل : « الملحم » ، تحريف . وانظر الطبري (١٠ : ٢٦٦) وكتاب بغداد لابن طيفور ١٩ حيث ذكر صفته .

(٧) مضت ترجمته في الصفحة السابقة .

(٨) انظر الخبر في الحيوان (٦ : ١٧٨) . (٩) ل : « فياسوء » تحريف .

ذكر ذلك عن عوانة^(١) . وهذا خلاف قول الشاعر :

تشادقَ حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لا أبالك أشدق^(٢)
وقال : وقد كان معاوية قد دعا به في غلمة من قريش ، فلما استنطقه قال :
« إن أول كل مركب صعب ، وإن مع اليوم غداً » . وقال له : إلى من أوصى بك
أبوك ؟ قال : إن أبي أوصى إلى ولم يوص بي^(٣) . قال : وبأي شيء أوصاك ؟
قال : بألا يفقد إخوانه منه إلا شخصه . قال : فقال معاوية عند ذلك : إن
ابن سعيد هذا لأشدق . فهذا يدل عندهم على أنه إنما سمى بالأشدق ١٨٨
لمكان التشادق .

ثم كان بعد عمرو بن سعيد ، سعيد بن عمرو بن سعيد ، وكان ناسباً خطيباً ،
وأعظم الناس كبراً . وقيل له عند الموت : إن المريض ليستريح إلى الأنين ، وإلى
أن يصف ما به إلى الطبيب . فقال :

أجاليد من ريب المنون فلا ترى على هالك عيناً لنا الدهر تدمع^(٤)
ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم ، فتكلموا من قيام ،
وتكلم وهو جالس ، فتبسم عبد الملك وقال : لقد رجوت عثرته ، ولقد أحسن
حتى خفت عثرته . ١٥

فسعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيب ابن خطيب ابن خطيب .

(١) عوانة بفتح العين ، وهو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض ، الكلبي الكوفي
الأخباري النسابة . وكان كثير الرواية عن التابعين ، وأكثر المدائني في النفل عنه ، وكان
عثمانياً يضع الأخبار لبني أمية . توفي سنة ١٥٨ . لسان الميزان (٤ : ٣٨٦) وابن النديم ١٣٤
ونكت الهميان ٢٢٢ . ٢٠

(٢) أنشد هذا البيت في ص ١٢١ .

(٣) الخبر في عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٤) أجاليد : جمع جمع للجلد ، وهو القوى النفس والجسد .

ومن الخطباء : سهيل بن عمرو الأعلم^(١) أحد بني حِسل بن معيص^(٢) وكان
يكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القدر ، شريف النفس ، صحيح الإسلام . وكان عمر
قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، انزع ثنيتيه السفلين حتى يدلّع
لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أمثل
فيمثل الله بي وإن كنت نبياً . دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمده » . فلما
هاج أهل مكة عند الذي بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيباً
فقال : « أيها الناس ، إن يكن محمد قد مات فالله حي لم يمت . وقد علمتم أنني
أكثركم قتباً في برٍّ ، وجارية في بحر^(٣) ، فأقرؤا أميركم وأنا ضامن إن لم
يتم الأمر أن أردّها عليكم » ، فسكن الناس . وهو الذي قال يوم خرج آذن
عمر ، وهو بالباب وعيينة بن حصن^(٤) ، والأقرع بن حابس ، وفلان وفلان ،
فقال الآذن : أين بلال ، أين صهيب ، أين سلمان ، أين عمار ؟ فتمعّرت وجوه
القوم ، فقال سهيل : لم تمعّروا وجوهكم ؟ ! دُعُوا ودُعينا فأمرعُوا وأبطأنا ،
ولئن حسدتموه على باب عمر ، لَمَّا أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر .

ومن الخطباء : عبد الله بن عروة بن الزبير . قالوا : وكان خالد بن صفوان
يشبه به . وما علمت أنه كان في الخطباء أحد كان أجود خطباً من خالد بن صفوان

(١) سبقت ترجمته في ص ٥٨ . ل : « الأشرم » وما أثبت من سائر النسخ هو المطابق
لما في الإصابة ٣٥٦٦ . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، وقد كان كذلك . أما الأشرم فهو
المشروم الأنف .

(٢) كذا . والمعروف أن حسلاً ومعيصاً أخوان أبوهما عامر بن لؤى . انظر المعارف ٣٢

ومختلف القبائل ومؤلفها لابن حبيب ص ٣١ .

(٣) القتب : رحل صغير على قدر السنام . عن كثرة إبله وسفته في التجارة .

(٤) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان اسمه حذيفة فلقب عيينة ،
لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه . شهد حنيناً والطائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة
٦١٤٦ . ما عدا ه : « وبالباب عيينة بن حصن » .

* وشيب بن شيبه ، للذى يحفظه الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما . وما ١٨٩
أعلم أن أحداً ولدهما حرفاً واحداً .

ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر : الحنفى بن يزيد^(١)
ابن جَعَوَنَة . وهو الذى تعرض له دَغْفَل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر^(٢)
بالبصرة ، فقال له : متى عهدك بسجّاح أمّ صادر^(٣) ؟ فقال : « مالى بها عهد منذ
أضلت أمّ حلس » ، وهى بعض أمّهات دَغْفَل . فقال له : نشدتك بالله ، أنحن
كنا لكم أكثر غزواً فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم^(٤) فلم تفلحوا ولم
تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيّدكم وابن سيّدكم ، فهزمناه مرّةً وأسرناه مرّةً ،
وأخذنا فى فدائه خدر أمه . وغزانا أكثركم غزواً ، وأنبهكم فى ذلك ذكرا ،
فأعرجناه ثم أرجلناه . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لمّا كفتما . ١٠

وكان عبد الله بن عامر ، ومُصَعَّب بن الزُّبَيْر ، يُحِبَّان أن يعرفا حالات
الناس ، فكانا يُغْرِيان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرّم أنهما كانا إذا سبّا أوجعا .
وكان أبو بكر رحمه الله أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جُبَيْر بن مُطْعِم ، ثم
سعيد بن المُسَيَّب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هذا هو الذى نفى آل عَنَكَّة
الخزوميين^(٥) فرُفِع ذلك إلى والى المدينة فجلده الحدّ . وكان ينشد : ١٥

(١) فيما عدال : « بن زيد » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ،
ابن خال عثمان بن عفان . كان شجاعاً جواداً ميموناً ، ولأه عثمان البصرة وضم إليه فارس
فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وغيرها . وولاه معاوية البصرة . توفى سنة ٥٩
قبل وفاة معاوية بسنة . الإصابة ٦١٧٥ والمعارف ١٤٠ والجهمياري ١٤٨ . ٢٠

(٣) هى سجّاح بنت الحارث التميمية ، من بنى يربوع ، وكان يقال لها أم صادر ،
وتزوجها مسيلمة المنتبى ، ثم من بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ،
ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفرى . المعارف ١٧٨ والإصابة ٦٠٧ من قسم النساء .

(٤) ل : « قال بل أنتم لنا قال » .

(٥) نفاهم : أى نفى نسبهم إلى مخزوم ، جعل أباهم مولى لهيرة بن أبى وهب . ٢٥

ويزبوع بن عنكثة ابن أرضٍ وأعتقه هُبيرةٌ بعد حين^(١)
يعنى هُبيرة بن أبي وهب الخزومي^(٢) .

ومن النسايب العلماء : عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
وكان من ذوى الرأى والدهاء ، وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف . وعمر
ابن عبد الرحمن خامسُ خمسة في الشرف . وكان هو الساعى بين الأسد^(٣)
وتميم في الصلح .

ومن بنى حُرْقوص : شُعبة بن القَلَم ، وكان ذا لسانٍ وجوابٍ وعارضة ،
وكان وَصَافًا فصيحًا ، وبنوه عبد الله ، وعمر ، وخالد كلهم كانوا في هذه الصفة ،
غير أن خالدًا كان قد جمع مع اللسان والعلم ، الحلاوة والظرف^(٤) . وكان الحجاج
ابن يوسف لا يصبر عنه .

ومن بنى أُسَيْد بن عمرو بن تميم^(٥) ، أبو بكر بن الحكم ، كان ناسبًا راوية
شاعرا ، وكان أخلَى الناس لسانا ، وأحسنهم منطقا ، وأكثرهم تصرفا . وهو
الذى يقول له رؤبة :

لقد خَشِيتُ أن تكون ساحرا راويةً مرًّا ومرًّا شاعرا^(٦)
ومنهم مُعَلَّل بن خالد ، أحد بنى أنمار بن الهجيم ، وكان نَسَابَة علامة ،

(١) ابن أرض ، أى غريب . انظر المقاييس (١ : ٨١) .
(٢) في الاشتقاق ٩٥ : « ومن فرسانهم هبيرة بن أبي وهب ، وكان زوج أم هانيء بنت أبي طالب ، فأسلمت وثبت هو على الشرك » .
(٣) ٥ : « الأزد » ، وهما لقتان .
(٤) فيما عدل : « مع بلاغة اللسان والعلم والحلاوة والظرف » .
(٥) أسيد هذا : تصغير أسود في لغة بني تميم ، وسائر العرب يقولون في تصغيره أسود .
انظر الاشتقاق ١٢٧ .

(٦) المر ، بالفتح : جمع مرة . ومثله قول ذى الرمة :

لا بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ومرا بارح ترب

راوية صدوقاً مقلداً^(١) . وذكر للمتجيع بن نَبْهَانَ فقال : كان لا يُجَارَى ولا يَمَارَى .

ومنهم من بنى العنبر ، ثم من بنى عمرو بن جُنْدَب : أبو الحسناء عباد ابن كُتَيْب^(٢) ، وكان شاعراً علامة ، وراويةً نسابة ، وكانت له حُرْمَةٌ • بأبي جعفر المنصور .

ومنهم : عمرو بن خَوْلَة ، كان ناسباً خطيباً ، وراويةً فصيحاً ، من ولد سعيد ابن العاصي . والذي أتى سعيد بن المسيّب ليعلمه النسب هو إسحاق بن يحيى ابن طلحة .

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالماً ، ضربه إبراهيم بن هشام الخزومي إلى المدينة حتّى مات ، لبعض القول . وكان مصعبُ بن عبد الله بن ثابت^(٣) ناسباً عالماً ، ومن ولده الزُّبَيْرِيُّ^(٤) عامل الرشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قريش : محمد بن حفص^(٥) ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله ، كان يجري مجراه ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن بنى خُزَاعِيٌّ بن مازن^(٦) : أبو عمرو وأبو سفيان ؛ ابنا العلاء بن عمار ابن العُريان . فأما أبو عمرو فكان أعلم الناس بأمور العرب ، مع صحّة سماعٍ وصدق

(١) المقلد ، أصله في الخيل : السابق يقلد شيئاً ليعرف أنه قد سبق .

(٢) أبو الحسناء عباد بن كُتَيْب ، من بنى عمرو بن جندب ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٣ وقال : « وكان راوية للشعر عالماً بأخبار العرب » .

(٣) هو أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدي ٢٠ . قالوا : كان أوجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً وبياناً . توفي سنة ٢٣٦ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٠٩٦ .

(٤) اسمه عبد الله بن مصعب ، كما في تاريخ الطبري (١٠ : ١١٢) .

(٥) فيما عدل ، هـ : « محمد بن جعفر بن حفص » وكلمة « جعفر » مقحمة . انظر ترجمة ولده عبيد الله فيما مضى ص ١٠٢ .

(٦) هم بنو خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . انظر الاشتقاق ١٢٥ - ١٢٥ . فيما عدل « خزاعة » تحريف .

لسان . حدَّثني الأصمعيُّ قال : جلستُ إلى أبي عمرو عشرَ حججٍ ما سمعتهُ يحتاجُ
ببيتِ إسلامي . قال : وقال مرّة : «لقد كثُرَ هذا الحديثُ وحسَنَ حتّى لقد هممتُ
أن أمرَ فتياننا بروايته» . يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدَّثني أبو عبيدة
قال : كان أبو عمرو أعلمَ الناسَ بالغريب^(١) والعربيّة ، وبالقرآن^(٢) والشعر ،
وبأيام العرب وأيام الناس . وكانت دارُهُ خلفَ دار جعفر بن سليمان^(٣) . قال :
وكانت كُتبه التي كَتَبَ عن العرب الفصحاء ، قد ملأتُ بيتاً له إلى قريبٍ من
السقف ، ثم إنه تقرأ^(٤) فأحرقها كلّها ، فلما رجع بعدُ إلى علمه الأوّل لم يكن
عنده إلّا ما حفظه بقلبه . وكانت عامّة أخباره عن أعرابٍ قد أدركوا الجاهليّة^(٥) .
وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

ما زلتُ أفتحُ أبواباً وأغلقها حتّى أتيتُ أبا عمرو بنَ عَمَّارٍ
قال : فإذا كان الفرزدق وهو راويةُ الناسَ وشاعرُهُم وصاحبُ أخبارهم ،
يقول فيه مثلَ هذا القول ، فهو الذي لا يُشكُّ في خطابته وبلاغته .
وقال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس .
وقال في أبي عمرو مكّيُّ بن سَوادة^(٦) :

الجامعُ العلمِ نَساهُ ويحفظه والصادقُ القولِ إن أنداده كذبوا
وكان أبو سفيان بنُ العلاء ناسباً ، وكلاهما كُناهما أسماؤهما . وكذلك أبو عمرو
ابن العلاء بن لبيد ، وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبيّ ، خليفة عيسى
ابن شبيب المازنيّ على شرط البصرة .

(١) فيما عدال : « بالعرب » . (٢) فيما عدال : « بالقراءة » .
(٣) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم السفاح
والمنصور . انظر المعارف ١٦٤ .
(٤) تقرأ تقرأوا ، أى تنسك . وفي ترجمته عند ابن خلكان : « ثم إنه تقرأ ، أى تنسك » .
(٥) ولد أبو عمرو بن العلاء سنة ٧٠ وتوفى سنة أربع أو ست أو سبع أو تسع وخمسين
ومائة . ياقوت وابن خلكان وبغية الوعاة . (٦) سبقت ترجمته في ص ٣ .

وكان عقيلُ بن أبي طالبٍ ناسباً عالمًا بالأممات ، بين اللسان سديدَ
الجواب^(١) ، لا يقوم له أحد .

وكان أبو الجهم بن حذيفة العدوي^(٢) ناسباً شديد العارضة ، كثير الذِّكر
للأممات بالعمّال .

ومن^(٣) رؤساء النّسّابين : دَعْفَل بن حنظلة ، أحد بني عمرو بن شيبان ، لم
يدرك الناس مثله لساناً وعِلماً وحِفْظاً . ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النّمري .
ومن نسّابي كلب : محمّد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ، وشرقيُّ
ابن القطامي . وكان أعلام في العلم ومن ضرب به المثل ، حماد بن بشر .
وقال سِمَاكُ العِكرمي^(٤) :

فسائلٌ دَغفلاً وأخا هلال وحَماداً يُنبُوك اليَقينا^(٥)
وقد ذكرنا دَغفلاً . وأخوه هلال هو زيد بن الكيس . وبنو هلالٍ حتى
من النمر بن قاسط .

وقال مسكين بن أنيف الدارمي^(٦) في ذلك :
وعند الكيس النّمريّ علمٌ ولو أُمسى بمُخرَق الشمالِ
وقال ثابتٌ قطنه :

* فما العِضّان لو سُئِلَا جميعاً أخو بكرٍ وزيدُ بني هلالٍ^(٧)

١٩٢

(١) في جميع النسخ : « شديد الجواب » وإنما هو من السداد والإصابة .
(٢) أبو الجهم ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٢ .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب والتميمورية ، وزيدت في ب .
(٤) ب : « العكلى » مع أثر تصحيح . ب والتميمورية : « العكرى » .
(٥) ل : « وأبا هلال » تحريف . يقال فلان أخو القوم ، أى هو منهم .
(٦) مسكين ، لقب له ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس
ابن زيد بن عبد الله بن دارم . شاعر شجاع من أهل العراق ، كان معاصراً للفرزدق . الخزائن
(١ : ٤٦٧) والأغاني (١٨ : ٦٨ - ٧٢) .

(٧) العض ، بالكسر : الداهية من الرجال ؛ ومنه قول القطامي :
أحاديث من أنباء عاد وجرهم يثورها العِضّان زيد ودغفل

ولا الكلبي حماد بن بشر^(١) ولا من فاد في الزمن الخوالي^(٢)
وقال زياد الأعجم :

بل لو سألت أخا ربيعة دغفلا لوجدت في شيبان نسبة دغفل
إن الأحابن والذين يلوّنهم شرّ الأنام ونسل عبد أغرل^(٣)
يهجو فيها بني الحبناء .

ومنهم : أبو إياس النصرى^(٤) . وكان أنسب الناس ، وهو الذي قال : كانوا
يقولون : أشعر العرب أبو دؤاد الإيادي ، وعدى بن زيد العبادي .
وكان أبو نوفل بن أبي عقرب^(٥) ، علامة ناسبا خطيبا فصيحاً ، وهو رجل
من كنانة ، أحد بني عريج^(٦) .

ومن بني كنانة ثم من بني ليث ، ثم من بني الشدّاخ^(٧) : يزيد بن بكر
ابن داب . وكان يزيد عالماً ناسباً ، وراوية شاعراً . وهو القائل :
الله يعلم في عليّ علمه وكذاك علم الله في عثمان

(١) فاد يفيد فيدا : هلك .

(٢) الأحابن أراد بهم بني الحبناء . والأغرل : الألف . فيماعدال : «عبدالأغرل» تحريف .

(٣) فيماعدال : «إياس النصرى» .

١٥

(٤) ذكره الجاحظ في الحيوان (٥ : ٢١٩) بلفظ « ابن أبي عقرب الليثي » . كما
ذكره ابن قتيبة في المعارف ٣١ بنسبة « العريجي » . وفي تهذيب التهذيب : « أبو نوفل بن
أبي عقرب البكري الكندي العريجي ، قيل اسمه مسلم بن أبي عقرب ، وقيل عمرو بن مسلم بن
أبي عقرب ، وقيل معاوية بن أبي عقرب . روى عن أبيه أو جده أبي عقرب ، وعائشة وأسماء
بنتي أبي بكر الصديق ، وعمرو بن العاص والعبادلة الأربعة . . . وسماه شعبة معاوية بن عمرو
قال : كنت آتية أنا وأبو عمرو بن العلاء فأسأله عن الفقه ويسأله أبو عمرو عن العربية » .
وانظر الإصابة ٧٦٦ من باب الكنى .

(٥) في المعارف ٣١ : « ومنهم بنو عريج ، وهم قليل ، وأبو نوفل بن أبي عقرب

العريجي منهم » .

(٦) الشداخ ، بتسليث الشين وتشديد الدال ، من ليث بن كنانة ، واسمه يعمر بن عوف
ابن كعب . قالوا : سمي بذلك لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم فقال :
« شدخت الدماء تحت قدمي » . انظر الاشتقاق ١٠٦ والقاموس واللسان (شدخ) .

٢٥

وولدَ يزيدُ يحيى وعيسى . فعيسى هو الذى يُعرفُ فى العامة بابن دابٍ ،
وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راويةً ، وكان صاحبَ رسائلَ
وخطبٍ ، وكان يُجيدُهما جيداً^(١) .

ومن آل دابٍ : حذيفة ابن دابٍ ، وكان عالماً ناسباً . وفى آل دابٍ علمٌ
بالنسب والخبر .

وكان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ، خطيباً
عالماً ، وكان قد جمع شِدَّةَ العقل وصواب الرأى وجودة اللسان ، وقول الشعرِ
والظرف . وهو يُعدُّ فى هذه الأصناف ، وفى الشيعة ، وفى العُرُجان ، وفى المقاليج .
وعلى كلِّ شىء من هذا شاهدٌ سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال الخُصُّ لابنته هند : أريد شراءً فحلٍ لإبلى . قالت : « إن اشتريته فاشتره
أسبح الخدين ، غائر العينين ، أرقب ، أحزم أعكى ، أكوم . إن عُصَى
غشم ، وإن أطيع تجرثم » .

وهى التى قالت لما قيل لها : * ما حملك على أن زنتِ بعبدك ؟ قالت : ٣
« طول السواد ، وقرب الوساد » .

٢٠ السواد : السُّرار . أسبح : سهلٌ واسع . يقال : « ملكت فأسبح » .
أرقب : غليظ الرقبة . أحزم : متنفخُ المخزم . أعكى : العُكوة مغرز الوركين
فى المؤخر ، تصفه بشِدَّة الوركين . إن عُصَى غشم : إن عصته الناقة غصبها
نفسها . تجرثم : أى بقى ، مأخوذٌ من الجرثومة ، وهى الطين والترابُ يجمع

(١) وكان عيسى يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ،
وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الحمصى .
تاريخ بغداد ٨٤٥ ، ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) .

حول النخلة ، ليقوّيها . تصفه بالصَّبْر والقوَّة على الضَّرَاب . أَكْوَم : عظيم السنام .
وقال الشاعر^(١) :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادُهَا
يقال : فى لسانه حُكْلَة ، إذا كان شديد الحُبْسَة مع لَثَغ .

قالوا : وعاتب هشامُ بن عبد الملك زيدَ بن على ، فقال له : بلغنى عنك
شئ . قال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفت لى أصدِّقك ؟
قال : نعم ، إن الله لم يرفع أحداً فوقَ ألا يَرْضَى به ، ولم يضع أحداً دون
ألا يَرْضَى منه به^(٢) .

وكان زياد بن ظبيان التيمى العاشى خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله^(٣)
وهو يَكِيدُ بنفسه ، فقال له : ألا أوصى بك الأمير^(٤) . قال : لا . قال : ولم ؟
قال : إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت فالحى هو الميت .

وكان عبيد الله أفتك الناس ، وأخطب الناس . وهو الذى أتى باب مالك
ابن مسمع^(٥) ومعه نارٌ ، ليحرق عليه داره ، وقد كان نابه أمرٌ فلم يرسل إليه
قبل الناس ؛ فأشرف عليه مالك فتمال : مهلاً يا أبا مطر ، فوالله إن فى كنانتى

(١) هو العمانى الراجز ، كما فى الحيوان (٤ : ٢٣) . وعبارة الإنشاد والبيت وشرحه
ساقطة من ل .

(٢) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٣١٠ .

(٣) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاتكاً من الشجعان ، وكان مقرباً من عبد الملك بن
مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك . الطبرى (٧ : ١٨٦) .
وذكره النويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) هو وعبيد الله بن زياد بن أبيه . وقال :
« وخبرهما يشبه مسائل الدور ؛ فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله الخمار ، والمختار قتله مصعب ،
ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان » .

(٤) فيما عدل : « الأمير زيادا » وكلمة « زيادا » مقحمة . والخبر فى الحيوان (٢ : ٢) :

٩٥ - ٩٦) وحيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٥) مالك بن مسمع بن شيبان ، من بكر بن وائل . قال رجل لعبد الملك : لو غضب
مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السودد .
وهلك فى أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . المعارف ١٨٤ والإصابة ٨٣٥٣ والحيوان
(١ : ٢٧٠) .

سَهْمٌ أَنَا بِهِ أُوثِقُ مِنْ بَكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتُعَذِّتُنِي فِي كِنَانَتِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ قُمْتُ فِيهَا لَطَلْتُهَا ، وَلَوْ قَعَدْتُ فِيهَا لَخَرَقْتُهَا . قَالَ مَالِكٌ : مَهْلًا ، أَكْثَرَ اللَّهِ فِي الْعَشِيرَةِ مِثْلَكَ ! قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ شَطَطًا !

وَدَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، بَعْدَ أَنْ أَتَاهُ بِرَأْسِ مَصْعَبِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ وَجْهِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْعُدَ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا بَالُ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُشَبِّهُ أَبَاكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنَا أَشَبَّهُ بِأَبِي مِنَ اللَّيْلِ بِاللَّيْلِ ، وَالْغَرَابِ بِالْغَرَابِ ، وَالْمَاءِ بِالْمَاءِ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَنْ لَا يُشَبِّهُ أَبَاهُ . قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : مَنْ لَمْ يُولَدْ لِتَمَامٍ ، وَلَمْ تُنْضِجْهُ الْأَرْحَامُ ، وَمَنْ لَمْ يُشَبِّهِ الْأَخْوََالَ وَالْأَعْمَامَ . قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : ابْنُ عُمَى سُوَيْدِ بْنِ مَنَجُوفٍ^(١) . قَالَ عَبْدِ الْمَلِكِ : أَوْ كَذَلِكَ أَنْتَ يَا سُوَيْدُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ سُوَيْدٌ فَقَالَ : وَرَيْتَ بَكَ زَنَادِي^(٢) ! وَاللَّهِ مَا يَسْرُتُنِي أَنَّكَ كُنْتَ نَقَصْتَهُ حَرْفًا وَاحِدًا مِمَّا قُلْتَ لَهُ وَأَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ^(٣) . قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ مَا يَسْرُتُنِي بِحَمَلِكَ الْيَوْمَ عَنِّي سُودُ النَّعَمِ^(٤) .

١٩٤

قَالَ : وَأَتَى عُبَيْدُ اللَّهِ ، عَتَابَ بْنَ وَرْقَاءَ ، وَعَتَابُ عَلَى أَصْبَهَانَ ، فَأَعْطَاهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنْتَ فَأَحْمَدُكَ ، وَلَا أَسَاءْتَ فَأَذَمَّكَ ، وَإِنَّكَ لَأَقْرَبُ الْبَعْدَاءِ ، وَأَبْعَدُ الْقُرَبَاءِ .

قَالَ : وَقَالَ أَشِيمُ بْنُ شَقِيقٍ بْنُ ثَوْرٍ ، لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادِ بْنِ ظَيْبَانَ : مَا أَنْتَ قَائِلٌ لِرَبِّكَ وَقَدْ حَمَلْتَ رَأْسَ مَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؟ قَالَ :

(١) سُوَيْدُ بْنُ مَنَجُوفٍ بْنُ ثَوْرٍ السُّدُوسِيُّ كَانَ زَعِيمَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ بِالْبَصْرَةِ ، وَوَاحِدًا مِنْ هِجَاهِمِ الْأَخْطَلِ . الْحَيَوَانُ (٥ : ١٦٢) وَالْإِسْتِثْقَاقُ ٢١٢ وَالْأَغَانِي (٧ : ١٧٤) .
(٢) فِي اللِّسَانِ : « وَتَقُولُ لِمَنْ أَنْجَدَكَ وَأَعَانَكَ : وَرَتَّ بَكَ زَنَادِي » . وَيُقَالُ وَرَيْتَ أَيْضًا . وَالزَّنَادُ : جَمْعُ زَنْدٍ ، وَهُوَ مَا تَوَرَّى بِهِ النَّارُ .
(٣) الْعَرَبُ تَقُولُ : خَيْرُ الْإِبِلِ حُمْرُهَا وَصَبْغُهَا .
(٤) انْظُرْ لِقُوَّةِ السُّودِ مِنَ الْحَيَوَانِ كِتَابُ الْحَيَوَانِ (١ : ٢٦٢ / ٢ : ٧٩) .

اسكت ، فأنت يوم القيامة أخطبُ من صعصعة بن صُوحان إذا تكلمت الخوارج .

فما ظنك ببلاغة رجلٍ عبيدُ الله بن زيادٍ يضرب به المثل !

وإنما أردنا بهذا الحديث خاصة ، الدلالة على تقديم صعصعة بن صُوحان في الخطب . وأدله^(١) من كلِّ دلالة استنطاق علي بن أبي طالب رضي الله عنه له^(٢) .

وكان عثمان بن عروة^(٣) أخطب الناس ، وهو الذي قال : « الشكر وإن قلَّ ، ثمنٌ لكلِّ نوالٍ وإن جَلَّ » .

وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير ، من أئيين الناس ، ولم يكن خطيباً .
وكان قسامة بن زهير^(٤) أحد بني رزام بن مازن^(٥) ، مع نسكه وزُهده ومنطقه ، من أئيين الناس ، وكان يُعدّل بعامر بن عبد قيس^(٦) في زهده ومنطقه . وهو الذي قال : رَوَّحُوا هذه القلوب تبع الذِّكر . وهو الذي قال :
« يا معشر الناس ، إن كلامكم أكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفسكر » . وهو الذي كان رسولَ عمرَ في البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبي بكر^(٧) .

١٥

(١) فيما عدل ، ٥ : « وأولى » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٠٢ .

(٣) هو عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان من خطباء الناس وعلماهم ، ومن وجوه قریش وساداتهم ، وأمه عمة عبد الملك بن مروان . توفي سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٤٥ .

٢٠

(٥) في هامش ل : « خ : دارم بن مالك » . وقسامة مازني .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٨٣ .

(٧) أبو بكر ، هو نفع بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، ذلك أنه لما طال حصار الطائف قال رسول الله : « أيما عبد تدلى إلى فهو حر » فاشتهر بأبي بكر . الإصاية ٧٨٩٤ وابن خلكان في ترجمة (يزيد بن ربيعة) . والمغيرة ، هو الصحابي الجليل المغيرة بن شعبه . وكان قد اتهم بامرأة من بني هلال يقال لها أم جميل ، فشهد عليه أبو بكر ، وشبل بن معبد ، ونافع بن كلفة وزباد . انظر تاريخ الطبري (٤ : ٢٠٦ - ٢٠٨) في حوادث سنة ١٧ .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعا ، وجيّدَ
الرأْيِ كثيرَ الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطبّ والكيمياء .
ومن خطباء قريش : خالد بن سلمة المخزومي^(١) وهو ذو الشّفة . وقال
الشاعر في ذلك :

٥ . فما كان قائلهم دَغْلٌ ولا الحَيَقُطانُ ولا ذو الشّفة

ومن خطباء العرب عطارِد بن حاجب بن زُرارة ، وهو كان الخطيبَ عند
النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه الفرزدق بن غالب :

١٥

ومِنّا خطيب لا يُعابُ وحاملٌ أَغرٌ إذا التفت عليه الجامع^(٢)

ومن الخطباء : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود^(٣) ، وكان مع ذلك
راويةً ناسبا شاعراً ، ولما رجع عن قول المرجئة^(٤) إلى قول الشيعة قال :

١٠

وأول ما نفارق غير شكٍ نَفارق ما يقول المرجئونا^(٥)

وقالوا مؤمنٌ من أهل جورٍ وليس المؤمنون بحائرِينا^(٦)

(١) خالد بن سلمة المخزومي ، وكان يسمى ذا الفرس ، وذا الشّفة . قتل مع يزيد بن
عمر بن هبيرة سنة ١٣٢ . انظر الحيوان (٧ : ٧١) .

(٢) الحامل : الذي يحمل عن القوم الحملّة ، وهي الدية والغرامة . يعني الفرزدق به أباه
غالب بن صعصعة . وفيه يقول :

١٥

دعوا غالبا عند الحملّة والقرى وأين ابنه الشافي تميما نقائمه
وكان الفرزدق نفسه حالا ، قال جرير في رثائه له (ديوانه ٥٣٥) :

رزئنا بحال الديات ابن غالب وحامي تميم عرضها والبراجم
(٣) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد ، وعتبة
هذا ، هو أخو عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة رحل
إليه عون ، وعمر بن ذر ، وموسى بن أبي كثير . فناظروه في الإرجاء ، فزعموا أنه وافقهم .
توفي بين ١١٠ - ١٢٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٥٥) والمعارف ١١٠ .

٢٠

(٤) المرجئة : طائفة ترجى العمل عن الإيمان : أي تؤخره ، وترى أن الإيمان لا يضر
معه معصية . انظر الملل (١ : ١٨٦) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٣١ والفرق بين الفرق
١٩٠ وطبقات ابن سعد (٧ : ٢١٤) .

٢٥

(٥) في التهذيب حيث روى هذا البيت وحده : « لأول ما نفارق » .

(٦) « من آل جور » . وفي المعارف حيث روى الأبيات الثلاثة : « المؤمنون يحاربوننا » .

وقالوا مؤمن دمه حلال^١ وقد حرمت دماء المؤمنين

وكان حين هرب إلى محمد بن مروان^(١) في قل^(٢) ابن الأشعث^(٣) ألزمه

ابنه يؤدبه ويقومه ، فقال له يوماً : كيف ترى ابن أخيك ؟ قال : « ألزمتني

رجلاً إن غبت عنه عتب ، وإن أتيت حجب ، وإن عاتبته غضب » . ثم لزم

عمر بن عبد العزيز ، وكان ذا منزلة منه . قالوا : وله يقول جرير :

يأيها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك إنني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية أني لدى الباب كالمصفود في قرن^(٤)

وقد رآك وفود الخافقين معاً ومذ وليت أمور الناس لم ترني^(٥)

وكان الجارود بن أبي سبرة^(١) ويكنى أبا نوفل ، من أئمة الناس وأحسنهم

(١) هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان أشد بني مروان ، وهو قتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق ، بين الشام والكوفة ، وكان على الجزيرة . وابنه مروان بن محمد آخر من ولي الخلافة من بني أمية . المعارف ١٥٥ .

(٢) الفل : بقية الجيش المهزم . ل : « قتل » والتمورية : « فك » ، والصواب ما أثبت من ه ، ب مع أثر تصحيح في الأخيرة .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج من سجستان إلى العراق سنة ٨١ . ولما دخل البصرة في تلك السنة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائها وكهولها ، وكان بينه وبين الحجاج وقعت منها الأهواز ، والزاوية ، ودير الجاجم ، ومسكن ، ودجيل . وقد قتل عبد الرحمن نفسه ، بأن ألقى بها من فوق قصر . الطبري (٨ : ٢ - ٤٢) والمعارف ١٥٦ .

(٤) المصفود : المشدود بالصفا ، وهو ما يوثق به الأسير من قيد وغل . فيما عدل : « كالمشدود » ، وما أثبت من ل يطابق رواية الديوان ٥٨٨ . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . وفي اللسان (قرن) :

أبلغ أبا مسمع إن كنت لاقية أني لدى الباب كالمشدود في قرن

(٥) الخافقان : الشرق والغرب . وبدله في الديوان :

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

(٦) هو الجارود بن أبي سبرة سالم بن سلمة الهذلي البصري ، روى عن أبي ، وطلحة بن عبيد الله ، وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البناني . توفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

حديثاً ، وكان راويةً علامةً ، شاعراً مُفلقاً ، وكان من رجال الشيعة .
ولما استنطقه الحجاجُ قال : ما ظننتُ أن بالعراق مثلَ هذا . وكان يقول :
ما أمكنني وال قطُّ من إذنه إلا غلبتُ عليه ، ما خلا هذا اليهوديَّ — يعني
بلالَ بن أبي بردة^(١) — وكان عليه متحاملاً ، فلما بلغه أنه دهقَ حتى دُقَّت
ساقه^(٢) ، وجُعِلَ الوترُ في خُصِيَّته ، أنشأ يقول :

* لقد قرَّ عيني أن ساقيه دُقَّتَا وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى ١٩٦
بَحِلَّتْ وراجعتَ الخيانةَ والحنا فَيَسَّرَكَ اللهُ المقدَّسُ للعُسرَى
فما جَذَعُ سَوْءِ خَرَّبِ الشُّوسِ جوفَه يُعَالِجُه النَّجَّارُ يُبْرِى كَمَا تُبْرِى
وإنما ذكر الخُصية اليسرى لأنَّ العامة تقول : إن الولد منها يكون^(٣) .

* * *

ومن الخطباء الذين لا يُضاهون ولا يُجَارون : عبد الله بن عباس . قالوا :
خطبنا بمكة ، وعثمانُ محاصرٌ ، خُطبةً لو شَهِدَتْهَا التُّرْكُ والدَّيْلَمُ لَأَسْلَمَتَا .
قال : وذكره حسانُ بن ثابت فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطاتٍ لا ترى بينها فضلاً
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدعْ لدى إربةٍ في القولِ جدًّا ولا هزلاً
سموتَ إلى العليا بغير مَشَقَّة فملت ذراها لا دَنِياً ولا وَغلاً

(١) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، واسم أبي بردة عامر ، واسم أبي موسى عبد الله . كان بلال أمير البصرة وقاضياً ، روى ابن الأنباري أنه مات في حبس يوسف ابن عمر ، وأنه قتله دهاؤه ، قال للسجّان : أهلك يوسف أتى قدمت ولك ما يغنيك ، فأعلمه فقال : أرنه ميتاً ، فجاء السجّان فألقى عليه شيئاً غمه حتى مات . توفي سنة ثيف وعشرين ومائة .
تهذيب التهذيب والمعارف ١٧٤ .

(٢) الدهق ، بالتحريك : غشبتان يغمز بهما الساق ، وهي ضرب من العذاب ، يقال له بالفارسية « اشكنجه » . اللسان ومعجم استينجاس ٦٦ .

(٣) أنظر الحيوان (١ : ١٢٣) .

وقال الحسن : كان عبدُ الله بنُ عباسٍ أوَّلَ من عَرَّفَ^(١) بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ، ففسَّرهما حرفاً حرفاً ؛ وكان والله مثجاً يسيل غَرَباً^(٢) ، وكان يسمَّى البحرَ وحبرَ قريش . وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وقال عمر : « غصَّ غَوَاصُ » . ونظر إليه يتكلم فقال :

* شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ *

الشعر لأبي أخزم الطائي ، وهو جد أبي حاتم طيٍّ أوجد جدّه ، وكان له ابنٌ يقال له أخزم ، فمات وترك بنين فتوثبوا يوماً على جدِّهم أبي أخزم فأدموه ، فقال :

١٠ إِنَّ بَنِيَّ رَمَلُونِي بِالْدِّمِ^(٣) شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ
أى إنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه . وأحسبه كان به عاقاً . هكذا ذكر ابن السكبي . والشِنْشِنَةُ مثل الطبيعة والسجّية .
فأراد عمرُ رحمه الله إنِّي أعرف فيك مَشاوَهَ من أبيك ، في رأيه وعقله .
ويقال إنّه لم يكن لقرشيٍّ مثلُ رأى العباس .

١٥ ومن خطباء بني هاشم أيضاً : داود بن علي^(٤) ، ويكنى أبا سليمان ، وكان أنطقَ الناسِ وأجودَهم ارتجالاً واقتضاباً للقول ، ويقال إنّه لم يتقدّم في تمخير خطبة قطُّ . وله كلامٌ كثير معروف محفوظ ، فمن ذلك خطبته على أهل مكة :

(١) كذا ضبطت هذه الكلمة في ل ، ه ، ب . والتعريف هنا بمعنى التعليم .

(٢) سبق الخبر في ص ٨٥ .

(٣) رمله بالدم : لطحه وخرجه . ح والتمورية : « زملوني » تحريف . انظر اللسان (رمل ٣١٤) . وأشير في هامش ه إلى رواية « خرجوني » عن نسخة . وفي أمثال الميداني : « خرجوني » قال : « ويروى زملوني » وهو مثل خرجوني . وهذه الرواية الأخيرة هي رواية العقفة والبررة لأبي عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٨) حيث نسب إلى عقيل ابن علفة .

(٤) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس . قال ابن قتيبة في المعارف ١٦٣ عند ذكر عمومة أبي العباس السفاح : فأما داود فكان خطيباً جليلاً ، يكنى أبا سليمان ، وولى مكة والمدينة لأبي العباس ، وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر . ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله عقب .

« شكرًا شكرًا . أمّا والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهراً ، ولا لبنى فيكم قصرًا^(١) . أَظَنَّ عدوّ الله أن لن نظفر به أن أرخي له في زِمَامِهِ ، حتى عثر في فضل خِطَامِهِ . فالآن عاد الأمر في نِصَابِهِ ، وطلعت الشمس من مطلعها ، والآن أخذَ القوسَ باريها ، وعادت النبلُ إلى النَّزْعَةِ^(٢) ، ورجع الحقُّ^(٣) إلى مستقرّه ، في أهل بيت نبيّكم : أهل بيت الرَّأْفَةِ والرحمة . »

ومن خطباء بنى هاشم : عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد^(٤) :

« أَيْ بُنَيَّ ، إني مؤدّ إليك حقّ الله في تأديبك ، فأدّ إلى حقّ الله في حسن الاستماع . أَيْ بُنَيَّ ، كُفَّ الأذَى ، وارفض البَدَأَ ، واستعِنْ على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول ؛ فإنّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصّواب . واحذرْ مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، يوشك أن يُورِطَأك بمشورتهما ، فيسبقَ إليك مَكْرُ العاقل ، وغرارة الجاهل . »

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل سهل بن هارون ، فدخل عليه سهل يوماً والناسُ عنده على منازلهم ، فتكلّم المأمون بكلامٍ فذهب فيه كلّ مذهب ، فلمّا فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال : « ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون^(٥) ، وتنظرون ولا تبصرون . والله إنّه ليفعل ويقول في اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان

(١) ل : « ولا لبنى قصرًا » .

(٢) كلمة « والآن » في ل فقط . النزعة : الرماة ، واحدهم نازع .

(٣) هـ : « ورجع الأمر » . (٤) انظر ما سيأتي في (٢ : ١٧٤) .

(٥) بعدها فيما عدل : « وتفقهون ولا تعجبون » وأراها مقحمة .

وقالوا في الدهر الطويل . عَرَّبُكُمْ كعجمهم ، وعجمُكُمْ كعبيدهم^(١) ، ولكن كيف يعرف الدواء مَنْ لا يشعر بالداء .

قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرَّأْيِ الأوَّل .

ومن خطباء بني هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان^(٢) : سليمان بن جعفر والي مَكَّة . قال المكيّ : سمعتُ مشايخنا من أهل مَكَّة يقولون : إنَّه لم يَرِدْ عليهم أميرٌ منذُ عقلوا الكلام إلاَّ وسليانُ أبينُ منه قاعداً ، وأخطبُ منه قائماً .
١ وكان داودُ بن جعفرٍ إذا خطبَ اسحنفَرَ فلم يردَّه شيءٌ^(٣) ، وكان في لسانه شبهةٌ بالرُّتَّةِ^(٤) .

وكان أيُّوبُ^(٥) فوقَ داودَ^(٦) في الكلام والبيان ، ولم تكن له مقاماتُ داودَ في الخطب .

١٠

وقال إسحاق بن عيسى^(٧) لداودَ بن جعفر : بلغني أنَّ معاوية قال للنخَّار ابن أوس : ابغني محدثاً^(٨) ؟ قال : ومعى يا أمير المؤمنين تريد محدثاً ؟ قال : نعم ، أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتك في حالٍ من الحالات أوفقَ لي من كلامك .

١٥ (١) ل : « عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم » .

(٢) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله . انظر ٣٢١ .

(٣) اسحنفر الخطيب : اتسع في كلامه ومضى .

(٤) الرتة ، كقوة : العجمة والحكمة في الكلام .

(٥) هو أيوب بن جعفر ، سبقت ترجمته في ٩١ ، ١٠٦ .

(٦) ل : « قرين داود » لعلها « فوق داود » .

٢٠

(٧) إسحاق بن عيسى بن أبي جعفر المنصور . وقد سبق في ٣٠٢ . فيما عدا ل :

« عيسى ابن إسحاق » تحريف .

(٨) يقال ابغني « همزة الوصول من الثلاثي ، أي اطلبه لي ، ومثله ابغ لي . ويقال

أيضاً « أبغني » بالقطع من الرباعي ، أي أعني على بغائه واطلبه معي .

وكان إسماعيل بن جعفر ، من أرق^(١) الناس لساناً وأحسنهم بيانا .
ومن خطباء بني هاشم : جعفر بن حسن بن الحسن بن علي ، وكان أحد من
ينازع زيدا في الوصية ، فكان الناس يجتمعون لسمعوا مجاوباتهما فقط .
وجماعة من ولد العباس في عصر واحد ، لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي
وفي الكمال والجلالة ، وفي العلم بقریش والدولة ، وبرجال الدعوة ، مع البيان
العجيب ، والغور البعيد ، والنفوس الشريفة ، والأقدار الرفيعة ؛ وكانوا فوق
الخطباء ، وفوق أصحاب الأخبار ؛ وكانوا يجلبون عن هذه الأسماء إلا أن يصف
الواصف بعضهم ببعض ذلك .

منهم عبد الملك بن صالح^(٢) . قال : وسأله الرشيد وسليمان بن أبي جعفر
وعيسى بن جعفر شاهدان ، فقال له : كيف رأيت أرض كذا وكذا ؟ قال :
« مسافى ريح ، ومنابت شيخ » . قال : فأرض كذا وكذا . قال : « هضاب
حمر ، وبراث عفر » . قال : حتى أتى على جميع ما أراد . قال : فقال عيسى
لسليمان : والله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالدُّون من الكلام .
الهضبة : الجبل ؛ ينبسط على الأرض ، وجمعها هَضَبٌ^(٣) . والبراث :
الأماكن اللينة السهلة ، واحدها برث . وقوله عفر ، أى حمرتها كحمره التراب .
والظبي الأعفر : الأحمر ؛ لأن حمرته كذلك : والعفر والعفر التراب ؛ ومنه قيل :
ضربه حتى عفره ، أى ألحقه بالتراب .

(١) فيما عدال ، هـ : « أدق » بالدال .

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولي الموصل للهادي سنة

١٦٧ وعزله الرشيد ١٧١ ثم ولاء المدينة وبلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ .

ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ فأقام بالرقعة إلى أن توفي سنة

١٩٦ . فوات الوفيات (٢ : ١٢) وتاريخ الطبري في السنوات المذكورة .

(٣) فيما عدال : « هضاب » ، وكلاهما جمع هضبة .

ومن هؤلاء : عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر . هؤلاء كانوا أعلم بقریش وبالدولة ورجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

١٩٠ وكان إبراهيم بن السّندی^(١) يحدثني عن هؤلاء بشيء هو خلاف ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي . وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور^(٢) .

وكان عبد الله بن علي ، وداود بن علي يعدلان بأمة من الأمم .

ومن مواليتهم : إبراهيم ونصر ابنا السّندی .

فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم بن عدي .

وأما إبراهيم فإنه كان رجلاً لا نظيره : كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان نحوياً عروضياً ، وحافظاً للحديث ، راويةً للشعر شاعراً ، وكان فخم الألفاظ شريف المعاني ، وكان كاتب القلم كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة^(٣) ، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فروخ الأعور^(٤) ، وكان منجماً طيباً ، وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة ورجال الدعوة ؛ وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً وأصبرهم على السهر .

(١) سبقت ترجمته في ص ١٤١ .

(٢) زور الكلام : قومه وأتقنه قبل أن يتكلم به .

(٣) ل : « بلسان رؤبه » .

(٤) زاذان فروخ ، كان دهقاناً من الدهاقين القائمين على أمر الخراج في أيام عبيد الله بن زياد حين ولايته البصرة . انظر الطبري (٧ : ٢٩) . ويبدو أنه امتد به الأمر في ذلك إلى زمان الحجاج . الطبري (٧ : ٢٧١) ، وانظر كذلك (٦ : ٧٦) .

ومن خطباء تميم : جَحْدَب^(١) . وكان خطيباً راوية ، وكان قضى على جرير في بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبِّحَ إِلَاهُ وَلَا يَقْبَحُ غَيْرَهُ بَظْرًا تَفَلَّقَ عَنْ مَفَارِقِ جَحْدَبِ
وهو الذي كان لقيه خالد بن سلمة المخزومي الخطيب الناسب ، فقال : والله ما أنت
من حنظلة الأكرمين ، ولا سعد الأكثرين ، ولا عمرو الأشدّين ، وما في تميم
خيرٌ بعد هؤلاء . فقال له جحدب : والله إنك لمن قريش ، وما أنت من بيتها
ولا نبوتها ، ولا من شوراها وخلافتها ، ولا من أهل ساداتها وسقايتها .
وهو شبّه بما قال خالد بن صفوان ، للعبدري^(٢) ؛ فإنه قال له : « هَشَمْتُكَ
هاشم ، وأَمَمْتُكَ أُمَيَّة ، وخزَمْتُكَ مخزوم ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها ،
تفتح لها الأبواب إذا أقبلت ، وتعلقها إذا أدبرت » . ١٠

* * *

ومن ولد المنذر : عبدُ الله بن شبرمة بن طفيل^(٣) بن هُبيرة بن المنذر . وكان
فقيهاً عالماً قاضياً ، وكان راوية شاعراً ، وكان خطيباً ناسباً ، وكان لاجتماع
هذه الخصال فيه يُشَبَّه بعامر الشعبي ، وكان يُكنى أبا شبرمة . وقال يحيى بن
نوفل^(٤) فيه : ١٥

(١) جحدب ، ذكره ابن دريد في الاشتقاق ١١٥ . وقال : « وكان لجدب بالكوفة
قدر » ، وذكر أنه كان شاعراً ، هو والتم السرندي ، وعلقة ، كانوا يجتمعون على هجاء
جرير ، فهجأهم هو جميعاً بقوله :

عَضُ السَّرْنَدِيُّ عَلَى تَمْلِيلِ نَاجِدِهِ مِنْ أُمِّ عِلْقَةٍ بَظْرًا نَعْمَ الشَّعْرُ
وَعَضُ عِلْقَةٍ لَا يَأْلُو يَمْرَعَةَ مِنْ بَظْرِ أُمِّ السَّرْنَدِيِّ وَهُوَ مُنْتَصِرُ

٢٠

(٢) المدري : رجل منسوب إلى عبد الدار بن قصي .

(٣) تقدمت ترجمته في ٩٨ . وفي نسبة خلاف .

(٤) يحيى بن نوفل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة
من الحيوان والبيان .

لما سألتُ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرُمَةُ وَالْعِزُّ وَالْجُرْثُومَةُ الْمُقَدَّمَةُ^(١)
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْحَكَمَةُ^(٢) تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شُبْرَمَةَ
وَابْنِ شُبْرَمَةَ الَّذِي يَقُولُ فِي ابْنِ أَبِي لَيْلَى^(٣) :

وَكَيْفَ تُرَجَّى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ وَلَمْ تُصَبِّ الْحُكْمُ فِي نَفْسِكَ^(٤)
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لابْنُ الْجَلَّاحِ وَهِيَهَاتَ دَعْوَاكَ مِنْ أَصْلِكَ^(٥) .
قال : وقال رجلٌ من فقهاء المدينة : مِنْ عِنْدَنَا خَرَجَ الْعِلْمُ . قال : فقال ابنُ شُبْرَمَةَ :
نَعَمْ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكُمْ .

قال : وقال عيسى بن موسى^(٦) : دُلُّونِي عَلَى رَجُلٍ أَوَّلِيهِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا .
فقال ابنُ شُبْرَمَةَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَلْ لَكَ فِي رَجُلٍ إِنْ دَعَوْتُمُوهُ أَجَابَكُمْ ، وَإِنْ
تَرَكَتُمُوهُ لَمْ يَأْتِكُمْ ؛ لَيْسَ بِالْمُأَمِّحِ طَلِبًا ، وَلَا بِالْمُتَمَعِّنِ هَرَبًا^(٧) ؟
وَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ ، فَقَالَ : إِنْ لَهُ شَرَفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا^(٨) . فَنظَرُوا فَإِذَا هُوَ
سَاقِطٌ مِنَ السُّفْلَةِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا كَذَبْتُ ، شَرَفَهُ أَذْنَاهُ ، وَقَدَمُهُ
الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا ، وَلَا بَدٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَيْتٌ يَأْوِي إِلَيْهِ .

-
- (١) الجرثومة : الأصل . والرجز في الحيوان (٣ : ٤٩٤) بدون نسبة .
(٢) الفاروق : الذي يفرق ويفصل . ب فقط : « فاروق » .
(٣) ابن أبي ليلى ، هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار . ولى محمد
القضاء لبني أمية ثم لبني العباس ، وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى في المعارف ٢١٧ .
(٤) البيتان في المعارف ٢١٦ وفهرست ابن النديم ٢٨٥ .
(٥) ابن الجلاح ، هو أحيحة بن الجلاح . وفي المعارف : « وهو من ولد أحيحة بن
الجلاح ، وكان ابن شبرمة القاصي وغيره يدفعونه عن ذلك » .
(٦) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولادة العباسيين وقوادهم .
وموسى أبوه هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .
(٧) ل : « بالمتنع هربا » ، صوابه في سائر النسخ .
(٨) القدم : التقدم والمنزلة الرفيعة .

قال أبو إسحاق^(١) : قد لعمرى كَذَب^(٢) ، إنما هو كقول القائل حين سألَهُ بعضُ من أراد تزويجَ حُرْمَتِهِ عن رجل ، فقال : « هو يبيع الدَّوابَّ » . فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنابير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبتُ ؛ لأنَّ السَّنور دابةٌ .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ، هذا مثل قول القائل حين سُئِلَ عن رجلٍ في تزويج امرأة فقال : « رزين المجلس ، نافذ الطَّعنة » . فحسبوه سيِّداً فارساً ، فنظروا فوجدوه خَيَّاطاً ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبتُ ؛ إنَّه لطويل الجلوس ، جيّد الطعن بالإبرة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ؛ لأنَّه قد غرَّهم منه .

وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يُسَلِّفه مالاً عظيماً ، فقال : « هو يملك مالاً ما كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف » ، فلما بايعه الرجل وجده مُعَدِّماً ضعيف الخيلة ، فلما قيل له في ذلك قال : ما كذبتُ ؛ لأنَّه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه ويديه^(٣) . حتى عدَّ جميع أعضائه وجوارحه .

ومَن قال له استشير هذا القولَ فقد غرَّه ، وذلك ما لا يحلُّ في دين ، ولا يحسنُ في الحرِّيَّةِ^(٤) . وهذا القول معصيةٌ لله ، والمعصيةُ لا تكون صدقا . وأدنى منازل هذا الخبر أن لا يُسمَّى صدقا ، فأما التسمية له بالكذب فإن فيها كلاماً يطول .

(١) أبو إسحاق ، هو إبراهيم بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ وأحد رهوس المعتزلة ، وإليه تنسب الفرقة النظامية . توفي في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر آراءه في الملل (١ : ١٧) والمواقف ٦٢١ والفرق بين الفرق ١١٣ .

(٢) ما عدال : « بل كذبت » موضع : « قد لعمرى كذب » . لكن في هـ : « بل كذب » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة مما عدال .

(٤) ل : « حرية » . والحرية : مصدر صناعى ، أى كون الإنسان حرا .

ومن الخطباء المشهورين في العوام ، والمقدمين في الخواص : خالد بن صفوان الأهمسي^(١) ، زعموا جميعاً أنه كان عند أبي العباس أمير المؤمنين^(٢) ، وكان من شُمارِه وأهل المنزلة عنده ، فقخر عليه ناسٌ من بلحارث بن كعب ، وأكثروا في القول ، فقال أبو العباس : لِمَ لا تتكلم يا خالد ؟ فقال : أخوال أمير المؤمنين وأهلُه^(٣) . قال : فأنتم أعمامُ أمير المؤمنين وعصبته فقل^(٤) . قال خالد : « وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسِجٍ بُردٍ ، ودابغٍ جلدٍ ، وسائسٍ قردٍ ، وراكبٍ عَرْدٍ^(٥) ؛ دلّ عليهم هُدهدٌ ، وغرقتهم فارة ، ومَلَكْتهم امرأة » . فلئن كان خالدٌ قد فُكّر وتدبّر هذا الكلامَ إنه للراويةُ الحافظ ، والمؤلفُ المُجيد ؛ ولئن كان هذا شيئاً حضره حين حُرِّك وبُسط فما له نظيرٌ في الدنيا .

فتأمل هذا الكلامَ فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيمَ القدر جليلا .
ولو خطب اليمانيُّ بلسان سحبانٍ وائلٍ حَوْلًا كَرِيْتًا^(٦) ، ثمَّ صُكَّتْ بهذه الفقرة ما قامت له قائمة .

وكان أذكرَ الناسِ لأوّل كلامه ، وأحفظهم لكلِّ شيءٍ سَلَف من منطقته .
وقال مكِّي بن سُوادة^(٧) في صفته له .

- ١٥ (١) سبقت ترجمته في ص ٢٤ . ونسبته إلى جده « الأهم » .
(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية ، المتوفى سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة . وفي المعارف ١٧٧ في ترجمة خالد بن صفوان أنه عمر إلى أن حادث أبا العباس . وانظر الحيوان (١٧٠ : ٢) .
(٣) ذلك أن أم السفاح ، واسمها ريطة ، من بني الحارث بن كعب . انظر التنبية والإشراف ٢٩١ . فيما عدل : « وعصبته » ، تحريف ؛ إذ عصبه الرجل بنوه وقرابته لأبيه .
٢٥ (٤) هذه الكلمة ساقطة مما عدل .
(٥) العرد ، بالفتح : الحمار ، ذكره في القاموس ولم يرد في اللسان . والخبر في الحيوان (١٥٢ : ٦) وذكر فيه أن الخليفة هو المهدي . والمهدي هو ابن أبي جعفر المنصور أخى السفاح ، وكنية المهدي « أبو عبد الله » . وما في معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) يطابق ما في البيان . وذكر ياقوت أن اليماني الذي فخر على خالد هو إبراهيم بن محرمة .
٢٥ (٦) حول كريت : تام . (٧) سبقت ترجمته في ص ٣ .

عليهم بتنزيل الكلام ملقن^(١) ذكور لما سدها أول أول^(٢)

يبذ^(٣) قريع القوم في كل تحفل وإن كان سحبان الخطيب ودغلا^(٤)

ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكروان عائن أجدا

الكروان : جمع كروان ، وهو ذكر الحبارى . والأجدل : الصقر .

وكان يقارض شيب بن شيب^(٥) ؛ لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة ،

فذكر شيب مرة عنده فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدو في

العلانية^(٦) » . وهذا^(٧) . كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة . ٢٠٢

وكان خالد^(٨) جميلا ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأته^(٩) : إنك لجميل

يا أبا صفوان . قال : وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه .

فقيل له : ما عمود الجمال ؟ فقال : الطول ، ولست بطويل ؛ ورداؤه البياض ، ١٥

ولست بأبيض ؛ وبرنسه سواد الشعر ، وأنا اشمط ؛ ولكن قولى : إنك

لمليح ظريف .

وخالد يعد في الضلعان ، ولكلام خالد^(١٠) يدور في أيدي الوراقين^(١١) .

وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبي^(١٢) ، عالما ناسبا . ١٥

(١) سدها ، أى تسجها . وفي اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قبل

سدى بينهم » . (٢) يبذ : يغلب ويسبق . والقريع : السيد والرئيس .

(٣) يقارضه : من المقارضة ، وهى التجازى بالخير والشر .

(٤) الخبر في الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) .

(٥) ل ، هـ والتيمورية : « وهاهنا » .

(٦) فيما عدل : « امرأة » .

(٧) للمدائني كتاب في خالد بن صفوان ، ولعبد العزيز الجلودى كتاب في أخبار خالد

ابن صفوان . انظر ابن النديم ١٥١ ، ١٦٧ .

(٨) سبقت ترجمة جده ضرار بن عمرو في ص ٢١ .

ومن خطباء بنى ضَبَّة : حنظلة بن ضرار^(١) ، وقد أدرك الإسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل ، وقيل له : ما بقي منك ؟ قال : « أذكر القديم وأنسى الحديث ، وآرق بالليل ، وأنام وسط القوم » .

- ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم : مشجور بن غيلان بن خرشة^(٢) ، وكان مقدما في المنطق ، وهو الذي كتب إلى الحجاج : « إنهم قد عرَضُوا على الذهب والفضة ، فما ترى أن آخذ ؟ » قال : « أرى أن تأخذ الذهب » . فذهب عنه هاربا ثم قتله بعد . وذكره القلاخ بن حزن المنقري^(٣) فقال :
- أمثالُ مشجورٍ قليلٌ ومِثْلُهُ فتي الصدق إن صفقته كل مصفق^(٤)
وما كنتُ أشريه بدُنْيا عريضة ولا بابنِ خال بين غربٍ ومشرق^(٥)
إذا قال بَدَّ القائلين مقالهُ ويأخذُ من أكفائِهِ بالمخنق^(٦)

* * *

ومن الخطباء الخوارج ، قطري بن الفجاءة^(٦) ، وله خطبة طويلة

- (١) ترجم له ابن حجر في الإصابة ٢٠٠٣ ونقل بعض كلام الجاحظ .
(٢) في القاموس (ثجر) : « ومشجور بن غيلان مهجو جرير » . انظر ديوان جرير ٢٣٢ . وذكره الجاحظ في الحيوان (٣ : ٢١٠) في العلماء بالنسب . وذكره ابن دريد في الاشتقاق ١٢٠ ، كما ذكر أباه غيلان بن خرشة الذي يقول فيه : « كان سيد بني ضبة بالبصرة » .
(٣) في الاشتقاق ١٥٣ : « والقلاخ من القلخ ، وهو أن يردد الفحل صوته في جوفه » . وهو القلاخ بن حزن بن جناب بن جندل بن منقر ، وهو معدود من الرجاز . انظر المؤلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ .
(٤) هو من قولهم : صفقت الريح الشيء وصفقته ، بالتخفيف والتشديد ، إذا قلبته يمينا وشمالا .
(٥) أشريه ، أي أبيعه ، والشراء من الأضداد .
(٦) قطري بن الفجاءة ، واسم الفجاءة جموعة بن مازن المازني . كان قطري زعيما من الخوارج ، خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير . وكانت ولاية مصعب سنة ٦٦ فبث قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش وهو يستظهر عليهم . وقطري ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى بلده ، وهو بين البحرين وعمان . وفيات الأعيان .

مشهورة^(١) ، وكلام كثير محفوظ ، وكانت له كنيستان : كنية في السلم ، وهي أبو محمد ؛ وكنية في الحرب ، وهي أبو نعامة .

وكانت كنية عامر بن الطقيّل في الحرب غير كنيته في السلم : كان يكنى في الحرب بأبي عقيل ، وفي السلم بأبي عليّ .

وكان يزيد بن مزيد^(٢) يكنى في السلم بأبي خالد ، وفي الحرب بأبي الزبير . وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

لولا سيف أبي الزبير وخيله نشر الوليد بسيفه الضحّاكا^(٣)
وفيه يقول :

لولا يزيد وأيام سلفت عاش الوليد مع العاوين أعواما^(٤)
سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر يمضي فيخترق الأجسام والهاما^(٥)
إذا الخلافة عدت كنت أنت لها عزاً وكان بنو العباس حكاما
ألا تراه قد ذكر قتل الوليد !

وقد كان خالد بن يزيد^(٦) اكتنى بها في الحرب ، في بعض أيامه بمصر .

(١) ستأتي خطبته في (٢ : ١٢٦) .

(٢) يزيد بن يزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر الشيباني ، وهو ابن أخي ممن بن زائدة . أمير شجاع ، نذبه هارون لقتال الوليد بن طريف الشيباني الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية حيث كان واليا عليها . توفي سنة ١٨٥ . ابن خلكان .

(٣) الوليد هو الوليد بن طريف الشاري . خرج على الرشيد سنة ١٧٨ وقتله يزيد ابن يزيد سنة ١٧٩ . والضحاك ، هذا ، هو الضحاك بن قيس الشيباني ، أحد زعماء الخوارج الشجعان ، سار إلى العراق واستولى على الكوفة سنة ١٢٧ وبلغ جيشه مائة وعشرين ألفاً وبأيامه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليبا خلفه . انظر ما سيأتي في كلام الجاحظ . وقتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ . الطبري (٩ : ٧٥ - ٧٧) .

(٤) فيما عدال : « ومقدار له سبب » وهي رواية ابن خلكان (٢ : ٢٨٤) . فيما عدال : « مع العاوين » ، ولعل صوابهما « مع العاميين » كما هو عند ابن خلكان ؛ فإن الوليد ظل عامين محارباً ، كما سبق القول .

(٥) فيما عدال : « يخترق الأرواح » .

(٦) يعني خالد بن يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني .

وهذا الباب مستقصى مع غيره في أبواب الكنى والأسماء ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله .

ومن خطباء الخوارج : ابن صُدَيْقَة^(١) ، وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صُدَيْقَة ، وكان صُفْرِيًّا^(٢) ، وكان خطيباً ناسباً ، ويشوب ذلك^(٣) ببعض الظرف والهزل .

ومن علماء الخوارج : شبيل بن عَزْرَة الضُّبَعِي^(٤) ، صاحب الغريب . وكان راويةً خطيباً ، وشاعراً ناسباً ، وكان سبعين سنةً رافضياً ثم انتقل خارجياً صُفْرِيًّا .

ومن علماء الخوارج : الضَّحَّاك بن قيس الشَّيْبَانِي ، ويكنى أبا سَعِيد ، وهو الذي ملكَ العراق ، وسار في خمسين ألفاً ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصلياً خلفه ، وقال شاعرهم^(٥) :

ألم ترَ أنَّ الله أظهر دينه وصلت قريشٌ خلف بكر بن وائل

• • •

(١) كذا ضبط في ل ، ه .

(٢) الصفرية : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيادة أيضاً ، وقولهم كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفهم ونسائهم وهم يرون ذلك . انظر آراءهم في الملل (١ : ١٨٣) والفرق ٧٠ والسماعى ٣٥٤ والمواقف ٦٣٠ ومفاتيح العلوم ١٩ والكامل ٦٠٤ ليسك .

(٣) فيما عدال : « ويشوبه » .

(٤) قال ابن دريد في الاشتقاق ١٩٣ : « شبيل بن عزرة العلامة ، كان فصيحاً عالماً نربفاً ، مات بالبصرة ، وأدرك دولة بني العباس ، وكان يرى رأى الخوارج » . وذكره في الفهرست ٦٨ قال : « من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وهو صاحب قصيدة الغريب ، وكان أولاً رافضياً نحو سبعين ، ثم انتقل إلى السراة وقال : برئت من الروافض في القيامه وفي دار المقامة والسلامه » .

(٥) وشبيل بهيئة التصغير ، وعزرة يفتح العين . انظر تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب .

(٥) هو شبيل بن عزرة الضبعي . الطبري (٩ : ٦٤) . وانظر ما سيأتى في

(٣ : ٢٦٥) .

وكان ابن عطاء الليثي يسامر الرشيد ، وكان صاحب أخبار وأسمار^(١) وعلم بالأنساب ، وكان أظرف الناس وأحلامهم .

وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز^(٢) ، راوية ناسبا ، وعالما بالعربية فصيحاً .

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر^(٣) من أبين الناس وأفصحهم . وكان مسلمة عبد الملك^(٤) يقول : إني لأنحى كور العِمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قريش نعمة وجهارة بعمر بن سعيد^(٥) ، عبد الأعلى ابن عبد الله بن عامر^(٦) .

قال : وقال بعض الأمراء — وأظنه بلال بن أبي بردة — لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة^(٧) : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عنده ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع ، وأطيب حديث^(٨) ، ثم يأتي الطباخ فيمثل بين يديه^(٩) فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي لونٌ كذا وجدى كذا ، ودجاجةٌ كذا ، ومن الحلأ كذا . قال : ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليُقصّر كلُّ رجلٍ عما لا يشتهي ، حتى يأتيه ما يشتهي . ثم يأتون بالخوان فيتضايق وتنتفع ، ويقصّر

(١) أصل السمر الحديث ليلاً ، ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرست (المقالة الثامنة) . وانظر الحيوان (٢١٢ : ٣) .

(٢) سبقت ترجمته والده في ٣١٨ .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، أبو عبد الرحمن البصري . وكان مشهوراً بالحدود . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٢٩٢ .

(٥) مضت ترجمته في ص ٣١٤ . (٦) هذه الفقرة من ل ، ه فقط .

(٧) ترجم في ص ٣٢٩ . (٨) فيما عدل : « وأحسن حديث » .

(٩) فيما عدل : « بين عينيه » . وانظر العقد (٦ : ٢٩٤ - ٢٩٥) .

ونجتهد ، فإذا شبعنا خَوَّيْ تخوية الظَّليم^(١) ، ثم أقبلَ يأكل أكلَ الجائع المقرور . قال : والجارود هو الذى قال : « سوء الخلق يُفسد العمل ، كما يفسد الخلُّ العسل » . وهو الذى قال : « عليكم بالمرَبَدِ^(٢) ؛ فإنه يطرد الفكر ، ويجلو البصر ، ويجلب الخبر ، ويجمع بين ربيعة ومضر » .

قال : وصعد عثمانُ المنبرَ فأرتجَّ عليه ، فقال : « إنَّ أبا بكرٍ وعمرَ كانا يُعِدَّان لهذا المقامَ مقالا ، وأتمَّ إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُّ منكم إلى إمامٍ خطيب ، وستأتىكم الخطبُ^(٣) على وجهها ، وتعلمون إن شاء الله » .

قال : وشخص يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هبيرةَ إلى هشام بن عبد الملك فتكلم ، فقال هشام : ما مات من خلف هذا . فقال الأبرش الكلبي^(٤) : ليس هناك ، أمَّا تراه يرشح جبينه لضيق صدره ! قال يزيد : ما لذلك رشح ولكن لجلوسك في هذا الموضع .

وكان الأبرشُ ثَلَاثَةَ نِسَابَةٍ ، وكان مصاحباً لهشام بن عبد الملك ، فلما أفضت إليه الخلافة سجدَ وسجدَ من كان عنده من جلسائه ، والأبرش شاهدٌ لم يسجد . فقال له : ما منعك أن تسجدَ يا أبرش ؟ قال : ولم أسجدُ وأنت اليومَ معي ماشياً ، وغداً فوق طائراً . قال : فإن طرتُ بك معي ؟ قال : أترأى فاعلاً ؟ قال : نعم . قال : فالآن طاب السجود^(٥) .

قال : ودخل يزيدُ بن عمر^(٦) على المنصور وهو يومئذ أميرٌ ، فقال : « يا أيُّها

(١) الظليم : ذكر النعام . والتخوية : أن يفرج ما بين عضديه وجنبه . وهى من الطائر أن يرسل جناحيه .

(٢) المربد : سوق من أسواق العرب ، بالقرب من البصرة . (٣) هـ : « الخطبة » .

(٤) اسمه الأبرش بن حسان كما سيأتى فى (٢ : ١٣٩) . وكان ذا منزلة

عند هشام . يروى أبو الفرج فى (٢ : ١١٧) أنه حج مع هشام فكان عديله فى محمله .

(٥) فيما عدل : « فالآن » .

(٦) هو يزيد بن عمر بن هبيرة المترجم فى ١٩٩ .

الأمير ، إنَّ عهدَ الله لا يُنكَثُ ، وعَقْدَه لا يُحْلُ ، وأنَّ إمارَتَكُم بكَرٌ فاذِيقُوا
الناسَ حلاوتَها ، وجَنِّبُوهم مراتِها » .

قال سهلُ بن هارون : دخل قُطْرُبُ النَحْوِيُّ على المخلوع^(١) فقال : يا أمير
المؤمنين ، كانت عِدَّتُكَ أرفعَ من جائزَتِكَ — وهو يتبسَّم — قال سهل :
فاغتَاط الفضلُ بن الربيع ، فقلت له : إن هذا من الحَصَرِ والضعفِ ، وليس هذا
من الجَلَدِ والقوة . أما تراه يَفْتِلُ أصابعه ، ويرشَحُ جبينه .

قال : وقال عبدُ الملكِ خالد بن سَلَمَةَ الخَزْومِيُّ^(٢) : مَنْ أخطَبُ الناسَ ؟ قال
أنا . * قال : ثمَّ من ؟ قال : سيِّدُ جُدَّام — يعني رَوْح بن زِنْبَاع^(٣) — قال : ٢٠٥
ثم من ؟ قال أُخَيْفِش ثَقِيف — يعني الحِجَّاج — قال : ثم من ؟ قال : أمير
المؤمنين . قال : ويحك ، جعلتني رابعَ أربعة . قال : نَعَمْ ، هو ما سمعت .
ومن خطباء الخوارج وعُلمائهم ورؤسائهم في الفُتْيَا ، وشعرائهم ، ورؤساء
قَعْدِهِمْ^(٤) : عمران بن حِطَّان^(٥) . ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم : حَبِيبُ بنُ
خُدْرَةَ الهَلَالِيِّ^(٦) ، وعداده في بني شيبان .

(١) المخلوع ، هو الخليفة محمد الأمين بن هارون . انظر خبر خلعهِ في حوادث ١٩٦ .

١٥ من الطبري وغيره من التواريخ . (٢) سبقت ترجمته في ٣٢٨ .

(٣) كان أحد ولاة فلسطين أيام يزيد بن معاوية . الأغاني (١١٧ : ١١١) . وذكر

الجاحظ في الحيوان (١ : ٢٢٦) أن عبد الملك زوجه أم جعفر بنت النعمان بن بشير .

(٤) القعد : الخوارج الذين يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .
قال أبو نواس في الخمر :

٢٠ فكأنني وما أحسن منها قعدى يزيرن التحكيما
كل عن حمله السلاح إلى الح رب فأوصى المطيق ألا يقيما

(٥) ترجم في ص ٤١ .

(٦) ل : « بن جذرة » تصحيف ، صوابه بالخاء المعجمة المضمومة . وفي القاموس :

« وحبيب بن خدرية تابعي محدث » .

ومن كان يرى رأى الخوارج : أبو عبيدة النحويّ معمر بن المثنى ، مولى
تيم بن مؤبّة . ولم يكن فى الأرض خارجيّ ولا جماعيّ أعلم بجميع العلم منه .
ومن كان يرى رأى الخوارج : الهيثم بن عدي الطائى ثم البحتريّ^(١) .
ومن كان يرى رأى الخوارج : شعيب بن رثاب الحنفى ، أبو بكار ، إصاحب
أحمد بن أبى خالد ، ومحمد بن حسان السكسكى^(٢) .

ومن الخوارج من علمائهم ورؤسائهم : مسلم بن كورين^(٣) ، وكنيته أبو عبيدة
وكان إباضياً ، ومن علماء الصّفرية .

ومن كان مقنعاً فى الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعاً : مُلَيْل^(٤) ،
وأظنه من بنى تغلب^(٥) . ومن أهل هذه الصفة أصغر بن عبد الرحمن^(٦) ، من
أحوال طوق بن مالك .

ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : المقعطل^(٧) ، قاضى عسكر الأزارقة ،
أيام قطرى .

ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عبيدة بن هلال اليشكرى^(٨) .

(١) ترجم فى ص ٥٦ . وهو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر
ابن عدى بن خالد بن خيثم بن أبى حارثة بن جدى بن تدول بن (بختر) بن عتود بن عنين بن
سلامان بن ثعل بن عمرو بن النوث بن جلهمة ، وهو طيى .

(٢) نسبة إلى سكسك بن أشرس ، وهو أبو السكاسك من اليمن .

(٣) فيما عدال : « كرزين » تحريف ، وكورين بضم الكاف . انظر تاج العروس
(كور) . وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) أن مسلم بن كورين كان مولى لعروة بن أذينة .

(٤) هـ : « أصغر » وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) : « ومن علمائهم مليل وأصغر ابنا عبد الرحمن » .

(٥) التيمورية : « ثعلب » ب ، هـ : « ثعلبة » مع أثر تصحيح فيهما .

(٦) انظر الحاشية رقم ٤ هذه الصفحة . (٧) تقدم ذكره فى ص ٣٨ .

(٨) فى الفرق بين الفرق ٦٦ : « وكان عبيدة بن هلال اليشكرى قد فارق قطريا وانحاز
إلى قومس ، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه » . وفى

الاشتقاق ١٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاءة ، ثم ولى بعده أمر
الخوارج . وهو الذى يقول فى حصارهم لما حاصره سفيان بن الأبرد الكلبي بالرى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا
تساوك هزلى غهن قليل » .

وانظر ما مضى فى ص ٥٥ .

وكان في بني السّمين^(١) من بني شيبان^(٢) ، خطباء العرب ، وكان ذلك فيهم فاشياً ؛ ولذلك قال الأخطل :

فأئنّ السّمينُ لا يقومُ خطيبُها وأين ابن ذى الجذّين لا يتكلم^(٣)
وقال سُحيم بن حفص^(٤) : كان يزيد بن عبد الله بن رُويم^(٥) الشيبانيّ
من أخطب الناس ، خطب عند يزيد بن الوليد ، فأمرَ للناس بعتاءين .

ومن الخطباء معبد بن طوقِ العنبريّ ، دخل على بعض الأمراء فتكلم وهو قائمٌ فأحسن ، فلما جلس تتعتع في كلامه^(٦) فقال له : ما أظرفك قائماً ، وأموّك قاعداً ! قال : إني إذا قت جدّدت ، وإذا قعدتُ هزّلت . قال : ما أحسن ما خرجت منها .

١٠ ومن خطباء عبد القيس : مصقلة بن رقية ، * [ورقبة^(٧)] بن مصقلة ، وكرب . ابن رقية .

والعرب تذكر من خطب العرب « العجوز » وهي خطبة لآل رقية ، ومتى تكلموا فلا بدّ لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهي خطبة قيس بن خازجة لأنّه كان أبا عذرها . و « الشّوها » ، وهي خطبة سحبان وائل ، وقيل لها ذلك من حسنّها ، وذلك أنّه خطّب بها عند معاوية فلم ينشد شاعرٌ ولم يخطب خطيبٌ .

(١) في الفاموس (سنن) : « وكأمر لقب عبد الله بن عمرو بن نعلبة ؛ لأنه كان بين أخ وعم وعدد كثير . »

(٢) فيما عدال ، هـ : « ومن بني شيبان . »

(٣) ذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ، سمي بذلك لأنه كان أسيراً له فداء كثير . وابنته هو بسطام بن قيس المترحّم في ص ٣١ . انظر جنى الجنّتين ١٥٧ .

(٤) ترجم في ص ٤٠ . (٥) فيما عدال : « رؤية » .

(٦) تتعتع : تردد من حصر أو عى . فيما عدال : « تلبيح » أي أفرط .

(٧) التكلة مما سبق في ص ٩٧ . وكلمة « بن مصقلة » من ل فقط . ولرقية بن مصقلة أخبار متفرقة في الكتاب . ٢٥

وكان ابن عمار الطائي^(١) خطيباً مَذْحِجَ كُلِّهَا ، فبلغ النعمانَ حسنُ حديثه فحمله على منادته ؛ وكان النعمانُ أحمر العينين ، أحمر الجلد ، أحمر الشعر ، وكان شديد العريضة قتالاً للندماء ، فنهاه أبو قرْدُودَةَ الطائي عن منادته ، فلما قتله رثاه فقال :

إني نهيتُ ابنَ عمارٍ وقلتُ له لا تأمننُ أحمرَ العينينِ والشَّعرِ^(٢)
 إنَّ الملوكَ متى تنزلُ بساحتهم تطرُّ بنارك من نيرانهم شرَّره
 يا جفنةً كإزاء الخوضِ قد هدموا ومنطقاً مثلَ وشى اليمنة الحِبره
 قال الأصمعي : وهو كقوله :

ومنطقٍ خرَّقَ بالعواسل^(٣) لذِّ كوشى اليمنة المراحِلِ^(٤)

١٠

قال^(٥) : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهتم عن الزُّبرقان ابن بدر ، فقال : « إنَّه لمسانع لحوزته ، مطاع في أدنيته » . قال الزُّبرقان : إنَّه يا رسول الله ليعلمُ مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي ، فقصرَ بي . قال عمرو : « هو والله زمرُ المروءة ، ضيقُ العطن ، لثيم الخال » . فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه ، فقال : « يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمت ، وغضبتُ فقلتُ أقبحَ ما علمت ، وما كذبتُ في الأولى ولقد صدقتُ في الآخرة » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ من البيان لسحراً » .

(١) هو عمرو بن عمار الطائي المترجم في ٢٢٢ .

(٢) الأبيات سبقت في ٢٢٣ .

٢٠

(٣) منطق ، أى صاحب منطق . والعواسل : الرماح اللدنة . وانظر (٢ : ٢٩٢) .

(٤) المراحِل : التى نقش فيها تصاوير الرجال ، جمع مراحِل ، بالتشديد .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى في ٥٣ .

قال : وتسكّم رجلٌ في حاجة عند عمر بن عبد العزيز ، وكانت حاجته في قضائها مشقة ، فتكّم الرجل بكلام رقيق موجز ، وتأنّى لها ، فقال عمر : والله إن هذا للسحر الحلال .

ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة^(١) ، وكان القاضي قبل أبي يوسف .

* ومن أصحاب الأخبار : أبو هنيذة وأبو نعمة ، العدويان .

ومن الخطباء : أيوب بن القريّة^(٢) ، وهو الذي لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف »^(٣) ، كأنهن ركب وقوف : دُنْيا وآخرة ومعروف » ثم قال له في بعض القول : « أقلني عثرتي ، وأسغني ريقى^(٤) ؛ فإنه لا بُدَّ للجواد من كَبوة ، وللسيف من نَبوة ، وللحليم من هفوة » . قال : كَلّا والله حتى أوردك نار جهنم . أَلستَ القائل برُستَقباد^(٥) : تَقْدُوا الجَدَى قبل أن يَتَعشّاكم ؟

قال : ومن خطباء غطفان في الجاهليّة : خُوَيْلِد بن عمرو ، والعُشراء^(٦)

١٥ (١) أبو بكر هذا أحد من سمي بكنيته . وذكر ابن حجر في التهذيب (١٢ : ٢٧) أن اسمه عبد الله ، أو محمد . وجده أبو سبرة صحابي شهد بدرا . وكان أبو بكر يفتي بالمدينة ، ثم كتب إليه فقدم بغداد فولى قضاء موسى الهادي بن المهدي وهو ولي عهد . ومات ببغداد سنة ١٦٢ وهو ابن ستين في خلافة المهدي ، فلما مات استقضى أبو يوسف مكانه . انظر التهذيب والمعارف ٢١٤ ، ٢٥٩ وتاريخ بغداد ٧٦٩٧ .

٢٠ (٢) ترجمته مضت في ص ٢٠ .

(٣) ل ، ب : « صروف » صوابها ما أثبت من ه ، ح ، والتميمورية . وقد سبق الخبر في ص ١١٢ .

(٤) أسغني ريق ، أي أمهلني ولا تعجلني . ل ، ح : « واسقني » تحريف .

(٥) يقال أيضا « رستقباد » وهي من أرض دتمتوا بفارس .

٢٥ (٦) في الاشتقاق ١٧٢ : « ومن بني مازن بن قزارة بنو العشراء » . ب : « الفشراء » ل : « العشر » ، وأثبت ما في ه ، ح ، والتميمورية .

ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيِّ بن مازن بن فزارة . وخويلد خطيب
يوم الفجار .

ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب^(١) وأهل البيان : الوضاح بن خيثمة .
ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكم^(٢) عند أصحاب النفورات^(٣)
بنو الكواء ، وإياهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمي ، حين ذكر أهل هذه
الطبقة فقال :

كِلَانَا شَاعِرٌ مِنْ حَيٍّ صِدْقٍ وَلَكِنْ الرَّحَى فَوْقَ الثُّفَالِ^(٤)
وَحَكْمٌ دَغَفَلًا وَارْحَلُ إِلَيْهِ وَلَا تُرِجِ الْمَطَى مِنْ الْكَلَالِ
تَعَالَ إِلَى بَنِي الْكَوَاءِ يَقْضُوا بِعِلْمِهِمْ بِأَنْسَابِ الرِّجَالِ^(٥)
هَلُمَّ إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ يُنَبِّي بِالسَّوَاغِلِ وَالْعَوَالِي
وَعِنْدَ الْكَئْسِ النَّمْرِ عِلْمٌ وَلَوْ أَضْحَى بِمَنْخَرَقِ الشَّامِ^(٦)
ومن الخطباء القدماء : كعب بن لؤي ، وكان يخطب على العرب عامة ،
ويحض كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرّخ بموت
كعب بن لؤي إلى عام الفيل .

١٥

ومن الخطباء العلماء الأبيناء ، الذين جرّوا من الخطابة على أعراق قديمة^(٧) :
شبيب بن شيبه ، وهو الذي يقول في صالح بن أبي جعفر المنصور ، وقد كان

(١) كلمة « والنسب » من ل ، هـ . و « الخطب » من هـ .

(٢) فيما عدال : « والحكام » .

(٣) النفورة : الحكومة . وفي اللسان : « ونافر الرجل منافرة وثفارا : حاكه » .
واستعمل منه النفورة كالحكومة . قال ابن هرمة :

يبرقن فوق رواق أبيض ماجد يدعى اليوم نفورة ومعاقل » .

(٤) الثفال ، بالكسر : ما وقيت به الرحي من الأرض .

(٥) فيما عدال : « تعال إلى » . (٦) سبق البيت في ص ٣٢٢ .

(٧) انظر ما سياتي في ص ٣٥٥ .

المنصور أقام صالحاً فتكلم ، فقال شبيب : « ما رأيتُ كالיום أبينَ بياناً ،
ولا أجودَ لساناً ، ولا أربطَ جناناً ، ولا أبطلَ ريقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ،
ولا أغمضَ عُروقاً^(١) من صالح . وحقَّ لمن كان أميرُ المؤمنين أباه ، والمهدى^{٢٠٨}
أخاه ، أن يكون كما قال زهير^(٢) :

يطلبُ شأواً أمرينِ قدَّما حسناً نالا المُلوكَ وبداً هذه الشُّوقا^(٣)
هو الجوادُ فإن يلحقُ بشأوها على تكاليفه فمثله لَحِقا^(٤)
أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ فمثلُ ما قدَّما من صالح سبقا^(٥) »
قال : وخرج شبيبٌ من دار الخليفة^(٦) يوماً فقال له قائل : كيف رأيت
الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجياً والخارج راضياً .

قال : وقال خالد بن صفوان : « اتَّقُوا مَجَانِيقَ^(٧) الضُّعفاء » ، يريد الدعاء .
قال : وقال شبيب بن شيبه : « اطلب الأدب فإنه دليلٌ على المروءة ،
وزيادةٌ في العقل ، وصاحبٌ في العُربة ، وصِلَّةٌ في المجلس » .
وقال شبيبٌ للمهدى يوماً : « أراك الله في بَنِيكَ ما أرى أباك فيكَ ، وأرى
اللهُ بَنِيكَ فيكَ ما أراك في أبيكَ » .

-
- ١٥ (١) أغمض ، من الغموض ، وهو الغُزور .
(٢) في مديح هرم . والأبيات في ديوان زهير ٥١ .
(٣) الشأو : السبق . بدا : غلبا . والسوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس ،
أو ما بين الملوك والأوساط .
(٤) في شرح نعلب : تكاليفه : شدته ، الواحدة تكلفة . وفي اللسان : « وهي الكلف
والتكاليف ، واحدها تكلفة » . وبما هو جدير بالذكر أن الكوفيين يطردون زيادة الياء في
هذا الجمع وحذفها .
(٥) المهل : التقدم . يقول : هو معذور إن سبقاه لأنهما أخذوا مهلة قبله فتقدماه .
والآلف في « سبق » للإطلاق ، أى مثل فعلهما سبق .
(٦) في عيون الأخبار (١ : ٩١) : « دار الخلافة » .
٢٥ (٧) المجانيق ، جمع منجنيق ، وهي من آلات الرمي في القتال . وانظر (٣ : ٢٧٤) .

وقال أبو الحسن : قال زيد بن عليّ بن الحسين : « اطلب ما يعينيك واترك ما لا يعينك ؛ فإنّ في ترك ما لا يعينك دركاً لما يعينك ، وإنما تقدّم على ما قدّمت ، ولست تقدّم على ما أخرت . فآثر ما تلقاه غداً ، على ما لا تراه أبداً » .

أبو الحسن ، عن إبراهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : « ما الإنسان لولا اللسان إلّا صورة ممثلة ^(١) ، أو بهيمة مهملة » .

أبو الحسن قال : كان أبو بكر خطيباً ، وكان عمر خطيباً ، وكان عثمان خطيباً وكان عليّ ^(٢) أخطبهم . وكان من الخطباء : معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وسليمان ^(٣) ، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بني هاشم : زيد بن عليّ ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن معاوية ، خطباء لا يجارون . ومن خطباء النّسّاك والعبّاد : الحسن ابن أبي الحسن البصريّ ، ومطرف بن عبد الله الحرّشي ^(٤) ، ومورّق العجليّ ^(٥) وبكر بن عبد الله المزنيّ ^(٦) ، ومحمد بن واسع الأزديّ ^(٧) ، ويزيد بن أبان

(١) ل فقط : « مهملة » . وقد سبق الخبر في ١٧٠ .

(٢) فيما عدال : « خطيباً » . (٣) ل : « ومروان بن سليمان » . ١٥

(٤) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير البصريّ ، المترجم في ١٠٣ . وقال السمعاني في الأنساب ١٦٣ : « هذه النسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس . وأكثرهم نزل البصرة ، ومنها تفرقت إلى البلاد . وفي الأزديّ الحريش بن خزيمة بن الحجر بن عمران . قاله ابن حبيب . والمشهور بهذه النسبة مطرف بن عبد الله الحرّشي » .

(٥) هو مورق بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة - بن مشرج - بكسر الراء - بن عبد الله العجليّ ، أبو المعتمر البصريّ ، ثقة عابد من كبار النّاة . مات بعد المائة . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ١٧٣) . ويحرف هذا الاسم فيجعل « مؤرق » بالهمز . انظر القاموس (وري) .

(٦) ترجم في ص ١٠٠ .

(٧) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن واسع بن جابر الأزديّ البصريّ ، روى عن أنس ومطرف والأعمش وغيرهم . وكان أحد النّسّاك العبّاد الزهاد . توفي هو ومالك بن دينار سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٩ وصفه الصفوة (٣ : ١٩٠) .

الرقاشي^(١) ومالك بن دينار السامي^(٢) .

وليس الأمر كما قال ؛ في هؤلاء القاصُّ المَجِيدُ ، والواعظ البليغ ، وذو المنطق الوجيز . فأمَّا الخطب فإنَّنا لا نعرف أحداً يتقدَّم الحسنَ البصريَّ فيها . وهؤلاء وإن لم يُسمَّوا خطباءً فإنَّ الخطيب لم يكن يشقُّ غبارهم .

أبو الحسن قال : حدَّثني أبو سليمان الحميريُّ قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إنِّي لأستصِفُُّ العِمامةَ الرقيقةَ تكون على أذني إذا كان عندي عبد الأعلى ابن عبد الله^(٣) ؛ مخافةً أن يسقط عني من حديثه شيء .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان : أبو البلاد^(٤) ، كان راوية ناسبا . ومنهم هاشم بن عبد الأعلى الفرزاري . ومن الخطباء : حفص بن معاوية الغلابي^(٥) وكان خطيباً ، وهو الذي قال حين أشركَ سليمانُ بن عليٍّ بينه وبين مولى له على دار القتب : « أشركتَ بيني وبين غير الكفي » ، ووليتني غير السنِّي » .

ومن بنى هلال بن عامر : زُرْعَةُ بن ضَمْرَةَ ، وهو الذي قيل فيه : « لولا غلوُّ فيه ما كان كلامه إلا الذهب » . وقام عند معاوية بالشَّام خطيباً فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالي فائتوني بخالٍ مثله . وكان ابنُه الثَّعْمانُ بن زُرْعَةَ ابن ضَمْرَةَ ، من أخطب الناس ، وهو أحدُ مَنْ كان تَخَلَّصَ من الحجاج من قُلٍّ

(١) ترجم في ص ٢٠٤ .

(٢) إنما قيل له السامي لأنه كان مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي ، كما سبق في ترجمه ص ١٢٠ .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٤٤ من ٥ - ٧ .

(٤) في المعارف ٢٣٥ : « أبو البلاد الكوفي ، كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم . وكان أعمى جيد اللسان ، وهو مولى لعبد الله بن غطفان ، وكان في زمن جرير والفرزدق » . وأبو البلاد هذا غير أبي البلاد الطهوي ، أحد شعراء بني طهية ، وهو المعروف أيضا بأبي الغول الطهوي ، انظر المؤلف ١٦٣ وشرح التبريزي للحماسة (١ : ١٤) .

(٥) الغلابي : نسبة إلى أهل بيت بالبصرة يعرفون ببني غلاب ، وغلاب على وزن فعال مثل حذام ، من بني نصر بن معاوية . الاشتقاق ١٧٨ .

ابن الأشعث^(١) بالكلام اللطيف .

وقال سُحيم بن حفص^(٢) : ومن الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي
تسكلم هو وعبد الله بن الأهتم ، عند عُمر بن هبيرة ، ففضلَّ عاصمًا عليه . قال سحيم :
فقال قائل يومئذ : الخللُ حامضٌ ما لم يكن ماء .

ومن خطباء بني تميم : عمرو بن الأهتم^(٣) ، كان يدعى « المُكَحَّل » لجماله ؛
وهو الذي قيل فيه : إنما شعره حُلَلٌ مُشَرَّةٌ بين أيدي الملوك ، تأخذ منه
ما شاءت . ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطبُ منه .

ومن بني منقر : عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيبًا ذا مقاماتٍ ووفادات .
ومن الخطباء : صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيبًا رئيسًا ، وابنه خالد بن
صفوان ، وقد وفدَ إلى هشام ، وكان من سُمار أبي العباس .

ومنهم : عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وقد وليَ خراسانَ ووفد على الخلفاء ،
وخطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ،
وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وخاقان بن الأهتم هو عبد الله بن
عبد الله بن عبد الله بن الأهتم .

ومن خطبائهم : محمدُ الأحول بن خاقان * ، وكان خطيب بني تميم ، وقد
رأيتُه وسمعت كلامه .

ومن خطبائهم : معمرُ بن خاقان ، وقد وفدَ .

ومن خطبائهم : مؤمل بن خاقان . وقال أبو الزبير الثقفى : ما رأيتُ خطيبًا
من خطباء الأمصار أشبهَ بخطباء البادية ، من المؤمل بن خاقان .

٢٠ (١) انظر ما سبق في ص ٣٢٩ س ٢ .

(٢) ترجم في ص ٤٠ .

(٣) سبقت ترجمته في ١٠ ، ٥٣ .

ومن خطباءهم : خاقان بن المؤمل بن خاقان ، وكان صَبَاح بن خاقان^(١) ،
ذا علمٍ وبيانٍ ومعرفة ، وشدة عارضة ، وكثرة رواية ، مع سخاء واحتمالٍ وصبر
على الحق ، ونصرة للصديق ، وقيامٌ بحق الجار .
ومن بنى منقر : الحكم بن النضر ، وهو أبو العلاء المنقرى ، وكان يصرف
لسانه حيث شاء ، بجمهرة واقتدار .

ومن خطباء بنى صريم بن الحارث : الخزرج بن الصدى .
ومن خطباء بنى تميم ثم من مُقَاعِس : عُمارة بن أبي سليمان . ومن ولد مالك
ابن سعد^(٢) : عبدُ الله وجبر^(٣) ابنا حبيب^(٤) ، كانا ناسيين عالمين أديبين
دينيين . ومن ولد مالك بن سعد^(٥) : عبد الله والعباس ابنا رُوْبَة ، وكان العباس
علامةً عالماً ، ناسباً رواية ، وكان عبدُ الله أَرْجَزَ الناس وأفصحهم ، وكان يكنى
أبا الشعثاء ، وهو العجاج^(٦) .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكر الصديق ، رحمه الله عليه ، ثم جُبَيْر بن
مُطْعِم ، ثم سعيد بن المسيَّب ، ثم قَتَادَة ، وعبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة السعودي^(٧)

(١) في القاموس (صح) : « وكسحاب ابن الهذيل أخو زفر الفقيه ، وابن
خاقان ، كريم » .

(٢) هو مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفي ب : « سعيد » تحريف .
(٣) فيما عدل ، هـ : « بن عبد الله » وكذلك « خير » . وقد صححت في هـ وجعلت « جبر » .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٥) فيما عدل ، هـ : « بن سعيد » تحريف .
(٦) العجاج هذا والد رُوْبَة بن العجاج ، كلاهما راجز مجيد عارف باللغة وحشيها وغريها
وكان رُوْبَة أكثر شعراً من أبيه العجاج بن رُوْبَة وأفصح منه . خزانة الأدب (١ : ٤٣)
والمؤتلف ، والشعر والشعراء .

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلي المدني ، أحد الفقهاء
السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه ، وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة ،
وعنه أخوه عون والزهرى وأبو الزناد وغيرهم . وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وكان عالماً
ناسكاً ، وأضر رحمه الله بآخره . توفي سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٥٧)
ونكت الهميان ١٩٧ - ١٩٨ والأغاني (٨ : ٩٤ - ٩٥) .

الذى قال فى كلمة له فى عمر بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان^(١) :

مُسَّا تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ^(٢)
وَلَا تَأْنَفَا أَنْ تَرْجِعَا فُتْسَلَّمَا فَمَا حُشِيَ الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ
فَلَوْ شِئْتُ أُدَلِّي فِيكُمْ غَيْرَ وَاحِدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي سِرٍّ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَنَا عَنْكُمْ ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلْبِجَ وَيَسْتَشْرِى^(٣)
وهو الذى قيل له كيف تقول الشعر مع النُّسك والفقه ؟ فقال : « إِنْ
الْمَصْدُورَ لَا يَمْلِكُ أَنْ يَنْفُثَ^(٤) » .

٢١ وقد ذكر المصنوع أبو زيد الطائى فى صفة الأسد فقال :

لِلصَّدرِ مِنْهُ عَوِيلٌ فِيهِ حَشْرَجَةٌ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ أَحْشَاءِ مَصْدُورٍ^(٥)
وَمِنْ خُطْبَاءِ هَذِيلٍ : أَبُو الْمَلِيحِ الْهُذَلِيُّ أَسَامَةُ بْنُ عَمِيرٍ^(٦) ، وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ
الْهُذَلِيُّ^(٧) ، كَانَ خُطِيبًا قَاصًّا ، وَعَالِمًا بَيْنًا ، وَعَالِمًا بِالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ . وَهُوَ الَّذِي
لَمَّا فَخِرَ أَهْلُ الْكَوْفَةِ قَالَ : « لَنَا السَّاجُّ وَالْعَاجُ ، وَالذَّيْبُجُ وَالْخِرَاجُ ،
وَالنَّهْرُ الْعِجَّاجُ^(٨) » .

١٥ (١) انظر القصة فى أمالى ثعلب ١٧ والمرئى (٢ : ٦٠) وجمع الجواهر للحصرى ص ٣ .

(٢) كذا بالخرم فى أوله فى ل . وفيما عداها : « فمسا » . وانظر الحيوان (١ : ١٤ - ١٥) .

(٣) ذكر فى الأغاني (١٣ : ١٠) أن العتابي سرق هذا المعنى فى قوله :

٢٠ وَمِنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

(٤) ويروى : « لا بد للمصنوع أن ينفث » . نكت الهميان .

(٥) ذكره فى التهذيب (١٢ : ٢٤٦) فى باب الكنى وقال : اسمه عامر أو زيد بن أسامة .

(٦) ذكره الجاحظ فيما سياتى ص ٣٦٨ . وقال : « وهو عبد الله بن سلمى » وذكره

فى التهذيب (١٢ : ٤٥) فى باب الكنى ، وأن اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أو روح .

٢٥ روى عن الحسن وابن سيرين وأبي المليلح الهذلى وغيرهم ، وعنه ابن جريج وابن عياش . وكان
من العلماء بأيام الناس . توفى سنة ١٦٧ . (٧) انظر (٢ : ٩٤) .

باب

من أسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أكهّن العرب وأسجّعهم سلمة بن أبي حيّة ، وهو الذى يقال له عُزَيّ سلمة^(١) . ومنهم من خطباء عُمان : مرّة بن فهم التليد ، وهو الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج .

ومن العتيك : بشر^(٢) بن المغيرة بن أبي صُفرة ، وهو الذى قال لبنى المهلب « يا بنى عمى ، إني والله قد قصّرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة المستعيب ، حتّى كأتى لست موصولاً ولا محروماً ، فعُدّونى امرأ خفتم لسانه ، أو رجوتم شكره . وإني وإن قلتُ هذا فلمّا أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى » . ١٠

ومن خطباء اليمن ثم من حمير : الصباح بن شُفَى الحميرى ، كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قيس بن شماس^(٣) . ومنهم : ثابت بن قيس ابن شماس^(٤) خطيبُ النّبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم : رَوْح بن زِنْبَاع^(٥) ، وهو الذى لما همّ به معاوية قال : « لا تُشِمّننّ بى عدوّاً أنت وقمّته^(٥) ، ولا تسوءنّ فى^(٦) صديقاً أنت سرّته ، ولا تهديمنّ منّى ركناً أنت بنيته . هَلّا أتى حلمك وإحسانك على جهلى وإساءتى » . ١٥

(١) كذا ورد بضبطه فى ل . وفى ه بفتح اللام . وفى ب والتمورية : « غرى سلمة » .

(٢) فى ل : « بسر » بضم الباء بعدها سين مهملة .

(٣) فيما عدل : « الشماس » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٣٤٦ .

(٥) الوقم : الإذلال والقهر والرد أقبح الرد . (٦) ه : « بى » .

ومن خطبائهم الأسود بن كعب ، الكذاب العنسي^(١) . وكان طليحة^(٢) خطيباً وشاعراً وسجّاعاً كاهناً ناسباً . وكان مسيلمة الكذاب^(٣) بعيداً من ذلك كله .

٢١٢ وثابت بن قيس^(٤) بن شماس هو الذي قال لعامر^(٥) ، حين قال : أمّا والله لنن تعرضت لعني^(٥) وفني ، وذكاه سنّي^(٦) ، لتولّين عني ، فقال له ثابت : « أمّا والله لنن تعرضت لسبابي ، وشبّا أنيابي^(٧) ، وسرعة جوابي ، لتكرهن »

(١) هو الأسود بن كعب بن غوث ، من بني عنس بن مالك . تنبأ باليمن . الاشتقاق ٢٤٨ . وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له ، واسمه عهلة بن كعب ابن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج ، وأنه كان يدعى « ذا الحمار » لحمار كان معه قد راضه وعلمه ، يقول له اجث ، فيجثو . قتله قيس بن مكشوح المرادي سنة ١١ من الهجرة . وانظر الطبري (٣ : ٢١٣ - ٢٢٠) .

(٢) هو طليحة بن خويلد الأسدي ، تنبأ في خلافة أبي بكر في بني أسد بن خزيمه . وعاضده عيينة بن حصن الفزاري ، فوجه أبو بكر إليه خالد بن الوليد ، فهزمه وقض جموعه وأسر عيينة . وذلك في سنة ١١ من الهجرة . وقد أسلم طليحة بعد ذلك ، واستشهد بهاوند سنة ٢١ . الإصابة ٤٢٨٣ والتنبيه والإشراف .

(٣) هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفي ، من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسماها ، عارض فيها القرآن بزعمه . منها قوله : « والشمس وضحاها ، في ضوئها ومجلاها ، والليل إذا عداها ، يطلبها لينغشاها ، فأدركها حتى أتاها ، وأطفأ نورها ومحاها » . وقوله : « يا ضفدع نقي نقي كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره في اليمامة وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر إليه خالد بن الوليد في جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بني حنيفة في يوم اليمامة . وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل . انظر المعارف ١٧٨ والطبري (٣ : ٢٤٣ - ٢٥١) والتنبيه والإشراف ٢٤٧ والسيرة ٩٤٦ .

(٤) هو عامر بن عبد قيس ، المترجم في ٨٣ ، الذي قال : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » . وانظر ٢٣٧ س ١ ، ٢٥٠ ٣٢٧ س ١٠ ، ٣٦٣ س ٣ .

(٥) هـ : « لعني » . تحريف .

(٦) ذكاه السن : تمامه بانتهاه الشباب ، ومنه قول الحجاج : « فررت عن ذكاه » .

(٧) شبّا الأنياب : حدها .

جَنَانِي « قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَكْفِيكَ اللَّهُ وَابْنًا قَلِيلَةً ^(١) » .
لَعَنِي : أَي لَمَّا يَعْنُ لِي وَيَعْرِض . فَنِي : مَذْهَبِي فِي الْفَن ^(٢) .
وَأَخَذْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَجُلٍ يَضَعُ الْأَخْبَارَ فَأَنَا أَتَّهِمُهُ ^(٣) .
وَمِنْ خُطَبَاءِ الْأَنْصَارِ : بَشْرُ بْنُ عَمْرٍو وَبْنُ مُحَصَّنٍ ، وَهُوَ أَبُو عَمْرَةَ الْخَطِيبُ .
وَمِنْ خُطَبَاءِ الْأَنْصَارِ : سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ^(٤) ، وَهُوَ الَّذِي اعْتَرَضَتْ ابْنَتُهُ ^(٥)
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : ابْنَةُ الْخَطِيبِ النَّقِيبِ
الشَّهِيدِ : سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ . وَمِنْهُمْ خَالُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ حَسَّانُ :
إِنْ خَالِي خُطِيبٌ جَابِيَةُ الْجَوِّ لَأَنْ عِنْدَ الثُّمَّانِ حِينَ يَقُومُ ^(٦)
وَإِيَّاهُ يَعْنِي حَسَّانُ بِقَوْلِهِ :

رُبُّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمِشْيَةَ فِي الْيَوْمِ الْخَصِرِ ^(٧)
وَمِنْهُمْ مِنَ الرِّوَاةِ وَالنَّسَابِينَ وَالْعُلَمَاءِ : شَرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ ^(٨) السَّكَّابِيُّ ، وَمُحَمَّدُ

(١) فِي هَامِشِ التَّيْمُورِيَّةِ : « ابْنَا قَلِيلَةٌ هُمَا الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، وَهُمُ الْأَنْصَارُ ، وَكَانُوا أَشْجَعِ النَّاسِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : مَا سَلَتْ السُّيُوفُ وَلَا زَحَفَتْ الزُّحُوفُ وَلَا أُقِيمَتِ الصُّفُوفُ حَتَّى أَسْلَمَ ابْنَا قَلِيلَةٍ » . وَفِي اللِّسَانِ : « اسْمُ أُمِّ لَهْمٍ قَدِيمَةٌ ، وَهِيَ قَلِيلَةُ بِنْتُ كَاهِلٍ » .
(٢) هَذَا التَّفْسِيرُ سَاقِطٌ مِنْ ه .

(٣) فِي هَامِشِ التَّيْمُورِيَّةِ : « يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الرَّاوِيَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ غَيْرُ مُوَثَّقٍ بِهِ لَا سِيَّمَا فِي عَطْفِ ابْنَا قَلِيلَةٍ عَلَى لَفْظَةِ الْجَلَالَةِ مَا لَا يَنْحَقُّ » . ه : « مِنْ رَجُلٍ يَصْنَعُ الْكَلَامَ » .

(٤) هُوَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ ، أَخِي الرِّسُولِ بَيْتَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ . الْإِصَابَةُ ٣١٤٧ .

(٥) هِيَ أُمُّ سَعْدِ بِنْتُ سَعْدٍ . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ١٢٨٧ قَسَمُ النِّسَاءِ .

(٦) جَابِيَةُ الْجَوْلَانِ ، مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقٍ .

(٧) رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ ٢٠٤ : « سَبَطَ الْكُفَيْنِ » . وَقَبْلَهُ :

سَأَلْتُ حَسَّانَ مِنْ أَخْوَالِهِ إِنَّمَا يَسْأَلُ بِالشَّيْءِ الْغَمْرِ

قُلْتُ أَخْوَالِي بَنُو كَعْبٍ إِذَا أَسْلَمَ الْأَبْطَالُ عَوْرَاتِ الدَّبْرِ

(٨) الشَّرْقِيُّ لَقِبَ لَهُ ، وَاسْمُهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْحَصِينِ ، كَانَ وَافِرَ الْأَدَبِ ، أَقْدَمَهُ الْمَنْصُورُ بِغَدَادٍ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْمَهْدِيَّ لِيَأْخُذَ مِنْ أَدَبِهِ . تَارِيخُ بَغْدَادٍ ٤٨٣٨ وَابْنُ النَّدِيمِ ١٣٢ وَلِسَانُ الْمِيزَانِ (٣ : ١٤٢ - ١٤٣) . وَالْقَطَامِيُّ لَقِبَ أَبِيهِ ، وَاسْمُهُ الْحَصِينُ بْنُ حِمَالٍ ، يَقَالُ بِفَتْحِ الْقَافِ وَضَمِّهَا ، مَاخُوذٌ مِنَ الْقَطَامِيِّ بِفَتْحِ الْقَافِ وَضَمِّهَا ، وَهُوَ الصَّقَرُ . وَالْقَطَامِيُّ شَاعِرٌ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْمُؤْتَلَفِ ١٦٦-١٦٧ . وَهُوَ غَيْرُ الْقَطَامِيِّ التَّغْلِبِيِّ ، الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ ، وَاسْمُهُ عَمِيرُ بْنُ شَيْمٍ .

ابن السائب الكلبي^(١) ، وعبد الله عياش الهمداني^(٢) ، وهشام بن محمد
ابن السائب الكلبي^(٣) . والهيثم بن عدى الطائي^(٤) ، وأبوروق الهمداني واسمه
عطية بن الحارث^(٥) ؛ وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي^(٦) ، ومحمد بن عمر
الأسلمي الواقدي^(٧) ، وعوانة الكلبي^(٨) ، وابن أبي عيينة المهايي^(٩) ،
والخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٠) ، وخلف بن حيان الأحمر الأشعري^(١١) .
قالوا : ومنا في الجاهلية عبيد بن شربة^(١٢) ، ومنا شق بن الصعب ، ومنا
ربيع بن ربيعة السطحي الذبي^(١٣) .

- (١) ترجم في ١٤٢ . (٢) ترجم في ٢٦٠ .
(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست وساق ثبت مصنفاته الكثيرة في ١٤٠ - ١٤٣
وهو صاحب الجهرة في النسب ، وذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٢٠٤ . وانظر تاريخ
بغداد ٧٣٨٦ .
(٤) ترجم في ص ٦ .
(٥) أبوروق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي ، روى عن أنس وعكرمة والشعبي ،
وروى عنه الثوري وعمار . تهذيب التهذيب .
(٦) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي ، شيخ من
أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفي ، ومجالد . وروى عنه
المدائني وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان
(٤ : ٢٩٢) وابن النديم ١٣٦ .
(٧) ترجم في ٣٧ . ل : « محمد بن عمرو » تحريف . انظر أيضاً تهذيب التهذيب
(٩ : ٣٦٣) .
(٨) ترجم في ٣١٦ . (٩) ترجم في ٥٠ .
(١٠) الفراهيدي : نسبة إلى فرهود ، بالنغم ، وهم حن من يحمده ، وهم بطن من الأزد .
(١١) ترجم في ١٢٩ .
(١٢) عبيد ، بهيئة التصغير ، كما ضبط في ل ، ه ، وكما يفهم من سياق ابن حجر
في الإصابة ٦٣٩١ . وشربة قال ابن حجر : « بمعجمة وزن عطية » . وضبط في ه بفتح الشين
وسكون الراء . وقال ياقوت في إرشاد الأريب (١٢ : ٧٢) : « عبيد بن شربة » ، ويقال
ابن سارية ، ويقال ابن شربة . وهو أحد معمرى العرب ، أدرك الإسلام فأسلم وقدم على
معاوية وجرى بينهما حديث طويل طريف ، أورده ياقوت والسجستاني في المعمرين ٣٩ .
وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . الفهرست ١٣٢ .
(١٣) سبقت ترجمة شق وسطيح في ص ٢٩٠ .

ومنا المأمور الحارثي^(١) ، والدَيَّانُ بن عبد المدان ، الشريفان الكاهنان .

ومنهم : عمرو بن حنظلة بن نهدي الحكم ، وله يقول القائل :

عمرو بن حنظلة بن نهدي من خير ناس في معد

ومنهم : أبو السطاح اللخمي^(٢) ، وجمع معاوية بينه وبين دغفل بن حنظلة

البكري . ومنهم أبو الكباس الكندي^(٣) ، ومنهم أظفر بن مخوس^{١٣}

الكندي^(٤) . وكانا ناسبين عالمين .

ومن أصحاب الأخبار والآثار عبد الله بن عقبة بن لهيعة^(٥) ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن القدماء في الحكمة والرياسة والخطابة عبيد بن شريّة الجرهمي ، وأسقف

نجران ، وأكيدر صاحب دومة الجندل ، وأفيعى نجران ، وذرب بن حوط ،

وعليم بن جناب^(٦) وعمرو بن ربيعة - وهو لحي^(٧) - بن حارثة بن عمرو مزيقياء .

وجذيمة بن مالك الأبرش^(٨) ، وهو أول من أسرج الشمع ورعى بالمنجنيق .

(١) المأمور الحارثي ، اختلف في اسمه ، فقيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد في

الاشتقاق ٢٦٩ : « وكان من فرسان مذحج ، وكانت في أمره تتقدم وتتأخر » . وقيل

هو معاوية بن الحارث . الأمازي (٣ : ١٤٩) . وقيل هو المأمور بن تبراء . معجم المرزباني

٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . القالي (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بني الحارث بن كعب بن

عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما في النقائض ٦٠٠ . وله خبر في يوم الكلاب الثاني .

الأغاني (١٥ : ٧٠) والنقائض ١٤٩ .

(٢) فيما عدال ، هـ : « أبو الشطاح » بالشين المذحجة .

(٣) فيما عدال : « الكناس » .

(٤) هذا ما في ل . وفي هـ : « ومنهم ابن مخوس الكندي » . وفي سائر النسخ : « ابن مخوس » .

(٥) كذا في ل ، هـ ، وفيما عداها : « عبد الله بن عتبة بن لهيعة » وكلاهما خطأ ، وصواب

اسمه « عبد الله بن لهيعة بن عقبة » . وابن لهيعة محدث جليل ، وقاض فقيه ، روى عن الأعرج

وعطاء وابن المنكر وغيرهم ، وروى عنه الثوري وشعبة والأوزاعي . تهذيب التهذيب .

(٦) هو علم ، بهيئة التصغير ، ابن جناب بن هبل ، الاشتقاق ٣١٦ .

(٧) لحي هو لقب ربيعة ، كما في الاشتقاق ٢٧٦ . وقال : « ومن بني عمرو بن لحي

تفرقت خزاعة » . وفي العرب « عمرو بن لحي » آخر ، هو عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس

ابن مضر . انظر السيرة ٥٠ - ٥١ . وفي هذا الأخير ورد حديث : « رأيت عمرو بن

لحي يجر قصبه في النار » .

(٨) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو بن درس بن الأزد ، ملك الحيرة . والأبرش

لقب جذيمة . ويقال له أيضا « الوضاح » . العمد (٢ : ١٧٨) .

باب

ذكر النُساك والزهاد من أهل البیان

عامر بن عبد قيس^(١) ، وصيلة بن أشيم^(٢) ، وعثمان بن أدهم ، وصفوان بن
محرز^(٣) والأسود بن كلثوم^(٤) ، والربيع بن خثيم^(٥) ، وعمرو بن عتبة بن فرقد^(٦) ،
وهرم بن حيان^(٧) ، ومؤرق العجلي ، وبكر بن عبد الله المزني ، ومطرف بن
عبد الله بن الشخير الحرشي^(٨) .

(١) ترجم في ٨٢ .

(٢) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي الناسك ، زوج معاذة العدوية الناسكة ،
لحق جماعة من الصحابة ، وأُسند عن ابن عباس وغيره ، وقتل شهيداً في غزاة في أول إمرة
الحجاج على العراق سنة ٧٥ . واجتمعت النساء عند معاذة للتعزية فقالت : مرحباً ، إن كنتن
جئتني لتهنئتي فمرحباً بكن ، وإن كنتن جئتني لغير ذلك فارجعن . صفة الصفوة (٣ : ١٣٩)
والإصابة ٤١٢٧ .

(٣) صفوان بن محرز بن زياد المازني ، أُسند عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وابن مسعود .
وعنه عاصم وقتادة وغيرهم . توفي بالبصرة سنة ٧٤ في ولاية بشر بن مروان . تهذيب التهذيب
وصفة الصفوة (٣ : ١٤٩) .

(٤) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ٢١٢) في الطبقة الثالثة من
أهل البصرة .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بتقديم الثاء على الياء ، ابن عائذ بن عبد الله الثوري الكوفي
ثقة عابد من كبار التابعين . قال له ابن مسعود : « لو رأك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأحبك » . توفي سنة إحدى وقليل ثلاث وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣١)
وابن النديم ٢٦٠ .

(٦) فيما عدال : « عمر » تحريف . وهو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي .
روى عن ابن مسعود وسيعة الأسلمية كتابة . قتل في تستر في خلافة عثمان . تهذيب التهذيب
وصفة الصفوة (٣ : ٣٧) .

(٧) هرم بن حيان العبدي ، أحد عمال عمر ، وبعثه عثمان بن أبي العاص إلى قلعة بجرة
فافتتحها عنوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة (٣ : ١٣٧) .

(٨) ترجم مؤرق في ص ٣٥٣ ، وبكر في ص ١٠٠ ، ومطرف في ص ١٠٣ .

وبعد هؤلاء : مالك بن دينار^(١) ، وحبيب أبو محمد^(٢) ، ويزيد الرقاشي^(٣) ،
وصالح المري^(٤) ، وأبو حازم الأعرج^(٥) ، وزيد مولى عياش بن أبي ربيعة^(٦) ،
وعبد الواحد بن زيد^(٧) ، وحيان أبو الأسود ، ودَهَم أبو العلاء .
ومن النساء : رابعة القيسية^(٨) ، ومُعَاذَةُ العدوية^(٩) امرأة صِلَة بن أشيم ،

(١) ترجم في ١٢٠ .

(٢) هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي ، أو الفارسي ، البصري ، أحد الزهاد
المشهورين ، روى عن الحسن وابن سيرين وبكر بن عبد الله ، وعنه سليمان التيمي وحامد
ابن سلمة . قال المعتمر عن أبيه سليمان : « ما رأيت أحدا قط أزهد من مالك بن دينار ،
ولا رأيت أحدا قط أخشع من محمد بن واسع ، ولا رأيت أحدا قط أصدق يقينا من حبيب
أبي محمد » . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٦) . وقد ذكر خطأ في الفهرست ٢٦٠
باسم « محمد بن حبيب الفارسي » .

(٣) ترجم يزيد بن أبان الرقاشي في ٢٠٤ ، وصالح بن بشير المري في ١١٣ .
(٤) هو أبو حازم سلمة بن دينار ، الأخرج الأفرز التمار المدني القاص ، مولى الأسود
ابن سفيان المخزومي ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي بعد سنة ١٤٠ في خلافة المنصور . تهذيب
التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٨) .

(٥) الصواب أنه مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي . وزيد ، هو زياد
ابن أبي زياد ميسرة ، وكان عبدا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيه ويكرمه ، ويحث إلى
مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه . توفي سنة ١٣٥ . صفه الصفوة (٢ : ٥٩) وتهذيب التهذيب .
(٦) كان عبد الواحد بن زيد من الزهاد البكائين ، وكان يحضر مجالس مالك بن دينار ،
قال ابن الجوزي : أسند عن الحسن البصري وأسلم الكوفي . صفه الصفوة (٣ : ٢٤٠) .
وفي لسان الميزان (٤ : ٨٠) أنه كان متبها في حفظه كثير الوهم . وقد ذكره ابن النديم في
الفهرست ٢٦٠ في جماعة العباد والزهاد .

(٧) هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية ، وهي تعد أشهر الزاهدات
المتعبدات ، كانت نقول إذا وثبت من مرقدها : « يا نفس كم تنامين ، وإلى كم تنامين . يوشك
أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . انظر لسائر أقوالها صفه الصفوة
(٤ : ١٧) . وذكر ابن خلكان أن وفاتها كانت في سنة ١٣٥ ، وقبرها بظاهر القدس ،
على رأس جبل يسمى جبل الطور .

(٨) هي أم الصبيان معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية ، زوج صِلَة بن أشيم المترجم في
٣٦٣ . روت عن عائشة وعلى ، وعن قتادة والحسن وأيوب وعاصم الأحوال وغيرهم . يقال إنها
لم تتوسد فراشا بعد أبي الصبيان حتى ماتت . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام وقد عرفت طول
الرقاد في ظلم القبور » . تهذيب التهذيب (١٢ : ٤٥٢) وصفه الصفوة (٤ : ١٣) .

وَأُمُّ الدَّرْدَاءِ^(١) .

ومن نساء الخوارج : البُلْجَاءُ^(٢) ، وَغَزَالَةُ^(٣) ، وَقَطَامٌ ، وَحَمَّادَةُ^(٤) ، وَكُحَيْلَةُ .
ومن نساء الغالية : لَيْلَى النَّاعِظِيَّةُ^(٥) : وَالصَّدُوفُ ، وَهِنْدُ .

وَمَنْ كَانَ مِنَ النَّسَاكِ مَنْ أَدْرَكَنَاهُ : أَبُو الْوَلِيدِ ، وَهُوَ الْحَكَمُ الْكِنْدِيُّ ؛
وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمْرَاوِيُّ^(٦) .

ومن القدماء مَن كَانَ يُذَكَّرُ بِالْقَدْرِ وَالرِّيَاسَةِ ، وَالْبَيَانِ وَالْخُطَابَةِ ، وَالْحِكْمَةِ
وَالدَّهَاءِ وَالنَّكْرَاءِ : لَقْمَانُ بْنُ عَادٍ ، وَلُثَيْمُ بْنُ لَقْمَانَ ، وَمُجَاشَعُ بْنُ دَارِمٍ ، وَسَلِيطُ
ابْنُ كَعْبٍ بْنُ يَرْبُوعٍ ، سَمَّوَهُ بِذَلِكَ لِسُلْطَانَةِ لِسَانِهِ . وَقَالَ جَرِيرٌ :
* إِنَّ سَلِيطًا كَاسَمَهُ سَلِيطٌ *

وَلُثُومُ بْنُ غَالِبٍ ، وَقُتَيْبُ بْنُ سَاعِدَةَ ، وَقُصَيُّ بْنُ كَلَابٍ .

ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ حُذَارٍ ،
وَهَرَمُ بْنُ قُطَيْبَةٍ ، وَعَامِرُ بْنُ الظَّرَبِ ، وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةٍ ، وَكَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(١) أُمُّ الدَّرْدَاءِ ، هِيَ زَوْجُ أَبِي الدَّرْدَاءِ الصَّحَابِيِّ ، وَاخْتَلَفَ عُلَمَاءُ التَّرَاجِمِ فِي أُمِّ الدَّرْدَاءِ ،
فَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا شَخْصِينَ : أُمُّ الدَّرْدَاءِ الْكُبْرَى ، وَأُمُّ الدَّرْدَاءِ الصَّغْرَى ، وَكِلَاهُمَا زَوْجُ لِأَبِي
الدَّرْدَاءِ . وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : هُمَا وَاحِدَةٌ . وَيَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ٣٨٤ مِنْ
قِسْمِ النِّسَاءِ وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ (١٢ : ٤٦٥) وَصِفَةِ الصَّفْوَةِ (٤ : ٢٦٦) حَيْثُ يَرْحَحُ
ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ الْعَابِدَةَ هِيَ الصَّغْرَى ، وَاسْمُهَا هَجِيمَةُ بِنْتُ حَيْسَى ، وَاسْمُ الْكُبْرَى خَيْرَةُ بِنْتُ
أَبِي سَدْرَدٍ . (٢) لَعَلَّهَا « الشُّجَاءُ » . انْظُرِ الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٨٨ - ٥٨٩) .
(٣) هِيَ غَزَالَةُ الشَّيْبَانِيَّةِ ، زَوْجُ شَيْبِ بْنِ يَزِيدٍ الْحَارِجِيِّ الشَّيْبَانِيِّ ، وَكَانَتْ مِنَ الشُّجَاعَةِ
وَالْفُرُوسَةِ بِالْمَوْضِعِ الْعَظِيمِ . وَكَانَ الْحُجَّاجُ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ قَدْ هَرَبَ مِنْهَا ، فَعَبَّرَهُ أَسَامَةُ بْنُ
سَفْيَانَ الْهَجَلِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَسَدٌ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ رِبْدَاءُ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ .
هَلَا بَرَزَتْ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الضَّحَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ
تَقَدَّمَتْ تَرْجَةُ يَزِيدٍ فِي ص ١٢٨ . وَفِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٩٠) أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَتَابٍ قَتَلَهَا .
(٤) هِيَ حَادَّةُ الصَّغْرِيَّةِ ، ذَكَرَهَا الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٢٩٠) .

(٥) تَرْجَمْتُ فِي ص ٣٠ . فِي الْأَصُولِ : « النَّاعِظِيَّةُ » ، بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، تَحْرِيفٌ .
(٦) فِيمَا عَدَالَ : « الْحَمْرَانِي » . (٧) فِي الدِّيَوَانَ ٣٣٢ : وَقَالَ لَبْنَى سَلِيطُ :
إِنَّ سَلِيطًا كَاسَمَهَا سَلِيطُ لَوْلَا بَنُو عَمْرٍو وَعَمْرٍو عَيْطُ
قَلْتُ دِيَاْفِيُونَ أَوْ نَبِيطُ

كَلَابٌ^(١) ، وَكَلَيْبٌ ، وَهَاشِمُ الْأَوْقَصِ ، وَأَبُو هَاشِمِ الصَّوْفِيِّ^(٢) ، وَصَالِحُ
ابن عبد الجليل .

ومن القدماء العلماء بالنسب وبالعرب^(٣) : الْخَطَّافِيُّ وَهُوَ^(٤) جَدُّ جَرِيرِ
ابن عطية بن الخطَّافِ ، وَهُوَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ بْنِ إِسْلَمَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَلَيْبِ بْنِ يَرْبُوعَ .
وإنَّمَا سُمِّيَ الْخَطَّافِيُّ لِأَيَّاتِ قَالِهَا ، وَهِيَ :

يَرْفَعْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا أَعْنَاقَ جَنَّانٍ وَهَامًا رُجْفًا
وَعَنْقًا بَاقِي الرَّسِيمِ خَيْطَفًا

الْعَنْقُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ ، وَهُوَ الْمُسَبَّطُ ؛ فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الْعَنْقِ قَلِيلًا
فَهُوَ التَّزْيِثُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ الذَّمِيلُ . وَالرَّسِيمُ فَوْقَ الذَّمِيلِ . وَالْخَيْطَفُ :
السَّرِيعُ ، أَيْ يَخْطِفُ كَمَا يَخْطِفُ الْبَرْقُ . وَخَيْطَفٌ مِنَ الْخَطَفِ ، وَالْيَاءُ فِي خَيْطَفٍ
زَائِدَةٌ ، كَمَا قَالَوْا رَجُلٌ صَيْرَفٌ مِنَ الصَّرْفِ ، وَرَجُلٌ جَيْدَرٌ مِنَ الْجَدَرِ وَهُوَ
الْقِصَرُ^(٥) . وَأَصْلُ الْخَطَفِ الْأَخْذُ فِي سُرْعَةٍ^(٦) ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ سَرِيعٍ .

(١) هو كلاب بن جري . ذكر في صفة الصفوة (٣ : ٢٨٩) .

(٢) أبو هاشم الصوفي الزاهد ، من قدماء زهاد بغداد ، جلس إليه سفيان الثوري . صفة
الصفوة (٢ : ١٧٢) .

(٣) في هامش هـ : « وبالعريب » عن نسخة .

(٤) هذه الكلمة من هـ .

(٥) فيسا عدال : « القصير » .

(٦) ل : « بسرعة » .

ذكر القصص

قَصَّ الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ :

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَاِنِي لَا إِخْلَاكَ نَاجِيَا
وَقَصَّ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ ابْنَا أَبِي الْحَسَنِ^(١) . وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ الْحَسَنِ أَوَّلَ مَنْ

- اتَّخَذَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ حَلَقَةً وَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ . وَقَصَّ إِبْرَاهِيمُ
التَّيْمِيُّ^(٢) . وَقَصَّ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ^(٣) وَجَلَسَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ . حَدَّثَنِي
بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ فَاثِدٍ بِإِسْنَادِهِ .

وَمِنَ الْقُصَصِ : أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمٍ^(٤) ، وَكَانَ بَيْنَنَا خَطِيبًا
صَاحِبَ أَخْبَارٍ وَأَثَارٍ . وَقَصَّ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ^(٥) فِي مَكَانٍ أَبِيهِ .
وَمِنَ كِبَارِ الْقُصَصِ ثُمَّ مِنْ هَذِيلٍ : مُسْلِمُ بْنُ جَنْدَبٍ^(٦) وَكَانَ قَاصًّا مَسْجِدَ النَّبِيِّ

(١) أَبُو الْحَسَنِ : كُنْيَةُ وَالِدِهِمَا يَسَارُ . أَمَّا الْحَسَنُ فَهُوَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ
يَسَارَ الْبَصْرِيِّ ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، وَلَدَ لِسِتْنَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١١٠ . وَأَخُوهُ
سَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ أَكْبَرُ مِنْهُ ، تَوَفَّى قَبْلَهُ سَنَةَ ١٠٠ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ . فِيمَا عَدَال : « ابْنُ أَبِي
الْحَسَنِ » ، تَحْرِيفٌ .

- ١٥ (٢) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكَ التَّيْمِيِّ ، تِيمُ الرِّبَابِ ، الْكُوفِيُّ ، كَانَ مِنَ الْعِبَادِ ،
رَوَى عَنْ أَنَسٍ وَعُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ ، وَأَرْسَلَ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا مَسَّجِدَ
تَجَّى الْعَصَافِيرَ فَتَنْقَرُ ظَهْرُهُ . تَوَفَّى فِي حَبْسِ الْحَبَاجِ سَنَةَ ٩٢ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَصِفَةُ
الْصَّفْوَةِ (٣ : ٥٠) .

- (٣) فِيمَا عَدَال : « عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ » ، لَكِنْ فِي « عَبْدِ اللَّهِ » ، كِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ . وَهُوَ
عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ قَتَادَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ جَنْدَعٍ بْنِ لَيْثِ اللَّيْثِيِّ ، أَبُو عَاصِمٍ الْمَكِّيُّ ، قَاضِي
أَهْلِ مَكَّةَ . رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعُمَرَ وَعَلَى وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَذَكَرَ الْعَوَامُ بْنُ حَوْشَبٍ أَنَّهُ
رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فِي حَلَقَةِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ يَبْكِي . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨ . تَهْذِيبُ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ
(٢ : ١١٦) .

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ٣٥٧ . فِيمَا عَدَال : « بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ» .

- ٢٥ (٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ مُطَرِّفٍ فِي ١٠٣ . ل : « وَقَصَّ ابْنُ مُطَرِّفٍ » . وَفِيمَا عَدَال :
« وَقَصَّ ابْنَهُ مُطَرِّفٌ » وَكِلَاهُمَا خَطَأٌ .

(٦) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُسْلِمُ بْنُ جَنْدَبٍ الْهَذَلِيُّ الْقَاضِي ، كَانَ مِنْ فَصَحَاءِ النَّاسِ ، وَكَانَ
مُسْلِمُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ يَقْضِي بَغْدَادَ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٦ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وكان إمامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : ٢١٥
« مَنْ سَرَّه أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ غَضًّا فَلْيَسْمَعْ قِرَاءَةَ مُسْلِمٍ بِنِ جَنْدَبٍ » .

ومن القصص : عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين ، وله مسجد في
بنى شيبان .

ومن القصص : موسى بن سيار الأسواري^(١) ، وكان من أعاجيب الدنيا ،
كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور
به ، فتقعد العرب عن يمينه ، والقرم عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله
ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى القرم فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا
يُدري بأى لسان هو أبين . واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة
منهما الضم على صاحبها ، إلا ما ذكرنا^(٢) من لسان موسى بن سيار الأسواري . ١٥

ولم يكن في هذه الأمة بعد أبي موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن سيار
ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ، ثم يونس النحوي ، ثم المعلي . ثم قص في مسجده^(٣)
أبو علي الأسواري ، وهو عمرو بن فائد^(٤) ، ستا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم في تفسير
سورة البقرة ، فما ختم القرآن حتى مات ، لأنه كان حافظا للسير ، ولوجوه التأويلات
فكان ربما فسر آية واحدة في عدة أسابيع ، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر ،
وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيرا^(٥) . وكان يقص ١٥

(١) ترجم له في لسان الميزان (٦ : ١٣٠) وذكر أنه كان ق-ريا . وذكره السمعاني
في الأنساب ٣٧ .

(٢) فيما عدل : « ما ذكروا » .

(٣) أى المسجد الذى كان يتص فيه موسى بن سيار . ٢٠

(٤) عمرو بن فائد الأسواري ، قال العقيلي : كان يذهب إلى التدر والاعتزال ، وكان
منقطعا إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ،
ومات بعد المائتين ببسبر . لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة
بالبصرة . انظر الحيوان (٦ : ١٩١) .

(٥) هـ : « الكيرة » . ٢٥

في فنون من القصص ، ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك . وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ، ويحتج به . وخصاله الحمودة كثيرة .

ثم قص من بعده القاسم بن يحيى ، وهو أبو العباس الفريسي ، لم يدرك في القصص مثله . وكان يقصّ معها وبعدها مالك بن عبد الحميد المكفوف ، ويرغمون أن أبا علي لم تسمع منه كلمة غيبة قط ، ولا عارض أحداً قط من المخالفين .
والحساد والبغاة بشيء من المكافاة .

فأما صالح المري ، فكان يكنى أبا بشر^(١) . وكان صحيح الكلام رقيق المجلس . فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب^(٢) ، لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار^(٣) قال له مرحوم : هل لك أن تأتي قاصداً عندنا هاهنا ، فتتفرج بالخروج والنظر إلى الناس ، والاستماع منه ؟ فأتاه على تكره ، كآته ظنه .
كبعض من يبلغه شأنه ، فلما أتاه وسمع متطقه ، وسمع تلاوته للقرآن ، وسمعه يقول حدثنا شعبة عن قتادة^(٤) ، وحدثنا قتادة عن الحسن ، رأى بياناً لم يحسبه ، ومذهباً لم يكن يظنه^(٥) ، فأقبل سفيان على مرحوم فقال : ليس هذا قاصداً ، هذا نذير !

- (١) فيما عدل : « فإنه كان » . وترجمة صالح في ١١٣ .
(٢) هو أبو محمد سفيان بن حبيب البصري ، أحد المحدثين الثقات . توفي سنة ١٨٣ . تهذيب التهذيب .
(٣) هو أبو محمد مرحوم بن عبد العزيز بن مهران العطار الأموي البصري . كان من الثقات المباد . توفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .
(٤) ترجمة قتادة في ٢٤٢ . وأما شعبة ، فهو فيما عدل : « سعيد » وكلاهما محتمل ؛ إذ أن قتادة روى عنه شعبة ، وسعيد . وشعبة هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العنكي الأزدي الواسطي البصري ، محدث كثير الرواية ، كان الشعبي يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين في الحديث . ويقولون إنه أول من تكلم في الرجال . ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٦٠ . تهذيب التهذيب . وأما سعيد فهو سعيد بن أبي عروبة العدوي البصري ، قال ابن أبي خيثمة : أثبت الناس في قتادة سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي . توفي سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .
(٥) هـ : « يدانيه » .

باب

ما قيل في المحاصر والعصى وغيرها

كانت العرب تخطب بالمحاصر^(١) ، وتعتمد على الأرض بالقسي^(٢) ، وتشير بالعصى^(٣) والقنا . نعم حتى كانت المحاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها ، ولذلك قال الشاعر^(٤) :

في كَفِّهِ خِيزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِيقٌ بَكْفٌ أَرْوَعَ فِي عَرِينِهِ شَمٌّ
يُغَضِّى حَيَاءً وَيُغَضِّى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكَلِّمْ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاخَتِ الْكَلَمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ^(٥)

وقال الشاعر قولاً فسر فيه ما قلنا . قال :

بِجَالِسِهِمْ خَفَضُ الْحَدِيثِ وَقَوْلُهُمْ إِذَا مَا قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَحْيُ الْمَخَاصِرِ
وقال الكميّ بن زيد :

(١) المحاصر : جمع مخصرة ، وهي ما يختصره الإنسان فيمسكه بيده ، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة أو قضيب .

(٢) هو الفرزدق يقول في هشام بن عبد الملك ، كما في أمالي المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزّين الكنانى في عبد الملك بن مروان كما في ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو الفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة (٢ : ١١٠) وأمالي المرتضى . أو العين المنقرى فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى في محمد بن علي ابن الحسين ، المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما في العمدة . وهذا مثل لمبلغ اختلاف الرواة في نسبة الشعر . انظر الحيوان (٣ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤ / ٢ : ١٩٦) .

(٣) البيتان الأولان في (٣ : ٤١ - ٤٢) . والثالث ساقط من هـ . زيد بعد هذا البيت فيما عدل :

كم هاتف لك من داع وداعية يدعون يا قثم الخيرات يا قثم

وَنَزُورُ مَسَلَمَةَ الْمَهْدِ بَ بِالْمُؤَبَّدَةِ السَّوَاتِرِ^(١)

بِالْمَذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَاتِ تِ لِمُفْجَمٍ مِنَّا وَشَاعِرِ^(٢)

أَهْلُ التَّجَاوُبِ فِي الْحَا فِلِ وَالْمَقَاوِلِ بِالْمَخَاصِرِ^(٣)

فَهُمْ كَذَلِكَ فِي الْحَا لِسِ وَالْحَافِلِ وَالْمَشَاعِرِ^(٤)

وكما قال الأنصاري في الجامع حيث يقول :

٢١١ " وَسَارَتْ بِنَاسِيَارَةٍ ذَاتُ سَوْرَةٍ بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخِيُولِ الْجَاهِرِ^(٥)

يُؤْمِنُونَ مُلْكَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مَلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ

يُصِيبُونَ فَضْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ

وَفِي الْمَخَاصِرِ وَالْعَصَى فِي خَدِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعِصَى ، قَالَ الْحَظِيئَةُ :

١٥ أُمٌّ مِنْ تَلْخَصِمٍ مُضْجِعِينَ قَسِيَهُمْ صُغِيرَ خَدُودِهِمْ عِظَامِ الْمَفْخَرِ

وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي الْإِشَارَةِ :

غُلِبَ تَشَدَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جَنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا^(٦)

وَقَالَ فِي خَدِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعِصَى وَالْقَسَى :

نَشِينُ صَحَاحِ الْبِيدِ كُلِّ عَشِيَةٍ بُعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبِ^(٧)

١٥ (١) مسleme ، هو مسleme بن عبد الملك . انظر ٢٩٢ . المؤبدة : التي يبق ذكرها على

الأبد . عنى بها القصائد والمدح . ل : « بالمهذبة » وفي هامشها : « خ : بالمؤبدة » .

(٢) في اللسان : « والمفجم : الذي لا يقول الشعر » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الطريف اللسان .

(٤) المشاعر : مواضع المناسك . والآيات الثلاثة الأولى في (٣ : ١١٧) .

٢٥ (٥) الكوم : جمع أكرم وكوماء ، وهو ما علا منامه . وانظر (٣ : ١١٦ - ١١٧) .

(٦) الغلب : الغلاظ الأعناق . تشدر : يوعده بعضهم بعضا برفع اليد . والذحول : جمع

ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : موضع ، أو هو البادية . والبيت من معلقته .

(٧) في شرح ديوانه ه : « نشين صحاح البید ، يقول : نخط بأطراف قسینا ، كلما

ذكرنا يوما نقول : وهذا ! ... بعوج السراء ، يعنى بهذه القسى . عند باب محجب ، يعنى باب

٢٥ الملك . قال : وعند باب الملوك يتلاقى الناس فيتفاخرون ويخطون بقسيمهم فيؤثرون في الأرض ،

فذلك شينهم صحاح البید . ل : « بعود السراء » .

عوج : جمع عوجاء ، وهى هاهنا القوس . السراء : شجر تعمل منه القسي .
وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقتسم الناس فضل الفخارِ أطلنا على الأرض مِثْلَ العصا
وقال الآخر :

كَتَبْتُ لَنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرَّقٍ أَيَّامُنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمًا قَيْصَلًا^(١)
وقال لبيد بن ربيعة في ذكر القسي :

مَا إِنْ أَهَابُ إِذَا السَّرَادِقُ غَمَّهُ قَرَعُ الْقِيسَى وَأَرْعِشُ الرَّعْدِيدُ^(٢)
وقال معن بن أوس المزني^(٣) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَسُولًا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرَّسَالَا^(٤)
تُعَاوِلُ دُونَنَا أَبْنَاءَ نُورٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَقَى وَمَالَا^(٥)

١٠

٢١٨ إذا اجتمع القبائل جثت ردفاً وَرَاءَ الْمَاسِحِينَ لَكَ السَّبَالَا^(٦)
فَلَا تُعْطَى عَصَا الْخُطْبَاءِ فِيهِمْ وَقَدْ تُكْفَى الْمَقَادَةَ وَالْمَنَالَا^(٧)
فَإِنِّكُمْ وَتَرَكَ بَنِي أَيْيَكُم وَأَشْرَتَكُمْ تَجْرُثُونَ الْحِبَالَا^(٨)

(١) انظر لمحرق ما مضى في حواشي ٢٦٧ .

(٢) السرادق ، أى سرادق الملك . نعمة : علاه وستره ، أى كثر فيه . ل : له . عه :
وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الديوان ٢٧ طبع ١٨٨٠ .

١٥

(٣) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من
المصحابة . وعمر إلى زمان ابن الزبير . وهو الذي قال له : « لمن الله ناقة حملتني إليك » .
فقال : « لمن وراكبها » . وكف في آخر عمره . الأغاني (١٠ : ١٥٦) والإصابة ٨٤٤٥
ونكت الهيمان ٣٩٤ والخزانة (٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة في الأغاني
(١٠ : ١٦٢) . وإلى عبد الله بن الرزير الأسدي في الخزانة (٢ : ١٠٠) وزهر الآداب
(٢ : ١٦٤) .

٢٥

(٤) عجله : سبقه . وفى الكتاب : « أعجلتم أمر ربكم » .

(٥) تعاول : من العقل ، وهو الدية . حصى ، أى عدا .

(٦) السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم النحية . ومسح اللحي كناية عن التهديد والتوعد ،
أو هو تأهب الكلام . انظر تفسير البغدادى في الخزانة (١ : ٥٢٥) لقول التماخ :

٢٥

أَتَتْنِي سَلِيمٌ قَضَاهَا بِقَضِيضِهَا تَمَسَحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا

فيما عدل : « أمام الماسحين » ، تحريف .

(٧) يقول : لست برئيس ولا خطيب . ل : « فلا يعطى عطا » صوابه في سائر النسخ .

(٨) هذا البيت وما بعده في ل فقط . وانظر (٣ : ٩) .

٣٥

وودَّكم العدى ممن سواكم لكالخيران يتبع الضلالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إلى امرئ لا تخطأه الرفاق ، ولا جَدْبِ الخوان إذا ما استنشى المرق^(١)
صَلْبُ الحيازيم لا هذرُ الكلام إذا هزَّ القناة ولا مُستعجلُ زَهَق^(٢)
وكما قال جريرُ بن الخطمي^(٣) :

نَ للقناة إذا ماعى قائلها أم للأعنة ياشبَّ بن عمار^(٤)
وقال : ومثل هذا قول أبى الحبيب الربيعي^(٥) : « ما تزال تحفظ أخاك حتى

يأخذ القناة ، فعند ذلك يفضحك أو يحمك » . يقول : إذا قام يخطب .

وفى كتاب جبل بن يزيد^(٦) : « احفظ أخاك إلا من نفسه » .

وقال عبدُ الله بن رُوَبَة^(٧) : سأل رجل رُوَبَة عن أخبَرِ بنى تميم ، فقال :

(١) لا تخطأه الرفاق : لا يتخطونه ، يقول : هو أبداً أمامهم . فيما عدل : « الرقاب » .
يقول : هو كثير الطعام على الخوان . الاستنشاء والاستنشاق بمعنى . يقول : هو فى وقت
الأزمة والسنة حين ينشئ الناس الطعام مخصب ذويسر وكرم . فيما عدل ، هـ : « العراق » تحريف .
(٢) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن . هز القناة ، أى الرمح حين الخطبة . فى اللسان
« وفلان زهق ، أى نزع » .

(٣) فيما عدل : « وقال جرير الخطمي » ؛ وهو خطأ ، إذ أن الخطمي لقب جده عوف
وهو جرير بن عطية بن عوف الخطمي .

(٤) كذا فى ل ، هـ ، وفيما عداها : « شيب بن عمار » وكلاهما خطأ فى الرواية ؛ إذ أن
البيت من أبيات فى ديوان جرير ٢٣٦ - ٢٣٧ يرثى بها عقبة بن عمار ، أولها :

يا عقب لا عقب لى فى البيت أسمه من للأرامل والأضياف والجار
أم من لباب إذا ما أشد حاجبه أم من لحصم بعيد السأو خطار
أم من يقوم بفاروق إذا اختلفت غياطل الشك من ورد وإصدار
أم للقنساء إذا ما عى قائلها أم للأعنة يا عقب بن عمار

(٥) أبو الحبيب الربيعي : أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابي ، انظر

ابن النديم ١٠٣ .

(٦) جبل بن يزيد : كاتب عمارة بن حمزة ، وكان مترجماً من معدودى البلغاء والبرهاء .

وعماره بن حمزة ، كان مولى لأبى جعفر المنصور وكاتباً له . انظر ابن النديم ١٧١ .

(٧) هو العجاج ، والد رُوَبَة . والعجاج لقبه ، وكنيته أبو الشعثاء .

« خِداش بن لبيد بن بَيْبَةَ » يعنى البَيْعِثُ^(١) . وإنما قيل له البَيْعِثُ لقوله :
تَبَعْتُ مِنِّي مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أُمِرْتُ حِبَالِي كُلَّ مَرَّتِهَا شَزْرًا^(٢)
وزعم سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ أَنَّهُ كَانَ يَقَالُ : أَخْطَبُ بَنِي تَمِيمِ الْبَيْعِثُ إِذَا أَخَذَ الْقَنَاةَ .
وقال يونس : لَعَمْرِي لَنْ كَانَ مَغْلِبًا فِي الشُّعْرِ لَقَدْ كَانَ غُلْبًا فِي الْخُطْبِ^(٣) .

ومن الشعراء من يَغْلِبُ شَيْءٌ قَالَهُ فِي شَعْرِهِ ، عَلَى اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ ، فَيَسْتَقْبَلُ بِهِ
بَشَرٌ كَثِيرٌ^(٤) . فمنهم الْبَيْعِثُ هَذَا . ومنهم عَوْفُ بْنُ حِصْنٍ^(٥) بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ
بَدْرٍ ، غَلِبَ عَلَيْهِ عَوْفُ الْقَوَافِي لقوله :

سَأُكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّي إِذَا قُلْتُ شَعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا
فَسَمِيَ عَوْفُ الْقَوَافِي لَذَلِكَ .

١٠

ومنهم : يَزِيدُ بْنُ ضِرَارِ التَّغْلِبِيِّ ، غَلِبَ عَلَى اسْمِهِ الْمَزْرَدُ ؛ لقوله :
قُلْتُ تَزَرَّدُهَا عُيْدُ فَإِنِّي لَدُرْدِ الْمَوَالِي فِي السَّنِينَ مَزْرَدُ^(٦)
فَسَمِيَ الْمَزْرَدُ^(٧) .

ومنهم : عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ، غَلِبَ عَلَيْهِ مَرْقَشُ^(٨) ؛ وذلك لقوله :

(١) ترجم في ٢٠٤ . ونسبه في المؤلف ٥٦ : خِداش بن بشر بن خالد بن بَيْبَةَ .

١٥

(٢) أُمِرْتُ شَزْرًا : أَحْكَمْتُ قَتْلَهَا عَنِ الْيَسَارِ . وقيل سَمِيَ الْبَيْعِثُ لقوله :

تَبَعْتُ مِنِّي مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أُسِرْتُ تَمَرُ قَوَادِي وَاسْتَمَرَّ عَزِيمِي

(٣) انظر ما سَبَقَ فِي (٤ : ٨٤) .

(٤) انظر ذكر من لَقِبَ بِبَيْتِ شَعْرٍ قَالَهُ ، فِي الْمَزْهَرِ (٢ : ٤٣٤ - ٤٤٣) .

٢٥ والعمدة (١ : ٢٣ - ٢٤) .

(٥) فِيمَا عَدَا ل ، هـ : « حَصِين » ، تحريف . انظر الاشتقاق : ١٧٣ . ونسبه فِي الْأَغَانِي

(١٧ : ١٠٥) : « عَوْفُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ حِصْنٍ - أَوْ ابْنِ عَقْبَةَ بْنِ عِيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ -

بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ » . وَهُوَ شَاعِرٌ مَقْلٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مِنْ سَاكِنِي الْكُوفَةِ .

(٦) الدرد : جَمْعُ أَدْرَدٍ وَدَرْدَاءَ ، وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَتْ أَسْنَانُهُ . فِي السَّنِينَ : فِي الْجُدْبِ . وَكَلِمَةُ

٢٥ « تَزَرَّدُ » وَ « مَزْرَدُ » لَمْ يَرَدْ لَهَا تَفْسِيرٌ فِي الْمَعْجَمِ ، وَهِيَ مِنَ الزَّرْدِ بِمَعْنَى الْإِبْتِلَاعِ . وَالْبَيْتُ فِي

صِفَةِ زَيْدَةٍ ، كَمَا فِي الْمُؤْتَلَفِ ١٩٠ . (٧) وَهُوَ أَخُو الشَّيْخِ بْنِ ضِرَارِ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ .

(٨) فِيمَا عَدَا ل : « الْمَرْقَشُ » . مَا عَدَا هـ : « عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ » تحريف .

الدار قفر^(١) والرسم كما رَقَشَ في ظهر الأديم قَلَم^(٢)
 فسَمَى مرقّشا . ومنهم : شَأْس^(٣) بن نَهَارِ العبدى ، غلب عليه المِرْقَ (٣) لقوله :
 فإن كنتُ ما كولا فكن خيرا آكلِ وإلا فأدرِكنى ولما أَمَزَقِ^(٤)
 فسَمَى المِرْقَ . ومنهم : جرير بن عبد المسيح الضُّبَعِ ، غلب عليه المتلمّس لقوله :
 فهذا أوانُ العِرضِ حَتَّى ذبابُه زنايرُه والأزرقُ المتلمّس^(٥)
 ومنهم : عمرو بن رِيّاح الشُّلَمِ^(٦) ، أبو خنساء ابنة عمرو ، وغلب الشريد على
 اسمه لقوله^(٧) :

تولّى إخوتى وبقيتُ فردا وحيدا في ديارهم شريدا
 فسَمَى الشريد . وهذا كثير .

١٠

- (١) من قصيدة له في المفضليات (٢ : ٣٧ - ٤١) .
- (٢) في الأصول : « سالم » تحريف صوابه في ابن سلام ١٠٨ والاشتقاق ١٩٩ والمزهر (٢ : ٤٣٥) والعمدة (١ : ٢٣) وزهر الآداب (١ : ٣٦) والقاموس واللسان (مزق) والمؤتلف ١٨٥ ومعجم المرزبانى ٤٩٥ . وفي الأخير : « وقيل اسمه يزيد بن نهار » .
- (٣) الممزق ، بفتح الزاى المشددة وكسر ها . وهو شاعر جاهل من بني عبد القيس .
- (٤) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ٤٧ ليسك ، يقولها لعمر بن هند حين هم بغزو عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه . انظر المؤتلف . وهذا البيت تمثل عثمان في رسالة بعث بها إلى علي بن أبي طالب ، وذلك حين أحبط به ، قال : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي ، وبلغ الحزام الطيبين ، وتجاوز الأمر بي قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعبزك كلثيم ، ولم يغلبك كغلب . فأقبل إلى ، معى كنت أو على ، على أى أمريك أحببت فإن كنت ما كولا فكن خيرا آكل وإلا فأدركنى ولما أمزق » .
- العمدة (١ : ١٧١) وابن سلام ١٠٨ وزهر الآداب (١ : ٣٦) .
- (٥) العِرض : واد باليمامة . حى ذبابه ، من الحياة ، والمراد هنا الانتعاش . ويروى : « جن ذبابه » . وفيما عدل : « طن ذبابه » . والأزرق : ضرب من الذباب .
- (٦) ب فقط : « رباح » بالباء الموحدة ، والمعروف في نسبة الخنساء أنها بنت عمرو ابن الشريد بن رباح . الإصابة ٣٥٣ من قسم النساء والخزانة (١ : ٢٠٨) . وفي الأغاني (١٣ : ١٢٩) أنها بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح .
- (٧) فيما عدل : « غلب عليه الشريد لقوله » .

قال : ودخل رجلٌ من قيسِ عيلان على عبد الملك بن مروان ، فقال زُيَيرى^(١) عُمرى^(٢) ! والله لا يحبُّك قلبى أبدا ! فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنما يجرع من فِقدان الحبِّ المرأة ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ^(٣) » .

وقال عمر لأبي إمرئ الحمقى^(٤) ، قاتل زيد بن الخطاب : « لا يحبُّك قلبى أبداً حتّى تحبَّ الأرضُ الدّمَ المسفوح » . وهذا مثل قول الحجاج : « والله لأقلعنك قلع الصنفة » ، لأن الصنفة اليابسة إذا قُرِفَتْ^(٥) عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة^(٦) . والأرض لا تنشفُ الدّمَ المسفوح ولا تمصّه ، فتجفّ الدم وتجلب^(٧) لم تره أخذ من الأرض شيئاً .

ومن الخطباء : الغضبان بن القُبَعَتَرى^(٧) ، وكان محبوساً في سجن الحجاج ،

- (١) ل : « عمرى » . وسيعاد الخبر في (٢ : ٨٩) .
- (٢) الخبر في عيون الأخبار (٣ : ١١) مع إيجاز .
- (٣) هذا الصواب في ل . وفيما عدل : « الحمقى السلولى » وهو خلط في النسب . وفي الكامل ٣٤٦ ليسك أنه « السلولى » . وفي حواشيه : « وهم أبو العباس رحمه الله في قوله أبو مريم السلولى ، إنما هو أبو مريم الحمقى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحب مسيلة الكذاب ، واسم أبي مريم إياس بن صبيح ، ثقة كوفى . واسم أبي مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من الصحابة ، روى عنه ابنه يزيد وغيره » . والخبر أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ١٣) والحيوان (٣ : ١٣٦ / ٤ : ٢٠١) .
- (٤) قرفت : قشرت وقلمت . ما عدا ه : « فرقت » تحريف . وفي اللسان : وقولهم تركته على مثل مقرف الصنفة ، وهو موضع القرف ، أى مقشر الصنفة » .
- (٥) الجلبة بالضم : القشرة تعلو الجرح عند البرء . وانظر (٣ : ٦٠) .
- (٦) المعروف فيه جلب وأحلب ، أى يبس . ل : « تجلف » ولا وجه له .
- (٧) القُبَعَرى ، يفتحات بينها سكون العين ، أصل معناه الجمل العظيم الضخم . والغضبان هذا رجل شيباني ، وكان من زعماء مروافية أهل العراق الذين كان عبد الملك يرضى جانبهم . انظر الطبرى (٧ : ١٨٤) . وقد أوفده الحجاج بكتاب إلى قطرى بن الفجاءة ، نصه في الكامل ٢١٤ ليسك .

فدعا به يوماً ، فلما رآه قال : إنك لَسَمِين ! قال : القَيْدُ والرَّتْعَةُ^(١) ، وَمَنْ يَكُنْ ضَيْفًا لِلْأَمِيرِ يَسْمَنْ .

وقال يزيد بن عياض^(٢) : لما نَقِمَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ ، خَرَجَ يَتَوَكَّأُ عَلَى

٢٧ مروان^(٣) ، وهو يقول : « لِكُلِّ أُمَّةٍ آفَةٌ ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ عَاقِبَةٌ » ، وَإِنَّ آفَةَ

هَذِهِ الْأُمَّةِ عَيَّابُونَ طَقَانُونَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تَحْبُونَ ، وَيُسِرُّونَ مَا تَكْرَهُونَ ، طَغَامٌ مِثْلُ النَّعَامِ ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، لَقَدْ نَقِمُوا عَلَى مَا نَقَمُوهُ عَلَى عُمَرَ ، وَلَكِنْ قَمَعَهُمْ عُمَرُ وَوَقَمَهُمْ . وَاللَّهِ إِنِّي لَأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَعَزُّ نَفَرًا . فَضَلَ فَضْلًا مِنْ مَالِي ، فَمَا لِي لَا أَفْعَلُ فِي الْفَضْلِ مَا أَشَاءُ .

قال : ورأيتُ النَّاسَ يَتَدَاوِلُونَ رِسَالَةَ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ^(٤) ، عَلَى لِسَانِ يَزِيدَ

١٠ ابنِ الْمُهَلَّبِ^(٥) : « إِنَّا لَقَيْنَا الْعَدُوَّ فَقَتَلْنَا طَائِفَةً وَأَسْرَيْنَا طَائِفَةً ، وَلَحَقَتْ طَائِفَةٌ »

(١) الرتعة ، بالفتح وبالتحريك : الاتساع في الخصب . والخبر في اللسان (رقع) بلفظ : « الخفض والدعة ، والقيد والرتعة ، وقلة التمتعة » . وأول من قال « القيد والرتعة » هو عمرو بن الصمق ، وكانت شاكر من همدان قد أسروه ، فأحسنوا إليه ، وقد كان يوم فارق قومه نحيفاً ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أي عمرو ، خرجت من عندنا نحيفاً وأنت اليوم بادن ! فقال : القيد والرتعة . انظر اللسان والميداني (٢ : ٤١) .

(٢) هو أبو الحكم يزيد بن عياض بن جعدة الليثي المدني ، من صغاف أهل الحديث ، توفي بالبصرة في خلافة المهدي . تهذيب التهذيب .

(٣) مروان هذا ، هو مروان بن الحكم والد عبد الملك . ولد لستين خلتما من الهجرة ، وقبض رسول الله وهو ابن ثمان سنين ، وولي لعبد الله بن عامر رسالاً من أردشير خره ، ثم ولي البحرين لمعاوية ثم المدينة مرتين ، ثم بويج له بالخلافة ، فوليا عشرة أشهر ، ومات بالشام سنة خمس وستين .

(٤) يحيى بن يعمر التابعي ، أديب نحوي فقيه ، كان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علماً باللغة ، سمع ابن عمر وجابر وأبا هريرة ، وأخذ النحو عن أبي الأسود . ولاء قتيبة ابن مسلم قضاء خراسان وتوفي سنة ١٢٩ . بغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب ، وابن الأثير .

(٥) وجه الرسالة إلى الحجاج ، كما في اللسان (٦ : ٢٣٥) وما يفهم من السياق .

٢٥ ويزيد هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادها ، وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكرهه لنجاسته ، فأشار على عبد الملك بعزله ، فعزله ثم حبسه الحجاج وعذبه ، فهرب إلى سليمان بالشام فأواه ، وحبسه عمر بن عبد العزيز فهرب أيضاً ، ولما ولي يزيد بن عبد الملك خلعه فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله . وفيات الأعيان .

بعرعر الأودية وأهضام الغيطان ، وبتنا بعرة الجبل ، وبات العدو بمضيضه »
قال : فقال الحجاج : ما يزيد بأبي عذر هذا الكلام ^(١) . فقيل له : إن معه يحيى
ابن يعمر ! فأمر بأن يحمل إليه ^(٢) فلما أتاه قال : أين ولدت ؟ قال : بالأهواز .
قال : فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : أخذتها عن أبي .

• عرعر الأودية : أسافلها . وعرعر الجبال : أعاليها . وأهضام الغيطان :
مداخلها . والغيطان : جمع غائط ، وهو الحائط ذو الشجر .

ورأيتهم يديرون ^(٣) في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر
فاتهرها مراراً ، فقال له يحيى بن يعمر : « إِنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شَكْرَهَا وَشَبْرِكَ ،
أَنْشَأْتَ تَطْلُهَا وَتَضْهَلُهَا ^(٤) » .

١٤ قالوا : الضهل : التقليل . والشكر : الفرج ^(٥) . والشبر : النكاح ^(٦) .
وتطلها : تذهب بحققها ؛ يقال دم مطلول . ويقال بثر ضهل ، أى قليلة الماء .
قال : فإن كانوا إنما رَوَوْا هذا الكلامَ لأنه يدلُّ على فصاحة فقد باعده
الله من صفة البلاغة والفصاحة . وإن كانوا إنما دوّنوه في الكتب ،
وتذاكروه في المجالس لأنه غريب ، فأبيات من شعر العجاج وشعر الطرمّاح
وأشعار هذيل ، تأتي لهم مع حُسن الرصف على أكثر من ذلك ^(٧) . ولو خاطب
١٥ بقوله « إِنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شَكْرَهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطْلُهَا وَتَضْهَلُهَا » الأصمعيّ ،

(١) يقال هو أبو عذر هذا الكلام وعذرتة أيضا . أى أول من قاله . كأنه افتضه
أولا . فيما عدل : « بأبي عذرة » .

(٢) بدلها فيما عدل : « فحمل إليه » .

(٣) ل : « يزيدون » تحريف .

٢٠

(٤) الخبر في اللسان (شكر ، شبر ، طلل ، ضهل) . والصناعتين ٣٠ .

(٥) فيما عدل : « الجماع » والصواب ما أثبت من ل .

(٦) فيما عدل : « البضع » كلاهما صحيح .

(٧) فيما عدل : « عما ذكروا » . وما أثبت من ل يطابق ما في الصناعتين .

لظننتُ أنه سيجهل بعض ذلك . وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .
قال أبو الحسن : كان غلامٌ يقعرُ في كلامه ، فأتى أبا الأسود الدؤلى^(١)
يلتمس بعضَ ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك ؟ قال : « أخذته الحُمى
قطبختَه طبخًا ، وفنّختَه فنّخًا ، وفضّختَه فضخًا ، فتركتَه فرخًا » .

• فنّخه : أضعفته . والقنيخ : الرخو الضعيف . وفضّخته : دقّته .

فقال أبو الأسود : « فما فعلت امرأتُه التي كانت تُهازُه وتشارُه^(٢) ،
وتجارُه^(٣) وتزَارُه » ؟ قال : « طَلَّقَهَا فترَوَّجتْ غيرَه ، فرضيتْ وحَظيتْ وبظيتْ » .
٣ قال أبو الأسود : قد عرفنا رضىت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : حرف من
الغريب لم يبلغك . قال أبو الأسود : يا بُنى كلِّ كلمةٍ لا يعرفها عمك فاستُرْها كما
تستر السُّنورُ جَعْرَها^(٤) .

١٠

تزارُه : تُعاضُه . والزَّرُّ : العض . وحَظيت : من الحُظوة . وبظيت :
إتباعٌ لحظيت .

قال أبو الحسن : مرَّ أبو علقمة النحوى^(٥) ببعض طرق البصرة ، وهاجت به مرَّةٌ ،
فوثب عليه قومٌ منهم فأقبلوا يعصُّون إبهامه ويؤذِّنون في أذنه ، فأفلت منهم^(٦)
فقال : « ما لكم تتكأ كئون على كَأ تَكأ كئون على ذى جِنَّة^(٧) ، افرقعوا
١٥

(١) فيما عدل : « الدئل » . ويقال في النسبة إلى « دئل » : « دؤلى » و « دئلى » .

(٢) تهازه : تهر في وجهه كما يهر الكلب . وتشاره : تعاديه وتخاصمه . فيما عدل :
« تشاره وتجاره » .

(٣) تجاره : تلحق به الحريرة .

٢٠

(٤) فيما عدل : « خردها » .

(٥) أبو علقمة النحوى النيرى . قال ياقوت : أراه من أهل واسط . وقال القفطى :

قديم العهد يعرف اللغة ، كان يتقعر في كلامه ويعتمد الحوشى من الكلام والغريب . بغية
الوعاة ٣٢٥ . وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٥ - ٢١٥) .

(٦) فيما عدل : « من أيديهم » . وانظر الخبر في الصناعتين ٢٧ .

٢٥

(٧) الجنة : الجنون . فيما عدل : « كانكم تتكأ كئون » .

عَنِّي^(١) . قال : دُعُوهُ فَإِنَّ شَيْطَانَهُ يَتَسَكَّمُ بِالْهِنْدِيَّةِ .

قال أبو الحسن : وهاجَ بأبي علقمة الدم فأتَوْهُ بِحِجَامٍ ، فقال للحِجَام : « اشدُّ قَصَبِ الْمَلَّازِمِ^(٢) » ، وَأَرْهِفِ ظُبَاتِ الْمَشَارِطِ ، وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَعَجِّلِ النَّزْعَ ، وليكن شرطك وخزاً ، ومصُّك نهرًا ، ولا تُكْرِهَنَّ أَبْيَا ، ولا تَرْدَنَّ أُتَيَّا .
فوضع الحجام محاجمه في جُوتته ثم مضى^(٣) .

فحديثُ أبي علقمة فيه غريب ، وفيه أنه لو كان حجاماً مرّة ما زاد على ما قال . وليس في كلام يحيى بن يعمر شيء من الدنيا إلا أنه غريب ، وهو أيضاً من الغريب بغيض .

وذكروا عن محمد بن إسحاق قال : لما جاء ابن الزبير وهو بمكة قتل مروان الضحاك^(٤) بمرج راهط ، قام فينا خطيباً فقال : « أن ثعلب بن ثعلب ، حَفِرَ بالصَّحْصَحة ، فأخطأت استه الحفرة^(٥) . والتهف أم لم تلدني على رَجُلٍ من محارب^(٦) كان يرعى في جبال مكة ، فيأتي بالصَّربَةِ من اللبن^(٧) فيبيعها بالقُبْضَةِ من الدقيق ، فيرى ذلك سِداداً من عيش ، ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثَةَ النبوة » .

- ١٥ (١) يروى هذا القول أيضاً لعيسى بن عمر ، كما في بغية الوعاة ٣٢٥ .
(٢) الخبر في الصناعتين ٢٦ - ٢٧ . والملازم : جمع ملزم ، بالكسر ، وهو خشبتان مشدود أوساطهما بحديد تجمل في طرفها فتناحى فتلزم ما فيها لزوماً شديداً .
(٣) فيما عدل : « وانصرف » . الجوة ، بالضم : سلية مستديرة مغشاة أدماً .
(٤) الضحاك هذا هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهرى ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ، ولله معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق . ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان فقتل بمرج راهط سنة ٦٤ . الإصابة ٤١٦٤ والطبري (٧ : ٣٧ - ٤١) .
(٥) الصحصحة والصحصح : الأرض المستوية الواسعة . والخبر في اللسان (٣ : ٣٣٩) .
وقال : « وهذا مثل للعرب تضرده فيمن لم يصب موضع حاجته . يعني أن الضحاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها » .
٢٥ (٦) يعني الضحاك بن قيس ، ينتهي نسبه إلى محارب بن فهر .
(٧) الصربة : الواحدة من الصرب ، وهو اللبن الحقيق الحامض . فيما عدل : « بالشربة » . وهذه العبارة في اللسان (صرب) .

وأول هذا الكلام مستكره ، وهو موجود في كل كتاب ، وجارٍ على
لسان كل صاحب خبر . وقد سمعتُ لابن الزبير كلاماً كثيراً ليس هذا في
سبيله ، ولا يتعلق به .

وقال أبو يعقوب الأعور^(١) :

- وَخَلْجَةٌ ظَنٌّ يَسْبِقُ الطَّرْفَ حَزْمُهَا تُشِيفُ عَلَى غَنَمٍ وَتُمْكِنُ مِنْ دَخْلِ
صَدَعَتْ بِهَا وَالْقَوْمُ فَوْضَى كَانَتْهُمْ بِكَارَةِ مِرْبَاعٍ تُبْصِبُ لِلْفَحْلِ
خلجة ظن : أى جذبه ظن ، كأنه يجذب صواب الرأي جذبا . والخلج :
الجلذب^(٢) . تُشِيفُ : أى تُشْرِفُ ؛ يقال أَشَافَ وَأَشْفَى بمعنى واحد ، أى أَشْرَفَ .
بِكَارَةِ مِرْبَاعٍ : أى نَوْقٍ فَتَايَا^(٣) قَدْ أَذَلَّتْ لِلْفَحْلِ . مِرْبَاعٍ : أى نَوْقٍ
رئيس^(٤) . والمرباع : رُبْعُ الغنيمة في الجاهلية لصاحب الجيش . وقال ابن عَنَمَةَ^(٥) :
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ^(٦)

وقال رجل من بني يربوع :

- إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ثُمَّ أَشْكُو إِلَيْكَمَا وَهَلْ تَنْفَعُ الشُّكُوى إِلَى مَنْ يَزِيدُهَا
حَزَازَاتٍ حُبٍّ فِي الْقَوَادِ وَغَيْرَةٍ أَظْلُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَذُودُهَا^(٧)
يَحْنُ قَوَادِي مِنْ مَخَافَةٍ بَيْنَكُمْ حَنِينَ الْمَرْجَى وَجِهَةً لَا يَرِيدُهَا

(١) فيما عدال : « الأعور السلمي » ولست منه على بينة . وقد أُنشِدَ له الحافظ

شعرا في الحيوان (٧٢ : ٣) وذكره أيضا في (٣١٦ : ٥) .

(٢) بدل هذا كله في ٥ : « خلجة ظن ، أى ظن سريع » .

(٣) فتايا : جمع فتية . فيما عدال : « صغار » .

(٤) في الأصول : « ربيع » وفي اللسان : « ما يأخذه الرئيس » .

(٥) هو عبد الله بن عنمة الضبي ، أحد شعراء المفضليات ، وهو مخضرم شهد الفادسية ،

ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٣٣٤ . وانظر الخزاعة (٥٨ : ٣) .

(٦) البيت في اللسان (ربيع ، صفا ، نشط ، فحل) . وهو من أبيات ثمانية في الحماسة

(١ : ٤٢٠) .

(٧) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . ل : « حرارات » .

وقد أحسن الآخر حيث قال :

وأكرم نفسي عن مناكح جمّة ويقصر مالى أن أنال الغواليا
وقال الآخر :

وإذا العبدُ أغلق البابَ دوني لم يُحرّم علىّ متنُ الطريقِ
وقال الخليل العطاردى^(١) : كنّا بالبادية إذ نشأ عارضٌ وما فى السماء
قرعة معلقة^(٢) ، وجاء السيلُ فاكسح أبيتا من بنى سعد ، فقلت :

فرحنا بوسمى تالّق ودقّه عشاء فأبكنا صباحاً فأسرعا^(٣)
له ظلّة كان ريقَ وبلها عجاجة صيف أو دخان ترفعا^(٤)
فكان على قوم سلاماً ونعمة وألحق عاداً آخرين وتبعاً^(٥)

وقال أبو عطاء السندى^(٦) ، لعبيد الله بن العباس السكندى :

قل لعبيد الله لو كان جعفرٌ هو الحى لم يبرح وأنت قتيل^(٧)
إلى معشرٍ أزدوا أخاك وكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول ١٢٣
فقال عبيد الله : أقول عَضَّ أبو عطاء يبظُر أمّه ! فغلب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير ، فى أبى رُهم السدوسى ، وكان يلى الأعمال

١٥ لأبى جعفر :

(١) قال فى المؤلف ١١٣ : « الخليل السعدى ، وهو الخليل بن زفر ، أحد بنى عطارد
ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، يقال له الخليل العطاردى » .

(٢) القرعة ، بالتحريك : واحدة الفزع ، وهو قطع السحاب .

(٣) الوسمى : مطر الربيع الأول . والودى : المطر .

(٤) الريق : أول كل شئ . ترفع : ارتفع .

(٥) ل : « سلاماً وسرة » . ألحق الآخرين عاداً : أهلكهم مثلهم .

(٦) أبو عطاء السندى ، هو أفلح بن يسار ، مولى لبني أسد ، وشاعر من مخضرمى
الدولتين . وكان من شيعة بنى أمية . توفى عقب أيام المنصور . الخزائن (٤ : ١٧٠) والشعر
والشعراء والأغنى (١٦ : ٨٨ - ٨٤) .

(٧) فيما عدل ، هـ : « وقل » بدون الحرم . كما أن هذا البيت فيما عداها متأخر عن لائقه .

رَأَيْتُ أَبَارُهُمْ يَقْرَّبُ مُنْجِحًا غَلَامَ أَبِي بَشْرٍ وَيُقْصِي أَبَا بَشْرٍ^(١)
فَقُلْتُ لِيَحْيِي كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحًا فَقَالَ : لَهُ أَيْرُ يَزِيدَ عَلَى شَبْرٍ

- وقال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في خطبها الخصرة والقناة والقضيب ، والاتكاء والاعتماد على القوس ، والحد في الأرض ، والإشارة بالقضيب ، بكلام مستكره سند كره في الجزء الثاني^(٢) ، إن شاء الله . ولا بد من أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، وابن الزبير ، وسليمان ، وعمر ابن عبد العزيز ، والوليد بن يزيد بن الوليد ؛ لأن الباقي من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذي يلحق بالخطب ، وبصناعة المنطق ، إلا اليسير . ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منشور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج . ولا بد من أن نذكر فيه شأن إسماعيل صلى الله عليه وسلم وانقلاب لغته بعد أربع عشرة سنة ، وكيف نسي لغته التي ربي فيها ، وجرى على أعراقها ، وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية على غير تلقين ولا ترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حنسة ، ولا تعلق بلسانه شيء من تلك العادة ، إن شاء الله .

ولا بد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه ، وبعض ما يحضرنى من كلام آبائه وجلة رهطه . ولا بد أيضاً من ذكر من صعد المنبر فتحصر أو خلط ، أو قال فأحسن ؛ ليكون أثم للكتاب^(٣) إن شاء الله .

(١) فيما عدل : « ويحفو أبا بشر » . وأشير في « إلى رواية : « يقصى » .

(٢) فيما عدل : « الثالث » وهو خطأ .

(٣) فيما عدل : « ليكون الكتاب آكل » .

ولا بدّ من ذكر المنابر ولیم اتخذت ، وكيف كانت * الخطباء من العرب ٢٢٤
في الجاهلية وفي صدر الإسلام^(١) ، وهل كانت المنابر في أمة قط غير أمّتنا ،
وكيف كانت الحال في ذلك . وقد ذكرنا أنّ الأمم التي فيها الأخلاق والآداب
والحکم والعلم أربع ، وهي : العرب ، والمهند ، وفارس ، والروم . وقال حُكیم
ابن عیّاش الكلبي^(٢) :

ألم يكُ مُلكُ أرضِ الله طُراً لأربعٍ له متبیزینا
لحمیر والنّجاشی وابنِ كِسرَى وقیصرَ غیرَ قولِ المُمتَرینا
فما أدري بأی سببٍ وَضع الحبشة بهذا المكان . وأما ذكره لحمیر فإن كان
إنما ذهب إلى تبّع نفسه في الملوك ، فهذا له وجه . وأما النّجاشی فليس هو عند
الملوك في هذا المكان ، ولو كان النّجاشی في نفسه فوق تبّع وكِسرَى وقیصرَ
لما كان أهلُ مملكته من الحبش في هذا الموضع . وهو لم يفضل النّجاشی لمكان
إسلامه ، يدلّ على ذلك تفصيله لكِسرَى وقیصرَ . وكان وَضعَ كلامه على ذكر
الممالك ، ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك . والدليل على أن العرب أنطقُ ،
وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدلّ ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال
التي ضُرِبَتْ فيها أجود وأسير . والدليل على أن البديهة مقصورة عليها ، وأن
الارتجال والاقتضاب خاصٌّ فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي

١٠ (١) فيما عدال : « ، » « صدور الإسلام » .

(٢) ضبط « حكيم » من « . » وحكيم هو المعروف بالأعور الكلبي . وهو شاعر مجيد
كان منقطعاً إلى بني أمية بدمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة . وكان بينه وبين الكيت بن زيد مفاخرة ،
٢٠ وهو التماثل في نعصبه لليمن على مصر :

ما سرفني أن أمي من بني أسد وأن دبي نجان من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار
إرشاد الأريب (١٠ : ٢٤٧ - ٢٤٩) والأغاني (١٥ : ١٢٢ - ١٢٣) .

تسميه الرثوم والفرس شعراً . وكيف صار النسيب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ، وهذا لا يُصاب في العرب إلا القليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسّط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون .

وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب العي والّلحن والغلط والغفلة ؛ أبواباً طريفة^(١) ، ونذكر فيه النوكتي من الوجوه ومجانين العرب ، ومن ضرب به المثل منهم ، ونوادر من كلامهم ، ومجانين الشعراء . ولست أعنى مثل مجنون بني عامر ، ومجنون^(٢) بني جمدة ، وإنما أعنى مثل أبي حية في أهل البادية ، ومثل جعيفران في أهل الأمصار ، ومثل أريسيموس^(٣) اليوناني .

وسنذكر أيضاً بقية أسماء الخطباء والتسك وأسماء الظرفاء والملحاء ، إن شاء الله . وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ، ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله .

وقال أبو الحسن المدائني : قال الحجاج لأنس بن مالك ، حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الأشعث : « لا مرحباً بك ولا أهلاً . لعنة الله عليك من شيخ جوال في الفتنة ، مرة مع أبي تراب ، ومرة مع

(١) فيما عدل ، هـ : « طريفة » بالمعجمة .

(٢) الحق أن هذا المجنون والذي قبله واحد . فإن المجنون الدامري هو قيس بن الملوح ابن مزاحم بن قيس بن عدس بن ربيعة بن جمدة . انظر المؤلف ٢٨٨ حيث ساق أيضاً عن يسمى بالمجنون من الشعراء : المجنون الشريدي ، والقشيري ، والتميمي .

(٣) كذا في ل . وفي هـ : « أريسيموس » ، وسائر النسخ : « أريسيموس » .

ابن الأشعث . والله لأقلعنك قلع الصمغة^(١) ، ولأعصبتك عصب السلعة^(٢) ،
ولأجرّدك تجريد الضب^(٣) . قال أنس : من يعنى الأمير أعزّه الله^(٤) ؟ قال :
ليّاك أغني ، أصمّ الله صدك^(٥) ! فكتب أنس بذلك إلى عبد الملك بن مروان ،
فكتب عبد الملك إلى الحجاج :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستفربة بعجم الزبيب^(٦) ، والله لقد
همت أن أركلك ركلة تهوى بها في نار جهنم^(٧) . قاتلك الله ، أخيفش العينين
أصكّ الرّجلين^(٨) ، أسودّ الجاعرتين . والسلام . »

وكان الحجاج أخيفش ، أمّسلق الأجفان ، ولذلك قال إمام بن أكرم
النميرى^(٩) ، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه ، فلما
خرج قال :

طليقُ الله لم يَمُنْ عليه أبو داود وابنُ أبي كثيرٍ
ولا الحجاج عيني بنتِ ماءٍ تقلّب طرفها حذر الصّقورِ
لأنّ طير الماء لا يكون أبداً إلا مُنسلقَ الأجفان .

قال : وخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : « والله ما بقي من الدنيا

- ١٥ (١) انظر ما سبق في ص ٣٧٦ .
(٢) السلم : شجر من الغضاء . وإمام يعصب لتخبط أوراقه فتتناثر للماشية . انظر
اللسان (عصب) حيث تفسير العبارة .
(٣) تفسيره في اللسان (جرد) : « أي لأسلخنك سلخ الضب ؛ لأنه إذا شوى جرد
من جلده » . (٤) فيما عدل : « أبقاه الله » .
(٥) الصدى : رجع الصوت . وهذا كناية عن الإهلاك ، إذا مات الرجل فإنه لا يسمع
صوته ولا يجاب .
(٦) وكذا في اللسان (خرم) وفي ل : « بحب الزبيب » وعجم الزبيب : حبه . والمستفربة :
التي تجعل الدواء في منها ليفضيق .
(٧) ل : « إلى نار جهنم » .
(٨) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .
٢٥ (٩) فيما عدل : « إمام بن أكرم » .

إلا مثلُ ما مضى ، وهو أشبهُ به من الماء بالماء . والله ما أحبُّ أن ما مضى من الدنيا لي بعماتي هذه .

المفضل بن محمد الضبي قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : أن ابعث إلى بالآدم الجعد^(١) ، الذي يفهمني ويفهم عني . فبعث إليه غدام بن شتير^(٢) فقال الحجاج : لله درّه ! ما كتبتُ إليه في أمرٍ قطُّ إلا فهم عني وعرف ما أريد . وقال * أبو الحسن وغيره : أراد الحجاجُ الحجَّ ، فخطب الناس فقال : « أيُّها الناس ، إني أريد الحجَّ ، وقد استخلفت عليكم ابني محمدًا هذا ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُقبل من محسنهم ، ويُتجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته ألا يُقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ١٠ ألا وإنَّكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى^(٣) . ستقولون بعدى : لا أحسن الله له الصَّحابة^(٤) ! ألا وأننى معجِّلٌ لكم الإجابة^(٥) ، لا أحسن الله عليكم الخِلافة » . ثم نزل .

وكان يقول في خطبته : « أيُّها الناس ، إنَّ الكفَّ عن محارم الله أيسرُ من الصَّبر على عذاب الله » . ١٠

وقال عمرو بن عُبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصيةً زيادٍ بيده وأمر النَّاسَ بحفظها وتدبُّر معانيها ، وهى : « إنَّ الله عز وجل جعل لعباده عُقُولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسنٍ بنعمة الله

(١) الآدم : الأسود . والجعد : الخفيف ، وقيل المجتمع الشديد .

(٢) فيما عدال ، هـ : « غدام بن شتير » . ٢٠

(٣) ل : « مقالا ما يمنعكم من إظهاره إلا مخافتى » .

(٤) في القاموس : « صحبه ، كسمه ، صحابة ويكسر » .

(٥) ل : « الجواب » .

عليه ، ومسيء بخذلان الله إياه . والله النعمة على المحسن ، والحبسة على المسيء .
فما أولى من تمت عليه النعمة في نفسه ، ورأى العبرة في غيره ، بأن يضع الدنيا
بحيث وضعها الله فيعطى ما عليه منها ، ولا يتكثر مما ليس له فيها ؛ فإن الدنيا
دار فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بد من لقاء الله عز وجل . فأحذركم الله
الذى حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة ، قبل أن تصيروا إلى
الدار التي صاروا إليها ، فلا تقدروا^(١) فيها على توبة ، وليست لكم منها أوبة .
وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم .
قد روى هذا الكلام عن الحجاج ، زياداً أحق به منه .

(١) في جميع النسخ : « فلا تقدرون » .

باب

ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يحو أثر الكلام

قال جرير :

تُكَلِّفُنِي رَدَّ الْفَوَائِتِ بَعْدَ مَا سَبَقَنُ كَسَبَقِ السَّيْفِ مَا قَالَ عَاذُلُهُ ^(١)

وقال الكُمَيْت بن معروف ^(٢) :

خَذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمُ عَقْلَكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سَيِّمَ الْهُوَانَ فَأَرْبَعًا ^(٣)

ولا تَكْثُرُوا فِيهِ الضَّجَّاجَ فَإِنَّهُ حَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا ^(٤)

والمثل السابق ^(٥) : « سبق السيف العذل » ^(٦) .

ومن أهل الأدب : زكرياء بن درهم ، مولى بنى سليم بن منصور ، صاحب

سعيد بن عمرو الحرشي ^(٧) . وزكرياء هو الذي يقول :

(١) فيما عدال : « رد العواقب » تحريف . والقصيدة من النماذج ٦٣٩ يجب بها الفرزدق . ورواية الديوان ٤٨٣ والنماذج :

« وما بك رد للأوابد بعد ما »

(٢) وكذا جاءت النسبة في حسان البحري ١١ وترج الحماسة لتهريزي (١ : ٢٠٦)

بولاق . وقيل هو الكُميت بن ثعلبة . الخزانة (٤ : ٥٦٠) والمؤلف ١٧٠ .

(٣) العفل : لديه . فيما عدال : « العفل قومكم » . سامه الهوان : أراداه عليه .

وأربع : أقام في المربع عن الارتياح والنجمة . وبروي : « فارنعا » . وفسره في الخزانة بأنه من قولهم أرتع إبنة ، جعلها يأكل ما ساء . انظر الحيوان (٣ : ٧٩) .

(٤) فيه ، أى في الأمر . وبروي : « فيها » ، أى في القضية . وابن دارة هو سالم بن

مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزاري .

(٥) فيما عدال : « والمثل السائر من قبل هذا » .

(٦) العذل ، بالتحريك : اسم من عذله يعذله ، إذا لامه . والمثل للحارث بن ظالم ، كان

قد ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره فقال : « سبق السيف العذل » .

(٧) سعيد بن عمرو الحرشي : أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وقتك

بمن معه سنة ١٠١ ، وولاه ابن هيرة خراسان سنة ١٠٣ ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة

ولا يمتدح بإمارته ، فعزله وعذبه . والحرشي : نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . انظر

الجهشياري ٦١ والطبري (٨ : ١٤٣ ، ١٦٨ - ١٧٥) والحيوان (٤ : ٣٣) .

- لا تُنْكروا لسعيد فضل نعمته لا يشكر الله من لا يشكر الناس
- ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام إلى الحرشي : الشرادق بن عبد الله السدوسي الفارسي^(١) . ولما ظفر سلم بن قتيبة^(٢) بالأزد ، كان من الجند في دور الأزد اتهاب وإحراق ، وآثار قبيحة ، فقام شيب بن شيبه إلى سلم بن قتيبة فقال : أيها الأمير ، إن هريم بن عدى بن أبي طحمة^(٣) — وكان غير منطيق — قال ليزيد بن عبد الملك في شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إننا والله ما رأينا أحداً ظلم ظلمك ، ولا نصر نصرك ، ولا عفا عفوك^(٤) . وإننا نقول أيضاً : أيها الأمير ، إننا والله ما رأينا أحداً ظلم ظلمك ، ولا نصر نصرك . فافعل الثالثة نقلها .
- قال الهيثم بن عدى : قام عبد الله بن الحجاج التغلبي إلى عبد الملك بن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حنقاً عليه ، فأقام بيابه حولاً لا يصل إليه ، ثم ثار في وجهه في بعض ركباته فقال :
- أدنو لترحمي وترتقي خلتي وأراك تدفعني فأين المدفع^(٥)
- فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :
- ولقد أذقت بني سعيد حرها وابن الزبير قعره متضعع^(٦)
- فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا أستغفر الله .

(١) فيما عدل ، ه : « الفارسي » تحريف .

(٢) ل والتمورية : « مسلم بن قتيبة » تحريف . ورجعة سلم في ١٧٤ .

(٣) كان هريم من فرسان بني تميم في الإسلام . الاشتقاق ١٤٨ . وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب . ولما كبر حول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقبل له : إنك لا تحسن أن تكتب . فقال : إلا أكتب فإني أحمو الصحف . المعارف ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) هذه الجملة في ل والتمورية فقط . وانظر (٢ : ١٠٧) .

(٥) « لترحمي وترتقي » كتبت في - والتمورية بنقطتين من أعلى وآخرين من أسفل . وفي ب : « ليرحمي ويرتقي » .

(٦) فيما عدل : « قرأه متضعع » . وأشير في حواشي ه إلى رواية : « قعره » .

وقال أبو عبيدة : كان بين الحجاج وبين العديل بن الفرخ العجلي^(١) بعض الأمر ، فتوعده الحجاج ، فقال العديل :

أخوَّفُ بالحجاج حتى كأنما يحرك عظم في الفؤاد هَيْضُ
ودون يد الحجاج من أن تنالني بَسَاطُ لأيدي اليعملات عريض^(٢)
٢٢. * مهامه أشباه كأن سراها ملاء بأيدي الغاسلات رحيض^(٣)
المهيض : الذي قد كسر ثم جبر ثم كسر . اليعملات : العوامل ، والياء زائدة لأنها من عملت^(٤) .

ثم ظفر به الحجاج فقال : إياه^(٥) يا عديل ، هل نجاك بساطك العريض ؟ فقال : أيها الأمير ، أنا الذي أقول فيكم^(٦) :

لو كنت بالعنقاء أو ييسومها لكان لحجاج على دليل^(٧)
خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام مصطفى و خليل

(١) العديل ، بهيئة التصغير . والفرخ ، بالفتح ، وضبط في الخزانة (٢ : ٣٦٨) بضم الفاء ، وأراه تحريفاً . وضبط بالفتح في الاشتقاق ٢٠٦ . ل : « فرج » ، التيمورية « فرج » ب ، هـ : « فرخ » والوجه ما أثبت من هـ . والعديل شاعر إسلامي مقل في الدولة المروانية . الخزانة والأغاني (٢٠ : ١١ - ١٩) والشعر والشعراء وحاسة ابن الشجري ١٩٩ .

١٥

(٢) البساط ، بالفتح ، ويكسر : الأرض البسطة الواسعة .

(٣) ملاء بالضم : جمع ملأه . رحيض : مغسول .

(٤) هذا التفسير في ل فقط .

(٥) فيما عدل : « له » .

٢٠

(٦) فيما عدل : « فيك » .

(٧) العنقاء : أكمة فوق جبل شرف . كذا في القاموس ومعجم ياقوت . ويسوم : قال في اللسان : « جبل صخره ملساء » ، وقال ياقوت : « في بلاد هذيل . » وقيل يسوم جبل قرب مكة . في جميع النسخ : « بأسومها » صوابه ما أثبت . ومثله قول محمد بن عبد الله ابن نمير الثقفي ، للحجاج حين خاف منه :

٢٥

ولو كنت بالعنقاء أو ييسومها لخلتك إلا أن تصد تراني

انظر للكامل ٣٥٣ ليسك . ورواية صدر بيت العديل في المراجع المتقدمة :

* ولو كنت في سلمى أجا وشبابها ،

بنى قُبَّةَ الإسلام حتى كأنما هدى الناس من بعد الضلال رسولُ
فقال له الحجاج : اربح نفسك ، واحقن دمك ، وإياك وأختها ؛ فقد كان
الذى بينى وبين قتلك أقصر من إيهام الحبارى .

قال : وقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، خطيباً بالمدينة ، وكان واليها ،
ينعى معاوية ويدعو إلى بيعة يزيد ، فلما رأى رَوْحُ بن زُبَاعٍ إبطاءهم قال :
« أيها الناس ، إنا لا ندعوكم إلى نلح وجذام وكلب ، ولكننا ندعوكم إلى
قريش ومن جعل الله له هذا الأمر واختصه به ، وهو يزيد بن معاوية ، ونحن
أبناء الطعن والطاعون ، وفُضِّلَات الموت ^(١) ، وعندنا إن أجبتكم ^(٢) وأطعتم من
المعونة والعائدة ^(٣) ما شئتم » . فبايع الناس .

قال : وخطب إبراهيم بن إسماعيل ، من ولد المغيرة المخزومي فقال : « أنا ابنُ
الوحيد ، من شاء أجزر نفسه ^(٤) صقراً يلوذ حمامه بالعرفج ^(٥) » .
ثم قال :

استوسقى أحجرة الوجين ^(٦) سمعن حساً أسدٍ حرّون
فهن يضرطن وينثرين

ثم قال : « والله إننى لأبغض القرشى أن يكون فظاً ^(٧) . يا عجبا لقوم يقال
لهم من أبوكم ، فيقولون : أمنا من قریش » .

(١) الفضالة ، بالضم : ما فضل من الشيء . فيما عدل ، هـ : « فضلات » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أحببتم » .

(٣) العائدة : النفع . فيما عدل ، هـ : « والفائدة » .

(٤) أجزر نفسه الصقر : جعلها له جزورا . ل : « أجزرني نفسه » ، وفيما عدل :
« أجزر نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) اقتباس ، هو عجز بيت سبق في ص ٤٨ . وصدوره :

* وبعثت من ولد الأغر معتب *

(٦) استوسق : اجتمعى . والوجين : شط الوادى .

(٧) ل : « فضا » بالفساد المعجمة .

فتكلم رجل من عرض الناس^(١) وهو يخطب ، فقال غيره : مه^(٢) فإن الإمام يخطب . فقال : إنما أمرنا بالإ نصات عند قراءة القرآن ، لا عند ضراط أحمره الوجين .

وقال آخر : سمعت عمر بن هبيرة وهو يقول على هذه الأعواد^(٣) في دعائه : اللهم إني أعوذ بك من عدو يسري ، ومن جليس يغري ، ومن صديق يطري .

قال أبو الحسن : كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرز ، خال مروان ، والياً على مكة والمدينة ، وكان شاعراً سيفه^(٤) لا يُغمده ، وبلغه أن فتى من بني سهم يذكره بكل قبيح ، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال الفتى : لا تعجل علي ، ودعني أتكلم . قال : أو بك كلام ؟ قال : نعم وأزيد ، يا نافع وليت الحرمين تحكم في دماننا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، وبنيت يافوتة بين الصفا والمروة — يعني داره — وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرز ، أحسن الناس وجهاً ، وأكرمهم حسبا ، وليس لنا من ذلك إلا الثراب^(٥) ، لم نحسدك على شيء منه ، ولم ننفسه عليك ، فنفسنا علينا أن نتكلم . قال : فتكلم حتى ينفك فكك^(٦) .

علي بن مجاهد^(٧) ، عن الجعد بن أبي الجعد ، قال : قال صمصمة بن صوحان : ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب عثمان ، دخلت عليه فقلت : أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ! فقال : نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ؛ فما من مات بأرض الحبشة ، وما من مات بالمدينة . قال : وقال الحجاج على منبره : « والله لألحونكم لخواصا ، ولأعصبتكم

(١) هـ : « من البادية » . وفي حواشيا : « خ : الناس » .

(٢) فيما عدل : « صه » . وكلاهما بمعنى اسكت . ينونان عند الروصل .

(٣) أي أعواد المنبر . فيما عدل : « على هذه الأعواد وهو يقول » .

(٤) ل : « وكان سيفه شاعرا » .

(٥) فيما عدل « فلم » . (٦) ل : « حتى ينفك فكك » .

(٧) ترجم في ٣٠١ .

عَصَبُ السَّلَامَةِ ، ولأَضْرَبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ . يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَيَا أَهْلَ الشُّقَاقِ وَالتَّنْفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَيْسَ بِالتَّكْبِيرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ اللَّهُ فِي التَّرْغِيبِ ، وَلَكِنَّهُ التَّكْبِيرُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ التَّرْهيبُ . وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا عِبَاجَةٌ تَحْتَهَا قَصْفُ فِتْنَةٍ . أَيُّ بَنِي اللَّكِيعةِ وَعَبِيدِ الْعَصَا ، وَأَبْنَاءِ الْإِمَاءِ ، وَاللَّهُ ائِنَّ قَرَعَتْ عَصَا عَصَا^(١) لَا تَرْكَنَكُمْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ قَالَ : رَبَّمَا سَمِعْتُ الْحِجَّاجَ يَخْطُبُ ، يَذْكُرُ مَا صَنَعَ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمَا صَنَعَ بِهِمْ ، فَيَقَعُ فِي نَفْسِي أَنَّهُمْ يَظْلُمُونَهُ وَأَنَّهُ صَادِقٌ ؛ لِبَيَانِهِ وَحَسَنِ تَخْلُصِهِ بِالْحِجَجِ .

قَالَ : وَقَسَّمُ الْحِجَّاجُ مَالًا ، فَأَعْطَى مِنْهُ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ ، وَأَرَادَ أَنْ يَدْفَعَ مِنْهُ إِلَى حَبِيبِ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٢) فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا ، ثُمَّ مَرَّ حَبِيبٌ بِمَالِكٍ ، فَإِذَا هُوَ يَقْسِمُ ذَلِكَ الْمَالَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : أَبَا مُحَمَّدٍ ، لِهَذَا قَبِلْنَاهُ^(٣) ! قَالَ لَهُ حَبِيبٌ : دَعْنِي مِمَّا هُنَاكَ ، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ آخِ الْحِجَّاجِ الْيَوْمَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ قَبْلَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : بَلِ الْيَوْمَ . فَقَالَ حَبِيبٌ : فَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ حَبَّبَ إِلَيْكَ الْحِجَّاجَ .

وَمَرَّ غِيلَانُ بْنُ خَرَّشَةَ الضَّبِّيُّ ، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ^(٤) ، عَلَى نَهْرِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ^(٥) ، الَّذِي يُشَقُّ الْبَصْرَةُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا أَصْلَحَ هَذَا النَّهْرَ لِأَهْلِ هَذَا الْمِصْرِ ! فَقَالَ غِيلَانُ : أَجَلُ وَاللَّهِ أَثِيهَا الْأَمِيرُ ، يَعْلَمُ الْقَوْمُ صَبِيَانَهُمْ فِيهِ السَّبَّاحَةَ ، وَيَكُونُ لِسُقْيَاهُمْ^(٦) وَمَسِيلُ مِيَاهِهِمْ ، وَتَأْتِيهِمْ فِيهِ مِيرَتُهُمْ . قَالَ : ثُمَّ مَرَّ غِيلَانُ

(١) هذه الكلمة الأخيرة ساقطة مما عدل . وما بعد «الإمام» إلى نهاية الفقرة ساقط من هـ .

(٢) سبقَت ترجمته في ص ٣٦٤ . (٣) ل : « قبلته » .

(٤) ترجمة غيلان في ٢٤١ وعبد الله في ٣١٨ . وكان غيلان أحد أصحاب أبي موسى الأشعري ، ثم انتقض عليه وكان سبباً في أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعري ويولي مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشياري ١٤٧ .

(٥) نهر أم عبد الله ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر . كما في معجم البلدان (٣٣٦ : ٨) . وفي الأصل : « نهر عبد الله » تحريف . والخبر في الحيوان (٥ : ١٩٨) بخلاف في اللفظ .

(٦) في الأصول : « لشفاهم » صوابه من العمدة (١ : ١٦٥) .

يسائر زياداً على ذلك النهر ، وقد كان عادى ابن عامر ، فقال زياد : ما أضرب هذا النهر ، بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجل والله أيها الأمير ، تنزُّ منه دورهم ، وتفرّق فيه صبيانهم ، ومن أجله يكثر بموضهم .

فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب ؛ فأما نفسُ حسنِ البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه . ومن ذمّ البيان مدح العي ، وكفى بهذا خبالاً^(١) .
ونحوه بن صفوان كلامٌ في الجبن المأكول ، ذهب فيه شبيهاً بهذا المذهب .
قال : ورجع طاوس^٢ عن مجلس محمد بن يوسف ، وهو يومئذ والى اليمن ، فقال : ما ظننت أن قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم . سمعت رجلاً يبلغ ابن يوسف عن رجلٍ كلاماً فقال رجل من أهل المجلس^(٣) : سبحان الله ! كالمستعظم لذلك الكلام . فغضب ابن يوسف .

قال أبو الحسن وغيره ، قالوا : دخل يزيد بن أبي مسلم^(٤) على سليمان بن عبد الملك ، وكان دميماً ، فلما رآه قال : على رجلٍ أجرٌك رَسَنك ، وسلطك على المسلمين ، لعنة الله ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والأمرُ عني مدير ، ولو رأيتني والأمرُ عليّ مقبلٌ لاستعظمت من أمرى ما استصغرت !
قال : فقال سليمان : أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد ! قال^(٥) : يا أمير المؤمنين ، يحى الحجاج يوم القيامة بين أيك وأخيك ، قابضاً على يمين أيك وشمال أخيك ، فضعه من النار حيث شئت .

(١) فيما عدل : « وكفى بذلك جهلاً وخبالاً » .

(٢) فيما عدل : « في المجلس » . وانظر (٢ : ٢٩٤) .

(٣) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقي ، كان مولى الحجاج بن يوسف ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الحجاج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان .

(٤) فيما عدل : « فقال يزيد » .

وذكر يزيد بن المهلب ، يزيد بن أبي مسلم ، بالعفة عن الدينار والدرهم ،
وهم بأن يستكفيه مِمِّها من أمره ، قال : فقال عمر بن عبد العزيز : أفلا أدلك ٢٣١
على من هو أزهّد في الدرهم والدينار منه ، وهو شرُّ خلق الله ؟ قال : من هو ^(١) ؟
قال : إبليس .

قال : وقال أسيلم بن الأحنف ، للوليد بن عبد الملك قبل أن يستخلف :
أصلح الله الأمير ، إذا ظننت ظنّاً فلا تحقّقه ، وإذا سألت الرجال فسألهم عما تعلم ،
فإذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنّوا ذلك بك فيما لا تعلم ، ودسّ من يسأل لك
عما لا تعلم .

وكان أسيلم بن الأحنف الأسدي ، ذا بيان وأدب وعقل وجاه ، وهو الذي
يقول فيه الشاعر :

ألا أيها الركب المحبون هل لكم بسيد أهل الشام تحبّوا وترجعوا ^(٢)
أسيلمُ ذا كم لا خفاً بمكانه لعين تُرجى أو لأذن تسمع ^(٣)
من النفر البيض الذين إذا اتّموا وهاب الرجال حاقّة الباب قعقعوا ^(٤)
جلاً الأذقر الأحمى من المسك فرقة وطيب الدهان رأسه فهو أنزع
إذا النفر السود اليمان حاولوا له حوك برديه أرقوا وأوسعوا
وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة .

(١) فيما عدال : « قال بلى » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل . والمحبون : الذين تغب بهم دوابهم : تسرع . وفي النسخ
جميعها : « المحبون » تحريف . والأبيات في الحيوان (٤٨٦ . ٣) والعقد (٤٢٣ : ٣)
ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى . وانظر (٣٠٥ : ٣) .

(٣) خفا : مقصور خفاء . فيما عدال : « تدجى » وضبطت هذه الكلمة في ه ، ب
بفتح التاء والدال وتشديد الجيم المفتوحة .

(٤) جعلهم نفرا لقلتهم ؛ والكرام قليل . حلقة الباب ، أى باب الملك . وفي حواشى ه .
٢٥ خ : انتجوا .

الهيثم بن عدى قال : قَدِمْتُ وفودُ العراق على سليمان بن عبد الملك ،
 بعدُ ما استُخْلِفَ ، فأمرهم بشتم الحجاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم ، إنَّ
 عدوَّ الله الحجاج ، كان عبداً زباباً^(١) ، قنوراً ابن قنور^(٢) ، لا نسبَ له في
 العرب . فقال سليمان : أيُّ شتم هذا ؟ إنَّ عدوَّ الله الحجاج كتب إلى : « إنما
 أنت نقطة من مداد ، فإن رأيتَ فيَّ ما رأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنتُ
 لهما ، وإلا فأنا الحجاج وأنتُ النقطة ، فإن شئتُ محوتُك ، وإن شئتُ أثبتُك » .
 فآلَعَنُوهُ لعنه الله ! فأقبلَ النَّاسُ يلعنون ، فقام ابن أبي بردة بن أبي موسى^(٣)
 فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرُك^(٤) عن عدوِّ الله بعلم . قال : هات . قال :
 كان عدوُّ الله يتزيَّن تزويَّن المومِسة ، ويصعد على المنبر فيتكلم بكلام الأخيار ،
 وإذا نَزَلَ عملُ القراءة^(٥) وأكذبُ في حديثه من الدجال .
 فقال سليمان لرجاء بن حيوة^(٦) : هذا وأبيك الشَّتمُ لا ما تأتي به هذه السفلة .
 وعن عوانة قال : قطع ناسٌ من عمرو بن تميم وحنظلة ، على الحجاج
 ابن يوسف ، فكتب إليهم :

مِنَ الحجاج بن يوسف . أما بعد فإنكم قد استصحبتم الفتنة^(٧) — وقال بعضهم

١٥ (١) الزباب ، بالفتح : الجاهل ؛ مأخوذ من الزباب ، وهو صرب من انفار أمم . ل :
 زبانا ، ولا وجه له .

(٢) القنور : العبد . وأنشد أبو المكارم :

أضحت حلائل قنور مجذعة لمصرع العبد قنور بن قنور

(٣) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . واسم أبي بردة عامر ، واسم أبي
 موسى عبد الله بن قيس . وكان أبو بردة وبلال ابنة قاضيين . مات بلال في عذاب يوسف
 ابن عمر . المعارف ١١٥ ، ١٧٤ .

(٤) فيما عدل : « إنا نخبرك » .

(٥) « الجبارة » . وفي حواشيها : « خ : الجبارة » .

(٦) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي الفلسطيني ، كان ثقة فاضلاً كثير العلم ، من
 عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة
 (٤ : ١٨٦) .

(٧) فيما عدل : « استخلصتم الفتنة » .

قد استنتجتم الفتنة^(١) — فلا عن حق تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون ، وأيم الله إني لأهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلي خيل تنسف الطارف والتالد ، وتُخَلَّى^(٢) النساء أيامي ، والأبناء يتامى ، والديار خراباً ، والسواد يياضاً ، فأثما رُققة مرّت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتّى تصير إلى الماء الذي يليه . تقدمه منى إليكم ، والسعيد من وعظ بغيره . والسلام .

مسلمة بن محارب قال : كان الحجاج يقول : « أخطب الناس صاحب العامة السوداء بين أخصاص البصرة^(٣) ، إذا شاء خطب ، وإذا شاء سكت » .
يعنى الحسن . فيقول : لم ينصب نفسه للخطاب^(٤) .

قال : ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية في شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ، قام رجل من حمير ، فقال : إنا لا نطبق أفواه الكمال — يزيد الجمال — عليهم المقال ، وعلينا الفِعال . وقول هذا الحميري : إنا لا نطبق أفواه الكمال^(٥) ، يدلّ على تشادق خطباء زرار .

سفيان بن عيينة^(٦) قال : قال ابن عباس : « إذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « من قال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم » ، لأنّ الذي له على نفسه هذه القوة قد دلّنا على جودة التثبت ، وكثرة الطلب ، وقوة المنة .

.. (١) هذه العبارة من ل فقط .

(٢) فيما عدال : « وتدع » .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، هو البيت من القصب .

(٤) فيما عدال : « يقول إنه لم ينصب نفسه للخطب » .

(٥) بدلها فيما عدال : « وهذا من الحميري » فقط .

(٦) ترجم في ١٠٤ ، ١٧٥ . والخبر في (٢ : ٩٠) .

قال : وقيل لعيسى ^(١) بن مريم عليه السلام : من نُجّالِس ؟ قال : مَنْ يَزِيدُ في علمكم منطقَهُ ، ويُذَكِّرُكم اللهَ رُؤْيُتَهُ ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

قال : ومرة المسيح صلى الله عليه وسلم بقومٍ يَبْكون ، فقال : ما بال هؤلاء ^(٢) ؟ يكون ؟ قيل له ^(٣) : يخافون ذنوبَهُمْ . قال : اتركوها يُغفرْ لكم .

الوصافي ^(٤) قال : دخل الهيثم بن الأسود بن العُريان ^(٥) ، وكان خطيباً شاعراً ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني قد ابيضّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يسودَّ ، واسودَّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يبيضَّ ، واشتدَّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يلين ، ولانَ مني ما كنتُ أحبُّ أن يشتد . ثم أنشد :

اسمع أنبيك بآيات الكبر نومُ العشاء وسُعالُ بالسحر

٢٢ وقلةُ النوم إذا الليل اعتكر ^(٦) وقلةُ الطعم ^(٧) إذا الزاد حضر ١٠

وسرعة الطرف وتحميج النظر ^(٨) وتركى الحسناء في قُبُل الطُّهر ^(٩)

وحذراً أزداده إلى حذر والناس يبلون كما يبلى الشجر

(١) فيما عدل : « للمسيح » .

(٢) فيما عدل « ما هؤلاء » .

(٣) فيما عدل : « قالوا » . وفي هـ : « تغفر لكم » .

١٤

(٤) هو أبو إسماعيل عبيد الله بن الوليد الوصافي الكوفي ، من ولد الوصاف بن عامر العجلي . روى عن محارب وطلوس وجماعة ، وعنه الثوري ووكيع وآخرون ، منهم برواية الضعيف والموضوع . الأنساب ٥٨٤ والتهذيب .

(٥) في الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، وأنه يكنى أبا العريان . وقد ساق القصة بوجه آخر ، قال : « عاد عمرو بن حريث أبا العريان فقال : كيف تجدك » . الخ . وفي اللسان (عكر) أنه أبو العريان . وانظر ما سيأتي في (٣ : ٦٩) .

٢٠

(٦) اعتكر الليل : اشتد سواده . (٧) الطعم ، بالضم : الطعام .

(٨) من مبدأ هذا البيت إلى كلمة « غبد » في (٢ : ١٠) ساقط من التيمورية . والطرف : تحريك الجفون في النظر ؛ والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يشئ ؛ لأنه في الأصل مصدر . والتحميج : تصغير العين لتسكن من النظر . وفي الحيوان (٥ : ٥٠) : « وضعف في النظر » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢١) .

٢٥

(٩) قبل ، بهم القاف وإسكان الباء ، أي في أول الظهر بعد انقطاع الدم . وفي الحديث : « طلقوا النساء من قبل طهرهن » ، أي في إقباله وأوله .

وقال الآخر : «مُرُوا الْأَحْدَاثَ بِالْمِرَاءِ ، وَالْكُهُولَ بِالْفَكْرِ» . فقال عبد الله ابن الحسن^(١) : لِلْمِرَاءِ رَائِدُ الْغَضَبِ ، فَأَخْزَى اللَّهُ عَقْلًا يَأْتِيكَ بِالْغَضَبِ^(٢) . وقالوا : أَرْبَعَةٌ تَشْتَدُّ مَعَاشِرَتُهُمْ : الرَّجُلُ الْمَتَوَانِي ، وَالرَّجُلُ الْعَالِمُ ، وَالْفَرَسُ الْمَرْحُ ، وَالْمَلِكُ الشَّدِيدُ الْمَمْلَكَةُ .

وقال غاز أبو مجاهد ، يعارضه : أَرْبَعَةٌ تَشْتَدُّ مَوَاطِنُهُمْ : النَّدِيمُ الْمَعْرَبُ ، وَالْجَلِيسُ الْأَحْمَقُ ، وَالْمَغْنَى التَّائِهَ ، وَالسَّفَلَةُ إِذَا تَقَرَّأُ^(٣) . وكان أبو شمير الغساني يقول^(٤) : أَقْبَلَ عَلَى فُلَانٍ بِاللَّحْظِ وَاللَّفْظِ ، وَمَا الْكَلَامُ إِلَّا زَجْرٌ أَوْ وَعِيدُ .

قال : وقال عمير بن الحباب^(٥) ، وروى ذلك عنه مسعر^(٦) : مَا أَغْرَتْ عَلَى

١٠ (١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . توفي سنة ١٤٥ . تهذيب التهذيب . فيما عدل : « ابن الحسين » تحريف .

(٢) فيما عدل : « يأتيك به الغضب » وليس بشيء .

(٣) السفلة : الأرذال ، يقال للجميع والواحد أيضا ، يقال هو سفلة . تقرأ : تنسك . انظر ما مضى في حواشي ص ٣٢١ . وهذا ما في ل ، وفي هـ : « تقرءوا » ، وسائر النسخ « تفروا » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدل : « وقال أبو شمير الغساني » .

(٥) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إلياس بن حزاية بن محارب بن مرة بن هلال بن فالح ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، شاعر إسلامي قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت . انظر معجم المرزبان ٢٤٥ والأغاني (١١ : ٥٥ - ٦٠) وللحشاك ياقوتنا في معجم البلدان ، والميداني في الأمثال (٢ : ٣٦٧) وإياه يعني الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقل أصيبت من سليم وعامر
الأغاني (١١ : ٥٨) .

٢٥ (٦) هو مسعر ، بكسر أوله وفتح العين ، بن كدام ، ككتاب ، بن ظهير الهلالي . أبو سلمة الكوفي ، ثقة ثبت فاضل ، توفي سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو خمس وخمسين بعد المائة . تهذيب التهذيب والمعارف ٢١١ والفهرست ٢٨٧ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فجهله الله محدثا » لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفيه يقول ابن المبارك :
من كان ملتصقا جليسا صالحا فليأت حلقة مسعر بن كدام

حتى في الحاهلية أحزم امرأة ولا أعجز وجلا من كلب ، ولا أحزم رجلا ولا أعجز امرأة من تغلب .

قال : وقامت امرأة من تغلب إلى الجحاف بن حكيم^(١) حين أوقع بالبشر ، فقتل الرجال ، وبقر بطون النساء ، فقالت له^(٢) : « فص الله فاك ، وأصمك وأعماك ، وأطال سهادك ، وأقل رقادك ؛ فوالله إن قتلت إلا نساء أسافلهن دمي^(٣) ، وأحاليهن ثدي » . فقال الجحاف لمن حوله : « لولا أن تلد مثلها خلّيت سبيلها^(٤) » . فبلغ ذلك الحسن فقال : « إنما الجحاف جذوة من نار جهنم » . وكان عامر بن الظرب العدواني^(٥) حكما ، وكان خطيبا رئيسا . وهو الذي قال : « يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عزوف ، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه^(٥) ، وإني لم أكن حليما حتى اتبعت الحكماء ، ولم أكن سيّدكم حتى تعبدت لكم » .

وقال^(٦) أعشى بني شيبان :

وما أنا في أمري ولا في خليقتي بمهتضم حتى ولا قارع سني^(٧)

(١) الجحاف بن حكيم السلمي ، قاد فومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر ، بين الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة (٣ : ١٦٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٥ ، ٣٦٧) .

(٢) الخبر ساقه الجاحظ في الحيوان (١ : ٢٤) على هذا النحو . أما أبو الفرج في الأغاني (١٩ : ١٢٩ - ١٣٠) والميداني في (١ : ٣٦٠) فيجعلان الحديث للحمراء بنت ضمرة وعمر بن هند ، في خبر طويل .

(٣) دمي ، بضم الدال وكسر الميم وتشديد الياء : جمع دم . قال سيبويه : « الدم أصله دمي على فعل بالتسكين ؛ لأنه يجمع على دماء ودمي ، مثل غلبى وغلباء وغلبى » . اللسان (١٨ : ٢٩٤) .

(٤) ترجم في ٢٦٤ . وسأني هذه الخطبة في (٢ : ١٩٩) .
(٥) بعدها في المعمرين ٤٧ : « لن يرجع إليه حتى يأتيه » . وقد ساق السجستاني هذه الفقرات في خطبة طويلة لعامر أوصى بها قومه . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٦٦) .
(٦) ل : « فقال » . والأبيات منسوبة إلى أعشى بني ربيعة ، في عيون الأخبار (١ : ٢٧٧) .

(٧) مهتضم : منتقص . وقرع السن كناية عن الندم .

ولا مُسلم مولاى من شرٍّ ما جنى ولا خائف مولاى من شرٍّ ما أجنى
 وإن فؤاداً بين جنبيّ عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذني ٢٣٤
 وفضلني في العقل والشعر أنتي أقول بما أهوى وأعرف ما أغنى
 وقال رجل من ولد العباس : ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق شيئاً^(١) من
 العلم إلا علم الأخبار ، فأما غير ذلك فالتفت والشّدو من القول^(٢) .
 وقال آخر^(٣) :

وصافية تُغشى العيون رقيقة رهينة عام في الدّنان وعام
 أدّرنا بها الكأس الرويّة بيننا^(٤) من الليل حتّى انجاب كل ظلام
 فما ذرّ قرن الشمس حتى كأننا من العيّ نحكي أحمد بن هشام^(٥)
 ومراً رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد^(٦) وهو يقرأ كتاب

(١) فيما عدل : « أن يستغرق في شيء » . وما أثبت من ل يطابق ما في إرساد الأريب
 (١ : ٩٦) . وقد نسب القول فيه إلى معاوية .

(٢) الشّدو : كل شيء قليل من كسر .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، كما في حاشية ابن السّحري ٢٥٩ .

(٤) رواية ابن السّحري : « موهنا » .

(٥) أحمد بن هشام هذا ، من أعبان الدولة العباسية وشعرائها . يروي أبو الفرج في
 الأعاني (٥ : ٦٣) أنه وجه إلى إسحاق رعفران . وكعب إليه :

أسرب على الزعفران الرطب متكئا واعم نعمت بطول اللهو والطرب
 محرمه الكأس بين الناس واجبة كحرمة الود والأرحام والأدب
 فكتب إليه إسحاق :

أذكر أبا حمفر حقاً أمت به إني وإياك مشغوفان بالأدب
 وإننا قد رخصنا الكأس درتها والكأس حرمتها أولى من النسب
 . وفيه بقول محمد بن وهيب . الأعاني (١٧ : ١٤٢) :

إن الأمير على البرية كلها بعد الخليفة أحمد بن هشام

(٦) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، ذكره في الاشتقاق ٤٩ ، قال :

« وأسيد فعيل من قولهم أسد بأسدا ، إذا صار كالأسد » . أسلم عتاب يوم فتح مكة ،
 ولما خرج الرسول إلى حنّس استعمله على مكة وعمره نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى
 أقره أبو بكر عليها . وتوفي هو وأبو بكر في وقت واحد . الإصابة ٥٣٨٣ والمعارف

سيبويه ، فقال : أفـ لكم ، علم المؤدّين وهمّة المحتاجين !

وقال ابن عثاب^(١) : يكون الرجل نحويًا عروضيًا ، وقسمًا فرضيًا ، وحسن الكتاب جيّد الحساب ، حافظًا للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستّين درهما . ولو أنّ رجلا كان حسن البيان حسن التخرّيج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرضَ بألف درهم ؛ لأن النحويّ الذي ليس عنده ٩ إمتاع^(٢) ، كالنجار الذي يدعى ليعلق بابا^(٣) وهو أحذق الناس ، ثمّ يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف . وصاحب الإمتاع يُراد في الحالات كلّها .

خبرنا عبيد الله بن زيد السّفياني^(٤) قال : عوّد نفسك الصبر على المجلس السّوء^(٥) ، فإنّه لا يكاد يخطئك .

وقال سهيل بن عبد العزيز^(٦) : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك في سؤاله ، فاعمره أذنًا صماء ، وعينًا عمياء .

سهيل بن أبي صالح^(٧) عن أبيه^(٨) قال : كان أبو هريرة إذا استنقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرخنا منه !

-
- (١) الخبر رواه ياقوت في مقدمة إرشاد الأريب (١ : ٩٥ - ٩٦) .
 (٢) هذا ما في ل . وفي هـ « الذي لا إمتاع عنده » . وسائر النسخ : « لا متاع عنده » ٤٥
 الأخيرة محرّفة .
 (٣) تعليق الباب : نصبه وتركيبه . اللسان (١٢ : ١٣٧) والحيوان (٣ : ٢٨٦) .
 (٤) فيما عدل : « وقال عبد الله بن يزيد السّفياني » .
 (٥) منع هذا الوصف الأخفش ، وأجازه غيره . اللسان (سوا) .
 (٦) فيما عدل ، هـ : « سهل بن عبد العزيز » . ٢٥
 (٧) هو أبو زيد سهيل بن أبي صالح - واسمه ذكوان السمان الزيات - المافى .
 كان ثقة كثيرة الحديث . توفى في ولاية أبي جعفر . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٢٩) .
 (٨) أبوه أبو صالح ذكوان السمان الزيات المافى ، من ثقات المحدثين ، وكان من أوثق الناس في أبي هريرة ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٣) . ٢٥

وقال ابن أبي أمية^(١) :

شهدت الرقاشي في مجلس وكان إلى بغضاً مقيتاً
فقال اقترح يا أبا جعفر فقلت اقترحت عليك السكوتاً^(٢)
وقال ابن عباس : « العلم أكثر من أن يُحصى ، نخذوا من كل شيء ٢٣٥
بأحسنه^(٣) » .

المداثني عن العباس بن عامر ، قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة^(٤) إلى
عمر بن عبد العزيز أخته فقال :

« الحمد لله رب العزة والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء^(٥) .
أما بعد فقد أحسن بك ظناً من أودعك حرمة ، واختارك ولم يختز عليك ،
وقد زوجناك على ما في كتاب الله ، إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان » . ١٩

قال : وخطب أعرابي وأعجبه القول^(٦) وكره أن تكون خطبته بلا تمجيد
ولا تمجيد ، فقال : « الحمد لله ، غير ملال^(٧) لذكر الله ، ولا إثارة غيره عليه » .
ثم ابتدأ القول في حاجته .

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جعل الله حظكم في الخير ، ولا جعل حظَّ
السائل منكم عذرة صادقة^(٨) » . ١٠

(١) هو محمد بن أمية بن أبي أمية ، كان كاتباً شاعراً طريفاً معاصراً لأبي العباسية ،
وكان ينادى إبراهيم بن المهدي . انظر أخباره في الأغاني (١١ : ٣٠ - ٣٥) .

(٢) فيما عدل : « اقترح كل ما تشتهي » . وفي حواشي ه عن نسخة : « بعض
ما تشتهي » . وفي البيت ما يسميه البلاغيون « المشاكلة » ، كما في قول أبي الرقعمق :

قالوا اقترح شيئاً نحد لك طبعه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً ٢٥

(٣) فيما عدل : « أحسنه » .

(٤) فيما عدل : « بن عتبة » .

(٥) يقال خاتم الأنبياء ، بفتح التاء وكسرهما ، أي آخرهم . وبهما قرئ .

(٦) ل : « فأعجبه أمر » .

(٧) ل : « أما بعد بغير ملال » . ٢٥

(٨) العذرة ، بكسر العين ، مثل الركبة والجلاسة : الاعتذار . وانظر (٢ : ٢٦٨) .

وكتب إبراهيم بن سيابة^(١) إلى صديق له كثير المال ، كثير الدّخل ، كثير النّاض^(٢) يستسلف منه نفقة ، فكتب إليه^(٣) : « العيال كثير ، والدّخل قليل ، والدّين ثقل ، والمال مكذوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت مُملياً فجعلك الله معذوراً^(٤) » . وقال الشاعر :

لعل مُفِيدات الزّمان يُفدني بني صامتٍ في غير شيء يضيرها^(٥)

قال : وقال أعرابيٌّ : « اللهم لا تُنزلني بماء سوء فأكون امراً سوء^(٦) » .

وقال أعرابيٌّ : « اللهم قني عثرات الكرام » .

قال : وسمع مجاشع الرّبعيُّ رجلاً يقول : الشّحيح أعذر من الظالم . فقال :

أخرى الله شيئين خيرهما الشّح .

قال : وأنشدنا^(٧) أبو فروة :

إني امتدحتك كاذباً فأثبتني ، لما امتدحتك ، ما يثاب الكاذبُ

وأنشدني عليُّ بن معاذ :

نالبني عمرو وثالبته فأنتم الملوب والثالب^(٨)

قلتُ له خيراً وقال الخنا كلٌّ على صاحبه كاذبُ

(١) سيابة ، كسحابه ، وأصل معنى السياب البلح أو البسر . وإبراهيم بن سيابة ساعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الهاشمين ، وكان يمدح إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ويتغنيان هما بشعره ، ويرفعان من شأنه ويذكرانه للخلفاء والوزراء . الأعاني (١١ : ٥ - ٨) . والخبر في الأعاني والعقد (٦ : ١٩٢) . ونسب في تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر المريسي .

(٢) الناض والنض : الدراهم والدنانير . فيما عدل : « النض » .

(٣) فيما عدل : « إما مستسلفاً وإما سائلاً » ، فكنت إليه الرجل .

(٤) ملهم ، بضم الميم ، من قولهم : ألام الرجل : أتى بما يلام عليه . فيما عدل :

« محجوجاً » . وفي حواشي : « فجعلك الله معذوراً ، أي جعل عذرتك صادقة » .

(٥) في حواشي : « يعني ببني صامت المال . في غير شيء يضيرها ، أي أستفيدها في

غير مشقة ولا تعب » . (٦) الحيوان (٣ : ٤٧٢) . وسيأتي في (٣ : ٢٦٩) .

(٧) ل : « وأنشد » .

(٨) المثالبة : مفاعله من الثلب ، وهو شدة اللوم والأخذ باللسان .

• أبو معشر^(١) ، قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان ٢٣٦
عمرو بن سعيد قام خطيباً فقال : « إِنَّ أَبَا ذُبَّانٍ قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ^(٢) . كَذَلِكَ
نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

ولما جلس عثمان بن عفان على المنبر قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ
عَلَيْكُمْ إفريقية ، وقد بعث إليكم ابنُ أبي سرح^(٣) ، عبد الله الزبير بالفتح^(٤) .
قم يا ابن الزبير » . قال : فقامت فخطبت ، فلما نزلت قام فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ،
انكِحُوا النِّسَاءَ عَلَى آبَائِهِنَّ وَإِخْوَتِهِنَّ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرِ لَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَلِداً أَشْبَهَ بِهِ
مِنْ هَذَا^(٥) » . وقال الخريجي^(٦) :

وأعددتُه ذخراً لكلِّ مصيبةٍ ومهتُمُ المنايا بالذخائر مَوَلَعٌ^(٧)

وذكر أبو العيزار^(٨) جماعة من الخوارج بالأدب والخطب فقال :

(١) هو أبو معشر نجيج بن عبد الرحمن السندي المدني ، مولى بني هاشم ، سبى في وقعة
يزيد بن المهلب بالحماسة والبحرين . وكان من المحدثين الأئمة ، أقدمه المهدي من المدينة إلى
بغداد سنة ١٦٠ فلم يزل بها حتى مات سنة ١٧٠ في خلافة هارون . وكان من أعلم الناس
بالمغازي . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٣٠٤ .

(٢) أبو ذبَّان : كنية عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان (٣ : ٣٨١ ، ٣٨٢)
والبيان (٢ : ٩٥) . ولطيم الشيطان : لقب عمرو بن سعيد الأشدق . انظر حواشي ص ٣١٤ .
(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري ، وكان أخا عثمان من
الرضاعة ، اشترك في فتح مصر ، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سنة ٢٥ ولاها عبد الله بن
سعد ، فغزا إفريقية سنة ٢٢ ، وكان فتحاً من أعظم الفتوح ، ولما وقعت فتنة عثمان سنة ٣٥
لجأ إلى عسقلان ولم يبايع لأحد ، ومات بها سنة ٣٦ . وقيل : بل شهد صفين وعاش إلى ٥٧ .
الإصابة ٤٧٠٢ .

(٤) في الإصابة ٤٦٧٣ : « وشهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه الزبير . وشهد فتح
إفريقية ، وكان البشير بالفتح » .

(٥) ذاك أن أم عبد الله بن الزبير هي أسماء بنت أبي بكر . والخبر في (٢ : ٩٥) .

(٦) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، المترجم في ١١ ، ١١٥ .

(٧) انظر الحيوان (٣ : ١٤٨ / ٦ : ٤٢٣) والكامل ٧٠٣ ليبسك .

(٨) وكذا جاءت النسبة في الحيوان (٦ : ٤٢٣ - ٤٢٤) . لكن الشعر قد نسب في

الكامل ٧٠١ ليبسك إلى عبيدة بن هلال ، المترجم في ٥٥ .

ومسومٌ للموت يركب ردَّعَه بين القواضب والقنا الخطَّار^(١)
يدنو وترفعه الرَّماحُ كأنه شِلْوٌ تَنَشَّبَ في مَخَالِبِ ضَارِي
فَثَوَى حَرِيماً والرماحُ تَنُوشُهُ إِنَّ الشُّرَاةَ قَصِيرَةُ الأعمارِ^(٢)
أدباه إِمَّا جَتَّهْمَ خطبــــــــــــــــاه ضُمَّناه كُلُّ كَتِيبَةٍ جَرَّارِ^(٣)

* * *

ولَمَّا خَطَبَ سَفِيانُ بن الأبرد الأصمَّ الكلابي^(٤)، فبلغ في الترهيب والترغيب
المبالغَ، ورأى عبيدة بن هلال الشكري^(٥) أن ذلك قد فتَّ في أعضاد أصحابه،
أنشأ يقول :

لَعَمْرِي لقد قام الأصمُّ بخطبةٍ لها في صدور المسلمين غليلُ
لعمري لئن أعطيتُ سفيانَ بَيْعَتِي وفارقتُ ديني إئنِّي لجهول
ولما قام أحد الخطباء الذين تكلموا عند رأس الإسكندر قال أحدهم^(٦) :
« الإسكندر كان أمسٍ أنطقَ منه اليومَ ، وهو اليومَ أوعظُ منه أمس . »
فأخذه أبو العتاهية فقال^(٧) :

٢٣١ * بكيترك يا عليُّ بدرَّ عيني فما أغنى البكاءُ عليك شيئاً^(٨)

- ١٥ (١) ركب ردعه : خر صريعاً لوجهه على دمه وعلى رأسه . والردع : الدم .
(٢) ثوى : هلك . تنوشه : تأخذه وتتناوله .
(٣) الضمناه : الكفلاء ، جمع ضمين . وذكر الوصف « جرار » كأنه ذهب
بالكتيبة إلى معنى الجيش والمسكر .
(٤) سبقت ترجمته في ص ٦١ .
(٥) ضبط « عبيدة » في الاشتقاق ٢٠٧ بضم العين ، وفي الكامل ٧٠١ بالفتح ،
كلاهما ضبط قلم . فيما عدال : « عبد الله بن هلال » ، تحريف .
(٦) انظر ما سبق من تخريج هذا الخبر في حواشي ص ٨١ في الحيوان (٣ : ٦/٩١ :
٥٠٥) والأغاني (٣ : ١٤٢) .
(٧) فيما عدال : « فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال : .
(٨) على هذا ، هو علي بن ثابت ، وكان صديقاً لأبي العتاهية . انظر الأغاني
٢٥ (٣ : ١٤٢) . فيما عدال : « فلم يغن البكاء » .

طوتك خطوبٌ دهرِكَ بعدِ نشرٍ كذاك خطوبُهُ نَشْرًا وطَيًّا
كفى حَزَنًا بدفْنِكَ ثم أنى نفَضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يَدَيَا
وكانت في حياتِكَ لى عظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيًّا

ومن الأسجاعِ الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها^(١) إلى عامل الماء
فقلت : « أما كان بطنى لك وعاء ؟ أما كان حجري لك فناء ؟ أما كان ثدي
لك سقاء ؟ » . فقال ابنها : « لقد أصبحت خطيبةً ، رضى الله عنك » . لأنها قد
أتت على حاجتها بالكلام المتخير كما يبلغ ذلك الخطيبُ بخطبته .

وقال النمر بن تولب :

وقالت ألا فاسمع نَعِظَكَ بخطبةٍ فقلتُ سمعنا فانطقى وأصيبي^(٢)
فلن تنطقى حقًا ولستِ بأهله فقُبِّحتِ ممَّا قائلٍ وخطيب^(٣)
قال أبو عباد كاتب ابن أبي خالد^(٤) : ما جلس أحدٌ قط بين يديَّ إلاَّ
تمثل لى أنى سأجلس بين يديه^(٥) .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ . ليس يريد بلاغة
اللسان ، وإن كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة .

قال : وكانت خطبة قريش في الجاهلية — يعنى خطبة النساء — : « باسمك
الله ، ذُكِرَتْ فلانةُ وفلانٌ بها مشغوف . باسمك اللهم ، لك ما سألت
ولنا ما أعطيت » .

(١) فيما عدل : « الأعرابية لابنها حين خاصمت » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « فاسمع اللفظى وخطبى » . وفى هـ : « فقلت سميعا » .

(٣) ما عدا هـ : « فإن » ، وهى رواية نبه عليها فى حواشى هـ .

(٤) هو أحمد بن أبي خالد ، كما سبق فى ٣٤٧ ص ٥ . والخبر رواه الجاحظ فى الحيوان

(٥ : ١٤٠) .

(٥) زاد فى الحيوان : « وما سرفى دهر قط إلا شغلنى عنه تذكر ما يليق بالدهور

٢٥ من الغير هـ . يابق : يعلق . والغير : الأحوال المتغيرة .

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد الوليد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال : « لم أرَ مثلها مصيبةً ، ولم أرَ مثلها ثواباً : موت أمير المؤمنين ، والخلافة
بعده . إنا لله وإنا إليه راجعون . والحمد لله رب العالمين على النعمة . انهضوا
فبايعوا على بركة الله » . فقام إليه عبد الله بن همام^(١) فقال :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سؤفها إليك حتى قلدوك طوقها

فبايع الناس .

وقيل لعمر بن العاصي^(٢) ، في مرضه الذي مات فيه : كيف تجدك ؟ قال :
« أجدني أذوب ولا أثوب^(٣) » ، وأجدُ نجوى أكثر من رزئي^(٤) ، فما بقاء
الشيخ على ذلك .

(١) عبد الله بن همام المرمي السلولى . والسلولى نسبة إلى سلول أهم ، وأبوهم مرة بن
مصعب بن معاوية بن بكر بن هوازن . المعارف ٣٩ . وعبد الله من شعراء الدولة الأموية .
وكان معاوية قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنائير ، فأبى وإليها النعمان بن بشير أن ينفذ
ما أمر به معاوية ، فقال عبد الله يطالب النعمان بها :

زيادتنا نعمان لا تحرمنا تق الله فينا والكتاب الذى تنلو

الأغاني (١٤ : ١١٥ - ١٦٦) . ولما تزوج مصعب بن الزبير سكتة على ألف ألف ، كتب
عبد الله بن همام إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبى حفص أقول مقاتلي وأبث ما أبشركم لارتاعا

فكان هذا الشعر سببا في عزل مصعب عن البصرة . الأغاني (١٤ : ١٦٣) . وانظر الخزانة
(٣ : ٦٣٩) ومعاهد التنصيص (١ : ٩٦) والشعراء لابن قتيبة .

(٢) في تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو
العاصي بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لُجبت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع
النحاة . يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى
للشافعية (٢ : ٣٠٣) .

(٣) أثوب : أرجع ، أى لا أرجع إلى صحتي ولا تحسن حالى .
(٤) رزئى ، أى ما أرزؤه من الطعام وأصيبه . والخبر في اللسان (١ : ٧٩) .

وقيل لأعرابي كانت به أمراضٌ عدّة ، كيف تجدك ؟ قال : « أتما الذي يعمدني فحضر وأشر^(١) » .

وعن مقاتل^(٢) قال : سمعت يزيد بن المهلب^(٣) ، يخطب بواسط ، فقال :
« يا أهل العراق ، يا أهل السّبق والسّباق ، ومكارم الأخلاق ، إنّ أهل الشام
في أفواههم لُقمة دسمة ، زببت لها الأشداق^(٤) ، وقاموا لها على ساق ، وهم
غير تاركها لكم بالمرء والجِدال ؛ فالبسوا لهم جلود النُّمور^(٥) » .

[تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

(١) عمده : أضناء وأوجعه . والحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن . والأسر ، بالضم : احتباس البول . والخبر في الحيوان (٥ : ٢٩١) واللسان (٤ : ٢٩٦) .

(٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني صاحب التفسير ، أخذ التفسير عن الكلبي ، وكان متهماً في الرواية . توفي سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة . خرج في أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة ، واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش يزيد بن بالعقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٤) زببت الأشداق : اجتمع الربق في جوانبها وتحاب . ما عدا هـ : « ربت » تهريف .

(٥) يقال : لبس لفلان جلد النمر ، إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب .

فهرس الأبواب (*)

٣	الباب الأول
٢٣	ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزال ومن نقي ذلك عنه
٣٤	ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرن منها
٧٥	باب البيان
٨٨	البلاغة
٩٨	باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبنااء والفقهاء والأمراء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل
١٦٦	ذكر ما قالوا في مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنشور وما جاء في الأثر وصح به الخبر
١٧٢	وباب آخر في ذكر اللسان
١٧٦	وباب آخر
١٩٤	باب في الصمت
٢١٠	باب من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات كلام الناس
٢١٢	باب آخر . وقالوا في حسن البيان ، وفي التخلص من الخصم بالحق والباطل ، وفي تخليص الحق من الباطل ، وفي الإقرار بالحق ، وفي ترك الفخر بالباطل
٢١٨	باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب
٢٢٢	وباب منه آخر . ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحلل والمعاطف ، والديباج والوشى وأشباه ذلك

(*) هذه هي العنوانات التي وردت في صلب الكتاب كما وضعها الجاحظ . أما تفصيل الأبواب فوضعه في ملحقات الكتاب ، مع الفهارس العامة .

٢٢٧ باب آخر . ويدكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفصلون

إصابة المقادير ، ويذمون الخروج من التعديل

٢٣١ باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب واللسن والامتداح به والمدح عليه

٢٤٤ باب . وكانوا يعيبون النواث والعي والحق وأخلاق النساء والصبيان

٢٤٨ باب في ذكر المعلمين

٢٥٠ وباب منه آخر

٢٥٢ وباب آخر في دم التشايق والإغراق

٢٥٧ باب من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ النساء

وتأديب من تأديب العلماء

٢٧٦ باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل العصوف

٢٨٤ باب آخر من الأسجاع في الكلام

٢٩٧ باب أسجاع

٣٠٢ حطة من خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

٣٠٤ ذكر كلمات خطب بهن سليمان بن عبد الملك

٣٠٦ باب ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأنبياء وذكر قبائلهم وأسمائهم

٣٥٨ باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من وخطباء

٣٦٣ باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان

٣٦٦ وأسماء الصوفية من النساك ممن كان يحيد الكلام

٣٦٧ ذكر القصاص

٣٧٠ باب ما قيل في المحاصر والعصى وغيرها

٣٨٩ باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام

